



الجمهورية العربية السورية
جامعة دمشق – كلية الشريعة
قسم العقائد والأديان

الأساليب الإعلامية في دعوة القرآن للعقيدة الصحيحة سورة إبراهيم نموذجاً «دراسة تأصيلية تطبيقية»

رسالة أعدها لنيل درجة الماجستير

الطالب
حمود محمود حمود البرهو

إشراف
الدكتور حسان راغب القاري

العام الدراسي: ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

نوقشت هذه الرسالة في الساعة الثانية عشرة صباح يوم
الاثنين الموافق ٢ حزيران ٢٠١٢ م ، وكانت لجنة المناقشة مؤلفة
من :

د . حسان القاري . /عضوا/ المشرف .

د . محمد النداف /عضوا/ .

د . ثائر الحلاق /عضوا/ .

وقد منحت لجنة المناقشة الباحث درجة الماجستير في
الشريعة الإسلامية ، تخصص العقائد والأديان ، بعلامة قدرها
/٨٥/ خمس وثمانون .

شُكْرٌ وَاجِبٌ

عملاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم : «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»^(١) ، فإنني أتوجه بالشكر الجزيل لأستاذي الدكتور حسان القاري الذي تفضل -مشكوراً- بقبول الإشراف على هذه الرسالة ، فكان ذلك شرفاً للبحث وفخراً للباحث ، فجزاه الله عني خير الجزاء .

كما أتوجه بخالص الشكر والعرفان لأستاذي الدكتور نائل الحلاق الذي علمني وزملائي منهجية البحث العلمي وطرائقه -والذي أعذر منه لتقصيري في التمسك بكثير مما علمني إياه- فأسأل الله تعالى أن يرفع مقامه ، ويجزيه الجزاء الذي هو له أهل .

وأثنت بالشكر لكلية الشريعة في جامعة حلب -عمادة وأساتيد- التي أوفدتني لإتمام البحث ، ولم يخل عليّ أساتيدها بالتوجيه والإرشاد .

والشكر موصول لأخويّ في طلب العلم مهند الدكاش وعبد القادر العاشق اللذين تفضلاً عليّ بقراءة بعض فصول البحث ، وأمداني بمعونتهما في بعض تنسيقاته ، فجزاهما الله عني خير الجزاء على ما أنفقاه من الجهد والوقت .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فِي الْأَوَّلَى وَالْآخِرَةِ

(١) أخرجه الترمذي في سننه ، ت: أحمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي (بيروت) ، دط ، كتاب (البر والصلة) ، باب (ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك) ، رقم /١٩٥٥ ، ٣٣٩/٤ ، وقال : «هذا حديث حسن صحيح» .

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه
وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

لَمَّا كَانَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ كِتَابَ هِدَايَةٍ وَرِشَادٍ فَقَدْ ارْتَكَزَ التَّبْلِيغُ الْقُرْآنِيُّ عَلَى أُسَالِيبَ تَبْلِيغِيَّةٍ
مُتَعَدِّدَةِ التَّأْثِيرَاتِ، تَعْطِي لِلْعَيْنِ فُرْصَ التَّأْمَلِ، وَلِلنَّفْسِ فُرْصَ التَّأَثُّرِ، وَلِلْعَقْلِ فُرْصَ التَّدْبِيرِ،
فَجَاءَ هَذَا التَّبْلِيغُ شَامِلًا وَمُتَكَامِلًا، يَكْشِفُ الْإِطْلَاعَ عَلَى جَوَانِبِهِ الْكَثِيرِ مِنَ الْحَقَائِقِ الْإِتِّصَالِيَّةِ
وَالْأُسَالِيبِ الْإِعْلَامِيَّةِ وَالْفَنُونِ التَّأْثِيرِيَّةِ الَّتِي كَشَفَتْ عَنْ بَعْضِ جَوَانِبِهَا الْبَحُوثُ الْحَدِيثَةُ
لِلْإِعْلَامِ.

وَلَمَّا كُنَّا نَوَاجِهَ فِي هَذَا الْعَصْرِ الْكَثِيرِ مِنَ التِّيَّارَاتِ الْفِكْرِيَّةِ الَّتِي تَعَادِي الْإِسْلَامَ، أَوْ
تُخَالِفُ مَنِهْجَهُ الْقَوِيمَ، وَالَّتِي تَتَوَجَّهُ أَوَّلَ مَا تَتَوَجَّهُ صَوْبَ الْعَقِيدَةِ وَالتَّصَوُّورِ الْإِسْلَامِيِّ، فَإِنْ
مُقَاوِمَةٌ هَذِهِ التِّيَّارَاتِ أَوَّلًا، وَمُعَالَجَةُ آثَارِهَا فِي عُقُولِ الْكَثِيرِ مِنْ أِبْنَاءِ أُمَّتِنَا ثَانِيًا يَنْبَغِي أَنْ يَتِمَّ
فِي إِطَارِ الْأُسَالِيبِ وَالْوَسَائِلِ الَّتِي قَرَّرَهَا مَنِهْجُ التَّبْلِيغِ الْقُرْآنِيِّ.

ثُمَّ إِنَّ ثَوْرَةَ الْإِتِّصَالِ الْعَالَمِيَّةِ وَمَا حَقَّقَتْهُ فِي هَذَا الْعَصْرِ مِنْ تَقْدِيمِ لُوسَائِلِ الْإِعْلَامِ
الْإِسْلَامِيِّ وَأُسَالِيبِهِ الْمُسْتَنْبَطَةِ مِنْ مَصَادِرِ التَّشْرِيعِ أَنْ تَحَقِّقَ أَفْضَلَ النَّتَائِجِ عَلَى صَعِيدِ الدَّعْوَةِ
لِلْعَقِيدَةِ وَالتَّشْرِيعِ وَالْأَخْلَاقِ. وَبِالْمُقَابِلِ إِنْ لَمْ تُفَعَّلْ هَذِهِ الْوَسَائِلُ وَالْأُسَالِيبُ الْإِسْلَامِيَّةُ فَسَتُنَاجِ
الْفُرْصَةَ لِدَوِي الْأَهْوَاءِ أَنْ يَسْتَخْدِمُوا أُسَالِيبَهُمُ الْمُنْحَرِفَةَ، وَيُؤْثِرُوا عَلَى الْجَمَاهِيرِ، دَافِعِينَ لَهُمْ
نَحْوَ التَّطَرُّفِ أَوْ التَّقَوُّعِ، مِمَّا يُمَثِّلُ دَعْوَةً لِلْهَدْمِ أَوْ الْجُمُودِ لَا يَرْضَى بِهَا الْإِسْلَامُ.

وَبِالْإِضَافَةِ لِهَذَا وَذَلِكَ فَإِنَّ مِنَ الضَّرُورِيِّ فِي هَذَا الْعَصْرِ -إِنْ أَرَادَ الْمُسْلِمُونَ اللَّحَاقَ
بِرُكْبِ الْحَضَارَةِ- أَنْ تُرَشَّدَ عَمَلِيَّةُ تَحْمُلِ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَلَا يَتِمُّ ذَلِكَ إِلَّا بِالرَّجُوعِ إِلَى
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَاسْتِلْهَامِ مَنِهْجِهِ وَأَسْلُوبِهِ فِي تَقْرِيرِ قَضَايَا الْعَقِيدَةِ، وَعَدَمِ الْإِقْتِصَارِ فِي تَحْمِلِ
الْعَقِيدَةِ عَلَى التَّصَوُّرَاتِ وَالْأَطْرُوحَاتِ الَّتِي قَدِّمَتْهَا مَنَظُومَةُ عِلْمِ الْكَلَامِ الْإِسْلَامِيِّ، وَالَّتِي كَانَ
لَهَا دَوْرٌ بَارِزٌ فِي الدَّخُولِ بِهَذِهِ الْعَقِيدَةِ فِي مَتَاهَاتِ جَدَلِيَّةٍ عَقِيمَةٍ أَضْعَفَتْ مِنْ فَاعِلِيَّةِ هَذِهِ
الْعَقِيدَةِ لَدَى مَعْتَنِقِيهَا.

مِنْ هُنَا تَأْتِي أَهْمِيَّةُ الْبَحْثِ فِي دَرَاةِ أُسَالِيبِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي إِعْلَامِ الْعَقِيدَةِ
الصَّحِيحَةِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهَا؛ إِذْ إِنَّ مَبَادِيَّ وَأُسَالِيبَ الْإِعْلَامِ السَّلِيمِ الَّتِي نَحْنُ فِي أَشَدِّ الْحَاجَةِ

إليها اليوم تتّضح في أجلى صورها في القرآن الكريم، وتأتي أهمية الدراسة أيضاً في قلة الدراسات العربية التي تعرضت للجوانب الإعلامية في القرآن الكريم، حيث ركّز معظم باحثي الإعلام على إعداد دراسات في نظريات وأساليب الإعلام من وجهة نظر علماء الغرب، دون أن يتطرقوا لهذا الجانب من الدراسات في ضوء المصادر الإسلامية.

٥ وأما عن الدراسات السابقة فإن الباحث لم يعثر فيما رجع إليه من فهارس المكتبات والمواقع الإلكترونية على دراسة تطرقت ببحث مستقل لمعالجة الأساليب الإعلامية في القرآن الكريم في الدعوة للعقيدة، وجلُّ ما وجدته دوريات وكتب تناولت بعض جوانب الإعلام الإسلامي بشكل عام كمفهومه وخصائصه وتحدياته ورسائله ومستقبله، أو بعض الأساليب الإعلامية في القرآن بشكل عام، وأهم هذه الدراسات أربع:

١٠ الأولى: قام بها الباحث محمد محمود الطلابي، جاءت بعنوان: الأسلوب الإعلامي في القرآن الكريم، وهي رسالة نال بها الباحث درجة الماجستير في جامعة الإمام محمد بن سعود، تناول فيها الباحث العديد من القضايا المتعلقة بما سماه هو الإعلام الإسلامي، كالأساليب القولية والفعالية للإعلام، كل أسلوب بصفحتين أو ثلاث، وأعمال النبي صلى الله عليه وسلم (كالهجرة وبناء المسجد والبيعة وإرسال الرسل) وأهدافها الإعلامية، والعبادات العملية (الصلاة والحج والجهاد والقصاص) وآثارها الإعلامية، والمشركون والمنافقون وأهل الكتاب وأساليبهم الإعلامية، وردود فعل النبي تجاهها، وقد شغلت هذه الموضوعات النصف الأول من البحث، وقد كان عرضه أشبه برواية أحداث السيرة، ثمَّ عقد في النصف الآخر باباً سمّاه: نماذج من الأسلوب الإعلامي في القرآن وطرق تأثيره، عرض فيه لثلاثة أساليب فقط من الأساليب التي تناولتها في بحثي، وهي: (الخبر والقصة والمثل)، وقد غلب على دراسته لهذه الأساليب أنّه يورد أمثلة ويشرحها. ثمَّ عقد باباً ثالثاً (في عشرين صفحة) ٢٠ تحدث فيه عن أثر الأسلوب الإعلامي في العقيدة والأخلاق والمعاملات.

يتسم البحث بالعمومية وعدم تحديد المفاهيم ولاسيّما مفهوم الإعلام؛ مما أوقع الباحث بإشكال كبير يتمثل بإدخال أمور كثيرة لا تندرج تحت أساليب الإعلام أخذت حوالي نصف بحثه، وما يتعلق بصلب البحث لم يتم معالجته بشكل جيد؛ إذ اقتصر على تعريف

مجتزأً للأسلوب (الخبر والقصة والمثل)، ثمَّ عرض بعض النماذج القرآنية وتفسيرها. ولم استفد من هذا البحث شيئاً يذكر؛ إذ اقتصرَت إفادتي منه على بعض التقسيمات فقط.

الثانية: قام بها الباحث ممدوح العفاش، جاءت بعنوان: وسائل الإعلام في التشريع الإسلامي، وهي دراسة فقهية، نال بها الباحث درجة الدكتوراه في الفقه الإسلامي من جامعة دمشق، تناول فيها الباحث بالإضافة للأبحاث الفقهية المتعلقة بالموضوع دراسة مناحي الدلالة الإعلامية في القرآن الكريم، والإعجاز الإعلامي في السيرة النبوية، وتطرق لبحث وسائل الإعلام الحديثة، والواقع التطبيقي للإعلام الإسلامي المعاصر وغير ذلك، غير أنَّ البُعد الأفقي الواسع للبحث جعل الحديث عن مناحي الدلالة الإعلامية في القرآن الكريم عاماً ومجتزأً.

الثالثة: قام بها الدكتور محمد عبد القادر حاتم، جاءت بعنوان: الإعلام في القرآن الكريم، تناول فيها الباحث العديد من القضايا المتعلقة بالإعلام كنظرية الاتصال بال جماهير والغرض منها، والرأي العام تكوينه وأنواعه وخصائصه، والحياة في شبه الجزيرة العربية قبل نزول القرآن، ثم تناول نزول القرآن والآثار العظيمة التي أحدثها على المستوى العالمي، ثم تحدث عن شخصية النبي صلى الله عليه وسلم، وما ينبغي أن يتوفر للداعي من صفات، وعقد بعد ذلك فصلاً تحدث فيه عن أساليب الإعلام في القرآن الكريم، تحدث فيه عن الأساليب باختصار -صفحة واحدة لكل أسلوب- وقد أدخل كثيراً من الأمور التي لا تعد من الأساليب في شيء.

الرابعة: قام بها الدكتور وسيم فتح الله، جاءت بعنوان: أساليب التربية والدعوة والتوجيه من خلال سورة إبراهيم، وهو بحث صغير في حوالي أربعين صفحة، جعله الباحث ثلاثة مباحث، تناول في المبحث الأول التعريف بسورة إبراهيم، وفي المبحث الثاني ملامح منهج الدعوة في السورة، وفي المبحث الثالث ملامح المنهج التربوي فيها، وقد أفدت من هذه الدراسة عند الحديث عن منهج الدعوة في سورة إبراهيم.

وأما عن مشكلة البحث -أي ما يأمل الباحث في حلِّه والوصول إليه- فتتمثل بـ(الكشف عن الأساليب الرئيسة التي استخدمها البيان القرآني في عرض قضايا العقيدة)،

ويمكن التعبير بشكل أوسع عنها بالقول: إنَّ البحث يسعى للإجابة عن تساؤلات مفادها:

• ما الإعلام؟ وما الإعلام الإسلامي؟ وما الدعوة؟ وما العلاقة بين الدعوة والإعلام؟

• ما معنى قولنا أساليب إعلامية؟ وما الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم في عرض موضوعات الدعوة العقدية؟ وما أهميتها أو مدى فاعليتها في التأثير من وجهة نظر إعلامية؟ وما نماذج استخدام القرآن الكريم لهذه الأساليب؟

• ما الأساليب التي سلكتها سورة إبراهيم في عرض موضوعاتها العقدية؟ وما ملامح المنهج الدعوي الذي ترسمه سورة إبراهيم؟

وفيما يخصُّ **منهج البحث** فإنَّ طبيعة الموضوع تقتضي أن يكون المنهج متنوعاً، فهو منهج استقرائي تحليلي وصفي، حيث يقتضي الجانب التأصيلي من البحث استقراء آيات العقيدة، ومحاولة تحليل مضمونها، واستنباط الأساليب التي جاءت فيها. وأما الجانب التطبيقي فيقتضي تحليل محتوى السورة عينة الدراسة؛ لاستنباط الأساليب التي جاءت فيها، ودراسة المسائل العقدية التي عرضتها، واستخلاص المنهج الدعوي فيها.

وأما عن **عينة الدراسة** فقد اختار الباحث سورة إبراهيم كعينة لإجراء الدراسة التطبيقية لسببين رئيسين:

الأول: إن سورة إبراهيم سورة مكية إلا آيتين منها، وبالتالي فإن من البدهي أن يكون موضوعها العقيدة وما يتصل بها.

الثاني: إن سورة إبراهيم تمتاز بتنوع أساليب العرض في المسائل العقدية، ففيها الترغيب والترهيب وفيها الحوار وفيها القصة وفيها الأمثال، مما يجعلها نموذجاً صالحاً لإجراء مثل هذه الدراسة فيها.

وتأتي **خطة البحث** في هذه الدراسة في مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة وفهارس متنوعة كالآتي:

○ **المقدمة:** تتضمن أهمية الموضوع وسبب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج البحث فيه وخطته.

○ تمهيد عام حول مفهوم الإعلام الإسلامي والدعوة يتضمن المسائل الرئيسة الآتية:

- أولاً: مفهوم الإعلام والإعلام الإسلامي.
- ثانياً: مفهوم الدعوة وصلته بالإعلام.

○ الباب الأول: أساليب صياغة الرسالة الإعلامية العقيدية في القرآن الكريم.

يتضمن تمهيداً وثلاثة فصول وخاتمة:

- تمهيد: معنى الأسلوب والفرق بينه وبين الوسيلة.
- ❖ الفصل الأول: الأساليب الوجدانية.
- المبحث الأول: أسلوب الترغيب والترهيب.
- المطلب الأول: تعريف الترغيب والترهيب.
- المطلب الثاني: أهمية الترغيب والترهيب القرآني ودوره في الدعوة والإعلام.
- المطلب الثالث: دلالة أسلوب الترغيب والترهيب على مسائل العقيدة (نماذج).
- المبحث الثاني: أسلوب التكرار.
- المطلب الأول: تعريف التكرار وبيان أقسامه.
- المطلب الثاني: الأهمية الإعلامية للتكرار القرآني وحكمه وما أثر حوله.
- المطلب الثالث: دلالة أسلوب التكرار على مسائل العقيدة (نماذج).
- ❖ الفصل الثاني: الأساليب العقلية.
- المبحث الأول: أسلوب الحوار.
- المطلب الأول: مفهوم الحوار والحوار القرآني وبيان أنواعه.
- المطلب الثاني: أهمية الحوار وضوابط نجاحه وعوامل فشله.
- المطلب الثالث: دلالة أسلوب الحوار على مسائل العقيدة (نماذج).
- المبحث الثاني: أسلوب الجدل.
- المطلب الأول: مفهوم الجدل والجدل القرآني.

- المطلب الثاني: مسالك الجدل القرآني.
- المطلب الثالث: دلالة أسلوب الجدل على مسائل العقيدة (نماذج).
- ❖ الفصل الثالث: الأساليب الفنية.
- المبحث الأول: أسلوب التمثيل.
- المطلب الأول: تعريف المثل وبيان أنواعه.
- المطلب الثاني: الأهمية الإعلامية للتمثيل القرآني ودوره في الإقناع.
- المطلب الثالث: دلالة أسلوب التمثيل على مسائل العقيدة (نماذج).
- المبحث الثاني: الأسلوب الإخباري.
- المطلب الأول: تعريف الخبر.
- المطلب الثاني: أهمية الخبر وبنائه الفني والمنهج الإسلامي في التعامل معه.
- المطلب الثالث: دلالة الأسلوب الإخباري على مسائل العقيدة (نماذج).
- المبحث الثالث: الأسلوب القصصي.
- المطلب الأول: تعريف القصة وبيان عناصرها وأشكالها القرآنية.
- المطلب الثاني: الأهمية الإعلامية للأسلوب القصصي ودوره في الإقناع.
- المطلب الثالث: دلالة الأسلوب القصصي على مسائل العقيدة (نماذج).
- خاتمة الباب الأول.
- الباب الثاني: القضايا العقدية في سورة إبراهيم (أسلوب إعلامي ومنهج دعوي).
- يتضمن تمهيداً وفصلين وخاتمة:
- تمهيد: مدخل إلى سورة إبراهيم.
- ❖ الفصل الأول: الأساليب الإعلامية ومضمونها العقدي في سورة إبراهيم.
- المبحث الأول: الأساليب الوجدانية ومضمونها العقدي في سورة إبراهيم.
- المطلب الأول: أسلوب الترغيب والترهيب والمضمون العقدي الذي عرضه.
- المطلب الأول: أسلوب التكرار والمضمون العقدي الذي عرضه.
- المبحث الثاني: الأساليب العقلية ومضمونها العقدي في سورة إبراهيم.

- المطلب الأول: أسلوب الحوار والمضمون العقدي الذي عرضه.
- المطلب الأول: أسلوب الجدل والمضمون العقدي الذي عرضه.
- المبحث الثالث: الأساليب الفنية ومضمونها العقدي في سورة إبراهيم.
- المطلب الأول: أسلوب التمثيل والمضمون العقدي الذي عرضه.
- المطلب الأول: أسلوب الإخبار والمضمون العقدي الذي عرضه.
- المطلب الأول: أسلوب القصصي والمضمون العقدي الذي عرضه.

٥

❖ الفصل الثاني: منهج الدعوة من خلال سورة إبراهيم.

- المبحث الأول: مضمون رسالة الداعية.
- المطلب الأول: رسالة العقيدة في سورة إبراهيم.
- المطلب الثاني: رسالة العبادة في سورة إبراهيم.
- المطلب الثالث: رسالة الأخلاق في سورة إبراهيم.
- المبحث الثاني: عقبات الدعوة وموقف الداعية منها.
- المطلب الأول: عقبات الدعوة.
- المطلب الثاني: موقف الداعية تجاه العقبات.
- خاتمة الباب الثاني.

١٠

١٥

○ الخاتمة: تتضمن أهم النتائج والتوصيات.

○ الفهارس: تتضمن فهارس متنوعة تخدم البحث.

وأخيراً فإنَّ أهم المصادر والمراجع التي استفاد منها الباحث في بحثه هي:

- ١- الإيجي، المواقف في علم الكلام، مع شرح الجرجاني له، ت: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل (بيروت)، ط ١، ١٩٩٧م.
- ٢- التفتازاني، شرح المقاصد في علم الكلام، دار المعارف النعمانية (باكستان)، ١٤٠١هـ.
- ٣- الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١، ١٤٢١هـ.
- ٤- الزمخشري، الكشف، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، د.ط.

٥- ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١، ١٤١٩هـ.

٦- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق (بيروت-القاهرة)، ط ١٧، ١٤١٢هـ.

٧- سعيد إسماعيل صيني، الإعلام الإسلامي النظري في الميزان، مكتبة الملك فهد الوطنية (الرياض)، ١٤١٧هـ. ٥

٨- جيهان رشتي، الأسس العلمية لنظريات الإعلام، دار الفكر العربي (القاهرة)، ١٩٧٥م.

٩- عبد الغني بركة، أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهجاً، مكتبة وهبة (القاهرة)، د.ط.

١٠- ١٠- التهامي نقره، سيكولوجية القصة في القرآن، أصل الكتاب أطروحة دكتوراه- جامعة الجزائر، الشركة التونسية للتوزيع (تونس)، ١٩٧٤م.

١١- عبد العزيز حاجي، تفسير آيات العقيدة، دار الصابوني (القاهرة)، ط ١، ١٤٢٤هـ.

١٢- مجاهد ناصر، منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة، رسالة ماجستير في أصول الدين، كلية الدراسات العليا-جامعة النجاح الوطنية (نابلس-فلسطين)، إشراف: د.محسن الخالدي، ١٤٢٤هـ. ١٥

١٣- عبد الحميد حكيم، العقيدة في السور المكية وتوجيهاتها التربوية، رسالة ماجستير من قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية-جامعة أم القرى، إشراف: د.محروس مرسي، ١٤١٠هـ.

١٤- محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط ٣، ١٤١٥هـ. ٢٠

التمهيد

أولاً : مفهوم الإعلام والإعلام الإسلامي
ثانياً : مفهوم الدعوة وصلته بالإعلام

أولاً : مفهوم الإعلام والإعلام الإسلامي :

١ - المفهوم اللغوي للإعلام :

إن كلمة (إعلام) لفظ شائع مستعمل لمدلول خاص معاصر؛ لذلك يجد الباحث صعوبةً في إيجاد هذا المدلول الخاص في قواميس اللغة العربية.

فالإعلام كما توضح معاجم اللغة العربية مصدر للفعل الرباعي (أَعْلَمَ)، ومعنى (أَعْلَمَ): قام بالتعريف والإخبار لغيره. والإعلام غير التعليم، قال الراغب: «الإعلام اختص بما كان بإخبار سريع، والتعليم اختص بما يكون بتكرير وتكثير»^(١).

إذاً «فالإعلام لغة لا يكون إلا بين طرفين، يقوم أحدهما بالإعلام بالشيء سواء كان خبراً أم تعريفاً أم رأياً، فيتلقى الثاني ما أعلم به، ويختلف الإعلام عن التعليم؛ لأن الثاني يحتاج إلى تكرير وتكثير حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم. أما الإعلام فلا يحتاج إلى ذلك بل يكفي فيه مجرد الإخبار، وكأنهما يشتركان في معنى واحدٍ، وهو نقل المعارف والمعلومات من المرسل، وهو رجل الإعلام أو المعلم إلى المستقبل، وهو المتلقي للرسالة الإعلامية أو المتعلم»^(٢).

والإعلام في اللغات الأوروبية مشتق من الكلمة اللاتينية (Communis) التي تعني: الشيء المشترك، ومن هذا المصدر اشتق تعبير (Mass communication) في اللغة الإنكليزية، و (Communication de mass) في اللغة الفرنسية، والذي يعني في كلا اللغتين: الاتصال الجماهيري، وقد أصبح هذا التعبير هو التعبير المعاصر للإعلام في المؤلفات الأمريكية والإنكليزية والفرنسية عن الإعلام^(٣).

(١) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ت: صفوان داوودي، دار القلم (دمشق)، ١٤١٢هـ، ١١٥/٢.

(٢) محمد موفق الغلاييني، وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة، دار المنارة (جدة)، ١٩٨٥م، ص ٤٠.

(٣) انظر: محمد سعيد محمد، المسؤولية الإعلامية في الإسلام، مكتبة الخانجي (القاهرة)، دار الرفاعي (الرياض)، ط ١، ١٤٠٣هـ، ص ٢٣.

ويميز المؤلفون في الإعلام بين (الإعلام = Mass communication) وبين (الاتصال = Communication) بوصف كلمة اتصال أكثر شمولاً. فالاتصال قد يكون بين الإنسان وأخيه الإنسان، أو بينه وبين الحيوانات والجمادات.

والاتصال البشري قد يكون ذاتياً بين الإنسان ونفسه، وقد يكون شخصياً، وقد يكون جمعياً، وقد يكون جماهيرياً، والحالة الأخيرة هي وحدها من أشكال الاتصال تسمى إعلاماً^(١).

وتأسيساً على ما سبق يتبين أن بعض الكتّاب العرب ممن قدموا بحوثاً في الإعلام قد أخطؤوا حين جعلوا مصطلح (إعلام) ترجمةً لكلمة (Information) التي تعني في الإنكليزية: أنباء أو معلومات^(٢). فهناك فرق بين كلمة إعلام (Mass communication) و«بين كلمة إعلام (معلومات أو استعلامات) التي يقابلها في اللغات الأوربية بما في ذلك الألمانية والفرنسية والإنكليزية (Information)، وهذه تستخدم في لغاتها مع الوزارات مثل: وزارة الإعلام التي تقوم بدور إدارة العلاقات العامة للدولة كلها، أو الأقسام مثل: قسم أو طاولة الاستعلامات (Information desk) أو مركز المعلومات (Information center)، ويتطلب من هذه المؤسسات أو الأقسام تقديم معلومات واقعية صادقة. وهنا فقط تتفق كلمة إعلام مع الكلمة المشتقة من مادة (علم وأعلم) في قواميس اللغة العربية، وبعبارة أخرى فإن كلمة إعلام بهذا المعنى الأخير لا تتساوى مع كلمة إعلام بمعنى الاتصال الجماهيري، فالأخيرة تشمل البرامج الإخبارية إضافة إلى البرامج الإقناعية (الدعوية) التي تتميز بكونها محاولة لتغيير الواقع بدلاً من وصفه، والترفيهية بوصفها أعمالاً إبداعية وخيالية بدلاً من وصف الواقع كما هو»^(٣).

(١) انظر: سعيد إسماعيل صيني، الإعلام الإسلامي النظري في الميزان، مكتبة الملك فهد الوطنية (الرياض)، ١٤١٧هـ، ص ٣٥.

(٢) انظر على سبيل المثال: محمد موسى البر، الإعلام الإسلامي، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، العدد العاشر، ١٤٢٦هـ، ص ٢٩٤، وعبد الجبار دولة، التربية الإعلامية في المجتمع العربي المعاصر، مركز الناقد (دمشق)، ٢٠٠٩م، ص ٢٠.

(٣) الإعلام الإسلامي النظري في الميزان، ص ٣٧.

٢- المفهوم الاصطلاحي للإعلام :

ليس أدل على ما أشعر به وأجده بعدما قرأت العديد من الأبحاث التي حاولت أن تضع تعريفاً للإعلام، وتأصل له إسلامياً من قول أحد الباحثين: «عند استعراض المفاهيم التي طرحتها الكتابات الإعلامية الإسلامية لكلمة إعلام يجد الباحث تنوعاً يصل إلى درجة التناقض أحياناً»^(١)، فالبعض يجعل مفهوم (الإعلام) مساوٍ لمفهوم (الاتصال البشري) بكل أشكاله وأنماطه (الذاتي والشخصي والجمعي والجماهيري)^(٢)، وبالتالي صار هناك إعلام ذاتي وآخر شخصي وثالث جمعي ورابع جماهيري، من هؤلاء (عمارة نجيب) الذي يؤيد ذلك صراحة، فيقول: «وكذلك شمول الإعلام لأنواع الاتصال المختلفة كالاتصال الذاتي أو

(١) الإعلام الإسلامي النظري في الميزان، ص ٣٨٨.

(٢) يأخذ الاتصال ثلاثة أشكال رئيسة:

الأول: الاتصال الذاتي (Intra personale communication): وهو الذي يتم بين الفرد ونفسه في محاولة إدراكه الأشخاص والأشياء والأحداث والمواقف التي يتعرض لها، أو حول ما يتعرض له من معلومات وأفكار وآراء باعتبارها منبهات أو مثيرات تتطلب منه استجابة بشكل معين. وهذا الشكل من أشكال الاتصال هو الذي يسمح للفرد أن يتخذ قراراته بناءً على المعلومات التي يستقبلها عن طريق حواسه.

الثاني: الاتصال المواجهي (Face to face communication): وهو الذي يتم بين الأفراد مواجهة سواء كان بين فردين أو بين فرد وآخرين. وهو ينقسم إلى قسمين:

١- الاتصال الشخصي (Inter personale communication): هو الاتصال الذي يتم بين فرد وآخر خلال إحدى العمليات التي تتم في حياتنا اليومية، ويتم بين الأفراد إما مباشرة أو من خلال وسائل الاتصال الأخرى.

٢- الاتصال الجمعي (Groupe communication): وهو الذي يتم بين جماعة من الأشخاص في اتصال مواجهي، ويتمثل هذا النوع بوسائل عديدة كالخطبة والمحاضرة والندوة وغيرها.

الثالث: الاتصال الجماهيري (Mass communication): ويقصد به تلك العملية التي يتم نقل المعلومات والأفكار والاتجاهات إلى عدد كبير نسبياً من الأفراد عبر وسيلة أو أكثر من وسائل الاتصال الجماهيرية (إذاعة صحف...)، وهذا النوع من الاتصال يتم بطريقة غير مباشرة، والاستجابة لا تظهر مباشرة أثناء الاتصال ولكن يمكن أن تظهر بعد ذلك. انظر: صالح أبو صبرة، وتيسير أبو عرجة، الاتصال والعلاقات العامة، منشورات جامعة القدس، المكتبة الوطنية (الأردن)، ١٩٩٩م، ص ٢٦، ومازن الحوش، الاتصال وتأثيره على تنظيم المؤسسة الإعلامية، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر (الجزائر)، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، ٢٠٠٦م، ص ٤١-٤٣.

بين فردين أو بين فرد وجماعة أو بين جماعة وجماعة مما سمي بالاتصال الجمعي، وكذلك الاتصال عبر الكتاب والقصة والحكاية والأسطورة، والاتصال بوسائل الإعلام الجماهيرية من إذاعة وتلفاز... الخ إلى غير ذلك مما ينسجم مع مفهوم الإعلام»^(١)، وقريب منه (الشنقيطي) الذي يعرف الإعلام بأنه: «كل قول أو فعل قُصِدَ به حمل حقائق أو مشاعر أو عواطف أو أفكار أو تجارب، قولية أو سلوكية، شخصية أو جماعية، إلى فرد أو جماعة أو جمهور بغية التأثير، سواء أكان الحمل مباشراً أم بواسطة وسيلة اصطلاح على أنها وسيلة إعلام قديماً أو حديثاً»^(٢).

ومقابل هؤلاء يجد الباحث البعض يقصر مفهوم الإعلام بمجرد الإخبار والتبليغ، وفيما يأتي بعض التعريفات التي تنحى هذا الاتجاه:

- ١٠ - ١ - الإعلام هو: «نشر الأخبار والآراء على الجماهير»^(٣).
- ٢ - «تزويد الناس بالأخبار الصحيحة، والمعلومات الدقيقة، والحقائق الثابتة، والتي تساعد على تكوين رأي صائب في واقعة أو مشكلة»^(٤).
- ٣ - «النقل الحر والموضوعي للأخبار والمعلومات بإحدى الوسائل الإعلامية، أو أنه نقل الأخبار والوقائع بصورة صحيحة»^(٥).

- ١٥ فأصحاب الاتجاه الأول وسَّعُوا دائرة مفهوم (الإعلام)، فجعلوه شاملاً لمفهوم (الاتصال)، وهو في الحقيقة ليس إلا شكلاً من أشكاله، كما يرمي مصطلح (Mass communication = الاتصال الجماهيري)، وهو شكل لم يعرف بشكل واضح إلا في القرن الرابع عشر الهجري، ويتميز بكونه يستخدم وسائل اتصال توصل الرسالة الواحدة في

(١) الإعلام في ضوء الإسلام، د.د (الرياض)، ط ١، ١٤٠٠هـ، ص ١٨.

(٢) وظيفة الإخبار في سورة الأنعام، مركز الدراسات والإعلام، دار إشبيلية (الرياض)، ط ٤، ١٤١٨هـ، ص ٣٤.

(٣) إبراهيم إمام، العلاقات العامة للمجتمع، مكتبة الأنجلو (القاهرة)، ١٩٨١م، ص ٣١٦.

(٤) محمد حمد خضر، مطالعات في الإعلام، مكتبة الطالب الجامعي (مكة المكرمة)، ١٤٠٧هـ، ص ١٤.

(٥) محمد عبد القادر، دور الإعلام في التنمية، وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٢م، ص ١٠٢.

الوقت الواحد إلى مجموعة من الجماهير، توجد في مواقع جغرافية مختلفة ومتباعدة، كما يتميز هذا الشكل من أشكال الاتصال بالتعقيد في عناصره وأجهزته، وفي حاجته للجهد الجماعي لممارسته.

وأصحاب الاتجاه الثاني ضيقوا من مفهومه، وحصروه في أداء المهمة الإخبارية، في حين أنه لا يقتصر عليها، فهو قد يقوم بالمهمة الإقناعية، أي: محاولة إقناع الجمهور بتبني عقيدة أو فلسفة أو سياسة أو سلعة، وقد يقوم بالمهمة التعليمية محاولاً إفهام الجمهور حقائق ما، دون إقناعه بتطبيقها أو تبنيها، وقد يقوم الإعلام كذلك بمهمة الترويح عن الجمهور وتسليته، دون محاولة لتزويده بالأخبار أو المعلومات أو محاولة إقناعه بشيء محدد.

وعلى ضوء ما سبق فإن التعريف المقترح للإعلام ينبغي أن يحدد الوظيفة والوسيلة؛ حتى لا تختلط المفاهيم بعضها في بعض. وعليه فالإعلام: بثُّ رسالة ما (إخبارية أو إقناعية أو تعليمية أو ترفيهية...) على أعدادٍ كبيرةٍ من الناس، عن طريق إحدى الوسائل الجماهيرية (الصحافة والكتاب والإذاعة والتلفاز...)، بأسلوب يخدم هدف الرسالة، ويساعد على تحقيق الأثر المطلوب في الجمهور.

٣- مفهوم الإعلام الإسلامي :

تزايدت في الفترة الأخيرة الانتقادات الموجهة إلى ما أطلق عليه اسم (اللافتات الإسلامية) التي تسارع -كلما أنجز العلم الإنساني شيئاً- إلى قطف ثمرة هذا الإنجاز، لتقول: إن هذا عندنا أو إننا وجدنا له أثراً في هذه الآية أو هذا الحديث. وقد ثار جدل واسع حول مصطلح (الإعلام الإسلامي)، وما إذا كان من الضروري أن يطلق على الإعلام الذي يصدر من دول مسلمة لجماهير مسلمة هذا المصطلح.

فالبعض نظر إلى هذا المصطلح على أنه محاولة لقولبة الإسلام أو لقولبة التطبيقات الإسلامية في المجالات العلمية، وأن في التزام العلوم بصفة عامة، والإعلام على وجه الخصوص بقيم الإسلام ومبادئه ما يكفي دون الحاجة إلى اصطناع مصطلح (الإعلام

الإسلامي)^(١). وبنى هؤلاء رؤيتهم على أساس أن الإسلام قيم ومبادئ على كل مسلم الالتزام بها في كل عمل يقوم به، سواء كان عملاً إعلامياً أو طبياً أو تجارياً... فالصدق في الخبر مثلاً «أو المعاملة الجريئة للأحداث والقضايا، وعدم الإكراه، كلها مبادئ إسلامية عامة، لا تحتاج إلى إضافة (لافتة) الإسلام إلى الإعلام لكي نثبتها. وعلى هذا فليس مطلوباً من الإسلام أن يقدم نظرية في الإعلام»^(٢).

وفي المقابل فإن بعض الباحثين أعلنوا تمسكهم بمصطلح (الإعلام الإسلامي) الذي هو الإعلام النموذج، الذي يجب أن يقدمه المسلمون للعالم المعاصر بوصفه (الإعلام المتحضر)، الذي ينأى عن أن يكون إعلاماً جغرافياً خاصاً بجماعة إسلامية أو دولة إسلامية. ويني هؤلاء دعواهم على عدد من الأسس أهمها:

١٠ - إن صياغة وتأصيل النظرية الإعلامية في الإسلام أصبح مطلباً ملحاً في ظل ثورة الاتصالات التي يعيشها العالم، وفي ظل عدم التوازن الواضح في التدفق الإعلامي، واحتكار فئات معينة لوسائل الإعلام المحلية داخل العالم الإسلامي. ومن هنا فإن الحاجة إلى الإعلام الإسلامي تقوم على أساسين: شرعي يدل عليه خطاب التكليف الذي يأمر بتحكيم الإسلام في الإعلام، وآخر اجتماعي يقوم على ضرورة مجابهة الواقع الإعلامي العالمي الراهن الذي ينطوي على أزميتين:

أزمة في النظام الإعلامي العالمي القائم على الاحتكار الذي تمارسه الدول الغربية؛ لامتلاكها تكنولوجيا الاتصال الحديثة.

وأزمة في صورة الإسلام في وسائل الإعلام المحلية والعالمية؛ مما جعل الإسلام في هذه الوسائل يتعرض لمخاطر كثيرة، تعبر عن موقف الكراهية للإسلام، الذي يحكم النظرة الغربية للعالم الإسلامي، ولعلّ هذا ما صورته البعض على أنه (استرقاق إعلامي)، حيث

(١) محمد سيد محمد، حق التعليم والإعلام في الإسلام، المعهد العالمي للفكر الإسلامي (القاهرة)، ١٩٨٧م، ص ١١.

(٢) حسني نصر، الإعلام الإسلامي، ضمن قضايا إشكالية في الفكر الإسلامي المعاصر، سلسلة قضايا الفكر الإسلامي، العدد: ١٦، المعهد العالمي للفكر الإسلامي (القاهرة)، ط ١، ١٤١٨هـ، ص ٣٢٨-٣٢٩.

أفقدتنا الهيمنة الإعلامية الغربية القدرة على الاختيار، وتردد صدى هذه الهيمنة داخلياً في سيطرة الحكومات العلمانية داخل العالم الإسلامي على وسائل الإعلام، واستخدامها كأسلحة رئيسة في ضرب الصحة الإسلامية.

٥ -٢ إن استخدام مصطلح الإعلام الإسلامي يعبر عن الصياغة الإسلامية للإعلام، وليس عن إضافة للإسلام في مجال الإعلام، وذلك على أساس أن صياغة الحياة في كل نواحيها يجب أن تكون صياغة إسلامية، فإذا لم نكن مطالبين بإضافة جديد إسلامي في الفكر الإعلامي الغربي أو الشرقي فإن علينا أن نقوم المعوج منه، ونصلح الفاسد فيه طبقاً للقواعد الإسلامية.

١٠ -٣ إنه لا بدّ من تأكيد تحقق الروح الإسلامية التي تضيف إلى الإعلام، وبالتالي ضرورة الوجود الإسلامي في أي مجال إعلامي، بحيث لا ينفصل الإسلام عن مجالات الحياة^(١).

وإذا اقتنع الباحث بهذه المسوغات ثم راح ينظر إلى التعريفات التي وضعها أصحاب هذا الاتجاه لمصطلح الإعلام (الإعلام الإسلامي) سيجد أنهم خالفوا أول مقدمة انطلقوا منها، وهي: تقديم إعلام متحضر، يكون نموذجاً مثالياً، ينأى عن الجغرافية، فقد جاءت معظم تعريفاتهم قاصرة على مجرد الدعوة الدينية (المهمة الإقناعية)، ومتجاهلة باقي العناصر التي تتضمنها كلمة (إعلام)، وإليك بعض النماذج:

٢٠ ١- الإعلام هو: «تعريف الناس بحقائق الدين الإسلامي، من حيث العقيدة والفرائض والسنن والعبادات والمعاملات، من خلال وسيلة إعلامية متخصصة أو عامة، بواسطة قائم بالإعلام، لديه خلفية واسعة ومتعمقة في موضوع الرسالة؛ وذلك بغية تكوين رأي عام صائب، يعي الحقائق الدينية، ويدركها، ويتأثر بها في معتقداته وعباداته ومعاملاته»^(٢).

(١) انظر: الإعلام الإسلامي، ضمن قضايا إشكالية في الفكر الإسلامي المعاصر، ص ٣٣١.

(٢) إبراهيم إسماعيل، الإعلام الإسلامي ووسائل الاتصال الحديثة، ضمن سلسلة دعوة الحق، السنة الثالثة عشرة، العدد ١٣٣، ١٤١٤هـ، ص ٢٠.

٢- «هو إعلاء كلمة الله في كل عصر بكافة وسائل الاتصال المناسبة لكل عصر، والتي لا تتناقض مع مقاصد الشريعة الإسلامية»^(١).

٣- «جهد فني وعلمي مدروس ومخطط ومستمر وصادق، من قبل قائم بالاتصال - هيئة كان أم جماعة أم فرد- لديه خلفية واسعة ومتعمقة في موضوع الرسالة التي تناولها، ويستهدف الاتصال بالجمهور العام وهيئاته النوعية وأفراده بكافة إمكانيات وسائل الإعلام والإقناع، وذلك بغرض تكوين رأي عام صائب يعي الحقائق الدينية ويدركها، ويتأثر بها في معتقداته وعباداته ومعاملاته»^(٢).

وإذا ما أراد الباحث أن يعطي تصوراً صحيحاً لمفهوم (الإعلام الإسلامي) فإنه لا بدّ من إدراك مفهوم كلمة (إسلامي) عند إضافتها إلى أحد فروع المعرفة أولاً، فهي تعني غالباً أن تلتزم بالضوابط الإسلامية المنبثقة من تصورات الإسلام ومفاهيمه ومنهجه السلوكي، «ومن جهة أخرى فإن التعريف المناسب للإعلام الإسلامي لا بدّ أن يتضمن الممارسات والدراسات. والإعلام من حيث الممارسة يتمثل في عملية التعبير عن المعتقدات والأفكار والمشاعر والمعلومات بطريقة يمكن نشرها بواسطة وسائل الاتصال الجماهيرية، وعملية نشر هذه التعبيرات بواسطة هذه الوسائل... وتتمثل الدراسات الإعلامية في عمليات رصد هذه الممارسات الإعلامية وتسجيلها وتحليلها والاستنتاج منها؛ وذلك للوصول إلى قواعد فنية أو نظريات تساعد على التحكم في هذه الممارسات والتصدي لها»^(٣).

وعلى ما سبق يمكن تحديد الممارسات والدراسات التي لا بدّ أن يتضمنها المفهوم الأنسب للإعلام الإسلامي بالنقاط الآتية:

١- أن يرتبط الإعلام بعقيدة الإسلام ارتباطاً وثيقاً، يجعله يستوحي منها مناهجه

٢٠ وأسلوبه.

(١) نعيم رزق الدردساوي، أساليب القرآن الكريم في الرد على الحملات الإعلامية، دار الفرقان (إربد)، ٢٠٠٠م، ص ٢٦.

(٢) محمد منير حجاب، مبادئ الإعلام الإسلامي، المطبعة العصرية (الإسكندرية)، ١٩٨٢م، ص ١٣٥.

(٣) الإعلام الإسلامي النظري في الميزان، ص ٩٠-٩١.

- ٢- صبغ المضمون والمحتوى الإعلامي بالصبغة الإسلامية، والتقليل من أساليب الوعظ المباشر، والبعد عن الندوات التقليدية، والخروج به إلى رحاب أوسع باستخدام الفنون والأساليب الإعلامية الحديثة؛ لاجتذاب المشاهد أو القارئ أو المستمع.
- ٣- تزويد الجماهير بحقائق الدين الإسلامي المستمدة من مصادر التشريع بعد صياغتها بأساليب مناسبة قادرة على إقناع الجمهور وإحداث التأثير المطلوب.
- ٤- العناية بالبرامج التعليمية والمشاهد الموجهة للأسرة والمجتمع.
- ٥- الاهتمام الجاد بالجانب الترفيهي الهادف من خلال برامج ومشاهد وصفحات يعنى بإعدادها متخصصون^(١).
- ٦- القيام بمختلف الدراسات (الميدانية) التي تسهم في نجاح الرسالة الإعلامية، كدراسة مشكلات القائمين بالاتصال وعلاجها، وتحديد جماهير الرسالة، ودراسة خصائصها، ودراسة فاعلية الجهود المبذولة، ودراسة المضامين الدعائية المضادة وسبل مواجهتها^(٢).
- ولعلَّ التعريف الذي تنطبق عليه أكثر هذه النقاط تعريف (عبد الوهاب كحيل) حيث يعرف الإعلام الإسلامي بأنه: «استخدام منهج إسلامي، بأسلوب فني إعلامي، يقوم به مسلمون عالمون بدينهم، متفهمون لطبيعة الإعلام ووسائله الحديثة وجماهيره المتباينة، يستخدمون تلك الوسائل المتطورة؛ لنشر الأفكار المتحضرة والأخبار الحديثة والقيم الأخلاقية والمبادئ والمثل للمسلمين ولغير المسلمين، من كل زمان ومكان، في إطار الموضوعية التامة، بهدف التوجيه والتوعية والإرشاد؛ لإحداث التغيير المطلوب»^(٣).

(١) انظر: الإعلام الإسلامي النظري في الميزان، ص ١٠٠.

(٢) انظر: محمود يوسف عبده، بحوث الإعلام في خدمة الدعوة الإسلامية، مجلة جامعة أم القرى، العدد: ١٢، السنة التاسعة، ١٤١٦هـ، ص ١٤.

(٣) الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامي، عالم الكتب، مكتبة المقدسي (بيروت)، ١٩٨٥م، ص ٢٩.

ثانياً : مفهوم الدعوة وصلته بالإعلام :

١ - المفهوم اللغوي للدعوة :

الدعوة مصدر للفعل الثلاثي (دَعَوَ)، تقول: «دَعَا يَدْعُو دعوةً ودعاءً»^(١)، وله معانٍ عديدة، منها:

- ٥ - الحث على قصد الشيء: يُقال: دعاه إلى الدين، يعني: حثه على اعتقاده، ومنه قول الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣].
- ٢ - الدعاء: وهو سؤال الله عز وجل، ومنه حديث النبي صلى الله عليه وسلم حين سُئِلَ عن نفسه: «دعوة أبي إبراهيم، وبُشْرَى عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له بصرى»^(٢)، والمقصود بدعوة إبراهيم عليه السلام: ما جاء على لسانه في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٩].
- ١٠ - النداء والطلب: ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من قال حين يسمع النداء، اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة...» الحديث^(٣).
- ٤ - التسمية: يقال: دعاه زيداً وبزید، أي: سماه بهذا الاسم^(٤).
- ٥ - الاستمالة: ومنه داعية اللبن، وهو ما يترك في الضرع؛ ليدعو ما بعده، وفي الحديث: «دع داعي اللبن»^(٥).
- ١٥

(١) ابن منظور، لسان العرب، دت، دار صادر (بيروت)، ط ١، مادة (دَعَوَ).

(٢) أخرجه الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١، ١٤١١هـ، باب (ذكر أخبار سيد المرسلين...)، رقم /٤١٧٤/، ٦٥٦/٢، قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، ت: مصطفى البغا، دار ابن كثير - اليمامة (بيروت)، ط ٣، ١٤٠٧هـ، كتاب (الأذان)، باب (الدعاء عند النداء)، رقم /٥٨٩/، ٢٢٢/١.

(٤) انظر: إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، دط، مادة (دَعَوَ).

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب (اليوع)، رقم /٢٣٦٦/، ٧٢/٢، وقال: صحيح الإسناد، وسكت عنه الذهبي.

والأصل في المفهوم اللغوي للدعوة أنه يعتمد على الكلام والبيان، قال ابن فارس: «دَعَوَ: أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك»^(١). ولفظ الدعوة يستعمل في الخير والشر، كما في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٢١].

٢- المفهوم الاصطلاحي للدعوة:

إن كلمة (الدعوة) في الاصطلاح لفظ مشترك يطلق على معنيين:
الأول: الدين (الإسلام).

الثاني: عملية نشر الدين وتبليغه وتعليمه للناس.

وسياق إيرادها هو الذي يحدد المعنى المراد، ولهذا السبب يجد الباحث أن تعريفات العلماء للدعوة قد تعددت وتنوعت، وهي لا تخرج غالباً عن أحد هذين المعنيين^(٢).
فمن التعريفات التي جاءت بحسب المعنى الأول (الدين):

١- الدعوة هي: «النظام العام والقانون الشامل لأمر الحياة ومناهج السلوك للإنسان، التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم من ربه، وأمره بتبليغها إلى الناس، وما يترتب على ذلك من ثواب أو عقاب في الآخرة»^(٣).

٢- هي: «الضوابط الكاملة للسلوك الإنساني، وتقرير الحقوق والواجبات»^(٤).
٣- هي: «الدين الذي ارتضاه الله للعالمين، وأنزل تعاليمه وحياً على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحفظها في القرآن الكريم، وبينها في السنة النبوية»^(٥).

ومن التعريفات التي جاءت بحسب المعنى الثاني (نشر الدين وتبليغه للناس):

(١) مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر (بيروت)، ١٣٩٩هـ، مادة (دَعَوَ).
(٢) انظر: إبراهيم عابد، وسائل الدعوة إلى الله تعالى في شبكة المعلومات الدولية، أطروحة دكتوراه، كلية الدعوة والاحتساب-جامعة محمد بن سعود الإسلامية، (السعودية)، ١٤٢٧هـ، ص ٩.
(٣) أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية: أصولها ووسائلها، دار الكتاب اللبناني (بيروت)، دط، ١٩٨٧م، ص ١٢.

(٤) محمد الراوي، الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، مكتبة الرشيد (الرياض)، ط ٣، ١٤١١هـ، ص ٤.
(٥) وسائل الدعوة إلى الله تعالى في شبكة المعلومات الدولية، ص ٩.

١- «الطلب بشدة، وحثُّ على الدخول في دين الإسلام، اعتقاداً وقولاً وعملاً، وظاهراً وباطناً»^(١).

٢- «العلم الذي به تُعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام مما حوى عقيدة وشريعة وأخلاقاً»^(٢).

٣- «تبليغ الإسلام عن طريق قيام الدعاة بدعوة الناس إلى ما فيه من عقيدة التوحيد الخالص، والإيمان النقي بكل ما جاء من عند الله في كتابه الكريم، وفي سنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، والعمل به في جميع شؤون الحياة، دينية كانت أو سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية أو غير ذلك»^(٣).

ومما ينبغي معرفته أن الدعوة بمعنى النشر والتبليغ صارت علماً مستقلاً له موضوعه وخصائصه وأهدافه وأساليبه ووسائله، وهو بذلك يواكب سائر العلوم الإسلامية، يفيدها ويفيد منها، ويشاركها في إفادة الإسلام برسم طريق منهجي يكفل له الانتشار والذيع^(٤).

وقد عرفها البعض -الدعوة- بما يشمل كلا المعنيين فقال: «هي الإسلام من حيث المبادئ، والقيام بنشره وجذب الناس إليه من حيث الوسائل والأساليب»^(٥).

ولمَّا كان محل بحثي هذا يتصل اتصالاً رئيساً بالمعنى الثاني للدعوة وهو: عملية نشر الدين وتبليغه وبيانه للناس، فإن التعريف الأنسب لها بهذا المعنى تعريف (البيانوني): «تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع حياتهم»^(٦)، وسبب اختيار الباحث لهذا التعريف أنه يشمل مراحل الدعوة كاملة: التبليغ والتكوينية والتنفيذية، كما يعد ترجمة

(١) عبد الرحمن حبنكة، فقه الدعوة إلى الله وفقه النصيح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دار القلم (دمشق)، ط ١، ١٤١٧هـ، ١٦/١.

(٢) الدعوة الإسلامية: أصولها ووسائلها، ص ١٠.

(٣) عبد الخالق إسماعيل، الدعوة إلى سبيل الله أصولها ومبادئها، مؤسسة النجوم الهاشمية (الزقازيق)، دط، ١٤١٧هـ، ص ١٠.

(٤) انظر: محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط ٣، ١٤١٥هـ، ص ١٩.

(٥) عبد الله الموسى، أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي، رسالة ماجستير، المعهد العالي للدعوة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (السعودية)، ١٤٠٣هـ، ص ١٥.

(٦) المدخل إلى علم الدعوة، ص ١٧.

صادقة لعمل الأنبياء عليهم السلام، بالإضافة إلى أنه نص على شمول الدعوة لجانبى التعليم والتطبيق، وفي ذلك رد ضمني على من قصر معنى الدعوة على التبليغ والبيان فحسب، ونظر إلى التعليم والتطبيق على أنهما من الأمور الخارجة عن الدعوة مستشهدين ببعض الآيات القرآنية التي تحصر -بظاهرها- عمل الرسل والدعاة في جانب التبليغ والبيان فقط كقوله تعالى: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [المائدة: ٩٩]، وقد غاب عن أذهانهم أن هذه الآية وأمثالها لم ترد إلا في سياق إعراض الناس عن الدعوة، فحينها لا يكلف الرسل ومثلهم الدعاة إلا بالبيان والتبليغ، أما حين استجابة المدعوين للدعوة فعلى الداعية تعليمهم دينهم، والسعي لتطبيقه في حياتهم.

٣- العلاقة بين مفهومي الدعوة والإعلام :

١٠ تناول الباحثون الذين كتبوا في الدراسات التأصيلية للإعلام الإسلامي قضية العلاقة بين مفهومي الدعوة والإعلام، وقد اختلفت آراؤهم وتعددت حتى لتشمل احتمالات القسمة المنطقية، فبعضهم ذهب إلى التوحيد بين المفهومين، فقال: «وحيث أقول: الإعلام، فلا أخالني أبعد عن معنى الدعوة في شيء، فالإعلام والدعوة يحملان نفس المعنى على الصعيدين النظري والعملي... بهذا نرى أن الدعوة والإعلام يحملان معنى واحداً، والفارق فقط هو في حداثة كلمة إعلام، وعراقة كلمة الدعوة»^(١).

وذهب فريق ثانٍ إلى التفريق بينهما، فقال: «إن التفرقة العلمية الدقيقة تستوجب التمييز بين المفهومين، فالدعوة ليست هي الإعلام، والإعلام ليس هو الدعوة»^(٢).

وذهب فريق ثالث إلى أن مفهوم الدعوة أكثر شمولية من مفهوم الإعلام، فقال: «يتضح أن الدعوة والتبليغ يشملان الإعلام والتعليم وكل ما يحصل منه أثر في النفس... ولقد كان القائمون بالدعوة والتبليغ يقومون بالإعلام والتعليم، في وقت لم تكن فيه أعمال الحياة قد قسمت، وجرى التخصص في فروعها المتعددة»^(٣).

(١) محيي الدين عبد الحليم، الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، مكتبة الخانجي (مصر)، دط، ١٤٠٠هـ، ص ١٠.

(٢) الإعلام الإسلامي، ضمن قضايا إشكالية في الفكر الإسلامي المعاصر، ص ٢٣٣.

(٣) الإعلام في ضوء الإسلام، ص ١٢.

وذهب فريق رابع إلى عكس ذلك، فأروا أن مفهوم الإعلام أكثر شمولية من مفهوم الدعوة، فقالوا: «لا بدّ من أن نوضح في البداية أن كلمة الإعلام أشمل من كلمة الدعوة التي نقصدها حيث هي جزء منه، وأن الدعوة الدينية جزء من الدعوة التي نقصدها»^(١)، فهي جزء من الإعلام، والدعوة الدينية جزء منها»^(٢).

وهناك فريق أخير يرى أنّ «الدعوة هي في الأصل مضمون، أما الإعلام فهو في جوهره أسلوب، وذلك على أساس أن مصطلح الإعلام في تطوره المعاصر أصبح الوجه الآخر لتقنية ثورة الاتصال، وبالتالي أصبح أسلوباً يُعبّأ بالمضمون»^(٣).

والذي يراه الباحث في هذه المسألة أن بين المفهومين (عموم وخصوص من وجه)^(٤)، فمن حيث الوظيفة والهدف، فإن الإعلام يشمل بثّ رسالة ما؛ لمجرد إطلاع المستقبل عليها (الإخبار)، أو للترفيه عنه، أو لمحاولة إقناعه بمضمونها. في حين أن الدعوة تهدف إلى القسم الأخير فقط، فالإعلام هنا أكثر شمولاً من الدعوة. ومن حيث الوسيلة، فإن الدعوة أكثر شمولاً؛ لأن الدعوة قد تأخذ صبغة الاتصال الشخصي والجمعي والجماهيري. أما الإعلام فإنه كما مرّ سابقاً يقتصر على الاتصال الجماهيري^(٥).

(١) أراد المؤلف بقوله: «الدعوة التي نقصدها» مطلق الدعوة، وهي عملية الإقناع بفكرة معينة لإحداث استجابة معينة، مهما كانت الفكرة دينية أو تسويقية....

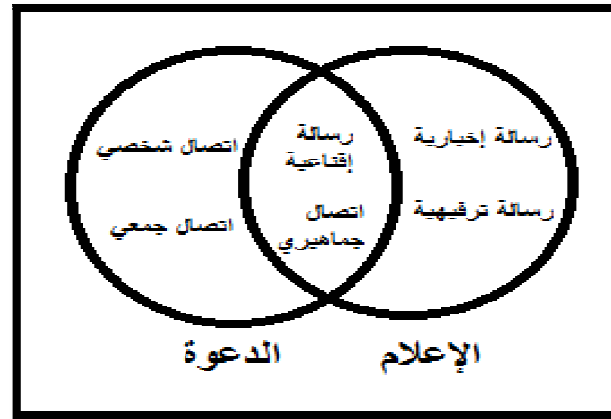
(٢) الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامي، ص ٢١٧.

(٣) الإعلام الإسلامي، ضمن قضايا إشكالية في الفكر الإسلامي المعاصر، ص ٣٣٣.

(٤) العموم والخصوص من وجه: هي النسبة بين معنى كلي ومعنى كلي آخر من جهة انطباق كل منهما على بعض الأفراد التي ينطبق عليها الآخر، وانفراد كل منهما بانطباقه على أفراد لا ينطبق عليها الآخر، ومثلهما كمثلي دائرتين تتلاقيان في بعض كل منهما، إذ بين دائرتي أفراد كل منهما تطابق من وجه فقط دون وجه آخر. انظر: عبد الرحمن حبنكة، ضوابط المعرفة، دار القلم (دمشق)، ط ٤، ١٤١٤هـ، ص ٤٩-٥٠.

(٥) انظر: الإعلام الإسلامي النظري في الميزان، ص ٥٦، وجمعة شعبا وافي، المناهج الإعلامية وأثرها في الدعوة، بحث مقدم لمؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، ١٤٢٦هـ، ضمن بحوث المؤتمر، ص ١٣٤٣.

ويمكن تقريب العلاقة بينهما بالشكل الآتي:



الباب الأول

أساليب صياغة الرسالة الإعلامية العقدية في القرآن الكريم

تمهيد الباب الأول : معنى الأسلوب والفرق بينه وبين الوسيلة

أولاً : تعريف الأسلوب :

الأسلوب لغةً: الطريق والمذهب والفن. يُقال: سلكت أسلوب فلان في كذا. أي: طريقته ومذهبه، ويُقال: أخذنا في أساليب من القول. أي: فنون متنوعة^(١).
الأسلوب اصطلاحاً: عُرِّفَ الأسلوب بتعريفات متعددة، منها:

١ - الأسلوب: «الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار مفرداته»^(٢).

٢ - الأسلوب: هو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها؛ للتعبير بها عن المعاني، قصد الإيضاح والتأثير^(٣).

٣ - هو: العلم الذي يتصل بكيفية مباشرة التبليغ، وإزالة العوائق عنه^(٤).

والذي يُخلَصُ إليه من هذه التعريفات أنَّ الأسلوب الإعلامي يتمثل بصياغة الرسالة الإعلامية صياغةً مقنعةً ومؤثرةً في المستقبل بما يتناسب مع حاله، ويخدم هدف المرسل.

ثانياً : الفرق بين الأسلوب والوسيلة :

لا بدَّ للتفريق بين الأسلوب والوسيلة من تعريف الوسيلة ابتداءً، ثمَّ استنتاج الفرق بينهما:

الوسيلة لغةً: قال الراغبُ: «الوسيلةُ: التوصل إلى الشيء برغبة»^(٥)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]. وقال الجوهريُّ: «الوسيلةُ: ما يُتَقَرَّبُ به إلى الغير،

(١) انظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار صادر (بيروت)، ط ١، ١٣٠٦هـ، مادة (سلب)، ولسان العرب، مادة (سلب).

(٢) فهد الرومي، خصائص القرآن الكريم، مكتبة الحرمين (الرياض)، ط ٢، ١٤٠٩هـ، ص ١٨.

(٣) انظر: أحمد الشايب، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة)، ط ٧، ١٣٩٦هـ، ص ٤٤.

(٤) انظر: سعيد القحطاني، الحكمة في الدعوة إلى الله، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد (السعودية)، ط ١، ١٤٢٣هـ، ص ١٢٥.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن، مادة (وسل).

والجمعُ الوَسِيلُ والوَسَائِلُ»^(١)، وعليه فمعنى الوسيلة في اللغة يدور على (ما يُتَوَصَّلُ به إلى الشيء المطلوب)، فكل ما من شأنه أن يوصل إلى المقصود فهو وسيلة؛ ولهذا سُمِّيَت الجرائد والراديو والتلفاز وسائل الإعلام؛ لأنه يتوصل من خلالها إلى نشر الرسالة الإعلامية للجمهور المُستهدف.

٥ الوسيلة اصطلاحاً: جاء تعريف الباحثين للوسيلة من خلال تعريفهم لوسائل الدعوة، حيث عُرِّفَت:

١ - «ما يتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور معنوية أو مادية»^(٢).

٢ - «هي ما يستعين به الداعية على تبليغ الدعوة من أشياء وأُمُور»^(٣).

والذي يخلص إليه الباحث من خلال التعريفات اللغوية والاصطلاحية أن الوسيلة الإعلامية تتمثل بتلك القنوات الجماهيرية (الكتاب، الصحيفة، الإذاعة، التلفاز...) التي يبث المرسل من خلالها رسالته الإعلامية، ويستهدف من خلالها أكبر شريحة ممكنة من المُستقبليين.

١٥ وبناءً على ما سبق فالفرق بين الأسلوب والوسيلة -بعبارة بسيطة- أن الأسلوب يمثل القلب الذي تُصاغ فيه الرسالة الإعلامية، بينما الوسيلة تمثل الأداة التي تنقل الرسالة بقلبها -بأسلوبها- إلى المستقبلين.

وهذا البحث يتناول جانب الأسلوب في صياغة الرسالة الإعلامية العقدية في القرآن الكريم، ومن الجدير في هذا التمهيد الإشارة إلى حقيقة أساس، وهي أن القرآن الكريم قد راعى أحوال الناس، فنوع أساليب العرض، وأمر رجال الدعوة على رأسهم النبي صلى الله عليه وسلم بتنوع أساليب العرض، فقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، فالآية تشير إلى ضرورة اتباع الداعية الطرق المتنوعة التي تستغرق في العرض والتبليغ كل أصناف الناس، فإنه مما لا شك فيه أن

(١) الصحاح، دار العلم للملايين (بيروت)، ط ٤، ١٩٩٠م، مادة (وسل).

(٢) المدخل إلى علم الدعوة، ص ٢٨٢.

(٣) الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، ص ١٢٦.

من الناس فئة أصحاب نفوس مشرقة، قوية الاستعداد لإدراك المعاني والاستجابة لها، شديدة الانجذاب نحو المبادئ، وهؤلاء يُدعَوْنَ بالحكمة، أي: ببيان الحق بياناً شافياً مؤيداً بأدلته القوية التي تنفي كل شبهة، وتقطع الطريق أمام كل تردد.

وبالمقابل إنَّ من الناس فئة شديدة الألف بالمحسوسات، تدور حياتهم في إطار ما توارثوه من عادات، وما نشؤوا فيه من تقاليد وقيم، لا تنزع نفوسهم إلى البحث عمّا هو حق أو باطل، ولكن ذلك ليس عن عناد منهم أو مكابرة للبرهان، وهؤلاء يُدعَوْنَ بالموعظة الحسنة التي ترقق القلوب، وتعظ النفوس، ويختلط فيها الترغيب والترهيب. وهناك فئة أخرى أصحاب خصومة وعناد، تشكك في كل خبر، وتثير الشبهات، وتلبس على الناس، وهؤلاء يُدعَوْنَ بالمجادلة بالحسنى التي تفضح باطلهم، وتعري زيفهم.

وليس معنى هذا التقسيم أن يعمد الداعية إلى توزيع المدعوين بصورة حاسمة على هذه الأصناف؛ إذ الإنسان هو الإنسان له جوانبه المتعددة من عقل ووجدان، وإنما يقع التفاوت في نسبتها بينهم، فقد يطغى الجانب الوجداني عند شخص على الجانب العقلي، وقد يحدث العكس، وقد يتعادلان في القوة والاستعداد للتأثر، وأياً كان الأمر فلا غنى للداعية عن تنويع أساليب عرضه؛ حتى يجد كل مخاطبٍ لدى الداعية ما يلمس موطن التأثير فيه، ويصل إلى الاقتناع به والاستجابة له^(١).

وقد نوع القرآن الكريم -كما ذكرت آنفاً- أساليب العرض، وفي هذا الباب يعرض الباحث لهذا التنوع في عرض الرسالة العقدية في ثلاثة فصول، يتناول أولها الأساليب الوجدانية، وثانيها الأساليب العقلية، وثالثها الأساليب الفنية.

(١) انظر: أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهجاً، ص ١١٠.

الفصل الأول : الأساليب الوجدانية

المبحث الأول : أسلوب الترغيب والترهيب

المبحث الثاني : أسلوب التكرار

المبحث الأول : أسلوب الترغيب والترهيب

إن المتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أنه راعى ما جُبِلَتْ عليه الطبيعة البشرية، وتحرى أن يصل إلى النفس البشرية من منافذ التأثير فيها، ومن أهم هذه المنافذ تطلعها الدائم إلى ما يحقق لها السعادة، وخشيتها مما يجلب لها الشقاء، فسلك في عرض تعاليمه من عقائد وعبادات وأخلاق مسلكاً مزدوجاً من الترغيب والترهيب؛ إذ إن الترغيب يتخذ طريقه إلى النفس من خلال ما رُكِبَ فيها من رجاء يستحث الإنسان على بلوغ ما يرجوه، والترهيب ينفذ إليها من خلال ما رُكِبَ فيها من غريزة الخوف التي تدفع الإنسان إلى توقي الخطر، والبعد عما يعرضه له.

«فالخوف والرجاء بقوتهما وتشابكهما واختلاطهما بالكيان البشري كله في أعماقه يوجهان في الواقع اتجاه الإنسان في الحياة، ويحددان أهدافه وسلوكه ومشاعره وأفكاره، فعلى قدر ما يخاف ونوع ما يخاف، وعلى قدر ما يرجو ونوع ما يرجو يتخذ لنفسه منهج حياته، ويوفق بين سلوكه وبين ما يخاف ويرجو»^(١).

ولمّا كان بين الترغيب والترهيب هذا التشابك والاختلاط وقوة الأثر في نفس الإنسان وسلوكه، ولمّا كان القرآن الكريم قد زاحج بينهما في معظم المواضع^(٢) كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا * وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإسراء: ٩-١٠] — فقد أثر الباحث جعلهما أسلوباً واحداً، وإن كان كل منهما -الترغيب والترهيب- يمثل أسلوباً مستقلاً له مفهومه وضوابطه واستعمالاته.

وفيما يأتي من مطالب يتناول البحث التعريف بهذا الأسلوب، ودوره في الدعوة والإعلام، ونماذج لاستخدام القرآن الكريم له في تقرير مسائل العقيدة.

(١) محمد قطب، دراسات في النفس الإنسانية، دار الشروق (القاهرة)، دط، ص ٧٦-٧٧.

(٢) يؤيد ما ذكرت قول ابن جزيء: «تأمل القرآن تجد الوعد مقروناً بالوعيد، قد ذكر أحدهما على إثر ذكر الآخر؛ ليجمع بين الترغيب والترهيب، وليبين أحدهما بالآخر، كما قيل: فبضدها تتبين الأشياء»، التسهيل لعلوم التنزيل، دار الكتاب العربي (بيروت)، ط ٤، ١٤٠٣هـ، ٦/١.

المطلب الأول : تعريف الترغيب والترهيب

أولاً: الترغيب والترهيب لغةً:

الترغيب في اللغة: مصدر (رَغِبَ تَرْغِيبًا) على القياس كـ(كَرَّمَ تَكْرِيمًا)، وله معانٍ متعددة، أهمها:

- ٥ - ١- إرادة الشيء: تقول: رغبت في الشيء إذا أردته، ومنه قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح: ٧-٨].
- ٢- رغبة في الشيء: إذا زينه له وحببه إليه، وذكر محاسنه، وحثه إليه^(١).
- ٣- والرغبة: السؤال والطلب، تقول: رغبت إلى فلان في كذا وكذا إذا سألته إياه^(٢).
ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «كيف أنتم إذا مرّج الدين، وظهرت الرغبة»^(٣). أي: كثر السؤال، ومثله قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما قيل له ألا تستخلف؟ قال: «إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني أبو بكر، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله صلى الله عليه وسلم» فأثنوا عليه، فقال: «راغب وراهب»^(٤). أي: قولكم لي ما قلتم إما قول راغب سائل ما عندي، أو راهب مني، وقيل: أراد أنّه راغب فيما عند الله، طالب ثوابه، وراهب من عذابه، فلا تعويل عنده على ما قالوا من الوصف والإطراء^(٥).
- ١٠ - والذي يُخلص إليه من هذه المعاني المتعددة فيما يتعلق بهذا البحث أن الترغيب: حثُّ الإنسان على غرض ما، وتحبيبه إليه، وتشويقه إلى الاعتقاد به أو فعله.
- ١٥

(١) انظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار صادر (بيروت)، ط ١، مادة (رغب).
(٢) انظر: لسان العرب، مادة (رغب).
(٣) أخرجه أحمد في المسند، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط ٢، ١٤٢٠هـ، (مسند ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم)، رقم/٢٦٨٢٩، ٤٤/٤١٢، ورجاله ثقات على ما أشار الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر (بيروت)، ١٤١٢هـ، ٧/٢٦٧.
(٤) أخرجه البخاري، كتاب (الأحكام)، باب (الاستخلاف)، رقم/٦٧٩٢، ٦/٢٦٣٨، ومسلم، الجامع الصحيح، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، دط، كتاب (الإمارة)، باب (الاستخلاف وتركه)، رقم/١٨٢٣، ٣/١٤٥٣.
(٥) انظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ط ٢، ١٣٩٢هـ، ١٢/٢٠٤.

والترهيب من الفعل (رَهَبَ)، ولهذا الفعل ومشتقاته معانٍ متعددة، أهمها:

١- رَهَبَ الشيء: خافه، ومنه قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠].

٢- الخوف مع تحرز: ومنه قوله تعالى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر: ١٣].

٣- أرهبته ورهبتة: أزعجت نفسه بالإخافة، ورهبتة: توعده، وأرهبه ورهبه: أخافه وفزعه^(١).

وعلى ضوء ما سبق يمكن القول: إن مادة (رَهَبَ) ومشتقاتها يظهر فيها معاني الخوف بجميع درجاته من الإخافة والإخافة مع تحرز، والإخافة والإزعاج، والفزع والخشية والتوعد، وعليه فالمفهوم اللغوي للترهيب يدور حول التخويف والتوعد.

ثانياً: الترغيب والترهيب اصطلاحاً:

تعددت التعريفات التي وضعها الباحثون لكل من مصطلحي الترغيب والترهيب، وفيما يأتي يقوم الباحث بعرض طرفٍ منها محاولاً الوصول إلى تحديد دقيق لمعناها الاصطلاحي؛ تمهيداً لوضع تعريف شامل للأسلوب المركب منهما.

فمن نماذج التعريفات التي وضعت للترغيب:

١- «وعد يصحبه تشويق وإغراء بمصلحة أو لذة أو متعة آجلة مؤكدة، مقابل القيام بعمل صالح أو الامتناع عن عملٍ ضار سيء؛ ابتغاء الأجر من الله»^(٢)، والذي يُؤخذُ على هذا التعريف حصره مفهوم الترغيب بأنه وعدٌ أولاً وآجلٌ ثانياً، والحقيقة أن مفهوم الترغيب أوسع من ذلك؛ لأنَّ الوعد صورة من صور الترغيب، وليس الترغيب كله، فالنبي صلى الله عليه وسلم لما أعطى المؤلفة قلوبهم العطاء لم يسبقه وعد أو إغراء، وجعل المرغَّب به آجلاً كأنَّ

(١) انظر: الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر (بيروت)، ١٣٨٥هـ، ص ٢٦١، ولسان العرب، مادة (رهب).

(٢) عبد الرحمن النحلوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، دار الفكر (دمشق)، ط ١، ١٤٢٦هـ، ص ٢٥٧.

فيه حصر له بالمجال الأخروي، والترغيب لا ينحصر به؛ بل يشمل المكاسب الدنيوية والأخروية.

٢- «فن يبحث في الكيفيات المناسبة التي نجذب بها الآخرين إلى الإسلام، أو يحافظ على دينهم بواسطتها»^(١)، والملاحظ في هذا التعريف أنه يرفع من شأن هذا الأسلوب فيجعله فناً أو علماً مستقلاً بموضوعه وقواعده، لكن يُغفل الحديث عن المرغَّب به - المكاسب المتنوعة من دنيوية وأخروية- كما يحدد هدف الترغيب بجذب المدعوين إلى الدين والمحافظة عليه مع أنَّ أهداف الترغيب لا تقف عند هذا الحد؛ بل تتجاوز إلى الرقي بالمدعوين في مدارج الإيمان مثلاً^(٢).

٣- «هو قوة كبيرة تجذب النفس الإنسانية إلى طريق الخير، وتستعطفها نحوه بما أعد الله لسالكيه من منافع ولذات وخيرات عظيمة معجلة أو مؤجلة»^(٣).

والتعريف الذي يقترحه الباحث يقترب من هذه التعريفات، لكن يحاول أن يتلافى ما وُجِّهَ إليها من ملاحظات، فيقول: إنَّ الترغيب يتمثل بتلك العملية التي تقوم على تحريك دوافع الشوق لدى المدعو، عن طريق تزويده بمكاسب عاجلة أو آجلة؛ مما يدفعه إلى الاستجابة لموضوع الدعوة بقبوله والثبات عليه والرقي به.

ومن التعريفات التي تناولت تحديد المفهوم الاصطلاحي للترهيب:

١- «وعيد وتهديد بعقوبة إزاء ارتكاب المرء معصية أو اقترافه سيئةً منها أو التهاون في أمرٍ من أمور الدين الذي أمر الله به، أو أداء فريضة مكتوبة على كلِّ مسلمٍ ومسلمة»^(٤)، يؤخذ عليه حصره مجال الترهيب في المسلمين، وإهمال بقية المدعوين.

(١) سليمان الدويش، أسلوب الترغيب في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، رسالة أعدت لنيل الماجستير من قسم الدعوة والاحتساب-كلية الدعوة والإعلام، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، إشراف: د.حسين مجد خطاب، ١٤١٦هـ، ص٧، نقلاً عن: عبد الله الشاذلي، الدعوة والإنسان، ص٣٩.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٧.

(٣) علي محفوظ، هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، دار المعرفة (بيروت)، دط، ص١٩١.

(٤) فتحة الحلواني، دراسة ناقدة لأساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام، دار تهامة (جدة)، ط١، ١٤٠٣هـ، ص١٣٩.

٢- «تخويف المدعو بالله تعالى، وتحذيره من نزول عذابه؛ بغرض إبعاده عن المهالك المترتبة على كفره أو نفاقه أو شهواته المحرمة؛ تحقيقاً للسعادة في الدنيا والفوز بالآخرة»^(١). وهذا التعريف وإن كان شاملاً كما هو ملاحظ لهدف التهيب وأصناف المدعويين غير أن الملاحظ أنه يحصر جزاء التهيب -المُرْهَبُ به- بالمجال الأخروي، وهو لا ينحصر به. ٥

٣- «التهيب كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله»^(٢).

وقبل الخلوص إلى تحديد لمفهوم التهيب اصطلاحاً لا بدّ من ملاحظة العلاقة بين التهيب وبين الوعيد والتخويف اللّذين جاءا في المعنى اللغوي للتهيب، وتكرّرا في المعنى الاصطلاحي، الذي يبدو أن بين هذه الألفاظ علاقة عموم وخصوص، فالوعيد: «تخويف بسوء المُجازات في المستقبل تحذيراً من الوقوع بالمخالفات»^(٣)، والخوف: «عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال»^(٤)، فالوعيد والتخويف تحذير لما يستقبل في حين أن التهيب قد يكون في الحال وقد يكون في الاستقبال، إذاً التهيب أعم من الوعيد والتخويف.

١٥ وعلى ما سبق يمكن القول إن التهيب بمعناه الاصطلاحي: تلك العملية التي تقوم على تحريك دوافع الخوف لدى المدعو من ضرر قد يلحقه عاجلاً أو آجلاً جراء عدم استجابته لموضوع الدعوة والثبات عليه.

إذاً أسلوب الترغيب والتهيب: هو تلك العملية المزدوجة القائمة على تحريك نوازع الشوق أو الخوف في نفس المدعو بمكاسب أو مضار عاجلة أو آجلة، قد تلحقه مما يدفعه إلى قبول موضوع الدعوة والثبات عليه والامتناع عن رفضه. ٢٠

(١) رقية نیاز، التهيب في الدعوة، دار اشبيليا (الرياض)، ط ١، ١٤٢٠هـ، ص ٣٣.

(٢) عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، مكتبة المنار الإسلامية، ١٤٠١هـ، ص ٤٢١.

(٣) ابن القيم، الفوائد المشوقة في علوم القرآن وعلم البيان، مكتبة المتنبي (القاهرة)، دط، ص ٢٠٢.

(٤) الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة (بيروت)، دط، ١٥٥/٤.

المطلب الثاني : أهمية الترغيب والترهيب القرآني ودوره في الدعوة والإعلام
يعد أسلوب الترغيب والترهيب من أقوى الأساليب في الإقناع، وترجع أهميته وقوته إلى نواحٍ متعددة منها:

٥ - ١- أنه أسلوب يتوافق مع فطرة الإنسان التي فطره الله عليها من رغبته في المنافع وبعده عن المضار.

٢- أنه يقوم على إثارة دافع لدى الإنسان في الحصول على هدف معين، وهو منتج لحافز ذاتي داخل النفس الإنسانية^(١).

ويولي علماء الاتصال والإعلام هذا الأسلوب أهمية بالغة؛ إذ يعد من أبرز تطبيقات ما يسمونه (الاستراتيجية الدينامية في الإقناع)، وسيقوم الباحث بمحاولة شرح هذه الاستراتيجية بشكل مختصر، وبيان موقع هذا الأسلوب منها.

١٠ - تقوم الافتراضات الأساس في علم النفس على المؤثر والاستجابة عند الفرد، وذلك على النحو الآتي:

١- إن المؤثرات تستقبل وتتكشف بواسطة الأحاسيس من المحيط الخارجي.
٢- إن خصائص الكائنات العضوية تشكل نوع الاستجابة التي ستحدث، وسيصبح ذلك أخيراً ظهور بعض أشكال السلوك.

وهذه الخصائص والعوامل المؤثرة هي:

١. مجموعة من خصائص بيولوجية بشرية أو صفات مورثة.
٢. مجموعة من عوامل قائمة على البيولوجيا جزئياً والتعليم جزئياً، كالحالات والظروف الانفعالية.

٢٠ - ٣. مجموعة من العوامل المكتسبة التي جرى تعلمها؛ لتنظيم التركيب الإدراكي للفرد^(٢).

(١) انظر: سالم بن سعيد بن مسفر، الإقناع في التربية الإسلامية، دار الأندلس الخضراء، ط١، ١٤١٩هـ، ص ١٢٥.

(٢) انظر: ملفين دفلر وساندرا بول، نظريات الإعلام، تر: كمال عبد الرؤوف، الدار الدولية للنشر (القاهرة)، ط٢، ص ٣٧٨.

فالمخلوق البشري تركيب معقد من مكونات بيولوجية وانفعالية وإدراكية. تركز الاستراتيجية الديناميكية النفسية من بين الأنواع الثلاثة على العوامل الانفعالية والإدراكية؛ إذ من غير الممكن تعديل عامل بيولوجي موروث كالجنس أو الطول مثلاً.

وتقوم هذه الاستراتيجية على ربط السلوك بالإثارة الانفعالية التي تمثل العواطف أساساً واضحاً فيها، أو ربطه بالعوامل الإدراكية التي تعد مؤثر أساس في السلوك الإنساني، فإن ٥ أمكن تغيير العوامل الإدراكية، فسوف يتسنى تغيير السلوك بكل تأكيد^(١).

وعليه فجوهر الاستراتيجية الدينامية النفسية هو: «استخدام رسالة إعلامية فعالة، لها القدرة على تغيير الوظائف النفسية للأفراد حتى يستجيبوا لهدف القائم بالاتصال، أي أن مفتاح الإقناع يكمن في تعلم جديد من خلال معلومات يقدمها القائم بالاتصال؛ حتى يتغير ١٠ البناء النفسي الداخلي للفرد المستهدف (الاحتياجات، المخاوف، التصرفات) مما يؤدي إلى السلوك المرغوب فيه»^(٢).

ومن بين المداخل المختلفة للإقناع محاولة التغيير في البناء النفسي للفرد بإثارة حاجياته أو دوافعه، ومن بين الأنواع الشائعة في هذا المجال: إثارة توقعات المتلقي بأن قيامه بسلوك ما سيكسبه مغانم معينة، أو يجنبه أخطاراً أو حرماناً معيناً، وما هذا إلا أسلوب الترغيب ١٥ والتهريب. وسيجد القارئ في المطلب الثالث الآيات القرآنية الداعية للعقيدة كيف تركز على هذا الجانب، فتحاول تغيير البناء النفسي للمجتمع من خلال إثارة الفرد عبر حاجاته أو دوافعه، فهي تطلب من المخاطبين القيام بسلوك معين؛ ليحصلوا على مكسب معين، أو يتجنبوا خطراً معيناً.

والأصل في هذا الأسلوب جانب الترغيب، فهناك نفوس يكفيها الترغيب وحده، حتى ٢٠ تتبّع ما هو مطلوب منها، وتقلع عن كل ما نُهيئ عنه، وبالتالي لا يلزمها جانب التهريب،

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٣٨٤.

(٢) معتصم بابكر مصطفى، أساليب الإقناع في القرآن الكريم، كتاب الأمة، العدد (٩٥)، السنة (٢٣)، جمادى الأولى، ١٤٢٤هـ، ص ٧٨.

ولكن مع وجود نفوس منحرفة، تأبى أن تلتزم بما هو مطلوب منها، يأتي دور الترهيب؛ لردعها وزجرها^(١).

ويؤكد علماء النفس التربوي على أهمية هذا الأسلوب، فيرون أنه لكي يتم ثبات وتحسين استجابات الفرد لا بدَّ من توفر عامل الجزاء (reward)، فالاستجابات إذا لم تؤد إلى نوع من الترضية أو الجزاء أو الإشباع فإن الفرد لا يحاول تكرارها، وقد «أثبتت الدراسات الميدانية والتجريبية في مجال علم النفس في العصر الحديث أن أسلوب الترغيب أفضل من أسلوب الوعيد والترهيب؛ لأن الأثر الإيجابي المتمثل في التعزيز يستمر، أما الأثر المترتب على الترهيب فقد يُنسى»^(٢). وهذا المعنى نبّه إليه بعض المربين الإسلاميين كالغزالي^(٣)، ويفضل استعمال جانب الترغيب في الدعوة والتربية أكثر من جانب الترهيب، وذلك لعدة أسباب منها: ١٠

- ١- أن الثواب يدفع الفرد إلى إعادة وتكرار الأمر المرغوب، وذلك لأثر النتيجة الحسنة في نفسه، وسروره بها، حتى قيل: لا شيء يدفع للنجاح كالنجاح.
- ٢- في الوقت الذي يحفز فيه الثواب الفرد على مداومة الأعمال التي أثبت على فعله إياها، فالعقاب لا يمنعه من الوقوع مرة أخرى في الخطأ الذي عوقب عليه.
- ٣- يدوم أثر الثواب أكثر مما يدوم أثر العقاب، فالمرء ميال إلى استعادة الذكريات السارة واللحظات السعيدة، بينما يكره تذكر الآلام ولحظات الشقاء، ويكتبها في اللاشعور^(٤).

(١) انظر: عبد الحميد حكيم، العقيدة في السور المكية وتوجيهاتها التربوية، رسالة ماجستير من قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية-جامعة أم القرى، إشراف: د.محروس مرسى، ١٤١٠هـ، ص ١٨٥.

(٢) محمد الدخيل، مدخل إلى أصول التربية الإسلامية، دار الخريجي (الرياض)، ١٤٢٤هـ، ص ١٣٠.

(٣) انظر: إحياء علوم الدين، ١٥٧/٤.

(٤) انظر: عبد الحميد الزنتاني، أساس التربية الإسلامية في السنة النبوية، الدار العربية للكتاب، دط، ص ١٧٧، والطبيب الشنقيطي، الأساليب النبوية لتنمية القيم الإيمانية، رسالة ماجستير من قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية-جامعة أم القرى، إشراف: د.محمد فهمي، ١٤٢٨هـ، ص ١١٤-١١٥.

يشكك البعض في قيمة أسلوب الترغيب والترهيب، ويرى أن «التربية بالترغيب والترهيب هي أخطأ أنواع التربية، وأبعدها عن القيم الإنسانية؛ لأنها تستغل غريزتين من غرائز الحيوان، وهما غريزتا الخوف من الألم، والحرص على اللذة المادية. فاستخدام وسائل التخويف من العقوبات والإغراء بالمكافآت في التربية نزول بالإنسان إلى مرتبة الحيوان»^(١).

يرى الباحث أنه لا يخفى ما في هذا القول من مثالية مفرطة، تتجاهل الواقع الذي يدل على تفاوت النفوس في الاستعدادات، فالأساليب المعتمدة على الحجب العقلية قد تصلح لفريق من الناس، لكنها لا تصلح لفريق آخر؛ لقصور في استعداداتهم الذاتية، فكان لا بد من هذا النوع من الأساليب في التربية، وسيبقى الإنسان هو الإنسان، متفاوتاً في هذا الشأن، محتاجاً لتعدد أساليب التربية، مهما بلغ من الرقي والحضارة، وسيبقى المنهج القرآني في جمعه بين مختلف أساليب التأثير هو القمة في مناهج التربية وإصلاح النفوس.

وانطلاقاً من خاصية الربانية في المنهج القرآني فقد تميز أسلوب الترغيب والترهيب فيه بعدد من المميزات أهمها:

١- يسعى الترغيب والترهيب في القرآن الكريم إلى الإقناع، فليس من آية في الترغيب والترهيب إلا وتهدف إلى غرس العقيدة الصحيحة في نفوس الناس وإقناعهم بهذا الدين.

٢- يأتي الترغيب والترهيب القرآني مصحوباً بتصوير فني رائع لنعيم الجنة، أو عذاب النار، بأسلوب يفهمه الجميع، ويؤثر في نفوسهم؛ مما يدفعهم للاقتناع.

٣- يقوم الترغيب والترهيب القرآني على ضبط الانفعالات والعواطف والموازنة بينها، فلا يطغى الخوف على الرجاء، فيصاب الإنسان بالقنوط، ولا يطغى الرجاء على الخوف، فيأمن الإنسان مكر الله تعالى^(٢).

وقد ذكر الشاطبي منهج القرآن الكريم في الترغيب والترهيب، فقال: «إذا ورد في القرآن الترغيب قارنه الترهيب، في لواحقه أو سوابقه أو قرائنه وبالعكس، وكذلك الترجية

(١) عبد الغني بركة، أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهجاً، مكتبة وهبة (القاهرة)، دط، ص ٣٣٥ نقلاً عن دراسات إسلامية، ص ٧١.

(٢) انظر: الإقناع في التربية الإسلامية، ص ١٢٨.

مع التخويف، وما يرجع إلى هذا المعنى مثله، ومنه ذكر أهل الجنة يقارنه ذكر أهل النار، وبالعكس؛ لأن في ذكر أهل الجنة بأعمالهم ترجية، وفي ذكر أهل النار بأعمالهم تخويفاً، فهو راجع إلى الترجية والتخويف... وقد يغلب أحد الطرفين بحسب المواطن ومقتضيات الأحوال، فيرد التخويف ويتسع مجاله، لكنه لا يخلو من الترجية... ومواطن الاغترار يطلب فيها التخويف أكثر من طلب الترجية؛ لأن درء المفاسد أكد. وترد الترجية أيضاً، ويتسع مجالها، وذلك في مواطن القنوط ومظنته»^(١).

ويترك الباحث بين يدي القارئ نصاً قرآنياً يتلمس فيه المنهج والمميزات التي ذكرها، يقول الله تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ * وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٣-٣٧].

(١) انظر: الشاطبي، الموافقات في أصول الفقه، ت: عبد الله دراز، دار المعرفة (بيروت)، دط، ٣٥٨/٣.

المطلب الثالث : دلالة أسلوب الترغيب والترهيب على مسائل العقيدة (نماذج)

أشار الباحث سابقاً أن القرآن الكريم قد راعى قضية اختلاف الأنفس البشرية في مدى استجابتها للحق والانقياد له، فنوع في أساليب الدعوة بين عقلية تنفع مع طائفة من الناس أصحاب نفوس مشرقة قوية الاستعداد لإدراك المعاني والاستجابة لها، شديدة الانجذاب نحو المبادئ واتباع الحق، ووجدانية تنفع مع طائفة تدور حياتهم في إطار ما توارثوه من عادات، وما نشؤوا عليه من تقاليد وقيم، لا تنزع نفوسهم إلى البحث عما هو حق أو باطل، فاستخدم معهم هذا النوع من الأساليب التي ترقق القلوب، وتعط النفوس، وتنفذ إلى الوجدان، ومن أهمها أسلوب الترغيب والترهيب.

وقد استخدم القرآن الكريم هذا الأسلوب؛ لغرس العقيدة الإسلامية في النفوس وتربيتها عليها؛ ولإزالة ما ران عليها من ضلالات الشرك والانحراف العقدي، ولاسيما ذلك في سور القرآن المكي^(١) التي عالجت مختلف قضايا العقيدة.

وقد أظهرت نتائج الدراسات المسحية أن أسلوب الترغيب والترهيب أكثر الأساليب استخداماً في سور القرآن المكية، فمن السور المكية الست والثمانين تكرر استخدام الترغيب في إحدى وخمسين سورة (أي بنسبة ٦٠% منها)، بينما تكرر استخدام الترغيب مشفوعاً بسالفه في أغلب المواضع في إحدى وأربعين سورة (أي بنسبة ٤٨% منها)^(٢)، وقبل أن يعرض البحث شيئاً من النماذج القرآنية التي استخدمت أسلوب الترغيب والترهيب، ويبين الدلالات العقدية فيها لا بدَّ من الإجابة عن إشكال قد يثور في ذهن القارئ، وهو: أنه قد مرَّ في المطلب السابق أن الدراسات التجريبية والميدانية في مجال علم النفس الحديث أثبتت أن

(١) القرآن المكي: اختلف العلماء في تحديد ضابط القرآن المكي والقرآن المدني على ثلاثة مذاهب: الأول: المكي ما نزل بمكة، والمدني ما نزل بالمدينة. الثاني: المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة. الثالث: وهو المشهور المعتمد أن المكي ما نزل قبل الهجرة، وإن كان بالمدينة، والمدني ما نزل بعد الهجرة، وإن كان بمكة، وعليه فسور الأول ٨٦/، وسور الثاني ٢٨/، انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة (بيروت)، ١٣٩١هـ، ١٨٧/١.

(٢) انظر: شاهر أبو شريخ، الأساليب التربوية والوسائل التعليمية في القرآن الكريم، دار جرير (الأردن)، ط ١، ١٤٢٥هـ، ص ١٩٨.

استخدام جانب الترغيب أفضل من استخدام جانب التهيب، وأشفع البحث ذلك بمبررات هذه الفكرة، فكيف يستقيم ذلك مع ما تمَّ بيانه آنفاً من أن جانب التهيب تكرر في إحدى وخمسين سورة مكية بينما جاء الترغيب في إحدى وأربعين منها فقط؟ أي: إنَّ التهيب فضَّل على الترغيب في الاستخدام القرآني. والجواب عن ذلك -بحسب ما يرى الباحث-: أن مستقبل الرِّسالة (المدعوين) في المرحلة المكية قوم يصدق عليهم قول الله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، وقوله: ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا﴾ [مريم: ٩٧]، فهم قوم من الكفار علموا أن ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من عقائد وتشريعات هو الحق، ومصدره الله الواحد سبحانه وتعالى، لكنهم على الرغم من ذلك رفضوا الاستجابة له وقبوله، عناداً واستكباراً، فكان التهيب الأسلوب الأمثل في التعامل معهم؛ لكسر شوكتهم، وصد شرهم، وتلين غلظتهم المتأججة في صدورهم، فأيات التهيب في القرآن الكريم تصور التهديد والوعيد بالعذاب الشديد كنموذج قوة تواجه قوتهم المزعومة، وبذلك يتم الانتصار على نزوات الشر الراسخة في نفوسهم، التي جعلتهم يتباطئون في الاستجابة. وسيتضح ذلك جلياً من خلال النماذج القرآنية لأسلوب الترغيب والتهيب في عرضه لقضايا العقيدة:

النموذج الأول: قال تعالى: ﴿حَم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاغْمَلْ إِنَّا نَحْنُ غَمْلُونَ * قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فصلت: ١-٨] وكما هو ملاحظ فإن هذه الآيات البينات من صدر سورة فصلت تعالج الحقائق الأساس في العقيدة: (١- الإيمان بالكتاب ٢- الألوهية الواحدة ٣- الحياة الآخرة)، فقد بدأت هذه الآيات الكريمة بالحديث عن الكتاب العزيز: ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [فصلت: ٢-٤] وفي اختيار هذين الاسمين من أسماء الله الحسنى، والنسبة إليهما تنبيه للناس أن هذا الكتاب من لدن رحمن رحيم، وأنَّ ما فيه إنَّمَا هو صادر عن مقتضى رحمة الله بهم، محقق

لمصالحهم في الدنيا والآخرة، وأن رفضهم له هو رفض لرحمة يسوقها الله إليهم، وفي هذا
 ترغيب لهم واستمالة لقلوبهم، ثم انتقلت الآيات إلى بيان موقفهم من هذا الكتاب الذي صدر
 عن مقتضى رحمة الله بهم، والذي سلك معهم شتى أساليب الإقناع، وفصلت فيه الآيات،
 وهو بلسانهم ولا تخفى عليهم مراميهم وأحكامه وحججه، فماذا كان موقفهم؟ ﴿أَعْرَضَ
 أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا
 وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاغْمِلْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴿[فصلت: ٤-٥] لقد أغلقوا كل منافذ الحس لديهم دونه،
 حتى لا يجد طريقاً إليهم، وأعرضوا عنه، وفاصلوه فصلاً باتاً ليس للقاء معه من سبيل، كل
 ذلك عناداً واستكباراً، ورفضاً للإيمان بالله الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله وإفراده بالعبودية،
 وإنكاراً للإقرار باليوم الآخر، وما فيه من بعث وحساب وجنة ونار، فإذا كان هذا حالهم فهذا
 يستوجب بحسب اصطلاح علماء الإعلام في الاستراتيجية الدينامية النفسية تغيير أو تعديل
 البناء النفسي للمنكرين من خلال توضيح الأخطار والنتائج المترتبة على عدم استجابتهم
 لتوصيات الرسالة^(١)، وهذا ما يجده الباحث فعلاً في قوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ * الَّذِينَ
 لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿[فصلت: ٦-٧] إنه ترهيب صريح بالمصير الذي
 ينظرهم، وهو الويل أي: الخزي والعذاب الشديد، ينتظرهم إذا لم يستجيبوا لدعوة الرسل،
 وقد خصَّ الترهيب فعليين من أفعال المشركين، وهما إنكار البعث وعدم إيتاء الزكاة، أمَّا
 إنكار البعث فلأنه ذو أثر خطير على المنكر؛ إذ يؤدي إلى غياب أكبر باعث على الاستقامة،
 والاستجابة لرسالات الأنبياء. وأمَّا عدم إيتاء الزكاة فالراجح أن المراد به: عدم فعلهم ما
 يكونون به أزكياء -أي عدم فعلهم الإيمان- والمراد بالزكاة: طهارة النفس، وتركيتها عن
 الرذائل، وخاصة الشرك^(٢).

(١) أساليب الإقناع في القرآن الكريم، ص ٨٠.

(٢) رجح الباحث كون إيتاء الزكاة معناه: العمل على تركية النفس وتطهيرها من الرذائل، ولم يقل: معناه: دفع مال الزكاة؛ لأنَّ المعنى الأول أوسع رحماً بالمعاني، وأقرب للمواقف التي تعالجها الآيات، فهي تعالج نفوساً قد انحرفت بفعل التعصب، وعميت بفعل الحقد والعداء، فحثها على تركية النفس هو الموافق لحالها، ويؤكد هذا المعنى أن الآيات مكية، والزكاة لم تُفرض إلا في السنة الثانية للهجرة. والمعنيان -تركية النفس ودفع المال- ذكرهما ابن كثير في تفسيره. انظر: تفسير القرآن العظيم، ت: محمود حسن، دار الفكر (بيروت)، ١٤١٤هـ، ١/٢٦٠.

وإذا سأل القارئ: كيف تلقى المشركون الترهيب الوارد في صدر سورة فصلت؟ وهل أتى ثماره، وأثر في نفسيتهم؟

الجواب: إن ترتيب نزول هذه السورة هو اثنان وخمسون^(١)، أي: إن نزولها كان بعد أن قطعت الدعوة شوطاً كبيراً، وخلال هذا الشوط كانت المواقف قد تبلورت، والصراع حول قبول الدعوة بات مكشوفاً، فأيات القرآن الكريم يتوالى نزولها على النبي صلى الله عليه وسلم، فيبلغها للناس، ويرى صناديد قريش في توسع الدعوة خطراً على نفوذهم، وقضاءً على امتيازاتهم، فيناصبونها العداء، وكلما تعقبهم القرآن كاشفاً لزيغهم، زادوا في عنادهم، ولجوا في طغيانهم، حتى أحاطوا أنفسهم بسيج من الكراهية للدعوة ورجالها، وصموا آذانهم عن سماع القرآن، وتواصوا فيما بينهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]، أما إذا سمعوا القرآن لسبب من الأسباب، فإنه يكون له ولترهيبه بالغ الأثر في ضمائرهم، لا يمنعهم من الإيمان به إلا الكبر والجحود.

اجتمعت قريش يوماً فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر، فليأت هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وعاب ديننا، فليكلمه، ولننظر ماذا يرد عليه؟ فقالوا: ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة. فقالوا: أنت يا أبا الوليد. فأتاه عتبة فقال: يا محمد، أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك، فقد عبدوا الآلهة التي عبثت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم، فتكلم حتى نسمع قولك، إنا والله ما رأينا سحلاً قط أشأم على قومك منك؛ فرقت جماعتنا، وشتت أمرنا، وعبت ديننا، وفضحتنا في العرب، حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً، وأن في قريش كاهناً! والله ما ننظر إلا مثل صيحة الجبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف، حتى نتفانى، أيها الرجل إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً، وإن كان إنما بك الباءة، فاختر أي نساء قريش شئت، فلنزوجك عشراً. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فرغت؟ قال: نعم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حم﴾ * تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون * بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، ٢٣٦/١.

فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤-١﴾ [فصلت: ١-٤] فلما سمع عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما، يسمع منه، ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها، فسجد ثم قال: «قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك». فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: أُنْصِتْ لِقَدْ جَاءَكُمْ أَبُو الْوَلِيدِ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ. فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أنني قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة. يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها لي، خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكوننَّ لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملككم ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به. قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه! قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم^(١).

وبعد أن حذرت الآيات من سورة فصلت من عاقبة ترك الإيمان وإنكار يوم القيامة، مستخدمةً في تحذيرها أسلوب التهيب: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [فصلت: ٦-٧] انتقلت إلى الوجه المقابل مستخدمة أسلوب الترغيب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فصلت: ٨] فبينت عاقبة الإيمان ومصير المؤمنين، وأن لهم عند الله تعالى أجراً دائماً غير مقطوع^(٢).

ولمجيء الترغيب بعد التهيب مباشرة أثراً بالغاً من وجهة نظر علماء الإعلام، فقد قرروا أنه «في بعض الأحوال تنجح الاستمالة في إثارة التوتر العاطفي، ولكنها تعجز بالرغم من ذلك عن تحقيق التغيير المطلوب في الرأي؛ لأن التأكيدات التي يقدمها القائم بالاتصال، والتي تهدف إلى بعث الاطمئنان لا تندعم، علاوة على هذا إن لم تُقدِّم التأكيدات المطمئنة في الوقت الذي يُثار فيه التوتر العاطفي بشدة فلا يجب أن نتوقع نتائج كبيرة من استخدام استمالة التهديد، فيجب أن نعرف أن إثارة التوتر العاطفي يجب أن تسبق تقديم المعلومات المطمئنة مباشرة»^(٣).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک مختصراً، كتاب (قراءات النبي صلى الله عليه وسلم مما لم يخرجاه وقد صح سنده)، رقم/٣٠٠٢، ٢/٢٧٨، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

(٢) انظر: أسلوب الدعوة القرآنية بلاغةً ومنهجاً، ص ١١٩.

(٣) الأسس العلمية لنظريات الإعلام، ص ٤٧١.

النموذج الثاني: قال تعالى: ﴿لَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّهُمْ يُصِرُّونَ * الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ * ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ [غافر: ٦٩ -

٥ [٧٤] يعالج هذا النص بشكل رئيس قضية الإيمان بالكتب المنزلة من الله تعالى، ومعنى الإيمان بالكتب: الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى أنزل كتباً وصحفاً وألواحاً على أنبيائه من لدن آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم، فما عُلِمَ اسمه ومضمونه من هذه الكتب، يجب الإيمان به على وجه التفصيل، وما لم يُعَلَم يجب الإيمان به على وجه الإجمال^(١).

في هذا النص ينهى الله تعالى المشركين عن المجادلة الناجمة عن الكبر؛ لأنها تفضي إلى التكذيب، ويسوق هذا النهي مستخدماً أسلوب التهيب المخيف، في صورة مشهد من مشاهد يوم القيامة العنيفة، التي تحكي حال أولئك المكذبين في العذاب والمهانة، فذكر أربعة أصناف من أحوالهم في العذاب، كل واحدٍ منها كفيلاً -إذا تدبره العاقل- بردع تلك النفوس الممتلئة بالكبر والعناد، الداعية إلى التكذيب بعد الاستيقان، هذه الأحوال هي:

أولاً: وضع الأغلال الموصولة بالسلاسل في أعناقهم، ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ﴾ [غافر: ٧١]. ١٥

ثانياً: جرُّهم من السلاسل في ماء مغلي في نار جهنم، لا يدفع عطشاً، ولا يخفف عناء، ﴿يُسْحَبُونَ * فِي الْحَمِيمِ﴾ [غافر: ٧١-٧٢]، ولا يخفى ما في هذين الحالين الأولين

(١) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، دت، المكتب الإسلامي (بيروت)، ط ٤، ١٣٩١هـ، ص ٢٩٧. وقد فصل الرازي في الأمور التي لا بدَّ من الإقرار بها حتى يكون العبد مؤمناً بالكتب المنزلة، فجعلها أربعة أمور:

أولها: أن يعلم أن هذه الكتب وحي من الله تعالى إلى رسله، وأنها ليست من باب الكهانة، ولا من باب السحر، ولا من باب إلقاء الشياطين والأرواح الخبيثة.

ثانيها: أن يعلم أن الوحي بهذه الكتب وإن كان من قبل الملائكة المطهرين فإله تعالى لم يُمكن أحداً من الشياطين من إلقاء شيء من ضلالتهم في أثناء هذا الوحي الطاهر.

ثالثها: أن يعلم أن هذا القرآن لم يغير، ولم يحرف.

رابعها: أن يعلم أن القرآن مشتمل على المحكم والمتشابه وأن محكمه يكشف عن متشابهه. انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١، ١٤٢١هـ، ١١٦/٧.

من مهانة، ففعلهم هذا -التكذيب بالقرآن وسائر الكتب قبله- خلعوا أنفسهم من التكريم الذي جعله الله تعالى لبني آدم ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، فانتهى بهم الحال إلى وضع الأغلال في الأعناق، والسحب والجرب بالسلاسل، كما يفعل بالبهائم. كما لا يخفى ما في هذين الحالين من دلالة على أن العذاب يكون للروح والجسد معاً؛ وذلك لأن تقييد الأعناق بالأغلال، والسحب من السلاسل في الحميم صفات لا تكون إلا للجسد، ولا فائدة من تعذيب الجسد إذا لم يكن فيه روح؛ فثبت بذلك أن العذاب يكون للروح والجسد معاً.

ثالثاً: إحاطة النار بهم من كل الجوانب، ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: ٧٢].

رابعاً: العذاب النفسي بتوجيه التبكيت والإحراج إليهم، ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [غافر: ٧٣-٧٤]، فيجيبون إجابة المخدوع الذي انكشفت له خدعته، وهو يائس مهين ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾ [غافر: ٧٤] غابوا عنا، فلم نعد نعرف لهم طريقاً، وما عادوا يعرفون لنا طريقاً؛ بل لم نكن ندعو من قبل شيئاً، فقد كانت أوهاماً ليس لها وجود^(١).

إنَّ عرض هذه المشاهد المستقبلية التي تنتظر المكذبين بالكتب المنزلة من الله تعالى تحمل في طياتها تحذيرات سيكون لها بالغ الأثر في المتلقين كما يرى علماء الإعلام، فقد أوضحوا أن «الافتراض الأساس هو أنه حينما يثار الخوف أو أي مشاعر أخرى غير سارة بشدة سواء بالتحذير اللفظي أو بمواجهة الفرد لعلامات الخطر بشكل مباشر، فهناك ما يدفع الفرد لتجنب أو الابتعاد عن الحالة العاطفية المؤلمة، وسوف يثابر في جهوده لتحقيق هذا؛ حتى يتجنب الدلالات التي تبعث على الحزن بطريقة أو بأخرى»^(٢)، وبالتالي يحقق الترهيب هدفه في حمل المتلقي على قبول الرسالة العقيدية التي عرضها.

(١) انظر: مفاتيح الغيب، ٧٦/٢٧.

(٢) الأسس العلمية لنظريات الإعلام، ص ٤٧١.

المبحث الثاني : أسلوب التكرار

- يقرر علماء النفس أنه متى كثرَ تكرار أمرٍ ما تولد تيارٌ فكريٌّ وعاطفيٌّ، يتلوه ذلك المؤثر العظيم في الأفراد والجماعات، وهو العدوى؛ إذ لا يكفي لتحول الانفعال إلى عاطفة أن يحدث مرة واحدة، ولكن لا بدَّ لحصول ذلك أن يتكرر حدوثه، فالتكرار هو السبيل الوحيد ٥ لتحول الانفعال إلى عاطفة، والتي من شأنها أن تحدد نشاط الفرد واتجاهاته في الحياة^(١).
- ويؤكد هذا المعنى علماء الاجتماع فيرون أنه إذا «تكرر الشيء رسخ في الأذهان رسوخاً تنتهي بقبوله حقيقة ساطعة؛ والسبب في ذلك كون المكرر ينطبع في تجاويف الملكات اللاشعورية التي تختمر فيها أسباب أفعال الإنسان، فإذا انقضى شطر من الزمن نسي الواحد منا صاحب التكرار، وانتهى بتصديق المكرر»^(٢).
- ١٠ من هنا أثر الباحث أن يجعل أسلوب التكرار ضمن الأساليب الوجدانية؛ لأن الأساس الذي يقوم عليه هذا الأسلوب، ويكسب تأثيره منه أساس نفسي وجداني.
- وفيما يأتي من مطالب يتناول البحث تعريف التكرار وأقسامه وأهميته ومواطن وقوعه في القرآن الكريم، ونماذج من الآيات المكررة في عرض العقيدة الصحيحة.

(١) انظر: مصطفى فهمي، الدوافع النفسية، دار مصر للطباعة (القاهرة)، دط، ص ١٠١.

(٢) أسلوب القرآن الكريم بين الهداية والإعجاز البياني، ص ٨٢، نقلاً عن جوستاف لوبون في روح الاجتماع ولم يحدد رقم الصفحة، ولم يقف الباحث على هذا الكتاب لغوستاف لوبون على الرغم من البحث المتكرر عنه.

المطلب الأول : تعريف التكرار وبيان أقسامه

أولاً: التكرار في اللغة: «مصدر (فَعَّلَ) والألف عوض من الياء في التفعيل»^(١). والمتتبع لمعاجم اللغة العربية يجد أن معناه يدور حول: ترديد القول أو الفعل، والرجوع إلى القول أو الفعل مرةً بعد مرة، أو مراتٍ كثيرة^(٢).
ثانياً: التكرار في الاصطلاح: عُرِّف التكرار بعدد من التعريفات، يُلاحظ أنها لا تخرج عن المعنى اللغوي، من ذلك:

١ - عرفه الزركشي بأنه: «إعادة اللفظ أو مرادفه»^(٣).

٢ - وعرفه الجرجاني بأنه: «عبارة عن الإتيان بشيء مرة بعد أخرى»^(٤).

والملاحظ أن تعريف الجرجاني أعمُّ من تعريف الزركشي، فالأخير حصر التكرار باللفظ دون العمل، في حين أن الجرجاني جعله شاملاً للقول والعمل.
وعلى ما سبق يمكن القول: إن أسلوب التكرار يتمثل بتلك العملية التي تقوم على إعادة وترديد موضوع الرسالة المراد إقناع الجمهور بها؛ مما يرسخ معناها في نفوسهم، ويدفعهم إلى الاستجابة لموضوعها والاقتناع به.

ثالثاً: أقسام التكرار القرآني: يأتي التكرار القرآني في قسمين رئيسين:

القسم الأول: التكرار اللفظي: ويأتي على وجهين:

الوجه الأول: تكرار الكلمة اسماً كانت أو فعلاً أو حرفاً، ومن أمثلته:

١ - تكرار كلمة (السابقون) في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [الواقعة: ١٠].

(١) البرهان في علوم القرآن، ٨/٣.

(٢) انظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار صادر (بيروت)، ط ١، ١٣٠٦هـ، مادة (كرر)، ولسان العرب، مادة (كرر)، والفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الفكر (بيروت)، ١٣٩٨هـ، مادة (كرر).

(٣) البرهان في علوم القرآن، ١٠/٣.

(٤) الجرجاني، التعريفات، ت: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي (بيروت)، ط ١، ١٤٠٥هـ، ص ٩٠.

٢- تكرار كلمة (هيهات) في قوله تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٦].

٣- تكرار الحرف (بل) في قوله تعالى: ﴿بَلْ اِدَارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل: ٦٦].

الوجه الثاني: تكرار الجملة وشبهها، ومن أمثلته:

١- تكرار (قتل كيف قدر) في قوله تعالى: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَرًا * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَرًا﴾ [المدثر: ١٩-٢٠].

٢- تكرار (من الكتاب) و(من عند الله) في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٨].

٣- تكرار قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ٨-٩] فقد كررها في ثمانية مواضع في نفس السورة.

٤- تكرار قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ [القمر: ١٦-١٧] فقد كررها في أربعة مواضع من نفس السورة.

القسم الثاني: تكرار المعنى الواحد بأساليب مختلفة، وعلى رأس هذا القسم يأتي التكرار الموضوعي، كآيات المكررة في إثبات وحدانية الله تعالى أو إمكان البعث ووقوعه أو الإيمان بالرسول أو مشاهد يوم القيامة، وقصص الأنبياء وغيرها.

ومن أكثر أمثلة هذا القسم تكرار القصص القرآنية، وذلك بإعادة تصوير الأحداث أكثر من مرة، مثل قصة إبليس في رفضه السجود لآدم عليه السلام، حيث تكررت هذه القصة في سبعة مواضع من القرآن الكريم، وهي:

١- قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

٢- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١١-١٢].

٣- قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٨-٣٣].

٤- قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١].

٥- قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠].

٦- قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ [طه: ١١٦].

٧- قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [ص: ٧١-٧٦]^(١).

(١) انظر: شعلان القرني، التكرار في إثبات وحدانية الله في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية-جامعة أم القرى، إشراف: د. شريف العبدلي، ١٤٠٨هـ، ص ٣٠-٤٠، والعقيدة في السور المكية وتوجيهاتها التربوية، ص ٢١٠-٢١٤.

المطلب الثاني : الأهمية الإعلامية للتكرار القرآني وحكمه وما أثر حوله

هناك العديد من القضايا التي يجدر مناقشتها فيما يخص التكرار القرآني، كأهمية التكرار عموماً في عملية الإقناع، ثم بيان الحكم التي من أجلها كررت الموضوعات المختلفة، ثم التطرق لبعض الشبه التي أثرت حول التكرار القرآني، ولاسيما تكرار القصص التي نالت النصيب الأكبر منها، وسيحاول الباحث أن يُجملَ الكلام عن هذه الموضوعات في ثلاث نقاط رئيسة:

النقطة الأولى : الأهمية الإعلامية للتكرار القرآني ودوره في الإقناع.

إن التكرار القرآني بأقسامه التي ذكرها الباحث في المطلب السابق، وأشفعها ببعض الأمثلة يخدم غرضين في آن واحد:

١٠ غرضاً فنياً يتمثل في تجدد أسلوبه إيراداً وتصويراً، والتفنن في عرضه إيجازاً وإطناباً، والتنوع في أدائه لفظاً ومعنى.

وغرضاً نفسياً بما له من تأثير في النفوس، لأن المكرر ينطبع في تجاويف الملكات اللاشعورية التي تختمر فيها أسباب أفعال الإنسان ودوافعها^(١).

والمهم هنا الغرض الثاني الذي أكدته علماء الإعلام، حيث نبهوا إلى أهمية الإيحاء المتكرر بفكرة معينة في الإعلام من خلال تعاملهم اليومي مع الناس، وتعرفهم إلى أسرار النفس البشرية، وأوضحوا أن تكرار الرسالة من العوامل التي تساعد على الإقناع؛ ذلك أن التكرار يؤدي إلى تذكير المتلقي باستمرار بالهدف من الرسالة^(٢)، وقد أكدت العديد من الدراسات الميدانية التي قام بها متخصصون في مجال الدعاية والإعلان أهمية التكرار وفاعليته في الإعلان عن الأفكار والقضايا ذات الأهمية وتشكيل رأي عام حولها^(٣).

(١) انظر: التهامي نقره، سيكولوجية القصة في القرآن، أصل الكتاب أطروحة دكتوراه-جامعة الجزائر، الشركة التونسية للتوزيع (تونس)، ١٩٧٤م، ص ١١٦.

(٢) انظر: أساليب الإقناع في القرآن الكريم، ص ٧٠.

(٣) انظر: جيهان أحمد رشتي، الإعلام ونظرياته في العصر الحديث، دار الفكر العربي (بيروت)، ط ١، ص ٤٦١.

ولعلّ هذا ما يفسر لجوء الزعماء والساسة إلى هذا الأسلوب للتأثير في الشعوب، وحملهم على الإيمان بسياساتهم، وما الشعارات التي يصوغها الحكام وزعماء الأحزاب، ويظلون يلوكونها صباح مساء إلا استغلالاً لهذا الأسلوب في التأثير على الجماهير، وقد نُقِلَ هذا المعنى عن عدد منهم مثل (هتلر) الذي يقول: «إن الدعاية لا تستطيع أن تؤتي ثمارها في النفوس إلا عن طريق التابع والاستمرار والتنظيم، ويجب علينا أن نعيد ونكرر نفس الشيء، فكلمة النظام مثلاً يمكن توضيحها جيداً من زوايا مختلفة، ولكن الهدف الذي نسعى إليه فيما نعرضه عن الناس ينبغي أن يظل دائماً في نفس الشكل»^(١). و(جبلز) الذي يقول: «إن سرّ الدعاية الفعالة يكمن لا في إذاعة بيانات تتناول آلاف الأشياء، ولكن في التركيز على بضعة حقائق فقط، وتوجيه آذان الناس وأبصارهم إليها مراراً وتكراراً»^(٢).

إذاً يتبين من خلال ما سبق أن للتكرار أثره في ترسيخ المعنى المكرر في النفس، وتحويله إلى حقيقة ثابتة، ومن هنا فلا عجب من وجود التكرار في عرض القضايا المهمة في القرآن الكريم، والإعلان عنها مرة بعد مرة بأساليب فنية متعددة وسياقات مختلفة؛ لأنّ ذلك يعدّ ضرورة تربوية وتعليمية لإقناع الناس بها وترويضهم عليها، والذي لا بدّ من ملاحظته أنّ كل تكرار في القرآن الكريم لا يمكن الاستغناء عنه بأيّ حال؛ لأنه لا يأتي إلا ليضيف جديداً، أو يؤكد أموراً مهمة، أو يرسخ حقائق قد تعظم العناية بها، ويخاف بتركه وقوع الغلط والنسيان فيها والاستهانة بقدرها، وعليه فالتكرار القرآني ليس من قبيل التكرار الآلي الممل؛ لأن الحقيقة الواحدة يطالعنا بها القرآن الكريم في مواطن مختلفة، ولكن في أثواب جديدة، مع تصرفٍ معجزٍ في صيغ التعبير وطرق الأداء^(٣)، وهذه الخاصية للتكرار القرآني هي الخاصية التي نص عليها الباحثون في الإعلام المعاصر للتكرار الفعال، فقد أوضحوا أن «إعادة ذكر الشيء نفسه دون تنويع قد يضايق السامع أو المتلقي؛ ولذلك فإن التكرار مع التنويع، أي: تكرار المعنى نفسه بعبارات مختلفة، وبصيغ شتى وسياقات متنوعة يكون أكثر

(١) محمد محمود الطلابي، الأسلوب الإعلامي في القرآن الكريم، أصله رسالة ماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود، إدارة المطبوعات (مكة المكرمة)، ١٤١٢هـ، ص ١٨٧.

(٢) فتحي الأبياري، الرأي العام والمخطط الصهيوني، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، ١٩٦٩م، ص ١٤٧.

(٣) انظر: سيكولوجية القصة في القرآن، ص ١٣٨.

فعالية في الإيحاء المستمر؛ لأنه يجنب السامع أو القارئ الملل، ويذكره باستمرار الهدف، ويعمق التوعية بالمعنى المقصود منه»^(١).

النقطة الثانية: حِكَم التكرار القرآني وغاياته.

إذا نظر الباحث نظرةً فاحصةً تليق بمقام القرآن الكريم ومكانته في البيان العربي يجد أن مواطن التكرار فيه لا تخلو عن مغزى وحكمة تُستفاد منه، وفيما يأتي عرض الباحث طرفاً من هذه الحِكَم مشفوعة ببعض الأمثلة وأقوال العلماء في تفسيرها وتحليلها.

الحكمة الأولى: تأكيد المعنى وتقديره في النفوس.

استخدم القرآن الكريم التكرار وسيلةً لثبيت المعنى في نفوس قارئيه وإقراره في أفئدتهم حتى يصبح عقيدة من عقائدهم، وهذا المعنى نصٌّ عليه الزرقاني، وهو يتحدث عن سياسة القرآن في الإصلاح، فقال: «رابعها: تكرار ما يستحق التكرار من الأمور المهمة، حتى يجد سبيله إلى النفوس النافرة والطباع العصية، فتسلس له القيادة، وتلقي إليه السلم، مثال ذلك تقرير القرآن لعقيدة التوحيد واستئصاله لشأفة الشرك بواسطة الحديث عنها مراراً وتكراراً، تارةً يصرح وأخرى يلوح، وتارةً يوجز وأخرى يطنب، وتارةً يذكر العقيدة مرسله وأخرى يذكرها مدللة، وتارةً يشفعها بدليل وأخرى بجملة أدلة»^(٢).

ومن أمثلة ذلك: التكرار المعنوي في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُون﴾ [النحل: ٥١] فقد أمر الله ألا يتخذ الناس إلهين اثنين، إنما هو إله واحد لا ثاني له، ويأخذ التعبير أسلوب التكرار، فيتبع كلمة (إِلَهَيْنِ) بكلمة (اثْنَيْنِ) ويتبع النهي بالقصر (إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ)، ويعقب على النهي والقصر بقصر آخر (فَإِيَّايَ فَارْهَبُون) دون سواي، بلا شبيه ولا نظير، كل ذلك تأكيداً للمعنى وتقريباً له في نفوس المتلقين.

(١) محمد فريد عزت، دراسات في فن التحرير الصحفي، دار الشروق (جدة)، ط١، ١٤٠٤هـ، ص٩٩، وانظر: جيهان أحمد رشتي، الأسس العلمية لنظريات الإعلام، دار الفكر العربي (القاهرة)، ١٩٧٥م، ص٤٤٨.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر (بيروت)، ط١، ١٩٩٦م، ٢/٢٦٢.

الحكمة الثانية: التذكير والوعظ.

قال الزمخشري معلقاً على قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣] «فإن قلت: ما فائدة التثنية والتكرير؟ قلت: النفوس أنفر شيء عن حديث الوعظ والنصيحة، فإن لم يكرر عليها عوداً من بدء لم يرسخ فيها، ولم يعمل عمله، ومن ثم كانت عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكرر عليهم ما كان يعظ به، وينصح ثلاث مرات ٥ وسبعاً؛ ليركزه في قلوبهم، ويغرسه في صدورهم»^(١).

ومن أبرز أمثلة هذه الحكمة تكرار قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿ [الشعراء: ٨-٩]

فقد كررت ثمان مرات في نفس السورة، وكانت متمكنة من موضعها في كل مكان ١٠ حلت فيه، فجاءت أولاً بعد أن وجه القرآن الكريم الأنظار إلى الأرض، أوليس فيما تنبته من كل زوج بهيج ما يثير في النفس التأمل؛ لمعرفة خالق الأرض ومحبيها ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَتْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿ [الشعراء: ٧-٩]، ويكرر الآية في موضع آخر تحدث فيه عن

انفلاق البحر لموسى عليه السلام ونجاته وغرق فرعون، وتلك آية من أكبر دلائل قدرته ١٥ تعالى، فهي جديرة بتسجيلها والإشارة إليها ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ * وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿ [الشعراء: ٦٣-٦٨]، ثم تكررت في ست مواضع أخرى عقب كل ما يجدر

أن يكون عظة يعتبر بها، كتصوير جند إبليس وقد كبكبوا في جهنم، وأخذوا يختصمون فيما ٢٠ بينهم، ويقررون أنهم كانوا في ضلالة وعمى، ويتمنون لو عادوا؛ ليصلحوا ما أفسدوا: ﴿وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ * وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ * فَكَبِكَبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ * وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ * قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ * فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ * فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً

(١) الكشف، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، دط ، ١٢٦/٤.

وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩١-١٠٤﴾ [الشعراء: ٩١-١٠٤] أوليس في هذا من العظة ما ينهى عن مثل هذا المصير، وكررها عقب قصة صالح ولوط وشعيب عليهم السلام؛ لأن مصير أقوامهم حقيقاً بأن تتلقى منه العظات والعبر، وكأن تلك الآية المكررة تشير إلى مرحلة من القول يحسن الوقوف عندها والتريث لتدبرها، وتأمل ما تحوي من دروس تُستفاد مما مضى من حوادث التاريخ^(١).

الحكمة الثالثة: خدمة الموضوع المكرر للسياق الذي ورد فيه.

إن كل موضع تكرر في القرآن الكريم يتناسب تناسباً كاملاً مع هدف السورة وجوها العام، انظر مثلاً قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر: ٦٢] فقد كان السياق في سورة الأنعام يتحدث عن جعل المشركين لله شركاء وبنين وبنات فرد الله قولهم ثم أتبعه الإخبار بأنه لا إله إلا الله وحده ثم أخبر أنه سبحانه وتعالى خالق كل شيء، فقد قدم الإخبار بالآلوهية على الإخبار عن الخلق لمناسبة السياق، أما في سورة غافر فقد كررت الآية نفسها لكن لما كان السياق يتحدث عن الخلق ناسب أن يقدم الإخبار عن الخلق على الإخبار عن ألوهيته سبحانه وتعالى^(٢).

الحكمة الرابعة: مراعاة اختلاف المدارك لدى المخاطبين.

يختلف الناس في مداركهم وقواهم العقلية، فمنهم من يفهم من المرة الواحدة، ومنهم من لا يفهم إلا بالتكرار، ولما كان القرآن الكريم كتاب تربية وتعليم لا كتاب تعليم فقط، فقد راعى اختلاف الناس في مداركهم وملكاتهم، فلم يكتفي بذكر القضايا الرئيسة -ولاسيما العقدية منها- مرة واحدة كالمعهد في متون الفنون والكتب والقوانين؛ بل تصرف في القول لترسيخ المعنى، وجعله يسري إلى النفس من غير مقاومة^(٣).

الحكمة الخامسة: تأكيد قضية إعجاز القرآن الكريم.

(١) انظر: أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، دار نهضة مصر (القاهرة)، دط، ص ١٥٣-١٥٤، وقارن: التكرار في إثبات وحدانية الله، ص ١٦١.

(٢) انظر: التكرار في إثبات وحدانية الله، ص ١٦٤.

(٣) انظر: محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن، مكتبة الفارابي (دمشق)، ط ٢، ١٣٩٠هـ، ص ١١٩.

قال الباقلاني: «إنَّ إعادة ذكر القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنىً واحداً من الأمر الصعب الذي تظهر به الفصاحة، وتبين به البلاغة، وأعيد كثيراً من القصص في مواضع كثيرة مختلفة على ترتيبات متفاوتة، ونُبِّهوا بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأً به ومكرراً، ولو كان فيهم تمكنٌ من المعارضة لقصدوا تلك القصة، وعبروا عنها بألفاظ لهم، تؤدي تلك المعاني ونحوها، وجعلوها بإزاء ما جاء به، وتوصلوا بذلك إلى تكذيبه، وإلى مساواته فيما حكى وجاء به»^(١).

الحكمة السادسة: اقتضاء طبيعة الدعوة للتكرار.

إنَّ مما تقتضيه طبيعة الدعوة أن لا تتحدث إلا بما يناسب المرحلة التي تعيش فيها، وما دامت تعيش فيها لا تتعرض لحديث يخص المراحل المقبلة؛ بل تظل تردد حديثها عن المرحلة التي هي فيها، ولو استغرقت الشهور أو السنين. لكن قد يتضجر السامع لو بقيت العبارة بعينها تتكرر، وفي صياغة واحدة تردد؛ لذلك فإنَّ المباحث التي تخص مرحلة من المراحل، وتمس الحاجة إلى عرضها مرة بعد أخرى كان يجب أن تصاغ في كل مرة في أساليب جديدة، وألفاظ معبرة تشتهيها الأنفس؛ وبذلك تصبح كل مرحلة من المراحل محكمة القواعد، مستقيمة البناء.

ويجب فوق ذلك أن لا يغيب عن البال تلك المبادئ العامة والقواعد التي تعتمد عليها الدعوة في كل حين من الأحيان، وفي كل وضع من الأوضاع منذ الخطوة الأولى حتى تمامها وكمالها؛ بل لا بدَّ أن تُلفت إليها الأنظار في جميع مراحل الدعوة مهما كان الحال.

هذا هو السر في شمول جميع سور القرآن على موضوعات ثابتة، ولكن في ألفاظ متجددة وأسلوب منوع، فمثلاً فيما يتعلق بعقيدة التوحيد، وصفات الله، والآخرة ومسؤوليتها وعذابها وثوابها، والرسالة والإيمان بالكتاب، وما إلى ذلك من حقائق رئيسة، فإنك لترى القرآن يعيد ذكرها، ويردد بيانها في جميع سورته المكية والمدنية؛ لأن حركة

(١) إعجاز القرآن، ت: أحمد صقر، دار المعارف (مصر)، ط ٣، ص ٦١-٦٢، وانظر: البرهان في علوم القرآن، ٢٧/٣، وحسين نصار، التكرار، مكتبة الخانجي (القاهرة)، ط ١، ١٤٢٣هـ، ص ٤٠-٤٥

الدعوة لا تستطيع إهمالها في أية مرحلة من مراحلها، ولو كانت هذه العقائد الأساسية وهنت في نفوس المؤمنين لما تقدمت حركة الإسلام بروحها الصحيحة وطبيعتها الفذة^(١).

النقطة الثالثة : شبهٌ أثّرت حول التكرار القرآني ومناقشتها.

لقد خفيت فوائد التكرار وحِكْمُهُ «على بعض الملحدة وأشباههم ومن لا نفاذ لهم في أسرار العربية ومقاصد الخطاب والتأني بالسياسة البيانية إلى هذه المقاصد، فزعموا به المزاعم السخيفة، وأحالوه إلى النقص الوهن، وقالوا: إنَّ هذا التكرار ضعف وضيق من قوة وسعة»^(٢)، وفي ما يأتي عرض الباحث شبهتين من هذه الشبه مشفوعة بما يردّها ويدحضها -إن شاء الله تعالى-.

الشبهة الأولى:

١٠ إنَّ في كثير مما تكرر من الموضوعات -ولاسيَّما القصص القرآني- اختلاف في المواقف والأحداث، وهذا إن دلَّ على شيء فإنه يدل على اختلاف واضطراب وعدم قدرة على التأليف^(٣)، وخذ مثلاً على ذلك: دعوة نوح لقومه وردهم عليه، ولاحظ الاضطراب والتفاوت في الدعوة والرد في كل مرة يكرر ذلك:

١ - ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف: ٥٩-٦٠].

٢ - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلًا إِلَّا اللَّهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ * فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ

(١) انظر: أبو الأعلى المودودي، مبادئ أساسية لفهم القرآن، تر: خليل أحمد الحامدي، الدار السعودية للنشر (جدة)، ١٤٠٤هـ، ص ٣٠-٣٢.

(٢) محمد صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي (بيروت)، ط ٩، ١٣٩٢هـ، ص ١٩٤.

(٣) انظر عرض هذه الشبهة عن بعض الملحدّين: السكاكي، مفتاح العلوم، ت: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١، ١٤٠٣هـ، ص ٥٨٧.

اتَّبِعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّيِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧-٢٥﴾ [هود: ٢٧-٢٥].

٣- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ * إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فْتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [المؤمنون: ٢٣-٢٥].

والجواب على هذه الشبهة: ما ذكره الجبائي مختصراً من أنه لا يمتنع أن يكون ما تكرر من قصص الأنبياء المتقدمين - ومنها المثال المعروض - قد تكرر في أوقات مختلفة، فكان ذكره بحسب تكراره^(١).

١٠ وقد فصل الخطيب الإسكافي في الجواب أكثر من سالفه بكلام جميل مقنع، فقال: «للأنبياء مقامات مع أممهم، يكون فيها الإعذار والإنذار، ويرجع فيها عوداً على بدء الوعد الوعيد، ولا يكون دعاؤهم إلى الإيمان بالله، ورفض عبادة ما سواه في موقف واحد بلفظ واحد لا يتغير، بل الواعظ يفتن في مقاله، والجاحد المنكر تختلف أجوبته في مواقفه، فإذا جاءت المحكيات على اختلافها لم يطالب باتفاقها؛ لأنه قال لهم مرة باللفظ الذي حكى، ومرة بلفظ آخر في معناه كما ذكر، وكذلك الجواب يرد من أقوام يكثرون عددهم، ويختلف كلامهم ومقصدهم، وصدق الخبر يتناول الشيء على ما كان عليه، فلا وجه إذاً للاعتراض بهذا ونحوه»^(٢). وهنا لا بد من الإشارة إلى الدور الحسن الذي قام به بعض رجالات المعتزلة - مشكورين - في الرد على الملحدين وأصحاب الشبهات.

الشبهة الثانية:

٢٠ حاول محمد أحمد خلف الله - فيما يبدو للباحث - أن يجيب على نفس الشبهة السابقة، فكان جوابه شبهة أكبر من التي أراد حلها، فقال: «ثانياً التكرار: وقفة ثانية وقفها العقل

(١) انظر: القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، دار الكتب (مصر)، ط ١، ١٣٨٠هـ، ٤٠٠/١٦.

(٢) درة التنزيل وغرة التأويل، د.د (مصر)، ١٣٢٧هـ، ص ١٢٣.

الإسلامي عند الأقاويص التي كُرِّرت؛ ذلك لأنه وقد اعتمد المذهب التاريخي في فهم القصص القرآني قد عجز عن أن يفهم الأسرار التي من أجلها كان التكرار.

لماذا كرر القرآن قصص آدم ونوح وهود ولوط وصالح وشعيب وغيرهم من الرسل والأنبياء؟ إنَّ الوقوف على تاريخ كل واحد من هؤلاء قد يكفي فيه إيراد القصة الواحدة في الموطن الواحد، وليس يلزم أن تكرر القصة في أكثر من موطن من مواطن القرآن.

إن تكرار القصة وبخاصة حين تكون الأحداث القصصية واحدة والمواد التاريخية متشابهة، والمواقف متفقة أمر يحتاج إلى تعليل وإلى بيان وإيضاح.

سؤال آخر سألَه العقل الإسلامي نفسه فيما يخص هذا التكرار، وهو على فرض قدرته على الوقوف على الأسرار التي من أجلها كان التكرار، فلماذا كان هذا الاختلاف؟ لماذا

اختلف إيراد القصة الواحدة في موطن عنه في آخر؟ لماذا اختلف وصف القرآن لموقف موسى من ربه في سورة طه عنه في غيره من السور مع أنَّ الموقف واحد والحادثة واحدة؟ لماذا قال القرآن في سورة طه: ﴿إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَىٰ النَّارِ هُدًى * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى * إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي * إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى * فَلَا

يُصَدِّتُكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى * وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى * قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى * قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى * وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى * لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى * اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * قَالَ رَبِّ...﴾ الخ [طه: ٩-٢٥]؟ ولماذا قال في سورة النمل عن نفس الحادثة

والموقف: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَشِيرٍ قَبْسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدَبِّرًا وَلَمْ يَعْقِبْ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ * إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ

إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٧-١٢﴾ الخ [النمل: ٧-١٢]؟ ولماذا قال في سورة القصص غير هذين؟

إن الموقف واحد، وإن الحادثة واحدة، ولكن الوصف يختلف، والحوار غير الحوار، وحديث الرب العلي مع موسى النبي في موطن غيره في آخر.

٥ لقد حاول العقل الإسلامي أن يجيب عن مثل هذه الأسئلة التي تخص تكرار القصص القرآني واختلاف الوصف والتصوير، ولكن لم يهتدي إلى رأي قاطع، ومن هنا أثر الكثيرون عدّ القصص القرآني من الآيات المتشابهات... ولو أن العقل الإسلامي أقام فهمه للقصص القرآني على أساس بلاغي أو أساس فني أدبي لما وقف هذه الوقفة، ولعرف منذ اللحظة الأولى أن الذي عدّه من التكرار ليس من التكرار في شيء؛ لأن هذه المواد التاريخية غير مقصودة من القصص، وأن مقاصد القرآن من مواعظ وعبر ومن إنذارات وبشارات تختلف في موطن عنها في آخر، ومن هنا كان الاختلاف؛ لأن اختلاف المقاصد يدفع من غير شك إلى اختلاف الصور الأدبية^(١).

ولكن أين يكمن الخطر في دعوته لنبد ما سمّاه المذهب التاريخي واعتماد الأساس الفني والبلاغي؟ إنه يكمن في رؤيته أن العمل الفني والأدبي في القصص القرآني يتمثل في تخلص العناصر التاريخية (الأشخاص والأحداث) من معانيها التاريخية، وفي تحميل هذه العناصر بالعواطف الإنسانية أو بالمعاني الدينية والخلقية، وذلك كما يجعل الأديب الفنان من شخصية تاريخية معروفة نقطة لانطلاق خياله وأفكاره، ومحوراً لابتكاره وفنّه، ورؤيته أن أحداث التاريخ التي وردت في هذا القصص رُتبت ترتيباً عاطفياً، وبُنيت بناءً يقصد منه استثارة الهمم وتحريك النفوس؛ لأن مقصد القرآن ليس إلا هذه الصور التي يرتبها، ويجعلها مصدراً للانفعال والتأثير، وباعثاً للأمن والخوف والرجاء، فليس من الضرورة في عناصر القصة (الأشخاص والأحداث) أن تكون قائمة على أساس الحق والواقع؛ بل الضروري أن تكون هذه العناصر مما يملك القلوب ويسيطر عليها، وإذا حصل اختلاف بين بعض عناصر القصة الواحدة -ولاسيّما أن ذلك يكون حال تكرارها في عدة مواضع- فليس من اللازم أن

(١) الفن القصصي في القرآن الكريم، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة)، ١٩٦٥م، ص ٣٢-٣٤.

تقوم على أساس الذي وقع فعلاً، وإنما تقوم على أساس القصد الذي يرمي إليه القرآن من الصور القصصية^(١).

ما سبق هو تقرير شبهة خلف الله، والجواب:

إن من الواضح جداً أن المقدمة الرئيسة التي بنى عليها رؤاه تلك حُكمه بأن القرآن لم يلتزم الحق والواقع في عرضه القصصي، وهذا الحكم يبطله القرآن الكريم نفسه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٦٢]، وبقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ [يوسف: ١١١]، فالجمال الفني في قصص القرآن لا يعتمد على الابتكار والخيال؛ بل على صدق الرواية، وإبداع العرض، وجمال الأداء^(٢).

وأما عن قوله: «إن تكرار القصة وبخاصة حين تكون الأحداث القصصية واحدة والمواد التاريخية متشابهة، والمواقف متفقة أمرٌ يحتاج إلى تحليل وإلى بيان وإيضاح»^(٣) فجوابه: ما سبق من كلام الخطيب الإسكافي في جواب الشبهة الأولى، لا ما يراه خلف الله من أن ذلك من مقتضيات العمل الفني والأدبي الذي يسمح للفنان والأديب مخالفة الحقائق، وتزوير الوقائع، فإن ذلك وإن جاز في القصص الأدبي التاريخي، فإنه لا يجوز ألبتة في القصص القرآني.

وأما عن سؤاله: «لماذا اختلف وصف القرآن لموقف موسى من ربه في سورة طه عنه في غيره من السور مع أن الموقف واحد والحادثة واحدة؟... إن الموقف واحد وإن الحادثة واحدة ولكن الوصف يختلف، والحوار غير الحوار، وحديث الرب العلي مع موسى النبي في موطن غيره في آخر»^(٤).

فالجواب عليه وعلى كل تكرار في القرآن تختلف فيه الصور في الحدث الواحد، هو أن هذه الصور يكمل بعضها بعضاً، وأنها في مجموعها تعطي صورة واضحة مجسمة للحدث،

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٢٣٦، ٢٤١، ٢٤٨، وقارن السيكولوجية القصة في القرآن، ص ١٤٧.

(٢) انظر: سيكولوجية القصة في القرآن، ص ١٤٩.

(٣) الفن القصصي في القرآن، ص ٣٢.

(٤) المرجع السابق، ص ٣٤.

وأن ما يظهر كأنه اختلاف بين المقولات في الواقعة الواحدة أو الحدث الواحد ليس إلا تجميعاً لمتناثر الأقوال عن هذه الواقعة أو ذاك الحدث، أو ليس إلا التقاطاً لظاهر القول ثم لِمَا يكمن وراءه من خواطر وخلجات.

وعليه فالصور الثلاث لموقف موسى عليه السلام الخاص بمناجاته في الطور بمجموعها ٥ تعطي صورة واحدة مكتملة لما حدث، وكل صورة منها -أي في سورة طه والنمل والقصص- يمكن أن تستقل بنفسها في الكشف عن مضمون الحدث. فكلمات الله تعالى لموسى عليه السلام في السور الثلاث هي مجموع ما سمعه موسى من الحق تعالى في ذلك الموقف، وعلى أي ترتيب تجتمع فيه تعطي صورة الموقف الذي كان مفاجأة مذهلة مزلزلة لموسى عليه السلام، فكانت كلمات الله تعالى في تتبعها وتلاحقها تنزل برداً وسلاماً على قلبه ﴿يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ [طه: ١١-١٢]، ﴿إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النمل: ٩]، ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠]، ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]. ١٠

أما اختلاف مقولات موسى عليه السلام عن النار في السور الثلاث: ﴿لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ [طه: ١٠]، و﴿لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [القصص: ٢٩]، و﴿سَأَتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [النمل: ٧]، فهذه المقولات تجمع بين ما قال موسى عليه السلام لأهله، وما كان يجري في خاطره من مشاعر وإحساسات وتقديرات لما يتكشف عنه الواقع عند مداناته للنار التي رآها واتصاله بمن عندها^(١).

(١) انظر: عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، دار المعرفة (بيروت)، ط ٢، ١٣٩٥هـ، ص ٢٣٤-٢٣٥.

المطلب الثالث : دلالة أسلوب التكرار على مسائل العقيدة (نماذج)

تبين مما سبق أن للقرآن الكريم أهدافاً يسعى لتحقيقها؛ ولهذا فإنه يطرق الموضوع الواحد بعدة أساليب، وفي أماكن كثيرة؛ ليصل إلى تحقيق تلك الأهداف بحسب أهمية الموضوع الذي يتناوله، ومن مقاصد القرآن الرئيسة ترسيخ مختلف جوانب العقيدة في أعماق القلوب؛ لهذا تجد الحديث يتكرر عنها في كثير من آيات القرآن الكريم «لأجل أن يجتث من أعماق الأنفس كل ما كان فيها من آثار الوراثة والتقاليد والعادات القبيحة الضارة، ويغرس في مكانها أضدادها، ويتعاهد هذا الغرس، وينميه حتى يؤتي أكله، ويبدو صلاحه، ويينع ثمره»^(١).

وقد حرص القرآن الكريم على هدم «معاقل الوثنية وحصونها المشيدة في الأفكار والقلوب، وما كان ليتم هذا بإقامة برهان عقلي أو عدة براهين على توحيد الله عز وجل؛ بل لا بدّ فيه من دحض الشبهات وتفصيل الحجج العقلية والعملية والمواعظ الخطابية بالعبارات المختلفة وضرب الأمثال؛ لذلك كان أكثر المسائل تكراراً في القرآن مسألة توحيد الله عز وجل في ألوهيته بعبادته وحده، واعتقاد أن كل ما سواه من الموجودات سواء في كونهم ملكاً وعبداً له، لا يملكون من دونه نفعاً ولا ضرراً لأحد، ولا لأنفسهم إلا فيما سخره الله من الأسباب المشتركة بين الخلق»^(٢)، ولهذا سأقدم نماذج من الآيات المكررة في دعوة القرآن لعقيدة التوحيد:

النموذج الأول:

إن المتدبر لآيات القرآن الكريم ليجد أن التوحيد مبدأ دعوة الأنبياء والرسل جميعاً، وقد جاءت دعواتهم بصيغة واحدة على الرغم من تعددهم، واختلاف أقوامهم، وتباعد أماكنهم وأزمانهم، مما ساعد على ترسيخ هذه العقيدة في الأذهان والنفوس، فجاءت الدعوة للتوحيد على لسان نوح عليه السلام:

(١) محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، المكتب الإسلامي (بيروت)، ط ٩، ١٣٩٩هـ، ص ١٦٦، وانظر: سيكولوجية القصة في القرآن، ص ١١٧.

(٢) الوحي المحمدي، ص ١٧٠.

١ - قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩].

٢ - قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٣].

٣ - قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا [نوح: ١-٣].

وجاء على لسان هود عليه السلام:

١ - في قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥].

٢ - وفي قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود: ٥٠].

وعلى لسان صالح عليه السلام:

١ - في قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٧٣].

٢ - في قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: ٦١].

٣ - في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ [النمل: ٤٥].

وعلى لسان شعيب عليه السلام:

١ - في قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٥].

٢- وفي قوله تعالى: ﴿وَالِى مَدِينَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾ [هود: ٨٤].

٥ وعلى لسان إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وإبراهيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكَم خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ * إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٦-١٧]، وإذا لم ترد هذه الصيغة (اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) على لسان بقية الرسل في القرآن الكريم، فهذا لا يعني أنهم لم يقولوها «فما من نبي إلا وجاء ليرشد الخلق إلى توحيد الله تعالى، واعتقاد تفردة بالخلق والإبداع، والتوجه إليه بالعبادة والطاعة، وتنزيهه عن الند والشريك والشبيه والنظير»^(١)، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وتكرار القرآن لدعوة الرسل تدل على عنايته بتقرير أكبر قضايا التصور العقدي الصحيح، ألا وهي أن ألوهية الخالق تتبعها عبودية الخلائق، ألوهية الخالق يعني: وحدانيته وتفردة بالألوهية، فلا تلتبس وحدانيته بشبهة تكثُر في ذاته وصفاته، أو مشابهة لأحد من خلقه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. يعيد القرآن ذكر هذه الحقيقة ويكررها مرات ومرات على لسان كل نبي؛ ليعمق جذورها، ويمد في آفاقها حتى تشمل كل جوانب الحس والعقل؛ ليقم على أساسها سائر التشريعات والتكاليف.

النموذج الثاني:

٢٠ قال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا إِلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ * أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا إِلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا

(١) إبراهيم الديوب، أصول مسائل العقيدة في ضوء كتب الحديث التسعة، أطروحة دكتوراه من قسم الفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم-جامعة القاهرة، إشراف: د. عبد اللطيف العبد، ١٤٢٤هـ، ص ١٤٣.

بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٠-٦٤﴾.

إذا تدبر القارئ هذه الآيات الكريمة يلحظ أنه قد تكرر فيها السؤال التوبيخي الاستنكاري (إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ) خمس مرات «وهو تكرر في موضعه؛ لأن التوجيه إلى النظر فيما تحت أيديهم هو في ذاته مقدمة للنتيجة، وهي الوجدانية للمعبود، وما دامت وجدانية الخالق قد ثبتت بهذا الكلام، فكان لا بد أن تذكر النتيجة أمام كل مقدمة؛ لأنها وحدها دليل، ولو لم تذكر النتيجة أمام كل مقدمة لكانت النتيجة ثمرة لمجموعها، مع أن كل واحدة منها صالحة لأن تكون الوجدانية نتيجة لها دون أن تنضم معها غيرها»^(١).

النموذج الثالث:

١٠ إن من أكثر نماذج التكرار الموضوعي في آيات القرآن الكريم -ولاسيما المكية منها- تكرر الآيات الداعية إلى إقناع الناس عموماً وكفار قريش خصوصاً بوجدانية الله تعالى عن طريق لفت النظر للآيات الكونية التي تثبت كمال قدرته تعالى وعظمته، وشمول علمه وتمام حكمته، وبالتالي فهو وحده المستحق للعبادة لا شريك ولا ند ولا والد ولا ولد له يشاركه فيها، من هذه الآيات:

١٥ ١- قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ * هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٦٦-٦٨].

٢٠ ٢- وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا * ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا * وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا * لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْآسِيَّ كَثِيرًا * وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ

(١) التكرار في إثبات وجدانية الله، ص ١٦٣.

لِيَذْكُرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا * وَلَوْ شِئْنَا لَبعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا * فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ
وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا * وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ
بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا * وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ
رَبُّكَ قَدِيرًا * وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا *
[الفرقان: ٤٥-٥٥].

٣- وقال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ
بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * هَذَا خَلْقُ
اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [لقمان: ١٠-١١].

٤- وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ
الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ
الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي
الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ
كَالظُّلُمِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا
كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان: ٢٩-٣٢].

٥- وقال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يَكُوِّرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ
النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ *
خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي
بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
فَإِنِّي تُصْرِفُونَ﴾ [الزمر: ٥-٦].

٦- وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو
فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ * ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
فَإِنِّي تُؤْفِكُونَ * كَذَلِكَ يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ * اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ
قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ
رَبُّ الْعَالَمِينَ * هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
[غافر: ٦١-٦٥].

فمن خلال هذه الآيات يجد الباحث أن الله تعالى ذكر أصنافاً كثيرة من مظاهر قدرته، فلفت الأنظار إلى الكون وما فيه من مخلوقات، فهو الذي خلق السموات والأرض، وسخرها للعباد، وهو الذي سخر الليل والنهار، فجعل الليل لباساً وسكنى، وجعل النهار مبصراً، للانتشار وكسب الرزق، وهو الذي سخر الفلك؛ لتجري في البحر بما ينفع الناس، وهو الذي أنزل الماء من السماء، فجعله طهوراً، وأحيا به الأرض، وسقى منه الناس والأنعام، وجعل منه كل شيء حي، وهو الذي خلق الشمس والقمر، وسخرهما للناس، وجعل النجوم علامات، يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر، إن كل ذلك فيه دليل على كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته وأنه المستحق للعبادة وحده.

وما ينبغي ملاحظته في هذه الآيات أن تكرار ذكر انفراد الله تعالى بالخلق والتدبير والتقدير ليس لإقناع المشركين بربوبيته تعالى فقط - فكثير منهم مؤمن بهذا الجانب^(١) - بل إن أكثره لإقامة الحجة على بطلان شرك العباد بدعاء غير الله تعالى؛ لأجل التقرب إليه بأولئك الأولياء^(٢)، فشرُّ الشرك وأوغله في إفساد العقائد إنما هو توجه العبد إلى غير الله تعالى فيما يشعر بالحاجة إليه من كشف ضرراً أو جلب نفع من غير طريق الأسباب.

إن هذا الاهتمام الكبير للقرآن الكريم بقضية التوحيد، وتنوع طرق العرض وتكرارها قد يدفع الباحث للسؤال عن الأسباب التي تكمن وراء هذا الاهتمام البالغ، لعلَّ الجواب يكمن في أن ما بذله القرآن - ويبدله - في تقرير التوحيد يتناسب تماماً مع ما كانت البشرية غارقة فيه من ضلالات الجاهلية الأولى، ومع ما تعيشه اليوم من جاهلية تتقاطع في كثير من جوانبها مع الجاهلية الأولى.

(١) يدل على ذلك كثير من الآيات القرآنية كقوله تعالى: ﴿وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧].

(٢) يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨].

الفصل الثاني : الأساليب العقلية

المبحث الأول : أسلوب الحوار

المبحث الثاني : أسلوب الجدل

إنَّ الحوار والجدل من لوازم الحياة البشرية، ومن مقتضيات العلاقة بين البشر، فهما طريق التواصل والتفاهم فيما بينهم، وهما أسلوبان مهمان؛ لتبادل المعارف والعلوم، وتلاقح الأفكار، وتقريب وجهات النظر المتباينة.

ومن ناحية أخرى فإنَّ كثيراً من الباحثين قديماً وحديثاً يجمعون في المعنى بين الحوار والجدل على أساس أنَّهما يندرجان تحت منهجية خطابية واحدة في إقناع الغير أو التأثير فيه، وإلزامه الحجة، أو الغلبة عليه في قضية من القضايا الفكرية أو العقدية أو غيرها. والحقيقة أنَّ الحوار والجدل وإن التقيا في صعيد فكري واحد من حيث كونهما من أساليب الخطاب للتأثير في الآخرين، وتوفير القناعة الفكرية، وإقامة الحجة على قضية ما، فإنَّ لكلٍ معناه ودلالته الخاصة، وظروف استخدامه.

لذلك يأتي الحديث عن الحوار والجدل في المبحثين الآتين ببيان معنى كل منهما وأهميتهما ودورهما في الدعوة والإقناع، ونماذج تطبيقية لاستخدام القرآن الكريم لهما في الدعوة العقدية.

المبحث الأول : أسلوب الحوار

المطلب الأول : مفهوم الحوار والحوار القرآني وبيان أنواعه

أولاً: الحوار لغةً: الحوار مشتقٌ من الحَوْر، وهو الرجوع من شيءٍ إلى شيءٍ آخر^(١)، ومنه قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ [الانشقاق: ١٤] أي: كان يعتقد أنه لا يرجع إلى الله تعالى، ولا يعيده بعد موته^(٢)، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: «وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكَفْرِ أَوْ قَالَ: عَدُوَّ اللَّهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ»^(٣)، أي: يرجع إليه ما نسب إليه.

والحوار: المراجعة في الكلام، قال الراغب: «المحاورة والحوار: المُرَادَةُ في الكلام، ومنه التحاوَر»^(٤)، والمراجعة في الكلام تكون بين طرفين أو أكثر، وقد ورد لفظ الحوار مشتقاً بهذا المعنى في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم:

الأول: قال تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: ٣٤].

الثاني: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٧]، قال الزمخشري: «يحاوره: يراجعه الكلام، من حار يحور إذا رجع، وسألته فما أحر كلمة»^(٥).

الثالث: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]، قال الزمخشري في تفسير (تُجَادِلُكَ): «قرئ: تحاورك. أي: تراجعك الكلام»^(٦).

(١) انظر: لسان العرب، مادة (حور).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ٥٩٢/٤.

(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم، كتاب (الإيمان)، باب (بَيَانِ حَالِ إِيْمَانٍ مَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُ)، رقم ٢٢٦٠/١، ٥٧/١، ولفظ الحديث كاملاً: «لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لغير أبيه وَهُوَ يَعْلَمُهُ إِلَّا كَفَرَ، وَمَنْ ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ فَلَيْسَ مِنَّا، وَلَيَتَبَوَّأَنَّ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكَفْرِ أَوْ قَالَ: عَدُوَّ اللَّهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ».

(٤) مفردات ألفاظ القرآن، ٢٧٢/١.

(٥) الكشف، ٤٨٣/٤.

(٦) المرجع السابق، ٦٧٤/٢.

ثانياً: الحوار اصطلاحاً: عُرِّفَ الحوار اصطلاحاً بتعريفات متعددة، لا تخرج غالباً عن المفهوم اللغوي للحوار، ومن أوضح هذه التعريفات وأقربها للدقة:

١- الحوار: «أسلوب يجري بين طرفي، يسوق كل منهما من الحديث ما يراه، ويقتنع به، ويراجع الطرف الآخر في منطقته وفكره؛ قاصداً بيان الحقائق وتقريرها من وجهة نظره»^(١).

٢- «الحوار: أسلوب منظم في عرض القضايا، ومراجعة الكلام حولها، من قبل طرفين أو أكثر؛ للوصول إلى توافق أو اتفاق عليها، أو لتوليد مفهوم أو فكر جديد»^(٢).

٣- الحوار: «نوع من الحديث بين شخصين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة ما، فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عند الخصومة والتعصب»^(٣).

٤- «الحوار اصطلاحاً هو: مراجعة الكلام بين طرفين مختلفين، مع تقديم الحجج والبراهين؛ لإقناع أحدهما برأي الآخر، أو لتقريب وجهات النظر»^(٤).

والملاحظ في هذه التعريفات تركيزها على جانب المراجعة الهادئة في الخطاب، فغالباً ما تستخدم كلمة الحوار بإزاء الحرص على الوصول للاتفاق أو التوافق، بعيداً عن الخصومة، كما أنها تستخدم في عرض الأفكار، ومراجعة الكلام فيها حتى يتبلور منها مفهوماً يكون موضع رضا وقبول لدى كل من أطراف الحوار.

ثالثاً: الحوار القرآني وأنواعه

يُعرَّف (النحلاوي) الحوار القرآني تعريفاً شاملاً لأصناف كثيرة من أساليب الخطاب القرآني، فهو عنده: كل نداء أو خطاب أو سؤال يوجهه القرآن، أو يحكيه موجهاً إلى منادى

(١) عبد الستار إبراهيم الهيتي، الحوار الذات والآخر، ضمن سلسلة كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (قطر)، ط ١، ١٤٢٥هـ، السنة الرابعة والعشرون، العدد: ٩٩، ص ٤٠.

(٢) إحسان عبد المنعم سمارة، أضواء قرآنية على دور الجدل والحوار في الدعوة للإسلام، بحث مقدم لمؤتمر الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي، جامعة الشارقة-كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٤٢٨هـ، ص ٦.

(٣) محمد راشد ديماس، فنون الحوار والإقناع، دار ابن حزم (بيروت)، ط ١، ١٤٢٠هـ، ص ١١.

(٤) أحمد محمد الشرقاوي، الحوار القرآني في ضوء سورة الأنعام، بحث مقدم لمؤتمر الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي، جامعة الشارقة-كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٤٢٨هـ، ص ٧.

أو مخاطب أو مخاطبين، حول أمر مهم؛ «بقصد توجيههم أو توجيه اهتمامهم إلى هذا الأمر، أو إلى تحقيق هدف معين، أو القيام بسلوك فكري أو اعتقادي أو اجتماعي أو أخلاقي أو تعبدي، وعددها حواراً مع تقديرنا لاستجابة المخاطب أو تجاوبه النفسي أو مع ملاحظة جواب القرآن على السؤال أو النداء المطروح»^(١).

والمحوار القرآني يأتي على صور أو أنواع متعددة تهدف في مجموعها لتقرير الإيمان في النفوس، وإيصال الحق إلى البشر وإرشادهم، أهم هذه الأنواع أربعة:

١- الحوار البرهاني (الجدلي).

٢- الحوار الوصفي.

٣- الحوار القصصي.

٤- الحوار التشريعي^(٢).

١٠

وفيما يأتي يشرح الباحث هذه الأنواع شرحاً موجزاً مدعماً بالأمثلة حيث تطلب الأمر:

النوع الأول: الحوار البرهاني (الجدلي).

الحوار البرهاني أو الجدلي هو الأسلوب الذي يؤلف بمجموع أسئلته وأجوبتها برهاناً منطقياً، يلزم المخاطب بالإقرار بالأمر الذي صيغ الحوار من أجل إقناعهم به وهدايتهم إليه^(٣).

١٥

وفي الحقيقة إنَّ هذا النوع يدخل في مفهوم الجدل الذي يأتي بحثه بشكل مفصل في المبحث الثاني؛ لذلك لن يفصل الباحث في شرحه وبيان صنوف استدلالاته، وإنما يكتفي بعرض هذا المثال له: قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ

(١) عبد الرحمن النحلاوي، التربية بالحوار، دار الفكر (دمشق)، ط ١، ١٤٢١هـ، ص ١٤.

(٢) انظر: الإقناع في التربية الإسلامية، ص ٩٣، ومحمد عدنان القضاة، مفهوم الحوار في القرآن الكريم وانعكاساته التربوية، قسم الإدارة وأصول التربية، كلية التربية-جامعة اليرموك، إشراف: د. حسن الحيارى، ١٤٢٣هـ، ص ٢٢-٢٣، وفتحي الموصلي، فقه الحوار مع المخالف، الدار الأثرية (عمان)، ط ١، ١٤٢٨هـ، ص ١٥.

(٣) انظر: التربية بالحوار، ص ٢١.

فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصِرُّونَ﴾ [يونس: ٣١-٣٢] تعالج هذه الآيات قضية القرآن الكريم الأولى، وهي الدعوة إلى إفراد الله تعالى بالعبادة، وإثبات بطلان عبادة غيره، ولما كان حال المشركين أن تمادوا في عنادهم وطغيانهم، فلا يُتَوَقَّعُ منهم أن يتجاوبوا مع هذا الحوار القرآني؛ لذلك يسلك القرآن الكريم معهم مسلك صياغة أسئلة وأجوبة، تغني عن جواب المشركين؛ ليقم عليهم الحجة بها، وليتم تقرير ما يُراد تقريره، مما يلزمهم الإقرار به، بالحجة والبرهان لزوماً منطقياً ناشئاً عن بداهة المقدمات التي صيغت في أسئلة المرحلة الأولى من هذا الحوار التي تحكي واقعهم، أو تعبر عما هو مشاهد بالحس والواقع، فلا يمكن إنكاره، وقد تمثلت هذه الأسئلة بأربعة:

الأول: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: ٣١].

الثاني: ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ [يونس: ٣١].

الثالث: ﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [يونس: ٣١].

الرابع: ﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ [يونس: ٣١].

سيكون جوابهم عن هذه الأسئلة: ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١] فالمشركون لا يسعهم إلا الإقرار بأن الله وحده المتصف بأنه الرزاق المحيي المميت المدبر للكون، مما لا يمكن أن يتصف بها الشركاء الذين يعبدونهم مع الله تعالى.

ثم تأتي المرحلة الثانية من الحوار المبنية على أسئلة المرحلة الأولى، تبين خطأ المشركين وضلالهم وبعدهم عن الصواب، فيسألهم: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ؟﴾ [يونس: ٣١] أي: أفلا تخشون الله؟ كيف تكفرون به، وتجعلون له أنداداً وشركاء تعبدونهم من دونه؟ وفي هذه المرحلة يقرر القرآن الحقيقة التي تلزمهم ولا يعترفون بها: ﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ﴾ [يونس: ٣٢]، ثم يسألهم مستنكراً: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصِرُّونَ﴾ [يونس: ٣٢] عن الحق، وهو عبادة الله وحده، والدينونة له، وترك عبادة الأصنام؟ هذه الأسئلة الإنكارية حلت محلّ جوابهم الأخير، الذي أجاب به من آمن منهم، فشهد شهادة الحق بعد سماع القرآن وتدبره^(١).

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٢٠.

ويمكن عرض الحوار السابق على صورة مقدمات برهانية، تلزم عنها النتيجة لزوماً منطقياً، يقرُّ به كل ذي عقل صحيح وفطرة سليمة، وذلك كالاتي:

المقدمة الأولى: الله تعالى هو الرازق، وهو الذي يملك السمع والأبصار، ويخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، ويدبر الكون، ولا أحد غيره قادر على فعل هذا. ٥
المقدمة الثانية: لا يستحق الألوهية والعبادة من لا يرزق، ولا يخلق، ولا يحيي، ولا يميت، ولا يدبر الكون.

النتيجة: الله تعالى وحده المستحق للألوهية والعبادة؛ لأنَّه الخالق الرازق المحيي المميت المدبر لشؤون الكون^(١).

النوع الثاني: الحوار الوصفي.

١٠ الحوار الوصفي يكون بين طرفين أو أكثر، يصف حالة واقعية أو نفسية لبعض المتحاورين، بحيث يُشعر المتلقين بها؛ بقصد هدايتهم للاقتداء بالصالحين منهم، والابتعاد عن سلوك الفاسدين الذي أودى بهم، وأوصلهم إلى الخزي والندم والعذاب النفسي والجسدي^(٢).

ويأتي هذا النوع على أشكال متعددة، أبرزها خمسة:

١٥ الأول: حوار بين أهل النار بعضهم مع بعض، وقد يتخلله عنصر ثالث يصدر الأوامر، ويعلق على الحوار، أو يسأل بعض المتحاورين عن بسبب مصيرهم، مثاله قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ * وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ * قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: ٤٧-٥٠] ٢٠

الثاني: حوار بين أهل الجنة بعضهم مع بعض، حيث يتذكرون الحياة الدنيا، وسبب ما صاروا إليه من لذة ومتاع، مثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ * فَكِهِينَ بِمَا

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٢٢.

(٢) انظر: الإقناع في التربية الإسلامية، ص ٩٧، ومفهوم الحوار في القرآن الكريم وانعكاساته التربوية، ص ٢٥، والتربية بالحوار، ص ٢٦.

آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * مُتَكِينِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْنُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ * وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ * يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ * وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ * إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨-١٧﴾ [الطور: ٥]

الثالث: حوار بين أهل الجنة وأهل النار، وقد يتخلله طرف ثالث يعلق على كلام أحد المتحاورين؛ ليزيد الموقف وضوحاً، كما هو الحال في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ * ونَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تُلْكُمُ الْجَنَّةَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * ونَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ * وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ * وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * ونَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ * أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ * ونَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ * الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمُ الدُّنْيَا فَاَلْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٤٢-٥١﴾ [الأعراف: ٢٥]

الرابع: حوار أصحاب النار مع أعضائهم بعد أن تشهد عليهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ * حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ

الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ [فصلت: ١٩-٢٢].

الخامس: حوار الله تعالى مع المجرمين الذين حقَّ عليهم العذاب، مثاله قوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ * أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ * قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ * إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا إِنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ * قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِينَ * قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٣-١١٤].

ومن الملاحظ في هذا النوع من الحوار أنه غالباً ما يُساق لغرض الترغيب والترهيب، يساعد على ذلك أن هذه الحوارات تُعرض مُصَوَّرةً بشكل دقيق، يصف الموقف وكأنه رأي العين، مما يزيد التأثير العاطفي الذي ينتج عنه الاقتناع الفكري بالغرض الذي سيق الحوار لأجله، كما أن هذه الحوارات التي تعرض ما سيحصل في المستقبل بصيغة الواقع حالاً تحدث أثراً عظيماً في النفس عن طريق الإيحاء، هذا الإيحاء أقوى في الإقناع من التصريح في وجوب سلوك ما يرضي الله تعالى، ولزوم الابتعاد عما يوجب عذابه.

النوع الثالث: الحوار القصصي.

يقصد بالحوار القصصي ما يدور من حديث بين شخصيات القصة، والذي ينصب على تحقيق الأهداف والقناعات العقدية والأخلاقية والتشريعية المطلوب تبليغها للمتلقين؛ لحملهم على تحقيق المنهج الرباني الذي يلزم من هذه القناعات، وتنظيم حياتهم وعلاقاتهم وفقاً له^(١).

والحوار القصصي - كعنصر من عناصر القصة على ما سيأتي عند الحديث عن الأسلوب القصصي - يساعد على إبراز فكرة القصة وتوضيحها؛ لأن كل طرف من أطراف القصة

(١) انظر: التربية بالحوار، ص ٦٣.

يحاول أن يثير الجوانب التي يؤمن بها، ويدافع عنها، كما يساعد على تجسيد المواقف، وإحياء المشاهد القصصية، حتى يشعر المتلقي بالحياة تدبُّ فيها، مما يؤثر فيه، ويجعله يعيش الأحداث في وجدانه، كما لو كان حاضراً بجسده مع أبطال القصة، يشعر بالحدث كما شعروا، وينفعل به كما انفعلوا، ومن أمثلة هذا النوع من الحوار -الكثيرة- حوار نوح عليه السلام مع المكذبين من قومه في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ * فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ * وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ * وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَكُثِرَتْ جِدَالُنَا فَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ * وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: ٢٥-٣٤].

ففي هذا المشهد القصصي يعرض نوح عليه السلام -وهو طرف الحوار الأول- دعوة التوحيد على قومه، فبين لهم أنه رسول لهم من عند الله تعالى، وأنذرهم عذاب يوم القيامة. فما كان من القوم -وهم طرف الحوار الثاني- إلا أن كذبوا بدعوته، وأعرضوا عنها، متمسكين بشبه متعددة، فما كان من نوح عليه السلام إلا أن سلك معهم سلوك النبي، فإرد شبههم، وبين زيفها، عند ذلك يسوا من مناهضة الحجة بالحجة، فإذا هم على عادة أمثالهم تأخذهم العزة بالإثم، إذ يمنعهم استكبارهم وتجبرهم أن يُغلبوا بالحجة، أو يُدعوا للبرهان العقلي والفطري، فتركوا الجدل إلى التحدي، فوقف نوح عليه السلام من تكذيبهم وتحديهم هذا موقف النبي، لا يقعه عن بيان الحق لهم، وإرشادهم إلى الحقيقة التي غفلوا عنها، وجهلوا في طلبهم منه، أن يأتيهم بما أوعدهم، وردهم إلى هذه الحقيقة وهي: أنه ليس سوى رسول، وليس عليه إلا البلاغ، أما العذاب فمن أمر الله تعالى، وهو الذي يدبر الأمر

كله، ويقدر المصلحة في تعجيل العذاب أو تأجيله، وسنته هي التي تنفذ، وما يملك هو أن يردّها أو يحولها، فما هو إلا رسول وظيفته أن يكشف عن الحق ويبينه.

النوع الرابع: الحوار التشريعي.

الحوار التشريعي يتضمن كل خطاب أو نداء أو سؤال يوجهه القرآن الكريم لعباد الله تعالى أو الرسول صلى الله عليه وسلم؛ ليحضّهم على الاستجابة لمضمون الخطاب أو النداء أو السؤال بعواطفهم ووجدانهم وتفكيرهم استجابة واقعية مؤثرة ومقنعة^(١). ويأتي هذا النوع على أشكال متعددة، أهمها:

- ١- الحوار الخطابي: وقد يكون الخطاب موجهاً للنبي صلى الله عليه وسلم؛ لإشعاره بمسؤولية التبليغ، نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧]، أو للفت النظر إلى أهمية الأمر الذي يُراد منه تبليغه أو إنجازه، كما هو الحال في شأن الجهاد في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التحریم: ٩]، أو لتخصيصه صلى الله عليه وسلم بمدح أو تشريع خاص به كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٠]. وقد يكون الخطاب موجهاً للمؤمنين لبيان حكم ينبغي التزامه، أو أدب يجب التحلي به، أو قبيح ينبغي الابتعاد عنه، نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ٩٤]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا

(١) انظر: الإقناع في التربية الإسلامية، ص ٩٣، والتربية بالحوار، ص ٦٩.

الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ [الحجرات: ١١]. وقد يكون الخطاب موجهاً للناس عموماً، وذلك لأغراض كثيرة، كدعوتهم إلى عبادة الله تعالى وتوحيده، نحو قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، أو لإرشادهم إلى أنهم ينتمون بالولاء، إلى ربٍّ واحد كما ينتمون بالقرابة إلى أصل واحد، وأنهم سواسية أمام الله تعالى وأمام شريعته، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]^(١).

١٠ - ٢- الحوار التنبهي أو الإيضاحي: ويأتي هذا الشكل على هيئة سؤال يعقبه جوابه، وغايته لفت الأنظار إلى أمر مهم، نحو قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ * الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ [النبا: ١-٣].

١٥ - ٣- الحوار التعريضي: وهو الخطاب المتضمن التعريض بفرد أو جماعة ما، بذكر مساوئهم والاستهزاء بباطلهم؛ لغرض التحذير من سلوكهم، نحو قوله تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهَلْهُمْ قَلِيلًا * إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا * وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا * يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيًّا مَهِيلًا﴾ [المزمل: ١١-١٤]^(٢).

(١) انظر: التربية بالحوار، ص ٧٥-٨٥.

(٢) انظر: الإقناع في التربية الإسلامية، ص ٩٤، ومفهوم الحوار في القرآن الكريم وانعكاساته التربوية، ص ٢٣.

المطلب الثاني : أهمية الحوار وضوابط نجاحه وعوامل فشله

أولاً: أهمية الحوار

إنَّ الحوار من أرقى أساليب الاتصال بالآخرين؛ إذ يتبادل فيه الطرفان المتحاوران وجهات النظر، ويُعطى كل منهما حرية طرح رأيه وفكرته، وفرصة الرد والمناقشة؛ لذلك عني المفكرون قديماً وحديثاً بهذا الأسلوب؛ لما له من أهمية في الإقناع الذاتي؛ إذ هو الطريق الأمثل للاقتناع الذاتي الذي ينبع من أعماق صاحبه، والاقتناع هو أساس الإيمان الذي لا يمكن أن يُفرض فرضاً، وإنما ينبع من داخل الإنسان. ومن هنا كان الحوار ضرورة معرفية عقلية وضرورة نفسية وضرورة اجتماعية وضرورة تربوية.

أما كونه ضرورة معرفية عقلية فيتجلى ذلك من خلال:

- ١٠ - ١- إنَّ الحوار أسلوب مهم في اكتساب العلم وتلقي المعرفة، وذلك يمرُّ بمرحلتين: الأولى: يعمل الحوار على تكوين الخبرات لدى الفرد. وتُعرَّف الخبرة بأنَّها: «ارتباط بين الإنسان وبين النتائج التي عاناها من تعامله مع شيء أو شخص أو مجموعة مؤثرات متكاملة، وهذا الارتباط يترك في الإنسان تغييراً فكرياً وجدانياً سلوكياً، يستفيد منه للتكيف في المستقبل مع أشياء أو أشخاص أو خبرات مشابهة، ولا يتم ذلك إلا إذا ترك هذا الارتباط أثراً في التفكير، وهذا يدل على أنَّ قيمة الخبرة وفائدتها تُقاس بما تؤدي إليه من إدراك العلاقات واللواحق»^(١). والذي ينظر في نماذج الحوار القرآني السابقة يُلاحظ أنَّها لا تتعامل مع الخبرات الحسية فحسب؛ بل تنقل المتلقي للتعامل مع خبرات عقلية تتعلق بالله تعالى خالق الأكوان ومديرها؛ ليكون للفرد تعلق وارتباط مستمر به. والقارئ لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠] يُلاحظ كيف أنَّ القرآن يحض الإنسان على النظر؛ ليربي بصره وحواسه على تكوين الخبرات. الثانية: البحث عن العلاقات بين الأشياء بعد تكوين خبرات عنها. ففي المثال السابق يعمل الحوار القرآني البرهاني على تربية العقول

(١) انظر: التربية بالحوار، ص ٢٠٩، نقلاً عن: جون ديوي، الديمقراطية والتربية، تر: متى عقراوي وزكريا ميخائيل، لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة)، ١٩٤٦م، ص ١٤٥-١٤٦.

على الانتقال من المحسوس المادي إلى المعنوي المجرد، من الإبل التي يعاينها الإنسان إلى التفكير في خلقها وأسلوب حياتها، ومن السماء التي يراها إلى التفكير في بنائها، وجعلها مرفوعة بكواكبها وأجرامها التي لا بدَّ من قوة تمسكها، وتمنعها من السقوط، ومن الجبال التي يراها شاهقة بصخورها الضخمة إلى التفكير في القوة التي أقامتها ونصبته، ومن الأرض الممهدة التي يعيش عليها، ويسخرها لخدمته إلى التفكير في كيفية بسطها وتمهيدها. ثمَّ ينتج عن هذه الانتقالات إدراك علاقة هذه المخلوقات بخالقها، وعلاقة مظاهر الحكمة والتدبير بالحكيم المدبر. إنَّ هذه الانتقالات هي ما يقصد بالبحث عن العلاقات^(١).

٢- يربي الحوار العقلَ على المحاكمة والاستدلال والتفكير المنظم، كما يعد أداة لتلاقح الأفكار، وبيان الخطأ فيها من الصواب، وذلك من خلال نظر كل متحاور إلى دليل الآخر، مما يدفع كل من الطرفين إلى أن يبصر نفسه، وينقد ذاته^(٢).

وأما كونه ضرورة نفسية فيتضح ذلك إذا عُلِمَ أنَّ الحوار أحد الطبائع المتأصلة للنفس الإنسانية، وهو من الصفات اللازمة للإنسان في طبيعة خلقه وتكوينه ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤] وهذه الطبيعة شأنها شأن سائر الصفات الفطرية التي تميز الإنسان عن سائر المخلوقات، ويدل على أنَّها من الطبائع المتأصلة في النفس كون الإنسان يستخدم هذا الأسلوب -أو ما هو قريب منه- للدفاع عن نفسه أمام خالقه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١]، ويستخدم الإنسان هذا الأسلوب للإقناع تارةً، وللتبرير والدفاع تارةً أخرى، وهذه كلها ترجمة للجوانب النفسية، وناشئة عن أمور نفسية، ويمكن إجمال الفوائد التي يضيفها الحوار للنفس الإنسانية بالنقاط الآتية:

١- يسهم الحوار في تبريد الأجواء النفسية لدى المتحاورين حيث ينقل ساحة الحوار إلى مواقع ونقاط الالتقاء بين الطرفين.

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٢٠٩-٢١٠.

(٢) انظر: يوسف علي فرحات، الحوار أصوله وضوابطه وأثره في الدعوة الإسلامية، بحث مقدم إلى مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، الجامعة الإسلامية بغزة-كلية أصول الدين، ١٤٢٦هـ، ضمن بحوث المؤتمر، ص ١٦١.

٢- يلجأ المرء إلى الحوار كأسلوب من أساليب التنفيس عمّا في النفس من أمور داخلية؛ لذلك إذا قبل المرء بقمع الأفكار، والمنع من طرحها فإنّ ذلك يكون نوعاً من الكبت النفسي.

٣- من شأن الحوار أن يقوم بتجسيد المعاني في صور محسوسة، وهذا بدوره يشير اهتمام السامع بصورة أشد، كما لذلك دور كبير في ترسيخ المعاني، وتثبيتها في النفوس؛ إذ من طبيعة النفوس ألا تقف طويلاً مع المعاني المجردة.

٤- يستخدم الحوار لمعرفة ما عند الآخرين، وذلك ضمن ما يُعرف بمبدأ جس النبض، أو اختبار الخصم، حيث يتم في ضوء النتائج الأولية معرفة ردود فعل الآخرين، وبالتالي توظيفها في متابعة الحوار، وطرح الأفكار، فهو بهذا يكون وسيلة لاختبار نفسية الآخرين، والتعامل معهم في ضوء معطياتهم الأولية^(١).

وأما كونه ضرورة اجتماعية فيتجلى ذلك من خلال:

١- إنّ الحوار هو السبيل الأسمى لضبط الاختلاف المذموم (اختلاف التضاد)، وتفعيل قيم التعاون والتآلف، ودونه يدخل المجتمع في شتى صنوف النزاعات، ويصبح معرضاً للفرقة والتفتت؛ وذلك لأنّ القمع لا ينهي الفرقة والتجزئة، إنما يزيدا تأججاً واشتعالاً؛ إذ البديل المتوفر عن الحوار هو عمليات الإقصاء والتهميش والتمييز والتعصب الأعمى المؤدي إلى الحروب الأهلية، والناظر في حال المجتمعات التي ابتليت بالحروب الأهلية يجد أنّ الأزمة استفحلت في هذه المجتمعات حينما أغلق باب الحوار، وغابت قيم التسامح والتعددية والمشاركة.

٢- الحوار أداة للتفاهم مع الآخرين؛ لأنّ الحوار يهدف إلى شرح وجهة نظر الفرد، وتبيان المعطيات التي تقوم عليها، وفي الوقت نفسه الانفتاح على الآخر؛ لفهم وجهة نظره ثم للتفاهم معه، لأنّ التفاهم لا يكون دون فهم متبادل. والحوار هو الطريق إلى استيعاب المعطيات والوقائع المكونة لمواقف الطرفين المتحاورين ثم إلى تفاهمهما^(٢).

(١) انظر: عبد الله الجبوسي، أسلوب الحوار في القرآن الكريم خصائصه الإعجازية وأسراره النفسية، بحث منشور في المجلة الأردنية للدراسات الإسلامية، ١٤٢٧هـ، العدد: ٢، ص ١٣-١٤.

(٢) انظر: محمد أحمد حسن القضاة، الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي، بحث مقدم لمؤتمر الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي، جامعة الشارقة-كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٤٢٨هـ، ص ٦-٧.

وأما كونه ضرورة تربوية فيتضح من خلال الدور الكبير الذي يلعبه الحوار في العملية التربوية؛ إذ هو من الأساليب التربوية التي تنادي به جميع مدارس التربية «وهو أسلوب يتحاور به المعلم لإثارة انتباه السامع، والوصول للإقناع، وتشويق النفس إلى الإجابة، وحضها على التفكير والوصول إلى الجواب الصحيح»^(١). كما أن هذا الأسلوب يُوجد التفاعل الدائم بين الطالب والمنهج والمعلم، ويوجد روح المنافسة بين الطلبة، فيحملهم على الدخول في ميادين المناقشة العلمية، كما يثبت فيهم روح الجماعة والتعاون، ويبعد عنهم الأنانية، والاستبداد بالرأي، ويثبت فيهم روح الألفة والمحبة، ويعودهم على النظام والتعاون، ويساعد على الابتكار واحترام المتعلم لذاته^(٢).

ثانياً: ضوابط نجاح الحوار

يُقصد بضوابط الحوار: تلك القواعد الرئيسة الثابتة التي تنظم مسار الحوار، فتعصم المتحاورين من الانحراف، وتساهم في كبح جماح الفهم الخاطئ، وتمنع من تسرب التأويلات المشوشة. هذه الضوابط متعددة ومتنوعة:

الضابط الأول: تحديد موضوع الحوار.

ينبغي بادئ ذي بدء تحديد موضوع الحوار، ذلك أن الحوار لا يتحقق من فراغ، وإنما يدور حول موضوع يستحق البحث والمناقشة، وتبادل الآراء مع الغير؛ ولأن عدم تحديد موضوع الحوار يجعل عملية التحاور ليست ذات بال، ولا طائل منها؛ بل إنها تتحول من محاوره علمية إلى صيغة كلامية توصل أطرافها إلى اللجاج، الذي يقتصر الأمر فيه على النقاش لذاته، ويكون هم المتحاورين إحراز غلبة على الخصم، ونيل الشهرة دون هدف علمي منشود.

(١) فواز بن مبيرك الصعيدي، الأساليب التربوية النبوية المتبعة في التوجيه وتعديل السلوك، رسالة ماجستير من قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية-جامعة أم القرى، إشراف: د. حامد الحربي، ١٤٣٠هـ، ص ١٨٨.

(٢) انظر: سلمان خلف الله، الحوار وبناء شخصية الطفل، مكتبة العبيكان (الرياض)، ط ١، ١٤١٩هـ، ص ٥١-٥٢، ومحمود الشوبكي وسامي قاسم، أهمية الحوار وأثره على الدعوة والتعليم، بحث مقدم إلى مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، الجامعة الإسلامية بغزة-كلية أصول الدين، ١٤٢٦هـ، ضمن بحوث المؤتمر، ص ٩٠-٩١.

وإن أهم ما ينبغي الاهتمام به في هذا الجانب هو معرفة الطرفين المتحاورين دقائق الموضوع المطروح للتحاور؛ لأن الجهل به وعدم الإطلاع على تفاصيله يحول الحوار إلى أسلوب من أساليب الشتائم والمهاترات بدلاً من طرح الفكرة المعينة والدفاع عنها، ذلك أن المعرفة التامة بالقضية التي يجري الحوار بشأنها تجعل المحاور يعلم كيف يبدأ الحوار، وكيف يعالج مفرداته، وكيف ينتهي منه، في وضوح الرؤية وهدوء الفكر وقوة الحجة ووداعة الكلمة. ٥

وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض النماذج البشرية التي وقفت ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعوته من دون أن يكون لها علم بالقضية المطروحة أو إحاطة بعناصرها؛ إذ قال تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٦]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦]، فهذه الآيات تثبت أن القرآن الكريم يأخذ على كل أولئك الذين يخاصمون الأنبياء، أنهم يدخلون في معركة الحوار دون سلاح؛ لأنهم لا يملكون علماً أو حجة، وليس لديهم إحاطة بالموضوع الذي يتحاورون فيه، مما يجعل حوارهم ورفضهم لنتائجه قضية مزاج، وعقدة نفسية تتحكم بهم فتدفعهم إلى اللف والدوران وإلى التكذيب بلا مبرر، الأمر الذي لا يؤدي إلى أية نتيجة لحساب المعرفة أو لمصلحة الحق^(١).

الضابط الثاني: تحرير محل النزاع وتحديد المفاهيم والمصطلحات.

إن تحرير محل النزاع يمنع من تشعب الحديث وإطالة النقاش، كما أن المفاهيم متى تحددت معانيها، والقضايا متى وضحت معالمها، سهل الوصول إلى اتفاق بين المتحاورين، وظهر الرأي الذي تؤيده الحجة القوية، وتطمئن إلى صحته العقول السليمة. ٢٠ والمتتبع لكثير من اختلافات العلماء قديماً وحديثاً يجد أنها وليدة الاختلاف في تحديد مفاهيم الأشياء، ومدلول الكلمات والمصطلحات، فكثيراً ما يحتد النزاع حول معنى أو مفهوم معين لو حُدِّدَ بدقة، وشرِّحَ بجلاء لأمكن للطرفين أن يلتقيا عند حدٍّ وسط، وكثيراً ما يشتد الخلاف بين فريقين ثم يتبين في النهاية أن الخلاف كان لفظياً، أو لا ثمره عملية تُجنى

(١) انظر: الحوار الذات والآخر، ص ٥٤-٥٦.

من ورائه، ولو حُددت المفاهيم، وزال اللبس عنها لاقتربت المسافة بين الفريقين المختلفين، وقد يزول الخلاف من أساسه^(١)، والمتتبع لخلافات المتكلمين يجد أن كثيراً من خلافاتهم ترجع لعدم توارد الأطراف المختلفة على نقطة واحدة، كخلافهم في زيادة الإيمان ونقصانه، وخلق القرآن وغيرها.

٥ الضابط الثالث : تحديد المعايير والأصول التي يُحتكم إليها.

يُقصد بالمعايير والأصول تلك الموازين التي يحتكم إليها الطرفان المتحاوران عند الخلاف، فإذا لم يكن هناك معيار يرضاه الطرفان ظلَّ الخلاف قائماً، ولم يحسم؛ بل لم يقبل الحسم؛ لأنَّ كل طرف يدعي أنَّ معه الحق الذي لا يشوبه الباطل، والصواب الذي لا يتطرق إليه الخطأ^(٢).

١٠ فإذا كان الحوار بين مؤمنين وملحدين كان المعيار هو العقل، والحقائق العلمية المتفق على التسليم بها، وإذا كان بين مؤمنين بوجود الخالق أُضيف إلى العقل والحقائق العلمية المتفق عليها المحاكمة إلى حقائق دينية يؤمن بها كل من الفريقين، وإذا كان بين منتسبين إلى دين واحد كالإسلام مثلاً كانت المعايير مراجع دينهم الذي به يؤمنون^(٣).

الضابط الرابع : تحديد الهدف من الحوار.

١٥ لا بدَّ من تحديد الغاية التي يريد المتحاوران الوصول إليها من وراء التحوار، وإذا ما كان الحوار صادقاً ونافعاً فلا بدَّ أن يحدد له هدف يمكن الإشارة إليه صراحةً أو ضمناً، ومهما يكن من أمر فإن غايات الحوار لا تخرج عن الغايات الآتية:

١- الوصول إلى تفسير متفق عليه حول موضوع المحاور.

٢- الرغبة في تخطي حالة العقم الفكري، أي: تجاوز ثقافة البعد الواحد، ورفض

٢٠ الانسياق وراء المذهب المتسلط السائد.

(١) انظر: الحوار أصوله وضوابطه وأثره في الدعوة الإسلامية، ضمن بحوث المؤتمر، ص ١٦٩، وسعد عاشور، ضوابط الحوار مع الآخر، بحث في مجلة الجامعة الإسلامية بغزة، المجلد السادس عشر، العدد الأول، ٢٠٠٨م، ص ٩٦.

(٢) انظر: الحوار أصوله وضوابطه وأثره في الدعوة الإسلامية، ص ١٧٢.

(٣) انظر: الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي، ص ١١.

٣- الرغبة في تخطي حالة الانغلاق الفكري، أي: تجاوز التعصب المذهبي أو الفكري أو السياسي أو الاجتماعي^(١).

الضابط الخامس : البدء من نقطة الالتقاء .

٥ إنَّ بدء الحوار بمواطن الاتفاق طريق إلى كسب الثقة، ونشر روح التفاهم، ويصير به الحوار هادئاً وهادفاً؛ لأنَّ الحديث عن نقاط الاتفاق وتقريرها يفتح آفاقاً للتلاقي والقبول؛ مما يقلل الجفوة، ويردم الهوة، ويجعل فرص الوفاق والنجاح أفضل وأقرب، كما يجعل احتمالات التنازع أقل وأبعد، وذلك نابع من التعاون فيما اتَّفَقَ عليه، والتناصح فيما اختلف فيه^(٢).

١٠ إنَّ البداية الهادئة للحوار تسمح بإيجاد جوٍّ من التسامح المشجع على الحوار، ويكون بيان القواسم المشتركة المتفق عليها بين الطرفين المتحاورين؛ لتكون منطلقاً لمناقشة المختلف فيه، وهذا منهج القرآن الكريم في الحوار والجدال، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، فقد قررت الآية أنَّ النقاش مع المخالف ينبغي أن يكون بالتي هي أحسن، وأن من حسن هذا النقاش إظهار أحد الطرفين موافقته للآخر في بعض ما يؤمن به، فالمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليهم، وهو القرآن الكريم، ويؤمنون بما أنزل على أهل الكتاب من توراة وإنجيل، ويوافقونهم كذلك في الإيمان بالله ربِّ العالمين. إنَّ إظهار شيء من الموافقة يريح الخصم، ويزيل مظاهر التوتر، ويوجد أرضية مشتركة لبدء الحوار^(٣).

الضابط السادس : التزام الطرق العلمية الصحيحة .

٢٠ يتطلب سلوك الطرق العلمية الصحيحة والتزامها في الحوار والإقناع أحد الأمرين الآتين أو كلاهما:

(١) انظر: الحوار الذات والآخر، ص ٦٨.

(٢) انظر: ضوابط الحوار مع الآخر، ص ٩٩.

(٣) انظر: محمد البخيت، أدب الحوار، بحث مقدم إلى مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، الجامعة الإسلامية بغزة-كلية أصول الدين، ١٤٢٦هـ، ضمن بحوث المؤتمر، ص ٧١.

الأول: تقديم الأدلة المثبتة أو المرجحة للدعوى.

الثاني: إثبات صحة النقل في الأمور المنقولة المروية.

وفي هذين الأمرين جاءت القاعدة الحوارية المشهورة: (إن كنت ناقلاً فالصحة، وإن كنت مدّعياً فالدليل)^(١)، وقد أشار القرآن الكريم إلى مضمون هذه القاعدة في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلِلَّهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٤] ففي هاتين الآيتين يأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يطلب من المشركين بتقديم برهانهم على ما يدعون، والملاحظ أن الآية الثانية تطالبهم بالبرهان النقلي، أما الأولى فتطالبهم بتقديم البرهان بشكل عام عقلياً كان أم نقلياً^(٢).

الضابط السابع: ترك التعصب للأفكار المسبقة.

على كل من الطرفين المشاركين بالمحاوراة أن يتخلى عن التعصب لوجهة نظر مسبقة، وعن التمسك بفكرة يرفض نقضها أو مخالفتها؛ لأن التمسك بوجهة النظر السابقة يتباين مع منهجية الحوار في تبادل الأفكار، وتداول الطروحات، وسماع الرأي الآخر، ذلك أن طبيعة الحوار تقتضي الإعلان من الطرفين عن الاستعداد التام للكشف عن الحقيقة، والأخذ بها عند ظهورها، سواء أكانت وجهة نظر سابقة، أم وجهة نظر الطرف الآخر الذي يحاوره. وقد أكد القرآن الكريم على هذا المفهوم بصراحة واضحة. وذلك حين وجّه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقول للمشركين في محاورته لهم: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]. وفي هذا غاية الابتعاد عن التعصب لفكرة مسبقة، وكمال الرغبة في البحث عن الحقيقة، أتى كانت، ومن أين صدرت^(٣).

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٧٠.

(٢) انظر: ضوابط المعرفة، ص ٣٧٥-٣٧٦.

(٣) انظر: الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي، ص ١٣.

الضابط الثامن : التكافؤ والمساواة.

وهذا الضابط هو الأجدد بنجاح الحوار وتفعيله؛ لأنه البديل عن التمايز والتفاوت في مستويات المتحاورين، بحيث لا يحس أحدهما بالدونية؛ إذ ليس من الطبيعي أن يجري الحوار على أساس الأقوى والأضعف أو الأعلى أو الأسفل إلى غيرها من المقابلات المخلة بالتعامل المتوازن. فالتكافؤ والمساواة في الحوار هما الطريقة الممكنة لبناء مقومات التفاهم والانفتاح على الآخر، بحيث يفهم كل طرف من أطراف الحوار غيره، وينفتح على آرائه وأفكاره، ويتعرف على آلياته في التفكير، ومنطقه الذي يحمله عن الآخر، حتى يمكن إزالة الأحكام المسبقة، والأفكار غير الصحيحة؛ لتتقارب الآراء، وينجح الحوار بمستوياته العادلة^(١).

الضابط التاسع : التسليم بالنتائج السليمة. ١٠

إنَّ من أهم ضوابط الحوار الناجح التسليم بالنتائج الصحيحة التي يتوصل إليها المتحاورون، والالتزام الجادُّ بها، وبما يترتب عليها، فإذا لم يتحقق هذا الأصل كانت المحاوره ضرباً من العبث الذي يتنزه عنه العقلاء^(٢).

ومن المهم في هذا الضابط إدراك أنَّ الرأي الفكري نسبيُّ الدلالة على الصواب أو الخطأ، والذي لا يجوز عليهم الخطأ هم الأنبياء عليهم السلام فيما يبلغون عن ربهم سبحانه وتعالى. وما عدا ذلك يندرج تحت المقولة المشهورة: (رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي الآخر خطأ يحتمل الصواب). وبناء عليه؛ فليس من شروط الحوار الناجح أن ينتهي أحد الطرفين إلى قول الطرف الآخر. فإن تحقق هذا واتفق الطرفان على رأي واحد فنعم المقصود، وهو منتهى الغاية. وإن لم يكن فالحوار ناجح إذا توصل المتحاوران بقناعة إلى قبول كلٍّ من منهجيتهما؛ بحيث يسوغ لكل واحد منهما التمسك به، ما دام أنه في دائرة الخلاف السائغ.

(١) انظر: المرجع السابق، ص ١٢.

(٢) انظر: الحوار القرآني في ضوء سورة الأنعام، ص ١٤.

الضابط العاشر : سلامة اللغة وحسن الأسلوب .

على المحاور أن يكون لسانه فصيحاً، وكلامه بليغاً، من غير تقعر أو تشدق، وإنما يسلك الأسلوب السهل بعيداً عن الكلام المبتذل، وهذا أدعى لأن يفهمه الناس، وينجذبوا إلى حديثه. وقد أشار القرآن الكريم إلى أن الأنبياء كانوا على درجة عالية من البلاغة، وحسن الأسلوب، وما ذلك إلا ليعينهم حسن البيان على تبليغ دعوتهم، وحوارهم لأقوامهم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]، وهذا موسى عليه السلام يطلب من الله تعالى أن يعينه في إفهام الناس من جهة البيان ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ [طه: ٢٥-٢٨]، وقد حكى القرآن الكريم عن موسى عليه السلام ما يشير صراحةً إلى أهمية الفصاحة والبيان، قال تعالى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [طه: ٢٥-٢٨]، وقد ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعُكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ [القصص: ٣٤-٣٥]^(١).

الضابط الحادي عشر : الالتزام بآداب الحوار .

يُقصد بآداب الحوار: تلك القواعد السلوكية التي ينبغي التزامها عند المحاوره. وهذه الآداب كثيرة ومتنوعة:

الأول : التزام القول الحسن وتجنب منهج التحدي والإفحام .

إن من أهم ما يتوجه إليه المحاور في الحوار، التزام الحُسن في القول بأن لا يتجاوز المتكلم في مدح، ولا يسرف في ذم، لذا على المحاور أن لا يبالغ في الذم؛ فهو طريق الشر والرديلة، ولا يسرف في المديح والثناء؛ لأن المبالغة فيه ملق ومهانة. وإن أقبح الصفات أن يتنزل العلماء في حوارهم إلى جارج اللفظ وسيء العبارة، ففي محكم التنزيل: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣]، ﴿وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

فحق العاقل اللبيب طالب الحق، أن ينأى بنفسه عن أسلوب التجريح والاستهزاء، وألوان الاحتقار والإثارة والاستفزاز. ومن لطائف التوجيهات الإلهية للنبي صلى الله عليه

(١) انظر: الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي، ص ١٥.

وسلم في هذا الباب، الانصراف عن التعنيف في الردّ على أهل الباطل، حيث قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِنْ جَادُلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ * اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الحج: ٦٨-٦٩]. وقوله: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]. مع أن بطلان دعواهم ظاهر، وحجتهم داحضة.

٥ كما على المحاور تجنب أسلوب التحدي، والتعسف في الحديث، وتعمد إيقاع الخصم في الإحراج، ولو كانت الحجة بينة، والدليل دامغاً، فإن كسب القلوب مقدم على كسب المواقف. وقد تُفحِم الخصم ولكنك لا تقنعه، وقد تُسَكِّتَه بحجة، ولكنك لا تكسب تسليمه وإذعانه، وأسلوب التحدي يمنع التسليم، ولو وُجِدَت القناعة العقلية. والحرص على القلوب أهم وأولى عند المنصف العاقل من استكثار الأعداء. وإنك لتعلم أن إغلاظ القول، ورفع الصوت، وانتفاخ الأوداج، لا يولد إلا غيظاً وحقداً وحنقاً. من أجل هذا ليحرص المحاور ألا يرفع صوته أكثر من الحاجة، فهذا رعونة، وإيذاء للنفس وللغير، ورفع الصوت لا يقوِّي حجة، ولا يقيم برهاناً؛ بل إن صاحب الصوت العالي لم يَعْلُ صوته -في الغالب- إلا لضعف حجته، وقلة بضاعته، فيستر عجزه بالصراخ. وهذوء الصوت عنوان العقل والاتزان، والفكر المنظم، والنقد الموضوعي، والثقة الواثقة.

١٥ على أن الإنسان قد يحتاج إلى التغيير من نبرات صوته حسب استدعاء المقام ونوع الأسلوب؛ لينسجم الصوت مع المقام والأسلوب، استفهامياً كان، أو تقريرياً أو إنكارياً أو تعجبياً، أو غير ذلك؛ مما يدفع الملل والسآمة، ويُعين على إيصال الفكرة، ويجدد التنبيه لدى المشاركين والمتابعين^(١).

الثاني: حسن الاستماع وتجنب المقاطعة.

٢٠ من أهم آداب الحوار حسن الإنصات والاستماع، وتجنب المقاطعة بإعطاء الفرصة الكافية للآخر، لي طرح وجهة نظره، والتفاعل أيضاً مع ما يقوله، فعدم الاستماع الجيد يدفع الآخرين إلى تجاهل الذين يتجاهلون حديثهم وهكذا. وهذه مشكلة أخلاقية وسلوكية تنتشر

(١) انظر: المرجع السابق، ص ١٦، والحوار أصوله وضوابطه، ص ١٧٦.

في الكثير من المجتمعات، حيث تهدد الحوار، وربما تقوضه من الانطلاق الإيجابي بين المتحاورين أو الذين يسعون إلى الحوار الصادق الجاد^(١).

إن السماع الجيد يتيح القاعدة الأساس لالتقاء الآراء، وتحديد نقاط الخلاف وأسبابه. حسن الاستماع يقود إلى فتح القلوب، وراحة النفوس، وتسلم فيه الأعصاب من التوتر والتشنج، كما يُشعرُ بجديّة المُحاور، وتقدير المُخالف، وأهمية موضوع الحوار. ومن ثم يتوجه الجميع إلى تحصيل الفائدة، والوصول إلى النتيجة.

الثالث : احترام شخصية المحاور الآخر .

ويتحقق ذلك من خلال مراعاة الأمور الآتية:

أولاً: اهتمام المحاور بالطرف الآخر اهتماماً ودياً: وذلك بالانتباه لكلامه، وعدم تجاهله، أو الانشغال عنه بشخص أو موضوع آخر.

ثانياً: تلافي تحقير الطرف الآخر، أو اللجوء إلى النقد الشخصي فيما يخص سيرته الفردية أو العائلية، وتجنب استخدام اليد دفعاً أو تهديداً.

ثالثاً: فسح المجال أمام الطرف الآخر للدفاع عن وجهة نظره كاملة، والتعامل مع أفكاره بصدر رحب، عن طريق إتاحة الوقت الكافي لعرضها وبيانها^(٢).

رابعاً: أن يتوجه النظر، وينصرف الفكر إلى القضية المطروحة؛ ليتم تناولها بالبحث والتحليل والنقد والإثبات بعيداً عن صاحبها أو قائلها، كل ذلك حتى لا يتحول الحوار إلى مبارزة كلامية؛ طابعها الطعن والتجريح، والعدول عن مناقشة القضايا والأفكار إلى مناقشات التصرفات، والأشخاص، والشهادات، والمؤهلات، والسير الذاتية.

الرابع : الالتزام بالوقت المحدد للكلام من قبل كل طرف .

على كل من المتحاورين الالتزام بالوقت المحدد في الحوار والمناقشة عند كل طرف من الأطراف؛ لأن هذا الالتزام يجعل الطرف الآخر إيجابياً في استجابته وتفهمه، وهو في نفس الوقت عدل في تقسيم الوقت وتوزيعه بين المتحاورين، بطرح وجهة نظرهم، وما

(١) انظر: عبد الله علي العليان، حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين رؤية إسلامية للحوار، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت)، ط ١، ٢٠٠٤م، ص ١٠٥.

(٢) انظر: الحوار الذات والآخر، ص ٨٧.

يريدون شرحه وبيانه، وإلا حصل التملل والضجر وعدم القبول؛ بسبب هذه الإطالة أو الاستطراد في الحديث دون إعطاء الطرف الآخر الفرصة، أو الدخول في صلب القضية المطروحة في الحوار مباشرة.

ومن المفيد أن يُعلم أن أغلب أسباب الإطالة في الكلام ومقاطعة أحاديث الآخرين يرجع إلى ما يأتي:

- ١- إعجاب المرء بنفسه.
 - ٢- حبُّ الشهرة والثناء.
 - ٣- ظنُّ المتحدث أن ما يأتي به جديد على الناس.
 - ٤- قِلَّةُ المبالاة بالناس في علمهم ووقتهم وظرفهم.
- والذي يبدو أن واحداً منها إذا استقر في نفوس السامعين كافٍ في صرفهم، واستثقالهم لمحدثهم. ومن المعلوم أن للسامع حداً من القدرة على التركيز والمتابعة إذا تجاوزها أصابه الملل، وانتابه الشُّرود الذهني، ومن الخير للمتحدث أن يُنهي حديثه والناس متشوفة للمتابعة، مستمتعة بالفائدة. هذا خير له من أن ينتظر الناس انتهاءه، وقفل حديثه^(١).

الخامس: ختم الحوار بهدوء مهما كانت النتائج.

- إذا سار الحوار جاداً وفق المنهج الصحيح من قبل كل الأطراف، فإنَّه ولا بدَّ سيوصل الجميع إلى ما التزموه في بداية الحوار من الرجوع إلى الحق، وتأييد الصواب. فإن حصل خلل ما من قبل أحد المتحاورين، فرفض قبول الحق المدعم بالحجج، ففي هذه الحالة ينبغي أن ينتهي الحوار بهدوء كما بدأ، دون الحاجة إلى التوتر والانفعال. وهذا ما أرشد إليه القرآن الكريم في كثير من المواضع كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥]^(٢).

(١) انظر: الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي، ص ١٨.

(٢) انظر: الحوار والاستدلال في القرآن الكريم، ص ١١٤-١١٥.

ثالثاً : عوامل فشل الحوار

إنَّ نجاح الحوار مرهون بتطبيق الضوابط السابقة، فإن حصل إخلال بها من المتحاورين فإن الحوار سيكون مصيره الفشل، وهنا يتوسع الباحث في بعض العوامل التي ترجع إلى مخالفة ضابط ترك التعصب للأفكار المسبقة، هذه العوامل تعد من أبرز عوامل إفشال الحوار، وإفراغه من مضمونه، أهمها:

٥

الأول : التعصب الحزبي: ويتجلى ذلك من خلال ملاحظة عدة جوانب:

أولها: إن التعصب الحزبي المقيت يعمل على إيجاد الفتنة، وعدم نجاح الحوار؛ لأن كل طرف من هذه الأحزاب لا يعترف بأنه ارتكب خطأ؛ بل إن ما يفعله هو الصواب، ولو كان على خطأ، وغيره يفعل الخطأ ولو كان صواباً؛ مما يقلل من إمكان نجاح الحوار بين الطرفين، ويأجج الصراع القائم بينهما.

١٠

ثانيها: إن التعصب الحزبي يجعل الفرد فاقد العقل؛ حيث يعد كل ما يقوله الحزب قاعدة يجب العمل بها، ولو كان الواقع غير ذلك.

ثالثها: إن التعصب الحزبي يجعل الفرد لا يقبل أطروحات وأفكار الآخر إذا كان من خارج الدائرة الحزبية.

الثاني : الكراهية للآخرين : حيث إن كراهية المحاور لغيره قبل الحوار يدفعه لرفض أي فكرة من عنده، حتى ولو كانت صواباً.

١٥

الثالث : تضخم الذات : وهو إحساس الشخص أنه صاحب الحق، حتى لو كان على خطأ، وعدم اعترافه بالآخرين أصحاب الأفكار الأخرى؛ مما يؤدي به إلى الترفع والتعالي عليهم.

الرابع : التعسف في الحوار : حيث يحاول المحاور أن يفرض أفكاره بالقوة على الآخرين دون قناعتهم بهذه الأفكار، حتى ولو كانت صحيحة^(١).

٢٠

(١) انظر: خالد سليمان عيد الشيخ عيد، الحوار في القرآن والسنة النبوية لفك الحصار عن الدعوة الإسلامية، مشروع تخرج في تخصص التربية الإسلامية، جامعة القدس المفتوحة-منطقة رفح التعليمية، إشراف: طلال أحمد النجار، ٢٠٠٩م، ص ٤٩-٥٠.

المطلب الثالث : دلالة أسلوب الحوار على مسائل العقيدة (نماذج)

مما تجدر ملاحظته أن القرآن الكريم لم يسلك مسلكاً واحداً في الاستدلال وهو يدل على قضايا العقيدة؛ بل نوع في طرق الأدلة؛ ليرضي كل ملكات النفس الإنسانية، ويقنع الجميع، ويسد الطريق على الخصوم، ويغلق في وجوههم أبواب العناد. ومن هنا فإن منهج القرآن الكريم في تقرير قضايا العقيدة يخاطب الإنسان بجميع طبقاته، ومن جميع ملكاته. فلا يخاطب طبقة معينة من البشر يرتفع بها المستوى أو ينخفض، فيقع في التناقض مع المستويات الأخرى. ولا يخاطب قوة من قوى الإنسان دون الأخرى، فيقع في التناقض مع القوة التي يهملها، وإنما يتوجه إلى الإنسان بكليته، ويلتقي معه في قواه المختلفة، ويتعامل معها جميعاً: العقل والوجدان والكوامن الفطرية. وبالتالي فإن طرق القرآن في العرض، وأساليبه في الاستدلال ما هي إلا مسالك للإيمان، يُخاطب فيها الإنسان بكليته؛ ليستنفر كل قوى الإدراك والتأثر فيه، من مبادئ عقلية، ومدارك حسية، وغرائز فطرية، ومشاعر وجدانية، فتتفاعل جميعها، ويقوم كل منها بدور يساعد على الإقناع في بالحقيقة، والإيمان بها. ويتضح هذا جلياً من خلال النماذج التطبيقية في دعوة القرآن الكريم العقيدة باستخدام الأسلوب الحواري.

النموذج الأول: حوار إبراهيم عليه السلام في دعوته لأبيه.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ ذُكِّرُوا فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِلأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا * وَأَعِزَّنِي لَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤١-٤٨] يعالج هذا النص قضية القرآن الكريم وقضية الدعوة الأولى والأهم، وهي قضية توحيد الله تعالى. هذا المشهد الحواري مثال واضح على مخاطبة الإنسان من كل ملكاته البشرية؛ خاطب العقل أولاً، ثم استنفر العاطفة والوجدان، ثم استثار الفطرة من

خلال الترهيب من المصير القادم. وهذا -في الحقيقة- مما يميز الخطاب والحوار القرآني عن مناهج الفلاسفة والمتكلمين.

بدأ هذا الحوار بطرح الحجة العقلية من إبراهيم عليه السلام، فكان طرحه جامعاً بين قوة الحجة وأدب الحديث ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾ [مريم: ٤٢] وقد بنى حجته عليه السلام بوصف الأوثان التي يعبدها أبوه بصفات ثلاث، كل واحدة منها تقدح في الإلهية، وهي كونها لا تسمع ولا تبصر ولا تملك نفعاً ولا ضرراً، وبيان ذلك من وجوه:

أولها: أن العبادة غاية التعظيم، فلا يستحقها إلا من له غاية الإنعام، وهو الإله الذي منه أصول النعم وفروعها. وكما يعلم بالضرورة أنه لا يجوز الاشتغال بشكرها ما لم تكن منعمة وجب أن لا يجوز الاشتغال بعبادتها. ١٠

ثانيها: أنها إذا لم تسمع، ولم تبصر، ولم تميز من يطيعها عمن يعصيها، فأى فائدة في عبادتها.

ثالثها: أن الدعاء مخ العبادة؛ فالوثن إذا لم يسمع دعاء الداعي فأى منفعة في عبادته، وإذا كان لا يبصر بتقرب من يقترب إليه فأى منفعة في ذلك التقرب.

رابعها: أن السامع المبصر الضار النافع أفضل ممن كان عارياً عن كل ذلك، والإنسان موصوف بهذه الصفات، فيكون أفضل وأكمل من الوثن، فكيف يليق بالأفضل عبادة الأخس! ١٥

خامسها: إذا كانت لا تنفع، ولا تضر، فلا يرجى منها منفعة، ولا يخاف من ضررها، فأى فائدة في عبادتها؟! ٢٠

سادسها: إذا كانت لا تحفظ أنفسها عن الكسر والإفساد على ما حكى الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام أنه كسرها، وجعلها جذاذاً، فأى رجاء للغير فيها! (١).

وبعد أن عرض الحجة العقلية انتقل عليه السلام إلى مسلك آخر، وهو استثارة العاطفة والوجدان، وذلك بإعادة دعوته مصدرةً بنداء الأبوة ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ

(١) انظر: مفاتيح الغيب، ٢١/١٩١-١٩٢.

يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿[مریم: ٤٣]﴾؛ وذلك لترقيق قلبه بتذكيره بهذه العلاقة الحميمة التي تربط بينهما، ولإحضار ذهنه وتنبيهه أنَّه لا يريد إلا النصيح المحض له. ولاحظ كيف حاول تبرير دعوته لأبيه بأنَّه قد جاءه من العلم ما لم يأتِه؛ ولذا فلا مانع هناك -من وجهة نظر اجتماعية- أن يدعو الابن أباه مع حفظ مقام الأبوة، وبالتالي ليست هناك غضاضة في أن يتبع الوالد ولده، إذا كان الولد على اتصال بمصدر أعلى، فإنَّما يتبع ذلك المصدر، ويسير في الطريق إلى الهدى. ثمَّ توجه إليه مرة أخرى بنداء الأبوة ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ [مریم: ٤٤] منفراً له عن عبادة الأوثان بقوله: ﴿لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ [مریم: ٤٤] أي: لا تطعه في عبادتك هذه الأصنام، فإنَّه هو الداعي إلى ذلك، والراضي به، فالشيطان هو الذي يغري بعبادة الأوثان من دون الله تعالى، فالذي يعبدها كأنَّما يعبد الشيطان^(١).

وأخيراً سلك إبراهيم عليه السلام مع أبيه في هذا الحوار مسلك الإنذار والترهيب ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مریم: ٤٥] وقد مرَّ سابقاً البحث في الترهيب وأثره في الإقناع، فقد أكدت الأدلة التجريبية الافتراض القائل: إنَّ أي عاطفة قوية تسبب الاضطراب مثل الخوف أو الإحساس بالإثم أو الخجل لها خصائص الحافز من الناحية الوظيفية. والذي يحدث أنَّ الفرد حينما يتعرض لمضمون ينطوي على حقائق محايدة، يليها تهديد بخطر قد يصيب الفرد، يجعل الفرد يشعر بالتوتر العاطفي، وبينما يعاني من هذا التوتر العاطفي سيتعرض لعبارات تقدم حلولاً تجنبه الخطر، وتوصيه بالقيام بعمل ما، أو اعتناق رأي معين، وعندما يفسر العقل التوصية التي تبعث على الاطمئنان، ويعمل بمقتضاها يقل التوتر العاطفي. وسوف يعاون انخفاض التوتر العاطفي على تدعيم هذه التوصية التي تبعث على الاطمئنان. هذا التسلسل سيصبح تسلسلاً اعتيادياً، فكلما تعرض الفرد لموضوع يثير اهتمامه أو مخاوفه سيمر مرة أخرى بتجربة توتر عاطفي، وسيفكر بالتوصيات التي تزيد اطمئنانه^(٢).

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ١٥١/٣.

(٢) انظر: الأسس العلمية لنظريات الإعلام، ص ٤٦٦.

وعليه فإنَّ كل رسالة تنطوي على ترهيب يحتمل -احتمالاً قوياً- أن تجعل المتلقي يقبل ما يريده القائم بالاتصال إذا تحقق فيها أمرين:

الأول: إذا كان التوتر العاطفي الذي أثير خلال الاتصال شديداً بحيث يشكل حافزاً.
الثاني: إذا تضمنت الرسالة تأكيدات تُوجدُ توقعات عند الفرد بأنَّه بالإمكان تجنب الأضرار، وبالتالي تقلل التوتر العاطفي^(١).

وعلى الرغم من كل هذه المسالك التي سلكها إبراهيم عليه السلام في دعوته وحواره لأبيه قابله بما يفيد الاستنكار والتهديد، قائلاً له: ﴿أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٦] بهذه الجهالة تلقى الرجل الدعوة إلى الهدى، وبهذه القسوة قابل القول المؤدب، ولا عجب فذلك شأن الكفر مع الإيمان، وشأن القلب الذي أفسده الكفر مع القلب الذي هذبه الإيمان. لقد جاء هذا الرد من الأب على هذا النحو انطلاقاً من موقع الشعور بسلطة الأبوة التي تضغط على الابن؛ ليسير على خطى أبيه، وتهدهه بالقوة والطرْد إن هو خالف. فلا حوار ولا كلام بين الابن وأبيه، إنما هو الأمر والطاعة. هذه هي شريعة ذلك المجتمع، تجعل من علاقة الآباء بأبنائهم علاقة تشبه العبودية^(٢). عند هذا ينهي إبراهيم عليه السلام الحوار بهدوء كما بدأ ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧] هذا هو جواب الحليم للسفيه الجاهل ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣] فيه مقابلة للسيئة بالحسنة.

ثمَّ قدم عليه السلام بعد ذلك موقفاً رائعاً في تقرير أنَّ الرابطة الحقيقية التي ينبغي أن تربط بين الناس هي رابطة العقيدة، وأنَّ الولاء لله تعالى مقدم على الولاء لكل من سواه، فالأبوة والبنوة، والعشيرة والقوم، والجماعة والحزب، كلُّ ذلك لا اعتبار له ولا ميزان ما دام بمنأى عن العقيدة، وبمنأى عن منهج الله تعالى. وبذلك تتخلص النفوس المؤمنة من أي وشيعة غير وشيعة الإيمان، ومن أي صلة غير صلة المودة في الله تعالى. فتحقيق الولاء لله

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٤٦٥.

(٢) انظر: خالد حسب الله، الجوانب العقدية والقيم الحوارية في مجادلات الخليل عليه السلام، بحث في مجلة الشريعة والقانون، العدد: ٣٥، ١٤٢٩هـ، ص ٣٩٣.

تعالى ركيزة أساس في البنيان العقدي الإسلامي، وركن من أركان قواعده الإيمانية^(١). وهذا ما التزم به إبراهيم عليه السلام، وأعلنه على أبيه وقومه في جرأة ووضوح قائلاً: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤٨] أي: أجتنبكم، وأتبرأ منكم ومن ألهمتكم التي تعبدونها من دون الله تعالى، وأعبد ربي وحده لا شريك له^(٢).

هناك قضيتان عقديتان أخريتان يمكن معرفتهما من خلال هذا الحوار:

الأولى: قضية الدعاء للكفار والاستغفار لهم، حيث قال إبراهيم عليه السلام آخر حوار له لأبيه المصّر على الكفر: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ [مريم: ٤٧]، هذه القضية ستأتي مفصلة في سورة إبراهيم في الباب الثاني من البحث، فلا داعي لذكرها هنا.

الثانية: أنه يجب في حق الأنبياء صفة الصدق، وذلك من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤١] فالصدق -وهو مطابقة ما يخبرون به للواقع- واجب في حقهم شرعاً وعقلاً؛ إذ لو جاز عليهم الكذب، الذي هو عدم مطابقة الواقع لجاز الكذب في خبره تعالى؛ لتصديقه إياهم بالمعجزة، المنزلة منزلة قوله تعالى: صدق عبدي في كل ما يبلغ عني. وتصديق الكاذب من العالم بكذبه محض الكذب، وهو على الله تعالى محال؛ فلزومه كذلك. وقد أجمعت الأمة على أن ما كان طريقه الإبلاغ فالأنبياء والرسل معصومون فيه من الإخبار عن شيء منه بخلاف الواقع، لا قصداً، ولا عمداً، ولا سهواً، ولا غلطاً^(٣).

النموذج الثاني: الحوار مع منكري البعث.

قال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ * قَالُوا إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ يَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٣٩٥.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ١٥٢/٣.

(٣) انظر: السفاريني، لوامع الأنوار البهية، مؤسسة الخافقين (دمشق)، ط ٢، ١٤٠٢هـ، ٣٠٧/٢.

يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨١﴾ [المؤمنون: ٨١-
 ٨٨] إِنَّ هَذَا الْحَوَارِ يَفْضَحُ التَّنَاقُضَ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ بَعْضُ مَنكَرِي الْحَيَاةِ الْآخِرَةِ، وَذَلِكَ
 لَاعْتِرَافِهِمْ بِرَبوبِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى وَسُلْطَانِهِ فِي هَذَا الْوُجُودِ، ثُمَّ يَسْتَبْعِدُونَ قُدْرَتَهُ عَلَى إِحْيَاءِ
 الْمَوْتَى، مُرَدِّدِينَ مَقُولَةَ أَسْلَافِهِمْ مِمَّنْ كَذَبُوا الرِّسْلَ، مُقْلِدِينَ لَهُمْ تَقْلِيداً أَعْمَى دُونَ بَرَهَانٍ
 وَاضِحٍ ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ * قَالُوا إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾
 [المؤمنون: ٨١-٨٢] فَهَمْ يَسْتَبْعِدُونَ وَقُوعَ ذَلِكَ بَعْدَ الْمَوْتِ وَتَحَوُّلِ الْإِنْسَانِ إِلَى رِفَاتٍ. ثُمَّ
 قَالُوا: ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٨٣] أَيْ:
 هَذَا الْوَعْدُ الَّذِي يَعِدُنَا بِهِ مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَدْ وَعَدَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ السَّابِقُونَ قَدِيمًا،
 ثُمَّ لَمْ يَحْصُلْ ذَلِكَ مَعَ طُولِ الْعَهْدِ، وَكَأَنَّهُمْ لِفَرْطِ غِبَائِهِمْ يَظُنُّونَ أَنَّ الْإِعَادَةَ تَكُونُ فِي دَارِ
 الدُّنْيَا، وَرَدُّوا الْإِعْتِقَادَ بِالْبَعْثِ وَالْمَعَادِ بِحُجَّةٍ أَنَّهُ أَكَاذِيبٌ وَأَبَاطِيلٌ، تَنَاقُلُهَا الْأَبَاءُ وَالْأَجْدَادُ،
 وَلَا أَصْلَ لَهَا مِنَ الصَّحَّةِ وَالْوَقَاعِيَّةِ، فَردَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ هَذِهِ الدَّعْوَى، وَأَثَبَتِ الْبَعْثَ وَالْمَعَادَ
 بِبَرَاهِينٍ ثَلَاثَةٍ:

الأول: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤] أَيْ: مَنْ مَالِكُ
 الْأَرْضِ؟ وَمَنْ الَّذِي بَرَأَهَا وَمَا فِيهَا مِنْ مَخْلُوقَاتٍ إِنْ كُنْتُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ؟ (سَيَقُولُونَ لِلَّهِ)
 يَعْرِفُونَ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْعَقْلُ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ لِلَّهِ تَعَالَى مُلْكًا وَخَلْقًا وَتَدْبِيرًا، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَقُلْ:
 (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) أَفَلَا تَتَدَبَّرُونَ أَنَّ مِنْ خَلْقِ هَذَا ابْتِدَاءً قَادِرًا عَلَى إِعَادَتِهِ. وَفِي هَذَا تَرْغِيبٌ لَهُمْ فِي
 التَّدَبُّرِ؛ لِيَعْلَمُوا بِطِلَانِ مَا هُمْ عَلَيْهِ.

الثاني: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون: ٨٦] أَيْ: مَنْ
 خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَمَا فِيهَا مِنْ أَجْرَامٍ؟ وَمَنْ خَالِقُ الْعَرْشِ وَرَبُّهُ؟ سَيَعْتَرِفُونَ فَوْرًا أَنَّ الْخَالِقَ هُوَ
 اللَّهُ تَعَالَى وَحْدَهُ، قُلْ: (أَفَلَا تَتَّقُونَ) فَإِذَا كُنْتُمْ تَعْتَرِفُونَ بِذَلِكَ أَلَا تَخَافُونَ اللَّهَ تَعَالَى، وَتَحْذَرُونَ
 عَذَابَهُ، وَأَنْتُمْ تَعْبُدُونَ غَيْرَهُ، وَتَشْرِكُونَ بِهِ، وَتَنْكُرُونَ قُدْرَتَهُ عَلَى الْإِعَادَةِ وَالْبَعْثِ، وَفِي هَذَا
 تَنْبِيهِ لَهُمْ عَلَى أَنَّ اتِّقَاءَ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِتَرْكِ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالْإِعْتِرَافِ بِجَوَازِ
 الْإِعَادَةِ.

الثالث: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾
 [المؤمنون: ٨٨] يَسْأَلُهُمْ: مَنْ بِيَدِهِ الْمَلِكُ وَالتَّدْبِيرُ؟ وَمَنْ يَجِيرُ بِقُوَّتِهِ مَنْ يَشَاءُ، فَلَا يَنَالُهُ أَحَدٌ،

ولا يملك أحد أن يجبر عليه، وأن ينقذ من يريده بسوء من عباده؟ سيعترفون بأنه تعالى. فمالهم يستخفون بقدرته على البعث؟ وما لعقولهم تنحرف، وتتخبط كالذي مسه سحر (فَأَنَّى تُسْحَرُونَ)^(١).

ولا يختلف عاقلان أن من أقرَّ الله تعالى بكل ما سبق ذِكرُه لزمه أن يعترف بأنه تعالى قادر على إعادة الموتى وبعثهم. ويلاحظ في هذا الحوار أنه عمل على إثارة كوامن العقل وأصول المشاعر عن طريق الأسئلة المتكررة وفواصل الآيات (إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) (أَفَلَا تَتَّقُونَ).

النموذج الثالث: الحوار بين الأتباع والمتبوعين في النار.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ * وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: ٣١-٣٣] إن هذا المقطع الحواري سيق على طريقة التهيب للإقناع بركن من أركان الإيمان، ألا وهو الإيمان بالكتب المنزلّة من عند الله تعالى، ومعنى الإيمان بالكتب: الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى أنزل كتباً وصحفاً وألواحاً على أنبيائه من لدن آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم، فما علِمَ اسمه ومضمونه من هذه الكتب، يجب الإيمان به على وجه التفصيل، وما لم يُعلَم يجب الإيمان به على وجه الإجمال^(٢).

في هذا المشهد الحواري القرآني يتمادى الكفار في العناد، ويصرون ابتداءً على رفض الهدى في كل مصادره، فلا القرآن، ولا الكتب التي سبقته، والتي تدل على صدقه هم مستعدون للإيمان بها. ومعنى هذا أنهم يصرون على الكفر، ويجزمون عن قصد بأنهم لن ينظروا في دلائل الهدى كائنة ما كانت.

(١) انظر: مفاتيح الغيب، ١٠١/٢٣.

(٢) انظر: المرجع السابق، ١١٦/٧، وشرح العقيدة الطحاوية، ص ٢٩٧.

عندئذ يجيئهم بمشهد يصف حالهم يوم القيامة، فقد كان قولهم في الدنيا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ
بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [سبأ: ٣١] فلو ترى قولهم في موقف آخر. لو ترى هؤلاء
الظالمين، وهم موقوفون على غير إرادة منهم ولا اختيار، إنما هم مذنبون بانتظار الجزاء عند
ربهم الذي يجزمون بأنهم لن يؤمنوا بقوله وكتبه. يلوم بعضهم بعضاً، ويلقي بعضهم تبعه ما
هم فيه على بعض: ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾ [سبأ: ٣١] فماذا يرجعون من القول؟
﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٣١] يلقون على الذين
استكبروا تبعه الوقفة المرهوبة المهينة، وما يتوقعون بعدها من البلاء، يقولون لهم هذه القولة
الجاهرة اليوم، ولم يكونوا في الدنيا بقادرين على مواجهتهم هذه المواجهة، كان يمنعهم
الذل والاستسلام، وبيع الحرية والكرامة التي منحها الله تعالى لهم. أما اليوم وقد سقطت
القيم الزائفة، وواجهوا العذاب الأليم، فهم يقولونها غير خائفين ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾
[سبأ: ٣١]، ويضيق الذين استكبروا بالذين استضعفوا، فهم في العذاب سواء، وهؤلاء
الضعفاء يريدون أن يحملوهم تبعه الإغواء الذي صار بهم إلى هذا العذاب، عندئذ يردون
عليهم باستنكار، ويجيئونهم بالسب الغليظ: ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ
صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ [سبأ: ٣٢] فهو التخلي عن التبعة،
وقد كانوا في الدنيا لا يقيمون وزناً للمستضعفين، ولا يعدون لهم وجوداً، ولا يقبلون منهم
مخالفة ولا مناقشة، أما اليوم -وأمام العذاب- فهم يسألونهم في إنكار: ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ
عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ [سبأ: ٣٢] لا يسكت المستضعفون؛ بل
يجابهون المستكبرين بمكرهم الذي لم يكن يفتر نهاراً ولا ليلاً؛ للصد عن الهدى، وللتمكن
للباطل ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ
بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً﴾ [سبأ: ٣٣].

ثم يدرك هؤلاء وهؤلاء أن هذا الحوار البائس لا ينفع هؤلاء ولا هؤلاء، ولا ينجي
المستكبرين ولا المستضعفين فلكل جريمته وإثمته. المستكبرون عليهم وزرهم، وعليهم تبعه
إضلال الآخرين وإغوائهم، والمستضعفون عليهم وزرهم، فهم مسؤولون عن اتِّباعهم
للطغاة، لا يعفيهم أنهم كانوا مستضعفين؛ لأنَّ الله تعالى كرمهم بالإدراك والحرية، فعطلوا
الإدراك، وباعوا الحرية، فاستحقوا العذاب جميعاً، ذاقوا طعم الحسرة، وهم يرون العذاب

حاضراً لهم مهياً ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ [سبأ: ٣٣]، ثم أخذهم العذاب المهين الغليظ الشديد: ﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [سبأ: ٣٣]، ثم يلتفت السياق مهملًا خطابهم إلى خطاب المتفرجين ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ؟﴾ [سبأ: ٣٣]. يسدل الستار وقد شهد الظالمون أنفسهم في ذلك المشهد الحي الشاخص، شهدوا أنفسهم هناك، وهم بعد أحياء في الأرض، وشهدهم غيرهم كأنما يرونهم، وفي الوقت متسع لتلافي ذلك الموقف لمن يشاء^(١).

مما يُستوحى من هذا الحوار التأكيد على رفض التبعية في العقيدة، وضرورة الاستقلال الذاتي في تحصيل القناعة بما تعتقده النفس؛ لأن أي تبرير للتبعية لا يمنع من تحمل المسؤولية، ومواجهة نتائجها في الدنيا والآخرة. كذلك فإن العقيدة المنحرفة لا تصنع الوحدة الروحية؛ إذ الارتباط بين الأفراد والجماعات على أساس العقيدة المنحرفة أو السلوك المنحرف لا يصنع الوحدة الروحية، أو الرابطة المصيرية بينهم، والتي تدفعهم للتضامن والمشاركة في تحمل نتائج المسؤولية دون تأفف أو تدمير، ولعل السبب في ذلك أن الانحراف لا يخضع للفكر غالباً؛ بل للمصلحة الذاتية وللعلاقات العاطفية، مما يدفع الإنسان إلى التخلي عن صاحبه عند أي إشارة خطر تهدده، أو عند الوقوع في المصير السيئ، فتكون النتيجة - كما ظهر في الحوار السابق - الملاعنة والتسابق إلى التهرب من المسؤولية، وإلقائها على الطرف الآخر^(٢).

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ٦٥٠/٣، وسيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق (بيروت - القاهرة)، ط ١٧، ١٤١٢ هـ، ٢٩٠٩/٥ - ٢٩١٠.

(٢) انظر: محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن الكريم، دار الملاك (بيروت)، ط ٦، ١٤٢١ هـ، ص ٣٦٣ - ٣٦٤.

المبحث الثاني : أسلوب الجدل

المطلب الأول : مفهوم الجدل والجدل القرآني

أولاً: الجدل لغةً: جعل ابن فارس الجدل أصلاً واحداً هو «من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه، وامتداد للخصومة ومراجعة الكلام»^(١)، ثم اجتهد في إرجاع تصارييف المادة إلى هذا الأصل. وأرجع الراغب الجدل إلى أصل واحد كذلك هو: (الإحكام)، «ومنه الجدال، فكأنَّ المتجادلين يقتل كل واحد الآخر عن رأيه، وقيل: الأصل في الجدال: الصراع، وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة، وهي الأرض الصلبة»^(٢). ويجعل ابن منظور «الجدل: اللدد في الخصومة والقدرة عليها... والجدل مقابلة الحجة بالحجة»^(٣). والذي يُخلص إليه من هذه المعاني أنَّ الجدل: مراجعة الكلام بإحكام على سبيل المنازعة والمغالبة.

ثانياً: الجدل اصطلاحاً:

تنوعت التعريفات التي وضعها الباحثون للجدل تنوعاً كبيراً؛ وذلك لاختلاف الجوانب التي ينطلق منها كلُّ منهم: فالبعض عرفه منطلقاً من طبيعته اللغوية الدالة على المنازعة والمغالبة، من هذه التعريفات:

١ - الجدل هو: «اشتداد الخصومة في النقاش»^(٤).

٢ - هو: «الخصومة والمنازعة في البيان والكلام»^(٥).

والبعض عرفه منطلقاً من حيث غايته، وما يؤدي إليه، من هذه التعريفات:

(١) مقاييس اللغة، مادة (جدل).

(٢) مفردات القرآن، مادة (جدل).

(٣) لسان العرب، مادة (جدل).

(٤) يوسف عمر لعساكر، الجدل في القرآن خصائصه ودلالاته، رسالة ماجستير في تخصص الدراسات اللغوية، من قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات-جامعة الجزائر، إشراف: د.محمد العيد أرتيمة، ٢٠٠٥م، ص ١٢.

(٥) زاهر الألمعي، مناهج الجدل في القرآن الكريم، مطبعة الفرزدق التجارية، دط، ص ٢٠.

١ - «المنازعة لا لإظهار الحق؛ بل لإلزام الخصم»^(١).

٢ - «الجدل عند أفلاطون: هو الذي يُحسن السؤال والجواب. والغرض منه الارتقاء من تصور إلى تصور، ومن قول إلى قول؛ للوصول إلى أعلى التصورات وأعلى المبادئ»^(٢).

والبعض نظر إليه من زاوية منطقية فعرفه بأنّه: «القياس المؤلف من المشهورات والمسلّمات، والغرض منه إلزام الخصم، وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان»^(٣).

والبعض تناوله على أنّه علم له آداب وضوابط، فجاء تعريفه من هذا المنطلق:

١ - «هو قانون صناعي، يعرف أحوال المباحث من الخطأ والصواب، على وجه يدفع عن نفس الناظر والمناظر الشك والارتياب»^(٤).

٢ - ويعرفه ابن خلدون بأنّه: «معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه»^(٥). وفي موضع آخر يقول: «أما الجدل: وهو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم، فإنه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعاً، وكل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج، ومنه ما يكون صواباً، ومنه ما يكون خطأً، فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آداباً وأحكاماً يقف المتناظران عند حدودها في الرد والقبول، وكيف يكون حال المستدل

(١) يحيى زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، دار التربية والتراث (مكة المكرمة)، ط١، ١٤١٤هـ، ص٢٤.

(٢) الجوانب العقديّة والقيمية الحوارية في مجادلات الخليل عليه السلام، ٣٦٤.

(٣) التعريفات، ص١٠١.

(٤) الطوفي، علم الجدل في علم الجدل، ت: فولفهارت هاينريشس، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية (بيروت)، ١٤٠٨هـ، ص٣.

(٥) المقدمة، ت: درويش الجويدي، شركة الأنصاري للنشر والتوزيع (بيروت)، ط٢، ١٤١٦هـ، ص٤٢٨.

والمجيب، وحيث يسوغ له أن يكون مستدلاً، وكيف يكون مخصوماً منقطعاً، ومحل اعتراضه أو معارضته، وأين يجب عليه السكوت، ولخصمه الكلام والاستدلال»^(١).

ثالثاً: مفهوم الجدل القرآني:

إنَّ من المسلمات أنَّ العقل البشري يتطلع دائماً إلى قوة الإقناع عن طريق الحجة والبرهان، ومن هذا المنطلق حاجَّ القرآن الكريم العقل الإنساني، وتحداه إلى الأبد. وما إن دعا القرآن الكريم البشر إلى عقيدة التوحيد حتى وقفوا منه مواقف متباينة، فكان يسلك معهم مسالك الدعوة والإرشاد، ويعامل خصومه بما يتناسب مع أحوالهم العلمية والعقدية، فيجادل المشركين جدل هداية ودلالة، ويجادل أهل الكتاب جدل تخطئة وإلزام؛ لأنَّهم يعلمون الحق ويحيدون عنه، ويجادل المنافقين جدلاً مصحوباً بالتهديد والوعيد؛ وما ذلك إلا لأنَّهم كانوا أعرف الناس بلغة العرب، وبما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من السمو البياني، والإعجاز القرآني، لكنَّهم تظاهروا بالإسلام، وأبطنوا الكفر، فكانوا أكثر الناس وزراً، وأحقهم بالتهديد والتقريع^(٢).

ومن هنا يمكن القول: إنَّ الجدل القرآني يتمثل في أدلته وبراهينه التي اشتمل عليها، وساقها لهداية الكافرين، وإلزام المعاندين في جميع ما هدف إليه من المقاصد والأهداف التي يريد تحقيقها وترسيخها في أذهان الناس في جميع أصول الشريعة وفروعها^(٣). والهدف القرآني في جداله ليس الغلبة على الخصوم فقط؛ بل من أجل إحقاق الحق وإقراره، وإزهاق الباطل ودحضه، ولجعل المناوئين له يتحركون معه في الخط الذي يسير عليه؛ ليتحد الموقف والمصير من خلال القناعة الذاتية المرتبطة بالبرهان الواضح والحجة الظاهرة.

وقد ورد الجدل في القرآن الكريم على وجهين:

الأول: ما ساقه القرآن الكريم من أدلة؛ لتثبيت العقائد، وتقدير الشرائع، وكشف النقاب عن قواعد الملة، بالإضافة إلى ما ردَّ به على الخصوم من أدلة وحجج. وهذا الوجه

(١) المرجع السابق، ص ٤٢٨.

(٢) انظر: لمهابة محفوظ ميارة، مفهوم الحجاج في القرآن الكريم، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد: ٨١، ضمن بحوث المجلة، ٥٤٥/٣.

(٣) انظر: الجدل في القرآن الكريم خصائصه ودلالاته، ص ٨٠.

جدل بالحق؛ بل هو ضروري لتبليغ رسالة الله تعالى، ودفع ما يعتورها من شبهات، وإزالة ما يقف في طريقها من عقبات، وكشف ما يحاك لها من مؤامرات. وهذا النوع وإن كان في كثير منه معنى الإلزام والإفحام إلا أنه اشتمل كذلك على التوجيه والإرشاد إلى طريق الحق. الثاني: ما ورد على ألسنة خصوم الدعوة من الاعتراضات والدعاوي الباطلة التي حكاها القرآن الكريم عنهم، ويبيّن بطلانها، وما تنطوي عليه من مفسد. وهذا الجدل من خصوم الدعوة جدل بالباطل كما قال تعالى: ﴿وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ [غافر: ٥] (١).

والذي يُخلص له من مفهوم الجدل القرآني أنه: ما استعمله القرآن الكريم من براهين وأدلة وحجج، ومختلف أشكال الاستدلال، وطرق الإلزام والإفحام؛ لجعل الخصم يسير وفق المنهج الذي سطره القرآن الكريم لذلك؛ بغية إيصاله في الأخير إلى الاقتناع. ١٠

(١) انظر: مفهوم الحجاج في القرآن الكريم، ضمن بحوث المجلة، ٥٤٦/٣.

المطلب الثاني : مسالك الجدل القرآني

«اشتمل القرآن العظيم على جميع أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحذير يبنى من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به؛ لكن أوردته على عادة العرب دون دقائق طرق المتكلمين لأمرين:

أحدهما: بسبب ما قاله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٥].
[٤].

والثاني: أن المائل إلى طريق المحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل من الكلام، فإنَّ من استطاع أن يفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون لم ينحط إلى الأغمض الذي لا يعرفه إلا الأقلون، ولم يكن ملغزاً، فأخرج تعالى مخاطباته في محاجة خلقه في أجلى صورة؛ ليفهم العامة من جليلها ما يقنعهم، وتلزمهم الحجة، وتفهم الخواص من أثنائها ما يربى على ما أدركه فهم الخطباء»^(١).

وبناءً على كلام السيوطي السابق، يحاول الباحث أن يعرض المسالك التي يسلكها القرآن الكريم في جدله، ولا يدعي الباحث أنه سيذكر كل مسالك الجدل القرآني؛ إذ ذلك مما لا طاقة لبشر به مع كتاب لا تنضب معانيه، لكن سيحاول الكشف عن أبرز المسالك ضارباً أمثلة توضيحية لها. ١٥

المسلك الأول : السبر والتقسيم

يُعرّف السبر والتقسيم بأنه: «حصر الأوصاف التي توجد في الأصل، والتي تصلح للعلية في بادئ الرأي، ثمَّ إبطال ما لا يصلح منها، فيتعين الباقي للعلية»^(٢). ويأتي استخدام القرآن الكريم لهذا المسلك للاستدلال على إبطال دعوى المعارض، وذلك بحصر الأوصاف

(١) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة)، ١٣٩٤هـ، ٦٠/٤.

(٢) النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، دار النهضة (بيروت)، ط٣، ١٩٨٠م، ص ١٢٠.

الممكنة لهذه الدعوى، ثم بيان أنه ليس في أحد هذه الأوصاف وصف يسوغ قبولها فيه، فتبطل الدعوى بذلك^(١).

ومن الأمثلة القرآنية لهذا المسلك قوله تعالى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أُمُّ الثُّنَيْنِ أَمَّا الثُّنَيْنِ أَرْحَامُ الثُّنَيْنِ نَبُّونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أُمُّ الثُّنَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الثُّنَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٣-١٤٤] حيث إن «الكفار لما حرموا ذكور الأنعام تارة، وإنائها أخرى، ردَّ تعالى ذلك عليهم بطريق السبر والتقسيم، فقال: إن الخلق لله، خلق من كل زوج مما ذكر ذكراً وأنثى، فمِمَّ جاء تحريم ما ذكرتم؟ أي ما علته؟ لا يخلو إما أن يكون من جهة الذكورة أو الأنوثة أو اشتمال الرحم الشامل لهما، أو لا يُدرى له علة، وهو التعبدى بأن أُخِذَ ذلك عن الله تعالى، والأخذ عن الله تعالى إما بوحى وإرسال رسول أو سماع كلامه ومشاهدة تلقي ذلك عنه، وهو معنى قوله: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا﴾ [الأنعام: ١٤٤]، فهذه وجوه التحريم، لا تخرج عن واحد منها. والأول: يلزم عليه أن يكون جميع الذكور حراماً. والثاني: يلزم عليه أن يكون جميع الإناث حراماً. والثالث: يلزم عليه تحريم الصنفين معاً؛ فبطل ما فعلوه من تحريم بعض في حالة، وبعض في حالة؛ لأن العلة على ما ذكر تقتضي إطلاق التحريم، والأخذ عن الله بلا واسطة باطل، ولم يدعوه، وبواسطة رسول كذلك؛ لأنه لم يأت إليهم رسول قبل النبي صلى الله عليه وسلم، وإذا بطل جميع ذلك ثبت المدعى، وهو أن ما قالوه افتراء على الله وضلال^(٢). ومنها أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ﴾ [غافر: ٢٨] فهذا الرجل المؤمن أخذ قومه على طريقة السبر والتقسيم، فقال: لا يخلو هذا الرجل -يَقْصِدُ

(١) انظر: السيد رزق الحजर، مسائل العقيدة ودلائلها بين البرهنة القرآنية والاستدلال الكلامي، إدارة الدعوة والتعليم، سلسلة دعوة الحق، العدد: ٢٢٣، السنة: ٢٣، ١٤٢٨هـ، ص ١٠٤.

(٢) الإتيان في علوم القرآن، ٦٣/٤-٦٤.

النبيّ- من أن يكون كاذباً أو صادقاً، فإن كان كاذباً فكذبه يعود عليه، ولا يتخطاه، وإن كان صادقاً يصيبكم بعض الذي يعدكم إن أنتم استجبتم له، فلا أفضل لكم من أن تتركوه وشأنه، ولا تتعرضوا له بالأذى^(١).

المسلك الثاني : التسليم الجدلي

يأخذ هذا المسلك صوراً متعددة:

الأولى: أن يفرض المحال إما منفياً أو مشروطاً بحرف الامتناع، لكون المذكور ممتنع الوقوع؛ لامتناع وقوع شرطه، ثم يسلم وقوع ذلك تسليماً جدلياً، ويدل على عدم فائدة ذلك على تقدير وقوعه^(٢). ومثاله قوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١] فلا استدلال في هذه الآية يهدف إلى إثبات وحدانية الله تعالى، وأنه ليس معه إله، ولو سلّم جدلاً أن مع الله تعالى إلهاً لزم مع ذلك التسليم ذهاب كل إله من الإلهين بما خلق، وعلو كل منهما على الآخر، ويترتب على ذلك أن لا يتم في العالم أمر، ولا ينفذ فيه حكم، والواقع خلاف ذلك، ففرض إلهين فصاعداً محال؛ لما يلزم عنه من المحال.

الثانية: أن يتجه الاستدلال إلى مجارة الخصم، والتسليم ببعض مقدماته، واستدراجه حتى يقع في عثرة فينكشف زيف دعواه، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَنْ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَاثْنُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم: ١٠-١١] فالرسل في جدالهم لقومهم يجارونهم في دعواهم، فيعترفون لهم بكونهم بشراً مثلهم، فكأنهم -حسب فهم قومهم- قد سلّموا انتفاء الرسالة عن أنفسهم، وليس هذا مراد الرسل؛ بل هو من قبيل

(١) انظر: مجاهد ناصر، منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة، رسالة ماجستير في أصول الدين، كلية الدراسات العليا-جامعة النجاح الوطنية (نابلس-فلسطين)، إشراف: د.محسن الخالدي، ١٤٢٤هـ، ص ١٢٥.

(٢) انظر: الإتيقان في علوم القرآن، ٦٥/٤.

مجاراة الخصم ليعثر، فكأنهم قالوا: ما ادعيتم من كوننا بشراً حق لا ننكره؛ ولكن هذا لا ينافي أن يمن الله تعالى علينا بالرسالة^(١).

المسلك الثالث : القول بالموجب

هو «ردُّ كلام الخصم من فحوى كلامه»^(٢) بمعنى أن المجادل يلتزم في رده بما يقول الخصم، ويتمسك ببعض العبارات الواردة في كلامه، ويوافقه فيها لكن يختلف معه في مضمون هذه العبارات، ويثبت له عكس ما يدعي. وبعبارة أخرى يقول المجادل للخصم: إن ما قلت صحيح، لكن لا يلزم منه بطلان دعواي، فعلى الرغم من أنني أوافقك في العبارات التي صغتها كدليل على صدق دعواك، لكن مضمون تلك العبارات يعزز -في نظري- صدق دعواي وصحتها، ويعارض ويخالف ما ذهبت إليه^(٣).

ويأتي هذا المسلك على قسمين:

الأول: أن تقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء أثبت له حكم، فيثبتها لغير ذلك الشيء. كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨] ف(الأعز) وقعت في كلام المنافقين كناية عن فريقهم، و(الأذل) عن فريق المؤمنين، وأثبت المنافقون لفريقهم إخراج المؤمنين من المدينة، فأثبت الله في الرد عليهم صفة العزة لغير فريقهم، وهو الله ورسوله والمؤمنون، وكأنه قيل: صحيح ذلك ليُخْرِجَنَّ الأعز منها الأذل؛ لكن هم الأذل المُخْرَج، والله ورسوله الأعز المُخْرَج.

والثاني: حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه^(٤). كقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذْنٌ قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [التوبة: ٦١] فالآية ردُّ من الله تعالى على المنافقين الذين بسطوا ألسنتهم بالسوء؛ للطعن بالنبي صلى الله عليه وسلم، حيث اتهموه بأنه (أذن) أي: يصغي لكل متحدث، ويصدق كل قول، فردَّ الله

(١) انظر: الكشف، ٥١٠/٢.

(٢) التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١، ١٤١٨هـ، ٥٥١/٣.

(٣) انظر: الجدل في القرآن الكريم خصائصه ودلالاته، ص ٨٩.

(٤) انظر: الإتقان في علوم القرآن، ٦٤/٤ - ٦٥.

تعالى رداً مأخوذاً من فحوى كلامهم، وكأنه قال لهم: نعم هو أذن ولكن نعم الأذن؛ لأنه أذن خير لكم، أي: يسمع الخير، ولا يسمع الشر^(١).

المسلك الرابع: المناقضة

«وهي تعليق أمر على مستحيل إشارة إلى استحالة وقوعه»^(٢)، أو هو بعبارة أخرى: «إبراز الكلام في صورة المستحيل على طريق المبالغة ليدل على بقية جملة»^(٣). ومثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] فقد جعل ولوج الجمل في السم غاية لنفي دخولهم الجنة، وتلك غاية لا توجد، فلا يزال دخولهم الجنة منتفياً^(٤). ومثال آخر له قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [الزخرف: ٨١] حيث علّق الله تعالى أمر عبادة غيره -ولده على ما يزعمون- على أمر مستحيل، وهو أن يكون لله تعالى ولد، وعليه فالمعنى: ليس لله تعالى ولد، فلا أعبد سواه^(٥).

المسلك الخامس: ردُّ القضايا إلى أمور بدهية

إن من مسالك القرآن الكريم في استدلالاته ردُّ «المسائل إلى أمور بدهية معروفة، أو حقائق مشهورة مألوفة يخترُ بين يديها المجادل صاغراً»^(٦). من أمثلة هذا الأسلوب ردُّ الله تعالى على من زعم أن له تعالى ولد فقال: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠١-١٠٢] فقد دَلَّ سبحانه على بطلان أن يكون له ولد بأمر معروف مألوف، لا يماري فيه أحد، وهو أنه لو كان له ولد لكان له صاحبة، ولم يدّع أحد أن له سبحانه وتعالى صاحبة، فيجب أن لا يكون له ولد^(٧).

(١) انظر: منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة، ص ١٤٤.

(٢) الإتيان في علوم القرآن، ٤/٦٦.

(٣) البرهان في علوم القرآن، ٣/٤٧.

(٤) انظر: المرجع السابق، ٣/٤٧.

(٥) انظر: منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة، ص ١٤٥.

(٦) محمد أبو زهرة، تاريخ الجدل، دار الفكر العربي، ١٩٣٤م، ص ٧٠.

(٧) انظر: المرجع السابق، ص ٧١.

المسلك السادس : الانتقال

وهو أن ينتقل المستدل إلى استدلال غير الذي كان آخذاً فيه ؛ لكون الخصم لم يفهم وجه الدلالة من الأول، أو فهم لكنّه غلط في فهمه. ومثاله ما جاء في مناظرة إبراهيم عليه السلام للنمرود لما قال له: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فقال النمرود: ﴿أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، ثم دعا بمن وجب عليه القتل فأعتقه، ومن لا يجب عليه فقتله، فعلم إبراهيم عليه السلام أن النمرود لم يفهم معنى الإحياء والإماتة، أو علم ذلك، وغالط بهذا الفعل، فانتقل عليه السلام إلى استدلال لا يجد له النمرود وجهاً يتخلص به منه -الاستدلال المُتَقَلِّ إليه-، فقال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فانقطع النمرود، وبهت، ولم يمكنه أن يقول: أنا الذي آتي بها من المشرق؛ لأن من هو أسنُّ منه يكذبه^(١).

المسلك السابع : الترقّي والتدلي

يُقصد بالترقي: تناول الأدنى فالأعلى، وعكسه التدلي وهو: تناول الأعلى فالأدنى، وقد سلك القرآن الكريم هذا المسلك في كثير من استدلالاته، فتارة يبتدئ بالأدنى فالأعلى، وتارة يبتدئ بالأعلى فالأدنى، وكل ذلك بحسب ما يقتضيه الحال، ويفرضه الموقف، بما يجعل الحجة أبلغ في التحدي والإلزام، وأقرب إلى التسليم والإفحام^(٢).

١٥ من أمثلة الأول -الترقي- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ * أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٤-١٩٥] في هذه الحجة أثبت الله تعالى أن الأصنام التي يعبدونها الكفار هي أمثالهم في كونها مخلوقة مقهورة، ثمَّ حطها عن درجة المثلية بنفي المماثلة بين صفات الكفار وصفات الأصنام، فأخذ ينفي الصفات بادئاً بالأدنى؛ لغرض الترقّي؛ لأن منفعة الرابع أهم من منفعة الثالث، فهو أشرف منه، ومنفعة الثالث أهم من منفعة الثاني فهو أشرف منه،

(١) انظر: الإتيان في علوم القرآن، ٦٥/٤-٦٦.

(٢) انظر: منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة، ص ١٢٦.

ومنفعة الثاني أهم من منفعة الأول، فهو أشرف منه^(١). ولا شك أن سلب المماثلة أضعفها فأقواها كان أبلغ في إقامة الحجة من سلب الأقوى فالأضعف في هذا المقام؛ إذ المقام مقام بيان ضعف الأصنام، وأنها دون الإنسان في كل شيء، ولا شك أن البدء بنفي الأضعف عنها أبلغ؛ لأن نفي الأضعف نفي لما هو أقوى منه بطريق الأولى، ولو بدأ بالأعلى لبقي عند السامع احتمال أن تتصف بما هو أدنى، فكانت الحجة بسلوك هذا المسلك أبلغ وألزم في تأدية الغرض المطلوب.

ومن أمثلة الثاني -التدلي- ما جاء في تحدي الله تعالى للمشركين في أن يأتوا بمثل القرآن الكريم. وقد كانت مراحل التحدي أن يأتوا بمثله كاملاً ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور: ٣٣-٣٤]، ثم تحداهم بعشر سور من مثله ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: ١٣]، ثم تحداهم بسورة واحدة من مثله ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣] وفي هذا التحدي بمراحله تدلي واضح من الأعلى إلى الأدنى، ولكن لماذا استخدم هذا الأسلوب في الاحتجاج عليهم؟ الجواب: إن الموقف كان موقف إظهار العجز المطلق لكل البشر عن أن يأتوا بمثل القرآن مع توبيخ وتحقير لمن ادعى نفي كون القرآن من عند الله تعالى، ولا شك أن استخدام مسلك التدلي كان أبلغ في التحدي، وإظهار ضعف المشركين؛ بل عجزهم^(٢).

المسلك الثامن: التحدي

وهو أن يُطلب من أصحاب الضلال ومثيري الشبهات أن يأتوا بفعل معين، إذا قاموا به كان دليلاً على صدق دعواهم، وإن عجزوا دلَّ على كذبهم، وقيام الحجة عليهم، وقد تضمن القرآن الكريم عدداً من الأمثلة جاء هذا المسلك متوافقاً معها، منها: ما عرضه الباحث في المسلك السابق من تحدي الله تعالى للمشركين المكذبين بالقرآن أن يأتوا بمثل القرآن أو بشيء من مثله، فلمَّا عجزوا سجل الله تعالى عليهم الهزيمة، وأعلن قيام الحجة عليهم،

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، ٢٧٠/٣.

(٢) انظر: منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة، ص ١٢٨.

وكذبهم فيما ادعوه من نسبة القرآن الكريم إلى صنع البشر، فقال تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ
الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾
[الإسراء: ٨٨] ولا يزال التحدي جارٍ إلى يوم القيامة^(١).

ومنها: المباهلة، وهي الضراعة إلى الله تعالى بصدق واجتهاد، فقد جاء في الخبر أن
العاقب والسيد راهبا نجران أتيا النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لهما: «أسلما تسلما».
فقالا: قد أسلمنا قبلك. فقال: «كذبتما، يمنعكما من الإسلام ثلاث: سجودكما للصليب،
وقولكما اتخذ الله ولداً، وشربكما الخمر». فقالا: ما تقول في عيسى؟ قال: فسكت النبي
صلى الله عليه وسلم، ونزل القرآن: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ * إِنَّ مَثَلَ
عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ
الْمُتَرَدِّينَ * فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ
وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران:
٥٨-٦١]، فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملاعنة، فقال أحدهما لصاحبه: لا
تلاعنه، فوالله لئن كان نبياً فلاعناه لا نفلح نحن ولا عقبنا أبداً، فقالا: لا نلاعنك، ولكننا
نعطيك ما سألت -أي الجزية-^(٢).

المسلك التاسع : مطالبة الخصم بالدليل

ومعناه أن يطلب المحتج من خصمه برهاناً على ما يدعيه؛ فلا تقبل دعوى من غير
برهان؛ إذ لا يعجز كل أحد أن يدعي ما يشاء من اعتقاد أو تشريع، وهذا إن كان بلا دليل لا
يقبل لا شرعاً ولا عقلاً. ومن هنا صاغ العلماء قاعدة منهجية في البحث والاستدلال مفادها:
إن كنت ناقلًا فالصحة، وإن كنت مدعيًا فالدليل^(٣)، وقد جاء هذا المسلك في مواضع
متعددة في القرآن الكريم رداً على كثير من الدعاوي التي يدعيها خصوم الدعوى الإسلامية،
منها: قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا

(١) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، ١/٢١٧.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، مسند (عبد الله بن مسعود)، رقم/٣٩٣٠، ١/٤١٤، وقال شعيب
الأرناؤوط: صحيح على شرط الشيخين. والسيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، دار إحياء العلوم
(بيروت)، دط، ص ٥٣.

(٣) انظر: منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة، ص ١٤٩.

بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿البقرة: ١١١﴾، وقوله: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٤]، وقوله: ﴿أَمْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلِلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤].

المسلك العاشر: التجزئة

ويُقصد بهذا المسلك: أن يُذكر حكم عام إثباتاً أو نفيّاً، أو تُعرض إشكالية ما، ثم يذكر أجزاء الموضوع، وما يحمل من دلائل جزءاً جزءاً، بحيث لو أُخذَ جزء واحد منها، ودُرس وحلّل، لكان كافياً للدلالة على الحكم العام الذي أُطلق ابتداءً^(١). من أمثلة هذا المسلك قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩] تعرض هذه الآية إشكالية مفادها إثبات عبادة الله تعالى وحده، وإنكار عبادة ما سواه، ثم تأتي الآيات بعدها مجزئة إلى أجزاء متعددة، تدل بمجموعها على حكم الإشكالية المعروضة ابتداءً، ولو أُخذ أي جزء من هذه الأجزاء لصحَّ كذلك دليلاً على الحكم الابتدائي، وهذه الآيات هي:

- ١- ﴿أَمْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلِلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠]
- ٢- ﴿أَمْ يَجْعَلُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلِلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: ٦١]
- ٣- ﴿أَمْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢]
- ٤- ﴿أَمْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلِلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٦٣]
- ٥- ﴿أَمْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلِلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤]

(١) انظر: الجدل في القرآن الكريم خصائصه ودلالاته، ص ٩١.

إنَّ كلَّ جزءٍ من هذه الأجزاء الخمسة دليل على وجوب إثبات وحدانية الله تعالى، وإفراده بالعبادة.

المسلك الحادي عشر : بيان تناقض الخصم

يقصد بهذا المسلك: إبطال دعوى الخصم، وإقامة الحجة عليه، وذلك بإظهار تناقض دعواه مع ما جرى عليه هو، أو مع ما جرى عليه فريقه، أو مع ما جرى عليه الناس عموماً. ومن خلال التعريف يظهر أن هذا المسلك على ثلاثة أقسام:

الأول: إبطال دعوى الخصم بإظهار تناقضها مع فعله، كما يُلَمَح ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩] فهذه الآية حجة على اليهود في تكذيبهم للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، فقد كانوا يحاربون جيرانهم من العرب في الجاهلية، ويستنصرون عليهم بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره، فيفتح لهم وينصرون، فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم كفروا به، وجحدوا نبوته، وهذا تناقض بين، وحجة عليهم.

الثاني: إبطال دعوى الخصم بإظهار تناقضها مع فعل فريقه، ومثاله قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٨٣] يورد الله تعالى في هذه الآية ادعاء بعض اليهود واحتجاجهم على عدم الإيمان برسالة النبي صلى الله عليه وسلم بأن الله تعالى عهد إليهم في التوراة أن لا يؤمنوا لرسول حتى يأتيهم ببرهان ودليل صادق، فأرشد الله تعالى نبيه أن يردَّ عليهم بأن الله تعالى بعث لفريقهم رسلاً جاؤوا ببراهين صادقة كما يقولون، فلماذا قام فريقهم بقتلهم، ولم يؤمنوا لهم؟ وبهذا بطلت حجتهم بتناقضها مع فعل فريقهم. والملاحظ أن الآية نسبت القتل إليهم لا إلى فريقهم، وذلك من باب المجاز لا الحقيقة؛ لأنهم علموا به ورضوه، فكانوا كمن فعله.

الثالث: إبطال دعوى الخصم بإظهار تناقضها مع ما جرى عليه الجنس البشري، مثاله ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوْ كَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ﴾ [القصص: ٤٨]

تحكي هذه الآية الكريمة واقع حال طائفة من المشركين - مشركي مكة - جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم بشيراً ونذيراً، فكذبوه متعللين بأنه لم يؤت مثل ما أوتي موسى من الكتاب والبرهان، فأرشد الله تعالى نبيه أن يقول لهم: أولم يكفر الذين علموا الحجج التي أوتيها موسى من قبل. وكأن الله تعالى يقول لهم: دعواكم غير صحيحة، ولو أوتي محمد - صلى الله عليه وسلم - مثلما أوتي موسى - عليه السلام - ما آمتتم به، والدليل على ذلك أن موسى أوتي ما أوتي، ومع ذلك كفر به المعاندون من قومه، ولن يكون حالكم أفضل من حالهم، فأنتم وإياهم في العناد سواء^(١).

المسلك الثاني عشر: إظهار أن دعوى الخصم قائمة على التشهي والتحكم

وحاصل هذا المسلك إبطال دعوى الخصم بإظهار أن ما ذهب إليه إنما كان اتباعاً للشهوة من غير دليل، فإن جاءه ما لا يشتهيه دفعه وردّه، وإن جاءه ما يشتهيه ويهواه أجازَه وقبله، فإردُّ ما خالف هواه، ويقبل ما وافقه^(٢).

وقد أنكر القرآن الكريم في عدد من المواضع على من كان سبيله في دعاويه التشهي واتباع الهوى، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥]، وقوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧] هذه الآيات الكريمة جاءت في معرض الاستنكار على اليهود، وبيان أنهم يتبعون أهواءهم وشهواتهم، فهذه الأفعال لا تصدر إلا ممن اتبع شهوته وهواه، من غير دليل يثبت صحة دعواه. ومن الأمثلة على هذا المسلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩]، فقد جاءت هذه الآية في معرض الرد على المشركين الذين أضافوا لأنفسهم حاكمية التحليل والتحريم التي لا تنبغي إلا لله تعالى، فلقن الله تعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يردَّ عليهم بقوله: إنكم تحكمون بتحليل بعض ما رزقكم الله

(١) انظر: منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة، ص ١٤٦-١٤٧.

(٢) انظر: ابن القيم، إرشاد القرآن والسنة إلى طريق المناظرة وتصحيحها وبيان العلل المؤثرة، ت: أيمن الشوا، دار الفكر المعاصر (بيروت)، ط ١، ١٤١٧هـ، ص ١١٤.

إياه من الأنعام « وتحريم البعض ، فإن كان بمجرد التشهي والهوى فهو مهجور باتفاق العقلاء مسلمهم وكافرهم ، وإن كان لاعتقادكم أنه حكم الله فيكم وفيما رزقكم فلا تعرفون ذلك إلا بطريق موصلة إلى الله ، ولا طريق يتبين بها الحلال من الحرام إلا من جهة الرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده»^(١).

المسلك الثالث عشر : بيان ما وقع فيه الخصم من اللبس والاشتباه

وهو أن يظهر المجادل لخصمه أن دعوته قائمة على محض اللبس والاشتباه، ولا صلة لها بالحقيقة والواقع. وقد سلك القرآن الكريم هذا المسلك في الرد على من ادعى صلب المسيح عليه السلام فقال: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧] فقد نفى الله تعالى نفياً قاطعاً أن يكون عيسى عليه السلام قد صلب أو قُتل، ثم احتجَّ على من ادعى ذلك أن اعتقاده جاء نتيجة اللبس في الموضوع، وليس الأمر كما هو في الظاهر، فإن الذي قُتل ليس هو عيسى؛ بل هو من ألقى الله تعالى عليه شبهه. فنبه بذلك على الخطأ الذي وقع به من اعتقد ذلك الاعتقاد الفاسد - صلب المسيح عليه السلام-^(٢).

المسلك الرابع عشر : الهدم

وهو أن يأتي الخصم بكلام يتضمن معنىً، فيأتي المجادل بضده، فيكون بذلك قد هدم ما بناه الخصم. كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: ١٨] فقد ادعى اليهود أمرين: أنهم أبناء الله تعالى، وأنهم أحباؤه، فردَّ الله تعالى على ادعائهم الأول بقوله: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾ [المؤمنون: ٩١] فهدم ادعاءهم بالبنوة، وردَّ ادعاءهم الثاني بقوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٧] فهدم ادعاءهم أنهم أحباء الله تعالى؛ لأنهم ظالمون بكفرهم، ومن كان كذلك فأين له من محبة الله تعالى! وهدم

(١) الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، دار الفكر (بيروت)، دط، ٤٥٥/٢.

(٢) انظر: الجدل في القرآن الكريم خصائصه ودلالاته، ص ١٥٢.

كلا الادعاءين بقوله: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة: ١٨] فَإِنَّ الأب لا يعذب ابنه بل يتسامح معه، وكذلك المحبوب لا يعذب حبيبه^(١).

المسلك الخامس عشر: الاستدراج

وهو التوصل إلى حصول الغرض من المخاطب، والملاطفة له في بلوغ المعنى المقصود من حيث لا يشعر. وقد تضمن القرآن الكريم كثيراً من الحجج التي سلكت هذا المسلك، منها قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿[الأنعام: ٧٥-٧٨] فقد كان إبراهيم عليه السلام في مقام إقامة الحجة على قومه، وبيان بطلان ما كانوا عليه من عبادة الكواكب، وكان أشرفها عندهم الشمس ثم القمر ثم الكواكب، فسلك معهم مسلك الاستدراج، ويتضح ذلك من جانبين:

الأول: عندما أظهر إبراهيم عليه السلام نفسه شريكاً في هذه العبادة -عبادة الكواكب- حتى أنه صرَّح بذلك قائلاً في شأنها: (هَذَا رَبِّي). قال النسفي: «والصحيح أن هذا قول من ينصف خصمه مع علمه أنه مبطل، فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه؛ لأنه أدعى إلى الحق، وأنجى من الشغب، ثم يكر عليه بعد حكايته، فيبطله بالحجة»^(٢).

الثاني: استخدامه مسلك الترقى في نقض معبوداتهم، وكان استخدامه لهذا المسلك تحقيقاً للاستدراج الذي تبعه معهم «فبدأ بالكوكب الذي هو أدنى معبود لهم في الشرف والمقام؛ لأنه الأبعد عن نفوسهم، فلا تعلق لهم به كبير، ثم بالقمر الذي يليه بالمرتبة، ثم بالشمس التي هي في أعلى المراتب، فكان استخدامه للترقى رعاية للمقام، إذ المقام مقام استدراج واستلطاف للمخاطبين، ولو بدا بالشمس لنفروا عنه، ونازعوه من أول الأمر؛ كونه مسَّ أشرف معبود لهم»^(٣).

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، ٤١٢/٣.

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار الفكر (بيروت)، دط، ٢٠/٢.

(٣) منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة، ص ١٢٧.

المسلك السادس عشر : الاختراع

وهو أن يذكر المتكلم أو المستدل معنى لم يسبق إليه. ومن أمثلة هذا المسلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣] فهذه الآية من أبلغ ما أنزل الله في تجهيل الكافرين، وتقريعهم، والاستخفاف بعقولهم؛ لغرابة التمثيل الذي تضمن الإفراط في المبالغة مع كونها ملازمة للحق والواقع، فقد اقتصر سبحانه على ذكر أضعف المخلوقات وأقلها سلماً لما تسلبه، وتعجيز كل من دونه عن خلق مثله، مع التضافر والاجتماع، ثم عدل عن رتبة الخلق، لما فيه من تعجيز، إلى استنقاذ النزر القليل، الذي يسلبه الذباب، فقد تدرج في النزول على ما يقضيه الإلزام والإفحام. ووجه الاختراع في هذه الآية أنه لم يسمع أحد بهذا التمثيل قبل نزول القرآن الكريم، ولا قريباً منه؛ ولهذا لما سمع المشركون بهذا المثل في تحقير أصنامهم عابوا على النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، وأنكروا أن يكون هذا المثل مثلاً ضربه الله تعالى، فردَّ الله تعالى عليهم بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦]^(١).

المسلك السابع عشر : التقرير

ويُقصد بهذا المسلك: الاستفهام عن المقدمات الجلية الواضحة التي يمنع جلاؤها ووضوحها أن يجحدها أحدٌ أو يماري فيها. ولهذا المسلك أمثلة كثيرة في القرآن الكريم منها: قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١] وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣] ومن الواضح أن الآيتين قد برهنتا على المعاد باستخدام الاستفهام التقريري الذي لا يمكن

(١) انظر: الفوائد المشوقة في علوم القرآن وعلم البيان، ص ٣٣١.

معارضته^(١)، «فإنه من المعلوم ببداهة العقول أن خلق السموات والأرض أعظم من خلق أمثال بني آدم، والقدرة عليه أبلغ، وأن هذا الأيسر أولى بالإمكان والقدرة من ذلك»^(٢).

المسلك الثامن عشر : توجيه النظر في الملكوت

يُقصد بهذا المسلك: الحض على النظر والتفكر في الفعل المعجز والتدبير الحكيم الذي يدل العقل، ويقوده إلى الإقرار بالفاعل الحكيم، والخالق المدبر. والدلالة القرآنية القائمة على أساس مسلك النظر في الملكوت تنحصر - فيما يرى ابن رشد - في طريقين: أحدهما ما سمّاه دليل العناية، والثاني: دليل الاختراع. يقول ابن رشد في بيان هذا: «الطريق التي نبه الكتاب العزيز عليها، ودعا الكل من بابها، إذا استُقرئ الكتاب العزيز، وُجدت تنحصر في جنسين:

أحدهما: طريق الوقوف على العناية بالإنسان، وخلق جميع الموجودات من أجله، ولنسمّ هذه دليل العناية.

والطريقة الثانية: ما يظهر من اختراع جواهر الأشياء والموجودات، مثل اختراع الحياة في الجماد، والإدراكات الحسية والعقل، ولنسمّ هذه دليل الاختراع»^(٣).

وقد وافق كثير من العلماء^(٤) ابن رشد في أن الاستدلال بالنظر في الملكوت هو أحد مسالك البرهنة المشهورة في القرآن الكريم، لكنهم أطلقوا عليه اسم (دلالة الأنفس) و(دلالة الآفاق). والحق أن مضمون الاستدلال واحد عند الجميع، وإن اختلفت تسمياته، فهو يقوم على النظر والتفكر في الفعل المعجز والتدبير الحكيم الذي يدل العقل ويقوده إلى الإقرار

(١) انظر: مسائل العقيدة ودلائلها بين البرهنة القرآنية والاستدلال الكلامي، ص ١٠٩.

(٢) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ت: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية (بيروت)، ١٤١٧هـ، ٣٢/١.

(٣) مناهج الأدلة في عقائد الملة، ت: محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة)، ط ٢، ١٩٦٤م، ص ١٥٠.

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، ٩٠/٢، وابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١، ١٤١٩هـ، ١١٢/٦، وابن الوزير، إثبات الحق على الخلق، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ٢، ١٩٨٧م، ٤٥/١، وروح المعاني (دار إحياء التراث)، ١٥٨/٤، وفي ظلال القرآن، ٢٩٩/١.

بالفاعل الحكيم، والخالق المدبر. والفعل المعجز والتدبير المحكم يُنظر إليه، ويُتفكر فيه من جانبين:

الأول: جانب الإنسان وما يعرض له في حياته من أحوال، وما يعتريه من أطوار في الخلق.

٥ الثاني: الجانب المُشاهد للإنسان في هذا الكون، وما ينطوي عليه، ويكشف عنه من آثار القدرة والتدبير^(١).

ولا زال العلم يكشف في هذا المجال عن تفاصيل كثيرة، إذا تفكرت فيها العقول فإنها تدلها دون عناء على أن لهذه الآيات والمشاهد خالقاً قادراً مدبراً حكيماً.

والأمثلة القرآنية لهذا المسلك كثيرة جداً، منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤] يحكي الزمخشري أنه كان للمشركين حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً، فلما سمعوا بالآية السابقة لهذه الآية ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] تعجبوا وقالوا: ١٠ إن كنت صادقاً فأت بآية نعرف بها صدقك. فنزلت: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤]^(٢). وقال النبي صلى الله عليه وسلم في شأنها: «لقد نزلت علي الليلة آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤]» الآية كلها^(٣).

ومنها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَهُمُ اللَّهُ فَأَتَى ثَوَفَكُونَ * فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ٢٠

(١) انظر: مسائل العقيدة ودلائلها بين البرهنة القرآنية والاستدلال الكلامي، ص ١٠٢.

(٢) انظر: الكشف، ٢٣٦/١.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط ٢، ١٤١٤هـ، باب (التوبة) (ذكر البيان بأن المرء عليه إذا تخلى لزوم البكاء على ما ارتكب من الحوبات، وإن كان بائناً عنها، مجدداً في إتيان ضدها)، رقم/٦٢٠، ٢٨٦/٢، وقال المحقق شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ * وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنَ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٥-٩٩﴾ [الأنعام: ٩٥-٩٩] توجه هذه الآيات الكريمة النظر إلى مظاهر قدرة الله تعالى في الكون، فتناولت قدرته في: الإحياء والإماتة، والليل والنهار، والشمس والقمر والنجوم، وخلق الإنسان، وإنزال الماء، وإخراج النباتات المختلفة في الأرض. وختمت هذه الآيات بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩] أي: دلالات على كمال قدرة من خلق هذه الأشياء كلها، فكيف يُشرك بعبادته؟ وكيف يُنسب إليه الصاحبة والولد والبنت؟ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً!

المسلك التاسع عشر : القياس

في ختام عرض مسالك الجدل القرآني يعرض البحث أبرز هذه المسالك، ولعله أكثر المسالك استخداماً في القرآن الكريم في سوق الأدلة العقلية نفيًا وإثباتًا؛ نفي العقائد الباطلة، وإثبات قضايا الإيمان، إنه مسلك القياس.

يُعرّف القياس بمعناه الفقهي بأنه: «حمل فرع على أصل بعلّة جامعة بينهما، وإجراء حكم الأصل على الفرع»^(١). ويُعرّف بمعناه المنطقي بأنه: «قول مركب من قضيتين أو أكثر، متى سلم لزم عنه لذاته قول آخر»^(٢)، وللقياس كمسلك من مسالك الجدل القرآني أشكال متعددة يعرضها البحث مشفوعةً بأمثلة قرآنية موضحة لها:

أولاً: أشكال نابعة من المعنى الفقهي للقياس.

الشكل الأول: قياس الأولى.

وهو ما كان فيه الفرع (المقيس) أولى بالحكم من الأصل (المقيس عليه). وقد استخدم القرآن الكريم قياس الأولى بشكل واسع النطاق، وله تطبيقات كثيرة في كتاب الله تعالى،

(١) الشيرازي، المعونة في الجدل، ت: علي عبد العزيز العميريني، جمعية إحياء التراث الإسلامي (الكويت)، ط ١، ١٤٠٧هـ، ص ٣٦.

(٢) المعجم الوسيط، ٧٧٠/٢.

منها: قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١] ففي هذه الآية إثبات حكم الشيء بناء على ثبوته لنظيره بشكل أكد وأقوى؛ لأن من خلق الشيء يكون قادراً على خلق مثله أو أقل منه. ومنها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩] فإذا كان الخلق من غير أب مسوغاً لاتخاذ عيسى إلهاً، فأولى بآدم المخلوق من غير أب ولا أم أن يكون هو الآخر إلهاً، لكن لما لم يكن آدم إلهاً باعترافكم فمن باب أولى أن لا يكون عيسى إلهاً^(١).

الشكل الثاني: قياس التمثيل (قياس الغائب على الشاهد).

«وهو أن يقيس المستدل الأمر الذي يدعيه على أمر معروف، ويبين الجهة الجامعة بينهما»^(٢). وأكثر ما يرد هذا الشكل من القياس في القرآن الكريم عند الاستدلال على قضية البعث، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾ [يس: ٧٨-٨٠] فالقرآن الكريم يقيس الغائب هنا، وهو الإعادة بعد الموت على أمور معلومة قطعاً للإنسان، وهي أنه وجد من لا شيء بعد أن لم يكن، أو على شيء مشاهد محسوس يراه الإنسان بعينه، وهو استخراج الحار من الشجر الأخضر الرطب، أي: استخراج الشيء من ضده. ومثل ذلك قوله عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩] فقياس الغائب هنا، وهو إحياء الموتى على أمر مشاهد محسوس لا يشك فيه عاقل، وهو حياة الأرض بعد جفافها ويبسها^(٣).

وبالنظر إلى الجامع بين الأصل والفرع ينقسم هذا الشكل من أشكال القياس إلى قسمين:

(١) انظر: أحمد الطعان، منهجية الحوار الجدلي في القرآن الكريم والسنة النبوية، بحث غير مطبوع، ص ١٣-١٤.

(٢) تاريخ الجدل، ص ٦٨.

(٣) انظر: منهجية الحوار الجدلي في القرآن الكريم والسنة النبوية، ص ١٤-١٥.

الأول: قياس العلة: «وهو أن يحمل الفرع على الأصل بالمعنى الذي يتعلق الحكم به في الشرع، وذلك مثل قياس النبيذ على الخمر بعلّة أنه شراب فيه شدة مطربة»^(١). وقد ذكر ابن القيم أمثلة متعددة له فقال: «فأما قياس العلة فقد جاء في كتاب الله عز وجل في مواضع، منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩] فأخبر تعالى أن عيسى نظير آدم في التكوين، بجامع ما يشتركان فيه من المعنى الذي تعلق به وجود سائر المخلوقات، وهو مجيئها طوعاً لمشيئته وتكوينه، فكيف يستنكر وجود عيسى من غير أب من يقر بوجود آدم من غير أب ولا أم ووجود حواء من غير أم؟ فآدم وعيسى نظيران يجمعهما المعنى الذي يصح تعليق الإيجاد والخلق به. ومنها قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧] أي: قد كان من قبلكم أمم أمثالكم، فانظروا إلى عواقبهم السيئة، واعلموا أن سبب ذلك ما كان من تكذيبهم بآيات الله ورسوله، وهم الأصل، وأنتم الفرع، والعلة الجامعة التكذيب، والحكم الهلاك»^(٢).

الثاني: قياس الدلالة: «وهو الجمع بين الأصل والفرع بدليل العلة وملزومها»^(٣). والفرق بين قياس العلة وقياس الدلالة أن المعنى الجامع بين الأصل والفرع في قياس العلة هو العلة، أما في قياس الدلالة فهو ما يلزم عن العلة أو ما ينتج عنها ويكون أثراً لها - وليس العلة ذاتها-^(٤). ويأتي قياس الدلالة على ضربين أبرزها اثنان:

أولهما: أن يستدل بخصيصة من خصائص الشيء عليه: من أمثله في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عُلُقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: ٣٦-٤٠] والمقصود هنا إثبات المعاد، والرد على من أنكره من أهل الزيغ والجهل والعناد؛ ولهذا قال تعالى مستدلاً على الإعادة بالبداة: ﴿أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُُمْنَى﴾

(١) المعونة في الجدل، ص ٣٦.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ت: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية (القاهرة)، ١٣٨٨هـ، ١/١٣٤.

(٣) المرجع السابق، ١/١٣٨.

(٤) انظر: منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة، ص ١٣٨.

- [القيامة: ٣٧] أي: أما كان الإنسان نطفة ضعيفة من ماء مهين. يمني: يراق من الأصلاب في الأرحام. ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾ [القيامة: ٣٨] أي: فصار علقة ثم مضغة ثم شكلاً، ونفخ فيه الروح، فصار خلقاً سوياً سليم الأعضاء، ذكراً أو أنثى بإذن الله وتقديره. ولهذا قال تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ [القيامة: ٣٩] ثم قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: ٤٠] أي: أما هذا الذي أنشأ هذا الخلق السوي من هذه النطفة الضعيفة بقادر على أن يعيده كما بدأه؟^(١) والملاحظ في هذا القياس أن الله تعالى احتجَّ بخصيصة من خصائص الإنسان، وهو أنه كان ميتاً فخلقه من العدم، وهو قادر على أن يعيد خلقه مرة أخرى كما خلقه أول مرة. فالأصل: خلق الإنسان من العدم في المرة الأولى. والفرع: إعادة خلق الإنسان بعد عدمه (موته). والعلة: الخلق من العدم. ملزوم العلة: عموم القدرة، وهذا هو المعنى الجامع بين الأصل والفرع.
- ١٠ ثانيهما: أن يستدل بالنظير على النظير: من أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: ١٩] ففي هذه الآية دلَّ الله سبحانه وتعالى عباده بما أراهم من الإحياء الذي عاينوه يقيناً، وشاهدوه بأنفسهم، على الإحياء الذي أنكروه واستبعدوه، فقاس إحياءاً على إحياء، وإخراجاً على إخراج، فدلَّ بالنظير على النظير، وقرب أحدهما من الآخر بمعنى جامع بينهما، وهو إحياء بعد موت، وإخراج من الأرض، الذي يلزم عنه عموم القدرة الإلهية في كل شيء، فالذي قدر على الإحياء بعد موت -وهذا مشاهد- قادر على إحياء الإنسان بعد موته يوم القيامة. فالأصل: إحياء الأرض بعد موتها وإخراج الحي من الميت والميت من الحي. الفرع: إخراج الناس من قبورهم أحياء في الآخرة. والعلة: إحياء وإخراج بعد موت. وملزوم العلة: وجود قدرة مطلقة، وهذا هو المعنى الجامع^(٢).
- ٢٠

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ٥٤٤/٤.

(٢) انظر: منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة، ص ١٤١.

الشكل الثالث: قياس العكس.

وهو «نفي الحكم عن الفرع لنفي علة الحكم فيه»^(١). ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَؤُونَ الْحَمْدَ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ٧٥-٧٦] في هاتين الآيتين مثالان متضمنان قياسين من قياس العكس، المثل الأول: ما ضربه الله سبحانه وتعالى لنفسه وللأوثان، فالله سبحانه هو المالك لكل شيء ينفق كيف يشاء على عبده سرًّا وجهراً، ليلاً ونهاراً، يمينه ملأى لا تغضيها نفقة، سحاء الليل والنهار، والأوثان مملوكة عاجزة، لا تقدر على شيء، فكيف تجعلونها شركاء لله تعالى، وتعبدونهم من دونه مع هذا التفاوت العظيم!

والمثل الثاني: هو مثل ضربه الله سبحانه وتعالى لنفسه ولما يعبد من دونه أيضاً، فالصنم الذي يُعبد من دونه بمنزلة رجل أبكم لا يعقل ولا ينطق؛ بل هو أبكم القلب واللسان، قد عدم النطق القلبي واللساني، ومع هذا فهو عاجز، لا يقدر على شيء ألبتة، ومع هذا فأينما أرسلته لا يأتيك بخير، ولا يقضي لك حاجة، فهل يُستوى من كان هذا حاله بمن يتصف بكل صفات الكمال!^(٢). وقياس العكس في هذين المثلين واضح؛ إذ إنَّ الله تعالى سلب عن الأصنام علة الألوهية -وهي صفات الكمال والقدرة المطلقة- فاقتضى ذلك نفي الحكم عنها -وهو الألوهية- لانتفاء علته، وبذلك بطلت ألوهية الأصنام.

ثانياً: أشكال نابعة من المعنى المنطقي للقياس.

الشكل الأول: القياس الاقتراني.

وهو «ما لم يكن عين النتيجة، أو نقيضها مذكوراً فيه»^(٣). من أمثلته قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [ص: ٢٠]

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ١/١٦٠.

(٢) انظر: ابن القيم، الأمثال في القرآن الكريم، ت: إبراهيم بن محمد، مكتبة الصحابة (طنطا)، ط ١، ١٤٠٦هـ، ص ٢١-٢٢.

(٣) السيوطي، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ت: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب (القاهرة)، ١٤٢٤هـ، ص ١٢٤.

[٢٦] مقدمتان ونتيجة؛ لأن اتّباع الهوى يوجب الضلال، والضلال يوجب سوء العذاب، فأنّج أن اتّباع الهوى يوجب سوء العذاب. وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦] أي: الكوكب آفل، وربّي ليس بآفل، فالكوكب ليس بربي^(١).

الشكل الثاني: القياس الاستثنائي.

وهذا الشكل يختلف عن سابقه في أنّ أحد الأمرين: النتيجة أو نقيضها يكون مصرحاً به في المقدمات. من أمثله قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقد شهد الحس والعيان على أنّهم لم ينفضوا من حوله، فانتفى عنه صلى الله عليه وسلم أن يكون فظاً غليظ القلب^(٢).

الشكل الثالث: القياس الإضماري.

«وهو قياس حذف منه إحدى المقدمات طبقاً لمقتضى الحال والمقام؛ للعلم بها، فهي موجودة في ذهن المتكلم، محذوفة في كلامه»^(٣). من أمثله القرآنية -الكثيرة؛ إذ إنّ أغلب أقيسة القرآن الكريم مبناها على الحذف والاختصار، وهذا واضح في الأمثلة التي ساقها الباحث للأشكال السابقة والتالية - قوله تعالى في الرد على النصارى الذين زعموا أنّ عيسى ابن الله؛ لأنّه خلّق من غير أب، فقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩] فهذه الآية سقت للرد على دعوى النصارى، ولم تذكر سوى مقدمة واحدة، وهي اثبات مماثلة آدم لعيسى عليهما السلام، وطوت ما عداها، وكأنّ سياق القياس هكذا: إنّ آدم خلّق من غير أب كعيسى، فلو كان عيسى ابناً بسبب ذلك لكان آدم أولى، لكنّ آدم ليس ابناً باعترافكم، فعيسى ليس ابناً أيضاً. والقارئ يلاحظ أنّ حذف هذه المقدمات أعطى الكلام طلاوة، وأكسبه رونقاً لم يكن ليوجد لو ذكرت المقدمات كلها.

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، ٤٧٠/٣.

(٢) انظر: مسائل العقيدة ودلائلها بين البرهنة القرآنية والاستدلال الكلامي، ص ٩٣.

(٣) الجدل في القرآن الكريم خصائصه ودلالاته، ص ٨٥.

الشكل الرابع: قياس الخلف.

«وهو إثبات المطلوب بإبطال لازم نقيضه المستلزم لإبطال نقيضه المستلزم لإثباته»^(١).

ويطلق عليه برهان التفنيد^(٢). وقد اتجه الاستخدام القرآني لهذا الشكل في إقامة الحجة على

منكري توحيد الألوهية، وأطلق عليه المتكلمون في هذا المجال (برهان التمانع)، كما في

قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^٥

[الأنبياء: ٢٢] وتقريره: أنه «لو كان للعالم صانعان لكان لا يجري تدبيرهما على نظام، ولا

يتسق على أحكام، ولكان العجز يلحقهما أو أحدهما؛ وذلك لأنه لو أراد أحدهما إحياء

جسم، وأراد الآخر إماتته، فإما أن تنفذ إرادتهما، فيتناقض؛ لاستحالة تجزي الفعل إن

فرض الاتفاق أو لامتناع اجتماع الضدين إن فرض الاختلاف. وإما ألا تنفذ إرادتهما، فيؤدي

إلى عجزهما. أو لا تنفذ إرادة أحدهما، فيؤدي إلى عجزه، والإله لا يكون عاجزاً»^(٣).

والملاحظ أن هذا الدليل أثبت توحيد الألوهية بإثبات استحالة نقيضها، وهو التعدد.

وقد جعل الباحث هذا الشكل ضمن الأشكال النابعة من المعنى المنطقي للقياس؛ لأنه

إن استخدمت لغة المنطق في التعبير عنه لأمكن التعبير عنه في صورة قياس استثنائي (استثني

فيه نقيض التالي فأتج نقيض المقدم) وذلك على النحو الآتي:

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] لكنهما لم تفسدا.

إذن ليس مع الله تعالى آلهة أخرى، وهذا إثبات التوحيد وهو المطلوب.

فالمقدم هنا: (لو كان في السموات والأرض آلهة غير الله تعالى). والتالي: (لفسدتا).

وقد استثني نقيض التالي: (لكنهما لم تفسدا). فلزم نقيض المقدم وهو: (وحدانية الله تعالى).

(١) ابن كمونة، الجديد في الحكمة، ت: حميد الكبيسي، مطبعة جامعة بغداد (بغداد)، ١٤٠٣هـ،

١٨٩/١.

(٢) انظر: مسائل العقيدة ودلائلها بين البرهنة القرآنية والاستدلال الكلامي، ص ٩٤.

(٣) الإتيان في علوم القرآن، ٦٣/٤.

المطلب الثالث : دلالة أسلوب الجدل على مسائل العقيدة (نماذج)

جاء في المطلب السابق الكثير من الاستدلالات العقدية خلال عرض مسالك الجدل القرآني، وفيما يأتي يعرض البحث قضايا عقدية أخرى عرضها القرآن الكريم مستخدماً الطريقة الجدلية:

النموذج الأول: في قوله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ بُيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: ٧٥] حيث سلكت الآية في إثبات التوحيد، وردّ ألوهية غير الله تعالى مسلك بيان ما وقع فيه الخصم من اللبس والاشتباه حيث أظهرت أنّ دعوى النصراني قائمة على محض اللبس والاشتباه، ولا صلة لها بالحقيقة والواقع، وبينت وجوه اللبس الذي وقعوا فيه في

١٠ دعواهم من خلال نقاط ثلاث:

الأولى: أنّ عيسى عليه السلام ما هو إلا رسول من جنس الرسل الخالية، ظهرت على يديه المعجزات، شأنه في ذلك شأن كل الرسل، فإن كان عيسى إلهاً فليكن كل رسول قبله إلهاً كذلك؛ إذ لا فارق بينه وبينهم، وهذا ما لا يدعيه أحد.

الثانية: وصف عيسى عليه السلام بأنّ أمّه صديقة، فهو مولود مربوب، ومن ولدته النساء لا يمكن أن يكون إلهاً.

الثالثة: وصف عيسى عليه السلام وأمّه بأنهما يأكلان الطعام، وفي هذا دلالة على بشريتهما من وجهين:

أولهما: أنهما كسائر أفراد البشر في الاحتياج إلى ما يقوم به البدن من الطعام والشراب، ومن كان محتاجاً فهو عاجز، والعاجز لا يكون إلهاً.

٢٠ ثانيهما: أنّ من أكل الطعام كان محتاجاً إلى قضاء الحاجة، ومن كان كذلك فلا يكون إلهاً بوجه من الوجوه^(١).

النموذج الثاني: في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنْ

(١) انظر: مفاتيح الغيب، ٥٢/١٢، والآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، دط، ٢٠٩/٦.

الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ * أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨-٨١﴾ فقد دلت هذه الآيات على إثبات البعث، وسلكت في دالاتها مسلك القياس في شكلين منه:

الأول: قياس التمثيل (قياس الغائب على الشاهد): في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ﴾ [يس: ٧٨-٨٠]، وذلك من خلال قياس البعث يوم القيامة على أمر معروف لدى الإنسان، وبيان الجهة الجامعة بينهما^(١). فالقرآن الكريم يقيس الغائب هنا، وهو الإعادة بعد الموت على أمور معلومة قطعاً للإنسان، وهي أنه وجد من لا شيء بعد أن لم يكن، أو على شيء مشاهد محسوس يراه الإنسان بعينه، وهو استخراج الحار من الشجر الأخضر الرطب، ووجهه: أن الإنسان مشتمل على جسم يحس به، وحياة سارية فيه، هي كحرارة جارية فيه، فإن استبعدتم وجود حياة وحرارة فيه بعد موته وبرودته، فلا تستبعدوا ذلك فإن الله تعالى يخرج الشيء من ضده، كما تشاهدون في كل يوم النار يخرجها من الشجر الأخضر الذي يقطر منه الماء^(٢).

الثاني: قياس الأولى: في قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١]، ففي هذه الآية إثبات حكم الشيء بناءً على ثبوته لنظيره بشكل أكد وأقوى؛ لأن من خلق الشيء يكون قادراً على خلق مثله أو أقل منه من باب أولى.

النموذج الثالث: في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] تسلك هذه الآية في إثبات أن القرآن الكريم من عند الله تعالى مسلك قياس الخلف الذي يقوم على إثبات المطلوب من خلال إبطال لازم نقيضه،

(١) انظر: تاريخ الجدول، ص ٦٨.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، ٩٦/٢٦، ومنهجية الحوار الجدلي في القرآن الكريم والسنة النبوية، ص ١٤-

وبالتالي إبطال النقيض نفسه، وإثبات المطلوب^(١)، فمطلوب هذه الآية: إثبات كون القرآن منزل من عند الله تعالى، ونقيضه: كون القرآن من صنع البشر، ولزام هذا النقيض: وجود الاختلاف المستمر الدائم من حال إلى حال، الذي يبدو جلياً في كلام البشر؛ إذ إنك عندما تستعرض أعمال الأديب الواحد، أو المفكر الواحد، أو الفنان الواحد، أو السياسي الواحد، فإنه سيبدو فيها الوسم البشري واضحاً وهو: التغير والاختلاف. ولما كان هذا اللازم غير موجود في القرآن الكريم ثبت أن القرآن من عند الله تعالى؛ إذ المستقرئ المتدبر لآيات القرآن الكريم سيجد الثبات والتناسق هو الظاهرة الملحوظة فيه، فهناك مستوى واحد في هذا الكتاب المعجز، تختلف ألوانه باختلاف الموضوعات التي يتناولها، ولكن يتحد مستواه وأفقه وكماله في الأداء، بلا تغير ولا اختلاف من مستوى إلى مستوى، كما هو الحال في كل ما يصنع الإنسان، إنه يحمل طابع الصنعة الإلهية، ويدل على الصانع، الذي لا يتغير من حال إلى حال، ولا تتوالى عليه الأحوال^(٢).

(١) انظر: الجديد في الحكمة، ٨٩/١.

(٢) انظر: في ظلال القرآن، ٧٢١/٢.

الفصل الثالث : الأساليب الفنية

المبحث الأول : أسلوب التمثيل

المبحث الثاني : الأسلوب الإخباري

المبحث الثالث : الأسلوب القصصي

المبحث الأول : أسلوب التمثيل

المطلب الأول : تعريف المثل وبيان أنواعه

أولاً: المثل لغةً: قال ابن فارس: «الميم والثاء واللام أصلٌ صحيح، يدلُّ على مناظرة الشيء للشيء. وهذا مثل هذا أي: نظيره، والمِثْلُ والمِثَالُ في معنى واحد. وربما قالوا: مثل كشيء. تقول العرب: أمثل السلطان فلاناً: قتله قِوداً، والمعنى: أنه فعل به مثل ما كان فعله. والمِثْلُ: المِثْلُ أيضاً، كشبه وشبهه. والمثل المضروب مأخوذ من هذا، لأنه يذكر مورى به عن مثله في المعنى»^(١).

وقد أورد العلماء العديد من المعاني لهذه المادة، منها ما ذكره الحسن اليوسي أن «المِثْلَ -بفتحتين- يرد على ثلاثة أضرب: الأول: الشبه: يُقال: هذا مثل ذلك، أي: شبيهه، ويقال أيضاً: هو مثله -بكسر فسكون- ومثيله... تقول: مثلت الشيء بالشيء إذا شَبَّهْتَهُ به تمثيلاً وتمثالاً -بفتح التاء- كالسَّيَّارِ والتَّطَوَّافِ، وأما التَّمثال -بالكسر- فالصورة المصورة، جمعها تماثيل، يُقال: مثله له أي صورته له حتى كأنه ينظر إليه، وتمثَّل: تصور، قال تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧]... الضرب الثاني: الصفة، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [محمد: ١٥] أي: صفتها، ونحو هذا، وهو كثير في القرآن، وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠] أي لهم الصفات الذميمة، وله الصفات العلى... الضرب الثالث: القول السائر المشبه مضربه بمورده، وعلى هذا الوجه ما ضرب الله تعالى من الأمثال في القرآن، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، وعلى هذا شاع إطلاق اسم المثل إذا أُطلق»^(٢).

(١) مقاييس اللغة، مادة (مثل).

(٢) زهر الأكم في الأمثال والحكم، دار الهلال (بيروت)، ١٩/١-٢٠.

وقد توسع غيره، فعدُّوا من معاني المثل: السنن والعبرة والعذاب والحجة وغيرها مستندين في ذلك لبعض تفسيرات السلف -في سياق تفسيرهم لآيات القرآن الكريم- لكلمة (مثل) بهذه المعاني^(١).

لكنَّ نظرة فاحصة في قواميس اللغة توصل الباحث إلى نتيجة مفادها أنَّ المعنى اللغوي الأصل، هو الضرب الأول الذي ذكره الحسن اليوسي، وهو المعنى الأصل في الاستعمال القرآني كذلك، وما عداه من المعاني لا يعدو أن كون تفسيراً للكلمة ببعض مدلولاتها لقرائن تحفها، أو أن يكون على سبيل التوسع والتجوز في تفسير الكلمة، وذلك جرياً على عادة السلف حيث يفسرون الجملة من القرآن الكريم أو اللفظة في مناسبة ما ببعض دلالاتها أو بعض معانيها، ثمَّ يفسرونها في مناسبة أخرى ببعضٍ آخر، ولا يريدون بذلك أنَّ تفسيرهم هو كلُّ ما تدلُّ عليه الآية^(٢).

والذي يُخلص له أنَّ من أهم ما تدل عليه مادة (مثل): تشبيه المعاني المجردة المتخيَّلة بالصور المحسوسة، وتصويرها بحيث يسهل فهمها وتعلُّقها.

ثانياً: المثل اصطلاحاً:

المثل في اصطلاح الأدباء: «قول محكي سائر، يُقصد به تشبيه حال الذي حُكي فيه بحال الذي قيل لأجله»^(٣)، فقد حدد هذا التعريف عنصرين للمثل (السيرورة وشبه المضرب للمورد)، في حين أضاف البعض عنصراً آخر للمثل هو (الغرابة) قال الرازي: «ثمَّ قيل للمثل السائر الممثل مضربه بمورده: مثل، وشرطه أن يكون قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه»^(٤).

لكنَّ المثل في الاصطلاح القرآني ليس من قبيل المثل عند الأدباء، فصيغة المثل القرآني لم تُنقل عن حادثة معينة أو واقعة مُتخيَّلة «أعيدت مكررة تمثيلاً، وضُرب موردها

(١) انظر: عبد المجيد البيانوني، ضرب الأمثال في القرآن أهدافه التربوية وآثاره، دار القلم (دمشق)، ط١، ١٤١١هـ، ص١٦-١٧، ومحمد جابر الفياض، الأمثال في القرآن الكريم، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، ص٢٧.

(٢) انظر: ضرب الأمثال في القرآن أهدافه التربوية وآثاره، ص١٩.

(٣) مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط٤، ص٢٨٢.

(٤) مفاتيح الغيب، ٦٦/٢.

تنظيراً، وإنما ابتدع المثل القرآني ابتداءً دون حذوٍ احتذاه، وبلا موردٍ سبقه، فهو تعبير فني جديد ابتكره القرآن حتى عاد صيغةً متفردةً في الأداء والتركيب والإشارة»^(١).

وقد تعددت تعريفات الباحثين للمثل في الاصطلاح القرآني، منها:

١ - «إبراز المعنى في صورة رائعة موجزة لها وقعٌ في النفس، سواءً كانت تشبيهاً أو قولاً مرسلًا»^(٢).

٢ - «والمثل القرآني يطلق عليه علماء البلاغة والتفسير (التشبيه التمثيلي)، ويطلق عليه كذلك (المثل القياسي)، وكذلك (التمثيل المركب)، ويعرفون جميع هذه المصطلحات بأنها: سرد وصفي أو قصص أو صورة بيانية؛ لتوضيح فكرة ما عن طريق التشبيه والتمثيل، فهو في القرآن: تشبيه شيء بشيء لتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين إلى الآخر، أو اعتبار أحدهما بالآخر؛ لغرض التأديب والتهذيب والتوضيح والتصوير»^(٣).

وعلى ما سبق فأسلوب التمثيل يقوم على تصوير المعاني المجردة بصور مجسدة والأحوال القائمة بوقائع تاريخية معروفة، بحيث يتلقاها القارئ أو السامع لموضوع الرسالة وكأنها مشهد مرئي أمامه، مما يؤثر إيجاباً في المتلقي، ويدفعه للقيام بسلوك مرغوب.

ثالثاً: أنواع المثل في القرآن الكريم:

تنوعت تصنيفات الباحثين للمثل القرآني تنوعاً كثيراً تبعاً للجانب الذي يركز عليه كل واحد منهم^(٤)، وأشمل هذه التصنيفات ما ذكره (عبد المجيد البيانوني) حيث جعل الأمثال القرآنية أنواعاً ثلاثة:

(١) يزيد الحمزاوي، المدلولات التربوية للأمثال القرآنية، رسالة ماجستير من قسم علم النفس وعلوم التربية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية-جامعة الجزائر، إشراف: د.عبد القادر خياطي، ٢٠٠٦م، ص ٢٤.

(٢) مباحث في علوم القرآن، ص ٢٨٣.

(٣) المدلولات التربوية للأمثال القرآنية، ص ٢٤.

(٤) انظر: عبد الرحمن النحلاوي، التربية بضرب الأمثال، دار الفكر (دمشق)، ط ٣، ١٤٣١هـ، ص ٢٩-٣١، والعقيدة في السور المكية وتوجيهاتها التربوية، ص ١٦١-١٦٦.

الأول: ما كان من قبيل الكلمة الشائعة على الألسن، ولا يُصرح فيها بلفظ التشبيه، ولم تكن أمثالاً وقت نزولها لكونها مبادئ خلقية ودينية، ولكن لما شاعت اكتسبت صفة المثل، وهذا المثل يسمى المثل المرسل، ومن أمثله قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]، وقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، وقوله: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢]، وقوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣]، وقوله: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر: ١٤].

الثاني: ما كان من قبيل تشبيه معقول بمحسوس أكثر وضوحاً، وهو سرد وصفي أو صورة بيانية لتوضيح فكرة ما عن طريق التشبيه والتمثيل، وهذا النوع يسمى المثل القياسي، ومن أمثله قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٦]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

الثالث: الأمثال التاريخية، وهي ما كان من قبيل تشبيه واقع قائم بوقائع تاريخية، وقصص واقعية وما آلت إليه لتشابه الممثل معها في الأوضاع والمواقف والسلوك، وليبان سنة الله تعالى في عبادته، ومن أمثلة هذا النوع قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ * كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [آل عمران: ١٠-١١]^(١).

والنوع الثاني هو أمس الأنواع بموضوع هذا البحث، فهو أعمق تأثيراً وأجلى تصويراً، يجمع بين عمق الفكرة وجمال التصوير والمقارنة بين المتماثلين، ويأتي النوع الثالث في المرتبة الثانية بخلاف النوع الأول الذي تبرز فيه الناحية البلاغية أكثر من الناحية التصويرية المؤثرة التي يتعلق موضوع البحث بها.

(١) انظر: ضرب الأمثال في القرآن أهدافه التربوية وآثاره، ص ٢٣-٢٦.

المطلب الثاني : الأهمية الإعلامية للتمثيل القرآني ودوره في الإقناع

احتلت الصورة مؤخراً موقع الهيمنة في العملية الإعلامية في الإعلام المعاصر، وذلك إثر التطور الكبير في تكنولوجيا الصناعة الإعلامية التي منحتها فرصة الانتشار والصدارة، بالإضافة إلى أن الصورة الإعلامية تستطيع الوصول بدلالاتها إلى وعي الجمهور بطريقة أيسر وأسهل من غيرها^(١).

إذاً فقد «أضحت الصورة الإعلامية الساكنة (Static photo)، والصورة الإعلامية المتحركة (Motion picture) عنصراً رئيساً في صناعة الرسالة الإعلامية وصياغتها؛ لتكون مكملّة للنص الإعلامي أو مستقلة عنه في عملية إقناع الجمهور والتأثير فيه. وإذا كان الإعلام في أبسط مفاهيمه وتعريفاته هو: (محاولة إحداث أثر) فإنّ عنصر الصورة أصبح أهم عناصر التأثير في الجمهور؛ بقصد زيادة وعيهم بدلالات الرسالة الإعلامية، أو تغيير مواقفهم واتجاهاتهم تجاه القضية التي تتناولها الرسالة الإعلامية»^(٢).

لكن قد يبدو من التكلف الشديد -والحديث عن أهمية التمثيل القرآني الذي هو نص مكتوب- الحديث عن الصورة المرئية الساكنة والصورة المرئية المتحركة؛ وذلك للتباعد الشديد في الظاهر بين طبيعة هذه الوسائل الإعلامية المعاصرة وأسلوب عرضها، وطبيعة القرآن الكريم وأسلوب عرضه، ولكن حين يلقي الباحث نظرة متأملّة سيجد أن الأمر على العكس تماماً؛ ذلك أن أهم ما يميز وسائل الإعلام المرئية المعاصرة هو نقل الموضوع من اللفظ المسموع أو المكتوب إلى الصورة المرئية، سواءً أكان ذلك في نقل الخبر، كما في الأخبار المصورة، أم كان في القصص كما في معروضات (السينما أو التلفزيون أو المسرح)، حيث تُصاغ القصة في (فيلم أو تمثيلية أو مسرحية)، وقد كانت هذه الصور في مرحلة من مراحل السينما تؤدي صامته، أي: في صور غير مصحوبة بكلام، مما يعني أن الهدف الأساس هو نقل القصة من الألفاظ إلى الصور، ثمّ مصاحبة الألفاظ لها بعد ذلك ليس إلا لزيادة التوضيح، وكذلك أيضاً نقل أي موضوع مهما كانت طبيعته ثقافية أو وعظية أو غير ذلك، حيث ينقل من نصه اللفظي إلى صور مجسدة لتعرض في وسيلة إعلام مرئي.

(١) انظر: محمد البشر، إيديولوجيا الإعلام، دار غيناء للنشر (الرياض)، ط ١، ١٤٢٩هـ، ص ٣٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٨.

وإذا تأمل الباحث أسلوب القرآن الكريم من هذه الزاوية، فإنه سيجد أن مما يشيع فيه بكثرة واضحة، أنه يعتمد إلى نقل المعاني المجردة إلى صور مجسدة، بحيث يتمثلها القارئ أو السامع للقرآن الكريم، وكأنها مشهد مرئي أمامه، غاية ما في الأمر أنها ماثلة في خيال بصيرته المعنوية، وليس أمام بصره الحسي، وهذا لا يقلل من وضوح الصورة أو تأثيرها النفسي؛ بل العكس هو الصحيح؛ فإن تأثير الخيال أكبر بكثير من تأثير الحواس، والحواس إنما ينبع تأثيرها الأكبر من خلال الخيال، فأنت مثلاً عندما ترى منظر شخص بائس أو مظلوم يحتاج إلى عون، فليس رؤية عينك هي التي تدفعك إلى عونه، وإنما ارتسام صورته في مخيلتك، وتأثيرها على مشاعرك هو الذي يدفعك إلى ذلك، وما لم يحدث وضوح الصورة وتأثيرها الوجداني فلن يكون لها أثر، بدليل أنه ليس كل من يرى المنظر البصري يتأثر به، ولو كان البصر الحسي وحده الذي يدرك الصور لما كان للعميان أن يعبروا أو يدركوا تصور شيء من المرئيات، بينما الواقع يدل على أن بعض العميان أكثر وأدق إدراكاً للصورة المرئية والتعبير عنها من المبصرين، وما ذلك إلا لأنهم من خلال ما سمعوه يرسمون في خيالهم صورةً لهذه المرئيات، ثم ينقلونها إلى غيرهم في ألفاظ^(١).

من هنا يصل الباحث إلى أنه لا فرق في النتيجة بين التصوير الحسي الذي تؤديه وسائل الإعلام المرئي، وبين التصوير المعنوي أو الخيالي الذي ترسمه الألفاظ، فالمهم النتيجة النهائية، وهي أن تصل هذه الصورة -سواء من خلال تجسيد حسي كما تفعل وسائل الإعلام المعاصرة أم من خلال تصوير بألفاظ كما في القرآن الكريم- إلى خيال المشاهد أو السامع بصورة واضحة، وتحدث التأثير المطلوب في نفسه، وتدفعه إلى سلوك يهدف إليه صاحب الرسالة.

ولكي يتضح ما سبق يعرض الباحث المثال القرآني الآتي:

يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨] فالله سبحانه وتعالى ينهى عن صفة الكبر، فيعرض هذا المعنى -النهى عن هذه الصفة- في صورة حسية مرئية أمام القارئ أو السامع بقوله: (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ

(١) انظر: عبد الحليم حفني، إنصاف الخصم في القرآن وأثره الإعلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة)، دط، ١٩٩٢م، ص ٣٠٠-٣٠٢.

لِلنَّاسِ) حيث إنَّ أبرز معاني (الصَّعَر) أنَّه مرض يصيب الإبل في أعناقها فيلويها، فيمشي الجمل ب صدره إلى أمام، وعنقه معوجَّ مائل إلى جهة أخرى بسبب هذا المرض، فالقرآن الكريم يأخذ هذا المظهر، ويرسم منه صورةً للإنسان المتكبر المغرور بخيلائه، الذي يمشي بين الناس مزهواً بنفسه، شامخاً بأنفه، مشيحاً عنهم بوجهه، فالقرآن الكريم يسلخه من كل هذا، ويرسمه في خيال القارئ أو السامع في صورة جمل مريض بمرض (الصَّعَر)، والهدف من هذا واضح، وهو تنفير المتلقي من أن ينخدع بمظهر هذا المغرور، فيحسب أن هذا المظهر ميزة أو دليل على ميزة في صاحبه، ومن باب أولى هو تنفير لمن يصطنع هذا المظهر من أن يظن أن مظهره هذا تميز وعلو على الناس، بينما هو في الحقيقة نوع من المرض، يعرفه المختصون في علم النفس، ولا يختلف عن مرض الإبل المذكور إلا في أن الأخير مرض عضوي، وذاك مرض نفسي^(١).

لقد رسم القرآن في لفظ واحد (تُصَعَّر) صورةً مجسدةً حيةً ماثلةً أمام القارئ أو السامع، وبصرف النظر عن أي موازنة بين منهج القرآن الكريم ومنهج وسائل الإعلام المرئي، فإنَّ هذا التمثيل والتصوير الذي يصوره القرآن بما يهدف إليه من تأثير في نفس المتلقي هو أقصى ما تتمناه أية وسيلة إعلام مرئي في تصويرها في نفس المشاهد.

وقبل الانتقال إلى عرض نماذج تطبيقية من دعوة القرآن للعقيدة باستخدام أسلوب التمثيل، يوجز الباحث بنقاط محددة أهداف أو أغراض أسلوب التمثيل في القرآن الكريم:

أولاً: تقريب المعاني إلى عقل المخاطب وقلبه:

يعبر عن هذا الغرض سيد قطب بلغته الأدبية المعهودة، فيقول: «التصوير هو الأداة المفضلة في الأسلوب القرآني، فهو يعبر بالصور المحسوسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثمَّ يرتقي بالصورة التي يرسمها، فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية. فأما الحوادث والمشاهد

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٢٠٣-٢١٤، وعبد الحليم حفني، التصوير الساخر في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة)، ١٩٩٢م، ص ٢٥.

والقصص والمناظر فيردها شاخصة حاضرة، فيها الحياة وفيها الحركة، فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخيل»^(١) فما يكاد يبدأ العرض حتى ينقلهم نقلاً إلى مسرح الحوادث الأول الذي وقعت فيه أو ستقع، حيث تتوالى المناظر، وتتجدد الحركات، وينسى المستمع أن هذا كلاماً يتلى، ومثلاً يُضرب، ويتخيل أنه منظر يعرض، وحادث يقع^(٢).

فالمتكلم عندما يضرب الأمثال للسامعين ينتقل بهم من عالم التجريد والمفاهيم إلى عالم الحواس المدركة، والواقع الملموس، فيتفاعلون مع حديثه، ويتأثرون بكلامه، ويكون له عليهم من سلطان التأثير عوامل عديدة من الحواس إلى التخيل والذاكرة والتنبه واليقظة إلى التفكير باقتران المثل بالمُمَثَّل له وترابطهما، وهذا ما يضيفي على كلامه قدرة في التأثير قوية، على حسب نجاحه في التمثيل، وقدرته على بلاغة التصوير «وما أشبه تأثير (التمثيل اللفظي والتصوير البلاغي) بـ(التمثيل المسرحي والتصوير المرئي)، بل إننا لنقول بكل تأكيد: إنَّ ذلك قد ولَّد هذا، وإنَّ نجاح الثاني ما هو إلا أثر عن نجاح الأول، وما الترابط بينهما إلا كترابط السبب بالمسبب، والمقدمة بالنتيجة، واللفظ بالمعنى، والصورة بالحقيقة، فالأمثال تريك المُتَخَيِّل بصورة المتحقق، والمُتَوَهِّم في معرض المُتَيَقِّن، والغائب كأنه مُشَاهَد»^(٣).

ما ذكرته آنفاً هو نفسه ما توصَّل إليه حديثاً علماء النفس الاتصالي مثل: فرنسيس برغن (Francis Berguin) ويان لولي (Yann Lelay) حيث أشاروا في كتاباتهم إلى أنَّ الرسالة الاتصالية الناجحة يجب أن تتمتع بخاصية كونها محسوسة أو ملموسة (Concrete)، فكلمات الرسالة المحسوسة أكثر تحديداً للمعنى من الكلمات المجردة (Abstract)؛ لكونها تثير الحواس الإنسانية كالسمع والبصر واللمس وغيرها، والكلمات المحسوسة تزود المستقبل بصورة ذهنية للأشياء (Image)، ترسخ في ذهنه، بعكس الكلمات المجردة التي لا تسعفه في تكوين صورة ذهنية راسخة، فالكلمات المحسوسة تساعد المستقبل على تخيل الرسالة، وتذكر موضوعها، والتفاعل معها بشكل قوي ومؤثر.

(١) التصوير الفني في القرآن، دار الشروق (القاهرة)، ط٦، ١٤٢٣هـ، ص٣٦.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٣٦.

(٣) ضرب الأمثال في القرآن أهدافه التربوية وآثاره، ص٣٨.

وباستقراء التمثيلات القرآنية وتحليل محتواها يظهر للباحث جلياً أن القرآن يستخدم بالدرجة الأولى الأمثال الحسية؛ لتقريب المعاني الغيبية للمخاطب، أما الأمثال المعنوية فهي قليلة جداً، وهذا ما أوضحته الدراسات المسحية للأمثال القرآنية، والجدول الآتي يبين مدى التفاوت بين عدد التمثيلات القرآنية التي يكون الممثل به حسياً ومثيلاتها التي يكون الممثل به معنوياً^(١):

نوع الممثل به	حسي	معنوي	المجموع
عدد تكراره	١١٩	٨	١٢٧
نسبته المئوية	٩٣,٧٠٪	٦,٢٩٪	١٠٠٪

وقد تنبه التربويون قديماً وحديثاً لأهمية هذا الأسلوب في العملية التربوية، وكونه مفيداً في تربية الأطفال والناشئة؛ لأن مدارك الطفل تقف عادةً عند الأمور الحسية، فلا يقوى على فهم المعاني الكلية فضلاً عن التأثر بها؛ ولذا كان البدء مع الطفل بالمحسوسات، والانتقال منها تدريجياً إلى المعنويات هو ما يحتاجه الطفل لنموه السليم، وأسلوب التمثيل يحقق هذا^(٢)، وهذا ما توافقت عليه الدراسات العلمية والبحوث الموضوعية عن طرق التدريس وأساليبه قديماً مع ابن خلدون وابن جماعة، وحديثاً مع بياجيه وروسو^(٣).

ثانياً: التمثيل القرآني وطريقته في التصوير وجه من وجوه الإعجاز القرآني، فالتمثيل والتصوير على الرغم من أنه متأثّر للبشر إلا أنه في القرآن الكريم يبلغ مستوى التفرد والإعجاز، فمن «طبيعة الإنسان أنه لا يستطيع أن يطوع ألفاظ اللغة لكل ما يتصوره من دقائق المعاني والأخيلة، فهو كثيراً ما يضطر أن ينزل عن بساط خياله الحالم، لكنه لا يجد من حوله سواها، فيضطر أن يهبط إلى مستواها؛ وبذلك يفسد سير فكر تصوراتها، غير أن القرآن لا يعجزه أن تكون الكلمة دائماً في مستوى المعنى المراد على أدق وجه»^(٤).

(١) انظر: المدلولات التربوية للأمثال القرآنية، ص ٤٨-٤٩.

(٢) انظر: عبد الغني عبود وحسن عبد العال، التربية الإسلامية وتحديات العصر، دار الفكر العربي (القاهرة)، ط ١، ١٩٩٠م، ص ٤٩٦.

(٣) انظر: المدلولات التربوية للأمثال القرآنية، ص ٤٧.

(٤) من روائع القرآن، ص ١٧٧.

ثالثاً: إيجاز التعبير، واختصار المسافات الطويلة، فالقليل يؤدي الكثير اعتماداً على عمل المخيلة، فالكلمة أو الصورة الموجزة تثير المعاني الكثيرة التي تنداعى أمام المتلقي، وكأنها أحداث ماثلة أمام عينيه؛ وبذلك يشارك المتلقي بفكره الإبداعي ومخزون ذكرياته في تمثيل أبعاد الصورة، وبالتالي يتحقق التأثير المطلوب؛ إذ إنَّ المتلقي يصبح مشاركاً، ولعلَّ هذا ما يفسر ظاهرة الإيجاز المقصود في القرآن الكريم، وقد رأى القارئ كيف أنَّ كلمة (تصعر) شخصت حالة المرض النفسي (الكِبَر) وأنَّ المتكبر بغروره وخيلائه على الآخرين، وترفُّعه عنهم، ومشيته مزهواً بنفسه شامخاً بأنفه، يتعالى عن أن ينظر إلى الآخرين إلا نظرة ازدراء مملوءة بالتكلف من أطراف وجهه، إنَّ حاله هذه حال جَمَلٍ أُصيب بمرض الصَّعَر الذي لوى عنقه إلى جهة أخرى، وصدّره إلى أمام^(١)، فأسلوب التمثيل يوسع آفاق المتلقي الفكرية والنفسية بتدريبه على ربط المعقولات بالمحسوسات، والانتقال من التجريد إلى المحسوس، ومن المحسوس إلى التجريد، وتقريب المفاهيم المجردة من الواقع المحسوس^(٢).

رابعاً: إظهار الأغراض بكل دقة وروعة، ومخاطبته حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية، فقيمة «الجمال لشيء تكمن في البنية التكوينية له، وهذه البنية تتألف من الأمور التالية: جمال العناصر المكونة له، انسجام هذه العناصر وعدم تنافرها، جمال المعنى ونبل المقصد الذي تعبر عنه هذه التركيبة»^(٣)، اقرأ قول الله تعالى: ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصفافات: ٦٢-٦٥] ولاحظ أنَّ تشبيه طلوعها برؤوس الشياطين لم يرها أحد، وليست لها في الواقع المحسوس أية صورة يقاس عليها أو يشبه بها، لكنَّ هدف هذه الصورة تصوير بشاعة كل ما في جهنم بأقصى ما يتاح للخيال من تخيل، فهذه الشجرة وسيلة تعذيب ليس في تذوق طعمها أو في أكلها فحسب، وإنَّما مجرد رؤية طلوعها مخيف مرعب،

(١) انظر: مريم سعود، البعد التصويري في القرآن الكريم سورة يوسف نموذجاً، رسالة ماجستير من قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات-جامعة الجزائر، إشراف: د. يوسف عروج، ٢٠٠٦م، ص ٣٦.

(٢) انظر: ضرب الأمثال في القرآن أهدافه التربوية وآثاره، ص ٨٩.

(٣) البعد التصويري في القرآن الكريم، ص ٣٦.

كرعب من يفاجأ بشيطان يتمثل له في صورة مخيفة، وخصوصاً رؤية الرأس والوجه الحافل بأعضاء كثيرة كل منها مصدر رعب، فالهدف حينئذٍ إفساح المجال للخيال أن يرسم في مخيلة المتلقي أقصى ما يستطيع من صور البشاعة وأنواعها؛ ليكون ذلك نوعاً من العذاب النفسي لجهنم فوق عذابها المادي^(١).

(١) انظر: إنصاف الخصم في القرآن وأثره الإعلامي، ص ٣٠٥.

المطلب الثالث : دلالة أسلوب التمثيل على مسائل العقيدة (نماذج)

أشار البحث مراراً إلى فكرة مفادها أن المتأمل في أسلوب القرآن يلحظ أنه عادةً ما يورد المعنى الواحد في عدة أساليب مختلفة؛ لتلائم كل مستويات الإدراك، وكل ميول النفوس، فالدعوة إلى العقيدة الصحيحة في التوحيد مثلاً يوردها في ألفاظ مجردة نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١-٤]؛ لأن العقول السليمة يكفيتها أن تتأمل هذا المعنى، فتستجيب له دون حاجة إلى ترغيب أو ترهيب، أو اتعاض بقصص قوم سابقين، أو إثارة خيال وصور عن الذين استجابوا لهذه الدعوة أو الذين لم يستجيبوا لها، ولكن هناك بعض العقول أو النفوس غير السليمة أو الناقصة السلامة لا يكفيها المعنى المجرد، فتحتاج إلى أسلوب آخر؛ لتوصيل المعنى إلى أعماقها، على خلافها في الأسلوب الذي يوصله، فكان من أبرز هذه الأساليب وأبدعها تجسيد هذه المعاني المجردة في صور تبرز فيها عوامل التشويق والإثارة، وتدفع للتأثر النفسي والعقلي بهذه المعاني.

وقد أظهرت نتائج دراسة التمثيلات القرآنية، وتحليل مضمونها أنها أولت القضايا العقدية أهمية بالغة؛ لكونها تمثل القاعدة الكبرى التي يقوم عليها بناء الإسلام، فجاءت الأهداف العقدية للأمثال القرآنية أكثر بكثير من الأهداف السلوكية، والجدول الآتي يوضح ذلك:

هدف المثل	عقدي	سلوكي	المجموع
تكراره	١٠١	٢٦	١٢٧
نسبته المئوية	٧٩,٥٢٪	٢٠,٤٧٪	١٠٠٪

والمتتبع للقضايا العقدية التي تتناولها التمثيلات القرآنية يجد أنها تدور حول ثلاث قضايا رئيسية:

الأولى: البرهنة على وجوب أفراد الله بالعبودية، والإقرار بصفاته العليا.

الثانية: إثبات أحوال الآخرة من البعث والحشر والحساب وغيرها.

الثالثة: ذم الكفر والنفاق وأهلهم.

والجدول الآتي يوضح النسب والتكرارات لأنواع القضايا العقدية بحسب عرض التمثيلات القرآنية لها^(١):

الهدف العقدي	توحيد الله	أحوال الآخرة	ذم الكفر والنفاق	المجموع
تكراره	٣٧	١٧	٤٧	١٠١
نسبته المئوية	٣٦, ٦٣٪	١٦, ٨٣٪	٤٦, ٥٣٪	١٠٠٪

وفيما يأتي يعرض الباحث مجموعة من النماذج التطبيقية لهذه الأهداف، وكيفية دلالتها عليها:

النموذج الأول:

لقد جاء القرآن لينشئ عقيدة ضخمة -عقيدة التوحيد- بين قوم يشركون بالله تعالى آلهة أخرى؛ بل يكون من العجب عندهم أن يقول لهم قائل: إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ، ليس أدلَّ على ذلك من قوله تعالى: ﴿أَجْعَلِ لِلَّهِ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ * وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمْسُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ [ص: ٥-٧]، فعقيدة التوحيد -وإن كانت تبدو اليوم بدعية أو كالبدهية- لم يكن من السهل على الإنسانية -زمن نزول القرآن- التي تعلقت منذ طفولتها بشتى قوى الطبيعة، وشتى أطراف المجهول، ولا بست حياتها آلاف الظواهر الخارقة، وآلاف الوجدانات الباطلة أن تتخلى عن هذا الركام العميق العالق في ضمائرها، وأن تهرع إلى إله واحد يسيطر على كل هذه القوى^(٢)؛ لذلك جاءت الكثير من التمثيلات القرآنية تدعو إلى توحيد الله، وقد جاءت أغلب هذه التمثيلات بطريقة البرهان على نفي الشريك، وتركت للقارئ المتأمل أن يستنبط العكس بالحدس والبداهة، من هذه التمثيلات قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ * مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ [الحج: ٧٣-٧٤]، فبعد أن بينَّ الله تعالى حال المشركين، حيث عبدوا من دون الله ما لا دليل على استحقاقه للعبادة، لا من جهة النقل، ولا من جهة العقل، وتركوا عبادة من

(١) انظر: المدلولات التربوية للأمثال القرآنية، ص ٩٦.

(٢) انظر: التصوير الفني في القرآن، ص ٢٢٧.

خلقهم، ضرب لهم هذا المثل ليبين لهم ما عليه معبوداتهم من انتفاء القدرة على خلق أقل الأشياء؛ بل على استرداد ما أخذه ذلك الأقل. يشخص التمثيل القرآني هذا المعنى، ويبرزه في ثلاث صور متحركة متعاقبة: (لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا) على الرغم من صغره وحقارته، وفي ذلك تنبيه بالأصغر على الأكبر من باب أولى، أو لأن الإعجاز في خلقه هو الإعجاز في خلق الجمل والفيل. (وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ) بَيَّنَّ تعالى عدم استطاعتهم خلق الذباب، وهم متفرقون، ثم زاد في تعجيزهم، بأنهم لو اجتمعوا، وتعاونوا على خلقه، فلن يقدرُوا أيضاً. ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْفِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣] وفي هذا غاية التعجيز لهم، فقد أوضحت هذه الصور حقيقة عجز تلك الآلهة المزعومة عن خلق أحقر الأشياء بطريقة مؤثرة، تجعل المتلقي مشدوداً إلى محتوياتها من الحركة التخيلية في محاولة الخلق، وفي التجمع له، ثم في محاولة الطيران خلف الذباب لاستنقاذ ما يسلبه، وهم -الآلهة المزعومة- وأتباعهم عاجزون عن هذا الاستنقاذ.

هذا التصوير للضعف المزري، والتدرج في تصويره بما يثير في النفس السخرية اللاذعة والاحتقار المهين لتلك الآلهة المزعومة، تدفع المتلقي -بكل تأكيد- للإقرار بحقيقة ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٤] إنه تعالى وحده القوي الذي لا يتعذر عليه شيء، وهو الغالب الذي لا يغلب، ولا يقدر شيء أن يسلبه من ملكه شيئاً، فكيف يصح أن يشرك معه غيره؟! (١).

النموذج الثاني:

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٨] وتكرر هذا المثل في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [النحل: ٧١] ففي هذه الآيات «مثل ضربه الله تعالى للمشركين به، العابدين معه غيره،

(١) انظر: ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، دار لكتاب العربي (بيروت)، ط ٤، ١٤٠٣ هـ، ٤٧/٣، وأبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، دار الفكر (بيروت)، ط ٢، ١٤٠٣ هـ، ٣٩٠/٦، والتصوير الفني في القرآن، ص ٢٤٣-٢٤٤.

الجاعلين له شركاء، وهم مع ذلك معترفون أنَّ شركاءه من الأصنام والأنداد عبيد له، ملك له، كما كانوا يقولون: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك»^(١).

هذا المثل يبين استحالة الجمع بين ألوهية الرب الملائمة لملكه، وتصرفه في شؤون المخلوقين، وبين مشاركة هؤلاء المخلوقين لخالقهم ومالكهم أو مماثلته بشيء مما يختص به كالألوهية، وذلك عن طريق بيان استحالة أن يشارك أحد هؤلاء الوثنيين عبداً من عبيده بشيء مما يملكه أو يختص به، فهذه موازنة بين العلاقتين المتشابهتين؛ لتقريب علاقة الشركاء المخلوقين بالله مالكهم وخالقهم عن طريق عرض علاقة الأسياد من البشر بعبيدهم المملوكين لهم؛ وذلك لبيان التناقض والتناقض بين الملكية والمشاركة، وهذا إنما يعني بطلان الشرك وعبادة الأوثان، ما دامت علاقة الربوبية وملكية الله لجميع الكائنات بما فيهم الآلهة الوثنية المزعومة هي العلاقة الثابتة القائمة على الدوام، تدل عليها آيات الله في الآفاق والأنفس، ولأنَّ المملوك لا يكون شريكاً لمالكة^(٢).

النموذج الثالث:

يقول تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ * كَانَهُمْ حُمُرٌ مَّسْتَنْفِرَةٌ * فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٤٩-٥١] جاء هذا النص تعقيباً على ما سبقه من آيات تصور مصير المؤمنين والكافرين، وقد استقر بكل منهما المقام، فالمؤمنون في جنات يطلون من عليائها على الكافرين في سقر، يسألون عما جرَّ عليهم كلَّ هذا الهوان وسوء المصير، ثمَّ يأتي هذا النص بصيغة الاستفهام الإنكاري عن سبب إعراضهم الشديد عن الدعوة، مع وجود كل دواعي الاستجابة، ليقوا أنفسهم هذا المصير الذي ينتظرهم، لكنَّ النص القرآني لا يعبر عن إعراضهم بهذا الأسلوب التجريدي الذي لا يثير خيالاً، ولا يحرك في النفس ما يربأ بها عن أن تضع نفسها في هذا الموضع المثير للسخرية والخجل، فيرسم لهم هذه الصورة الموحية بشتى المعاني، لعلَّهم يرتدعون، فيعودوا إلى الحق قبل فوات الأوان.

فيصورهم في نفورهم من الدعوة والإسراع في إبعاد أنفسهم عنها إسراعاً يمضون فيه على غير هدى، في صورة قطع من حُمُرِ الوحش، كان مجتمعاً في مرعى أو مورد ماء،

(١) تفسير القرآن العظيم، ٥٢٢/٣.

(٢) انظر: التربية بضرب الأمثال، ص ٧١.

ففوجئ هذا القطيع بأسدٍ يدهمه من حيث لا يشعر، فينطلق -القطيع- هارباً مذعوراً بأقصى ما لديه من قوةٍ وجهدٍ، ومن سيطرة الذعر عليه لا يلوي أحدٌ منه على أحدٍ أو على شيءٍ؛ بل ينطلق كل حمار في الوجه الذي يليه بأقصى سرعته، والصورة من الناحية النفسية كأنها حقيقة، فإن نفوس المشركين نافرة من الدين بكل ما لديها من قدرة على النفور، فكأن الصورة التقطت لهم من داخل نفوسهم، ولكن طرافتها وإبداعها في أنها نسبت النفور إلى ظواهر أجسامهم، وكأنهم نفروا هذا النفور والهروب بأجسادهم، كما تفعل الحُمُر الوحشية، وليس بنفوسهم وقلوبهم^(١).

فكم توحى هذه الصورة بالعجب من أمرهم والسخرية منهم، ثم ما أعظم ما أبرزته هذه الصورة من أحوالهم! فهم في فرارهم هذا لا يلجؤون إلى مأمن من الخطر؛ بل يفرون على غير هدى ولا بصيرة، ثم إن إبراز ما في نفوسهم من كراهِيتهم العميقة للدعوة في تلك الصورة البالغة التي تحملهم على المبالغة في البعد عنها، وعدم الاستماع إليها فضلاً عن تدبرها، ثم إن اختيار لفظ (الحمُر) بما فيه من دناءةٍ وخِسَّةٍ مبالغةٍ في السخرية بهم، يزيد من تأثيرها في نفوسهم، مما قد يدفعهم إلى ترك موقفهم الرافض للدعوة^(٢).

النموذج الرابع:

يقول الله تعالى: ﴿وَاثْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلُ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦] تضع هذه الآيات القارئ أمام صورة كلب يلهث في كل أحيانه، سواءً نهره صاحبه أم لم ينهره، فاللهات طبع له؛ إذ إنه راجع إلى بنيته الاستقلالية الحماضية، وهو -الكلب- بحاجة إلى إحداث فرط التهوية لتعديل وسطه الداخلي، فعلى من تنطبق هذه الصورة؟ وما وجه الشبه بينه وبينها؟

(١) انظر: أسلوب الدعوة القرآنية بلاغةً ومنهجاً، ص ٢٩١.

(٢) انظر: إنصاف الخصم في القرآن وأثره الإعلامي، ص ٢٠٦-٢٠٧، والتصوير الفني في القرآن، ص ٢٤٣.

ينطبق هذا المثل على كل من يكذب بآيات الله، وهذه صفة الكفرة والمنافقين، فهم يشتركون في عمى القلب واتباع الهوى، ولا يرون آيات الله تعالى التي آتاها البشر جميعاً، وإنهم يخلدون إلى الأرض بما فيها من دنيا تعجبهم؛ من أموال وبنين ونساء وغيرها، إنهم يلهثون وراء هذه المتع في كل أحوالهم سواء كان عندهم منها القليل أم الكثير، فقلوبهم فارغة لا تشبع من الدنيا، ولو ملك أحدهم القناطير المقنطرة من الذهب والفضة؛ لذلك فإن شدة التفاتهم إلى لذائذ الدنيا، وهوسهم في جمع المزيد منها، سيمنعهم من سماع الحق، فتحذيرهم مما هم فيه من الضلال وعدم تحذيرهم سواء، فهم سيقون في لهات مستمر وراء الدنيا تماماً كالكلب يلهث في جميع أحواله؛ إذ اللهات طبع له.

ومن جماليات هذا المثل أنه انتقى في تشبيه المكذبين بالآيات الكلب لنجاسته؛ بما يظهر حقيقتهم متطابقاً مع قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨]، كما أن لهات الكلب في كل أحواله يعبر عن حقيقة المنافق في أن ظاهره يختلف عن باطنه، ولا ينطق لسانه عما في قلبه، تماماً كالكلب يظهر بلهاته كأنه عطشان، وهو لا يكون كذلك^(١).

(١) انظر: ضياء الدين الجماس، التصوير والرمزية في الأمثال القرآنية، دار الهجرة (بيروت)، ط ١، ص ١٥٩-١٦٠.

المبحث الثاني : الأسلوب الإخباري

المطلب الأول : تعريف الخبر

أولاً: الخبر لغةً: «الخبر: ما أتاك من نبأ عمّن تستخبر، [قال] ابن سيده: الخبر: النبأ، والجمع أخبار، وأخبار: جمع الجمع»^(١). وعليه فالخبر: هو النبأ، وهما مترادفان، لكن من اللغويين من فرّق بينهما، وجعل «النبأ: خبر ذو فائدة عظيمة، يحصل به علم أو غلبة ظن، ولا يُقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمّن هذه الأشياء الثلاثة، وحق الخبر الذي يُقال فيه نبأ أن يتعرى عن الكذب»^(٢).

ثانياً: الخبر اصطلاحاً:

- ١- الخبر في الاستخدام القرآني: وردت كلمة (خبر) ومشتقاتها في القرآن الكريم سبع مرات، في حين وردت كلمة (نبأ) ومشتقاتها ثمانين مرة، والمستقرى للآيات الكريمة التي وردت فيها كلمتي (خبر ونبأ) ومشتقاتهما يتبين له أن القرآن الكريم قد فرّق بينهما في مجال الاستعمال «فاستعمل (النبأ والأنباء) في الإخبار عن الأحداث البعيدة الغور زماناً أو مكاناً، والتي لفها الزمن في أطوائه، وكذلك في الأخبار الصادقة العظيمة التي لها خطر وشأن، على حين استعمل (الخبر والإخبار) في الكشف عن الوقائع القريبة العهد بالوقوع، أو التي لا تزال مشاهدتها قائمة ماثلة للعيان»^(٣).

- ٢٠ فمن المواضع السبع التي وردت فيها كلمة (خبر) قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [النمل: ٧] فقد قال موسى عليه السلام: سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخبر، ولم يقل نبأ؛ لأنه كان يتكلم عن مشهد قائم ماثل للعيان عندما رأى النار في طريق سفره إلى مصر، ولأنّه لم يكن يعلم ما عند النار، إذ لو كان يعلم ما سيرجع به من الخبر العظيم -التكليم والتكليف بالرسالة- لقال: سَآتِيكُمْ مِنْهَا بنبأ^(٤).

(١) لسان العرب، مادة (خبر).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، ٤٠٢/٢.

(٣) دراسات في فن التحرير الصحفي، ص ٢٠.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص ٢١-٢٢.

ومن المواضع الثمانين التي وردت فيها كلمة (نبأ) قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الشعراء: ٦٩] فنبأ إبراهيم يعني: حواراته مع قومه حول العقيدة، من إنكار الآلهة المدعاة، والتذكير باليوم الآخر، وهي أحداث مهمة لها شأن من الفائدة والجدارة بالاهتمام، كما أنها أحداث بعيدة، تاريخها موغل في القدم؛ لذلك جاء الإخبار عنها بكلمة (نبأ)^(١).

٥ - ٢- الخبر في اصطلاح علماء الإعلام: تنوعت التعريفات التي أوردها الباحثون في مجال الإعلام لكلمة (خبر) تنوعاً كبيراً يصل إلى حد الاختلاف والتناقض أحياناً، وقد أورد بعض الباحثين مائة تعريف للخبر^(٢)، ويُعزى هذا التنوع والاختلاف إلى تنوع الرؤى للوظيفة المطلوبة من الخبر، وإلى تنوع البيئات التي ينطلق منها، والأهداف التي يرسمها له النظام السياسي الحاكم، والأثر الذي يتركه لدى المتلقين، والأسباب التي أدت إلى نشره، والأهم من ذلك تنوع الفلسفات التي يصدر عنها كل تعريف^(٣).

ومن نماذج هذه التعريفات:

١- «وصف أو تقرير دقيق غير متحيز للحقائق المهمة حول واقعة جديدة تهم القراء»^(٤).

١٥ - ٢- «تقرير عن فكرة أو حادثة أو صراع، له صفة الحالية أو الجدة، ويهم المستهلكين - القراء»^(٥).

٣- «سرد لعلاقات المرء المتغيرة، أو سرد لأحداث وقعت فعلاً، وغيّرت حالة قائمة، أو أُنذرت بتغييرها»^(٦).

٤- «وصف موضوعي دقيق، تطلع به الصحيفة أو المجلة قراءها، في لغة سهلة وواضحة، وعبارات قصيرة، على الوقائع والتفاصيل والأسباب والنتائج المتاحة والمتابعة

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٢٥-٢٨.

(٢) انظر: محمود أدهم، فن الخبر، د.د (القاهرة)، ط ٢، ١٩٨٧م، ص ١٤-٢٦.

(٣) انظر: عبد الله بدران، الخبر الصحفي في منهج الإعلام الإسلامي، دار المكتبي (دمشق)، ط ١، ١٤٢٣هـ، ص ٢٤.

(٤) فن الخبر، ص ٣٩.

(٥) إبراهيم إمام، دراسات في الفن الصحفي، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة)، دط، ص ٩٥.

(٦) إحسان عسكر، الخبر ومصادره، عالم الكتب (القاهرة)، دط، ص ٤٨.

لحدث حالي أو رأي أو موقف جديد أو متجدد، لافلت للنظر، أو فكرة أو قضية أو نشاط مُهم، وقعت غالباً أو مستمرة الوقوع أو تأكد أنها ستقع، تتصل -جميعها- بمجتمعهم وأفرادهم وما فيه أو بالمجتمعات الأخرى، كما تساهم في توعيتهم وتثقيفهم وتسليتهم، وتحقق الربح المادي لها»^(١).

٥ ولعلَّ التعريف الأخير أقرب التعريفات السابقة إلى تحديد مفهوم الخبر؛ لاستجماعه أكبر عدد مما يُطلق عليه معايير الخبر أو عناصر نجاح الخبر كمعيار الجودة والأهمية والتشويق والإثارة والصراع والاهتمامات الإنسانية وغيرها، لكن يؤخذ عليه حصره الخبر ببعض وسائل الإعلام (الصحيفة والمجلة)؛ إذ إنَّ مفهوم الخبر لا ينحصر في الخبر المكتوب؛ بل يتعداه إلى المسموع (الخبر الإذاعي) والمرئي (الخبر التلفزيوني)، كما يؤخذ عليه أيضاً أنَّه جعل من عناصر التعريف أن يحقق نشر الخبر ربحاً مادياً للوسيلة الناشرة؛ إذ ليس بالضرورة أن تكون غاية القائم بعملية نشر الخبر تحقيق ربح مادي، فقد تكون غايته معنوية كنشر ثقافة معينة، أو تعديل لوجهات نظر قائمة، أو دعوة لاعتناق مذهب أو سياسة.

١٠ وعلى ما سبق يمكن القول: إنَّ الإخبار كأسلوب إعلامي يتمثل بالإعلان عن الأحداث المهمة التي وقعت أو ستقع، وسيكون لها أثرٌ في حال الناس أو مآلهم؛ مما يدفعهم للاطلاع على مضمونها، واتخاذ المواقف والتصرف على ضوءها.

(١) فن الخبر، ص ٤٨.

المطلب الثاني : أهمية الخبر وبنائه الفني والمنهج الإسلامي في التعامل معه

أولاً: أهمية الخبر ودوره في التأثير والإقناع:

إنَّ للأخبار أهمية كبرى في حيات الأفراد والجماعات، فهي الأساس الذي تبنى عليه أحكامهم وتصوراتهم حول العالم الذي يعيشون فيه، والعالم الذي سيؤولون إليه، وعلى أساسها يجري تصريف شؤون الحياة، كما يعدُّ الخبر أساس المعارف، ومن خلاله يمكن إحداث التغيير والتأثير في الأفراد والجماعات.

ويعمل الخبر على تكوين ونمو المعرفة الإنسانية، وإحداث التأثير والتغيير من خلال عمليات ثلاث رئيسة:

الأولى: تدعيم قدرة الأفراد على إدراك ما يجري حولهم من أحداث، ودون هذا الإدراك لا يمكن تأسيس المعرفة لديهم، وبالتالي عدم قدرتهم على المشاركة وإبداء الرأي في هذه الأحداث.

الثانية: توسيع معارف الأفراد حول أسباب ومسببات ما يجري من أحداث تحيط بهم، وعلاقات الارتباط بينها، وعندها يصبح الأفراد واعين ومهيئين، لاتخاذ المواقف، وإصدار الأحكام.

الثالثة: تعزيز قدرة الأفراد على فهم وتفسير الأحداث المختلفة والمتنوعة، وبهذا الفهم والتفسير تتحسن قدراتهم في قراءة مجرى حركة الأحداث، وبالتالي التصرف على ضوءها^(١). كما تكمن المقدرة التأثيرية للخبر في كونه يحمل مضامين ومعارف جديدة، ومعلوم أنَّ قدرة الأفراد على تقبل أو رفض المضامين المثارة عبر أجهزة الإعلام المختلفة يتوقف في جانب منه على مدى جدَّة أو حداثة الموضوع المطروح، ففي حالة نشر معارف جديدة يتوقف عمل العمليات الانتقائية التي عادة ما تقف في وجه انتشار وفهم المضامين المطروحة^(٢).

(١) انظر: عبد الفتاح عبد النبي، سوسيولوجيا الخبر الصحفي، العربي للنشر والتوزيع (القاهرة)، دط، ١٩٨٩م، ص ٣٣.

(٢) انظر: الأسس العلمية لنظريات الإعلام، ص ٦٢٥.

ويرى خبراء الاتصال أنَّ المعلومات التي تتضمنها الأخبار المثارة عبر أجهزة الإعلام تتيح للأفراد الانفتاح على تجارب المجتمعات الأخرى، وتزيد بذلك من حصيلة معارفهم وثقافتهم، وتُوجد لديهم ما أسماه (ليرنر) خاصية (التقمص الوجداني) التي تعد من وجهة نظره جوهر عملية التحديث والانتقال بحياة المجتمع إلى مستوى أفضل. وكذلك فإنَّ المعارف والمعلومات التي تتضمنها الأخبار تؤدي إلى إثارة طموح الأفراد، ويعدُّ هذا النوع من التأثير أبرز أنواع التأثيرات التي أكَّد عليها الباحثون، وربطوا بينها وبين عمليات التنمية في شتى المجالات؛ وذلك لأنه دون إثارة طموح الأفراد، ودون حثهم على العمل من أجل حياة أفضل، فإنَّ التنمية تصبح مستحيلة.

وفضلاً عن توسيع أفق الأفراد، وإثارة طموحاتهم فإنَّ المعلومات التي تتضمنها الأخبار تعمل على إثارة الاهتمام وتركيز الانتباه على أفكار وسلوكيات جديدة مما يدفع الأفراد إلى تغيير أفكارهم وأنماط سلوكهم، وتبني الأفكار والسلوكيات الجديدة التي تحقق لهم طموحاتهم وسعادتهم العاجلة والآجلة^(١).

ثانياً: البناء الفني للخبر الإعلامي:

يقسم علماء الإعلام عموماً والصحافة خصوصاً الخبرَ «إلى قسمين رئيسيين هما: مقدمة الخبر وجسم الخبر»^(٢).

وسيعرض الباحث طرق كتابة كل من هذين القسمين من وجهة نظر علماء الإعلام، ممثلاً لهما ببعض المعالم القرآنية للأخبار التي يمكن لمح وجه مشابهة بين طريقة عرضها وطريقة عرض علماء الإعلام لها -الأخبار- مع العلم المسبق بأنَّ للقرآن الكريم طريقته الفريدة المعجزة في العرض والأداء، والتي لا يرقى لها أي عمل إنساني مهما بلغ من الحسن والفاعلية.

(١) انظر: سوسيولوجيا الخبر الصحفي، ص ٣٥.

(٢) فاروق أبو زيد، فن الخبر الصحفي، عالم الكتب (القاهرة)، ط ٢، ص ٣٨٢، وانظر: عبد العزيز شرف، فن التحرير الإعلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة)، دط، ١٩٨٧م، ص ١٦٤.

القسم الأول: مقدمة الخبر (The lead)

إنَّ مقدمة الخبر تتمثَّل في الأسطر القليلة التي توجز في عبارات قصيرة أهم ما في مادة الخبر، والهدف من المقدمة جذب المستقبل وتشجيعه على متابعة الخبر حتى نهايته، وذلك بما تحمله في طياتها من عناصر الجاذبية والتشويق؛ ولذلك فإنَّه يتوقف نجاح الخبر بأكمله على نوع صياغة المقدمة وأسلوبها^(١).

ويجمع خبراء التحرير الإعلامي على أنَّ هناك مجموعة من السمات الخاصة للمقدمة الخبرية الناجحة من أهمها:

- ١- أن تجذب اهتمام المتلقي، وتشده إلى متابعة الخبر حتى النهاية.
- ٢- ألا تزدهم بالمعلومات، حتى لا تشتت ذهن المتلقي.
- ٣- أن تكون متناسقة مع حجم الخبر نفسه؛ إذ من غير المقبول أن تكون المقدمة أكبر أو مساوية لجسم الخبر ذاته.
- ٤- أن تكون ملائمة لمضمون الخبر، وأن تكون نابضة بالحركة مليئة بالصراع.
- ٥- أن تحاول الإجابة بإيجاز عن كل أو بعض أسئلة الكشف عن المجهول (من، ماذا، متى، أين، كيف) تبعاً لدرجة أهميتها في الخبر، ملتزمة في ذلك بالقاعدة الأساس: أكبر قدر من المعلومات وأهمها في أقل عدد من الكلمات^(٢).
- ١٥- ويقسم الباحثون في مجال التحرير الصحفي مقدمات الأخبار تبعاً لمضمونها وطريقة صياغتها إلى أشكال متعددة، أهمها:

١- مقدمة التباين (The contrast lead):

- يقوم هذا الشكل على إبراز حالتين متباينتين، تعبران عن أهم حدث في الخبر، أي أنَّ جوهر الخبر يوجد في التباين أو تصادم الحقائق المتعارضة، أو المقارنة بين حالة طارئة وحالة أخرى سابقة^(٣).

(١) انظر: دراسات في فن التحرير الصحفي، ص ١٠٩، وفن التحرير الإعلامي، ص ١٦٤.

(٢) انظر: سوسيولوجيا الخبر الصحفي، ص ١٢٣-١٢٤.

(٣) انظر: الخبر الصحفي في منهج الإعلام الإسلامي، ص ١٨٢.

ويجعل (فريد عزت) من معالم هذا الشكل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٥-١٧] فهذه الآيات وما بعدها عرض إجمالي لخبرٍ عن سبأ، جاءت مقدمته تتحدث عن الخير العميم الذي كانت عليه، ثم بطرها بالنعمة، وزوالها عن عنهم بعد إعراضهم عن شكر الله تعالى، وواضح ما في هذا من التباين بين الحاليتين، الأولى نعيم عميم، والثانية زوال وتمزق^(١).

٢- مقدمة السؤال (Question lead):

يعتمد هذا الشكل على صياغة أهم المعلومات الجديدة في الخبر على شكل استفسار أو سؤال، يشكل جسم الخبر إجابته التفصيلية، وتهدف هذه المقدمة إلى إشراك المتلقي في القضية التي يثيرها الخبر^(٢)، ويستخدم هذا الشكل في حالة ما إذا كان الخبر يتعلق بسرٍّ لم يكشف النقاب عنه من قبل أو كان متعلقاً -الخبر- بموضوع يمكن أن يثير جدلاً ونقاشاً بين المتلقين، ومن المعالم القرآنية لهذا الشكل قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: ١-٣] فالسورة تبدأ بهذا الاستفهام الذي يُراد به تشويق السامع ليعرف ما بعده، وللإشارة أن الأمر خفي، فإن من يسمع هذا الاستفهام ينتظر متشوقاً ليرى إلى أين تتجه الإشارة؟ وإلى من تتجه؟ ومن الذي يقرر القرآن أنه يكذب بالدين؟ وإذا الجواب: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: ٢-٣]، ولا يخفى ما في الجواب من مفاجأة بالقياس للتعريف التقليدي للإيمان، هذه الآيات الكريمة مفادها إخبار من الله تعالى أن التصديق بالدين ليس مجرد كلمات تُقال باللسان فقط، وإنما هي تحولٌ في القلب، يدفع إلى سلوك الخير، وجلب النفع للبشرية جمعاء، جاءت مقدمته -الإخبار- استفهامية تشوق المتلقي؛ ليعرف الإجابة التي تشكل جسم الخبر^(٣).

(١) انظر: دراسات في فن التحرير الصحفي، ص ١٣٤.

(٢) انظر: سوسيولوجيا الخبر الصحفي، ص ١٢٥.

(٣) انظر: دراسات في فن التحرير الصحفي، ص ١٤١.

٣- مقدمة الوصف (Descriptive lead):

تقوم هذه المقدمة على تصوير جوّ الحدث ووقائعه مما يجعل المتلقي يعيش تفاصيله، وينتقل -في فكره- إلى مكان وقوعه وكأنه شاهد عيان، ويُلبّجاً إلى هذه المقدمة عندما يُرى أنّ وصف الحدث يضيف أهمية مميزة عليه، ويسلط الضوء على نقاط يجب أن تكون واضحة أمام المتلقي، وهو يتابع تفاصيل الخبر^(١).

٤- المقدمة المتفجرة -المثيرة- (Cartridge lead):

وهذا الشكل من المقدمات يتطلب كلمات أقل، ولكن كل كلمة منها قوية مؤثرة كالصاعقة، وهذا الشكل لا يصلح إلا للأخبار المثيرة التي تحمل في طياتها مفاجأة، أو حدثاً عظيماً له نتائج مهمة^(٢).

ومن أبرز المعالم القرآنية لهذه المقدمة قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِقَوْمِهَا كَذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ * إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ [الواقعة: ١-٦]، إنّ سورة الواقعة بمجملها إخبار من الله تعالى عمّا سيحدث يوم القيامة، وأصناف الناس في الحساب، وما ينتظر كل صنف من مصير، وكثيرة هي أهوال ذلك اليوم، فجاءت مقدمة هذه السورة بهذه الآيات التي يبدو فيها جلياً التهويل الهائل لهذا الحدث -يوم القيامة- فالأرض الثابتة المستقرة -فيما يحس الناس- تُرَجَّ رجاً قوياً، والجبال الراسية تتحول إلى فتات يتطاير كالهباء، ولا شك أنّ هذه المقدمة التي تزلزل الكيان البشري بقوة وقعها تتلاءم ملائمة تامة مع جسم الخبر المتمثل في النقل الحي لأحداث ما بعد الواقعة، وما فيها من أهوال^(٣).

٥- المقدمة الملخصة (Summary lead):

(١) انظر: الخبر الصحفي في منهج الإعلام الإسلامي، ص ١٨١.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ١٨٢، وسوسيولوجيا الخبر الصحفي، ص ١٢٤.

(٣) انظر: دراسات في فن التحرير الصحفي، ص ١٥٤.

هذا الشكل من المقدمات يلخص أهم المعلومات التي يحتوي عليها الخبر، وهو يناسب الموضوعات التي تتساوى جميع عناصرها في الأهمية والقيمة، وهو كذلك أبسط أشكال المقدمات وأكثرها استخداماً^(١).

ولعل من أوضح الأمثلة القرآنية التي يمكن ضربها للمقدمة الملخصة الآيات القرآنية في بداية قصة أصحاب الكهف، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا * إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا * فَضَرْبَنَا عَلَى أَذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا *﴾ [الكهف: ٩-١٢] فهذه الآيات الأربع تجمل أحداث القصة، وترسم خطوطها العريضة، فمن خلال هذه المقدمة يعلم القارئ أن أصحاب الكهف فتية مؤمنون أواوا إلى الكهف، وأنهم ناموا فيه سنين معدودة، ثم بعثوا من رقدهم الطويل، وأنه كان هناك فريقان يتجادلان في شأنهم، وبعد هذا التلخيص المشوق للقصة يأخذ السياق في عرض مفصل لكل نقطة من النقاط التي لخصتها المقدمة، ويتناول -السياق- مشاورهم قبل دخول الكهف وحالتهم بعد دخوله، ونومهم ويقظتهم، وإرسالهم واحداً منهم لهم طعاماً، وكشفه في المدينة وعودته، وموتهم، وبناء المسجد عليهم، واختلاف الناس في أمرهم.

إذاً فالآيات التي جاءت في بداية القصة من نوع (المقدمة الملخصة) -للخبر الذي جاءت في أسلوب قصصي- فشدت المتلقي، وشوقته إلى معرفة تفاصيل القصة التي أوردتها السياق القرآني بعد عرضها المجمل^(٢).

٦- مقدمة الحوار (Dialogue lead):

تقوم هذه المقدمة على إيجاد نوع من الصراع الدرامي بين أطراف الخبر؛ وذلك بأن يبدأ الخبر بمحاورة تدور بين طرفين أو أكثر، حول قضايا وأمور تهم الرأي العام، أو توضح موقفهما تجاه أمر مطروح، فيُمهّد بذلك للدخول إلى تفاصيل الخبر^(٣).

(١) انظر: سوسيولوجيا الخبر الصحفي، ص ١٢٤، والخبر الصحفي في منهج الإعلام الإسلامي، ص ١٨٠.

(٢) انظر: دراسات في فن التحرير الصحفي، ص ١٥٦.

(٣) انظر: الخبر الصحفي في منهج الإعلام الإسلامي، ص ١٨٣، وسوسيولوجيا الخبر الصحفي، ص ١٢٥.

٧- مقدمة الغرابة (Curiosity lead):

وهي المقدمة التي تعتمد على إبراز عنصر الغرابة في الخبر، أو ما يشير إلى مفارقة غير عادية، أو حدث نادر الوقوع^(١).

ومن المعالم القرآنية لهذا الشكل من المقدمات قوله تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ وَلَوْلَا فَضْلُكَ لَكُنْتُ مِنَ الْخَاسِرِينَ [مريم: ٧-٨] فقد جاءت هاتان الآيتان في مقدمة الآيات التي تتحدث عن خبر زكريا عليه السلام، ودعائه ربّه أن يرزقه ولياً يرثه، ووجه الغرابة في هذا الحدث هو ولادة المرأة العاقر من بعلمها الشيخ^(٢).

٨- مقدمة التوجيه المباشر (Direct address lead):

يأتي هذا الشكل من المقدمات كمدخل مناسب للموضوعات التي تقدم للمتلقى خدمات معينة، أو توجههم إلى هدف ما، فيه صلاح حالهم ومصلحتهم، حيث تكون المقدمة موجهة توجيهاً مباشراً للمتلقين^(٣).

القسم الثاني: جسم الخبر (The body)

يرتبط متن الخبر في صياغته بالطريقة التي كُتبت بها مقدمته، حتى يشكّلان في النهاية قالباً فنياً^(٤) متكاملًا. وتحدث الأدبيات الإعلامية عن ثلاثة قوالب، يأتي الخبر في صياغته النهائية وفق واحدٍ منها في الغالب، وهذه القوالب هي:

الأول: قالب الهرم المقلوب:

يعدُّ هذا القالب أقدم نماذج البناء الفني للأخبار، وأكثرها سهولة وفائدة، وأكثرها استخداماً، حيث يقوم محرر الخبر وفقاً لهذا القالب بعرض مادة الخبر على أساس البدء بأهم المعلومات، أو الحقائق التي يتضمنها، ثمّ يتلو ذلك المعلومات والحقائق الأقل أهمية،

(١) انظر: سوسولوجيا الخبر الصحفي، ص ١٢٥.

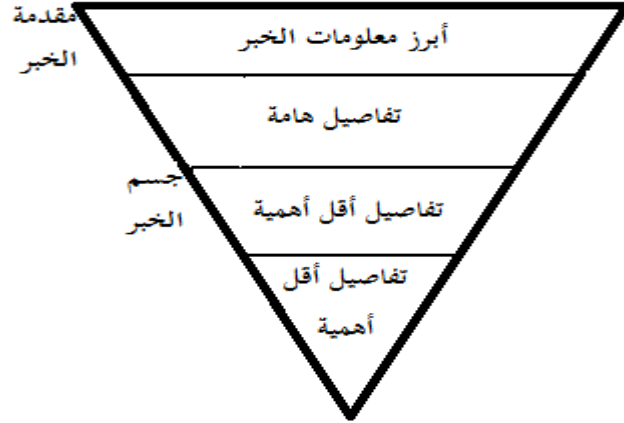
(٢) انظر: دراسات في فن التحرير الصحفي، ص ١٦٤.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ١٦٣.

(٤) يقصد بالقالب: الشكل النهائي الذي يظهر فيه الخبر في الوسيلة المراد نشره بها، من حيث تسلسل الفقرات فيه، وترتيب المعلومات، وكيفية ابتداء الخبر وانتهائه. انظر: الخبر الصحفي في منهج الإعلام الإسلامي، ص ١٩٥.

ثمَّ الأقل أهمية مما سبق وهكذا، وبذلك يشكل البدء بأهم الوقائع في الخبر قاعدة الهرم، ثمَّ يتدرج بعد ذلك في عرض الوقائع والتفاصيل حتى الوصول إلى منتهى الخبر الذي يتضمَّن أقل الوقائع والتفاصيل أهمية مشكَّلةً بذلك قمة الهرم^(١).

ويمكن التعبير عن هذا القالب بالشكل الآتي:



ويعطي خبراء التحرير الصحفي هذا القالب أهمية كبرى؛ لأنَّه يقدم لهم العديد من الميزات، أهمها:

١- يساعد على اختصار أي جزء من تفاصيل الخبر، وخاصة الفقرات الأخيرة في الخبر لكونها أقل أهمية، وهذا الاختصار يمكن الصحفي -وخاصة في حال إصدار طباعات جديدة لنفس العدد- من إيجاد مساحات لبعض الأخبار المهمة التي تصل إلى الصحيفة بعد الطبعة الأولى.

٢- سهولة اختيار العناوين من المقدمة، كونها تلخص أهم ما في الخبر.

٣- يساعد القارئ المتعجل على الاكتفاء بقراءة مقدمة الخبر، فيحصل على خلاصته^(٢).

الثاني: قالب الهرم المقلوب المتدرج:

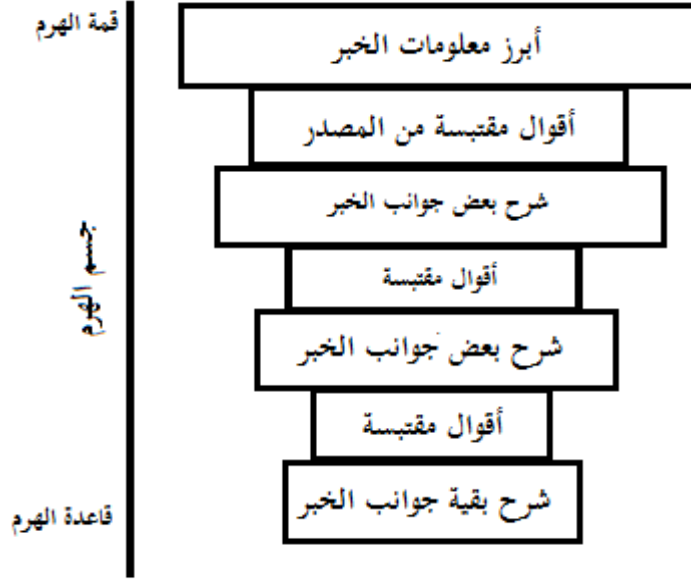
يقوم هذا القالب على أساس تشبيه البناء الفني للخبر بالبناء المعماري للهرم المقلوب المتدرج، وهو بذلك يأخذ شكل المستطيلات المتدرجة على شكل هرم مقلوب، بحيث

(١) انظر: عبد الجواد سعيد ربيع، فن الخبر الصحفي، دار الفجر للنشر (القاهرة)، ط ١، ٢٠٠٥م، ص ١٤١.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ١٤١، وفن الخبر الصحفي (فاروق أبو زيد)، ص ٣٨٣.

يكون للخبر مقدمة تتضمن أهم تصريح في الخبر، ثم يأتي بعدها جسم الخبر في شكل فقرات متعددة -متدرجة حسب أهميتها غالباً- يشرح كل منها جانباً من جوانب الخبر، وبين كل فقرة وأخرى يُذكر نص لمصدر الخبر أو للشخصية التي يدور حولها الخبر، ويُعدُّ هذا القالب أصلح القوالب القائمة على سرد التصريحات^(١).

ويمكن التعبير عن هذا القالب بالشكل الآتي:



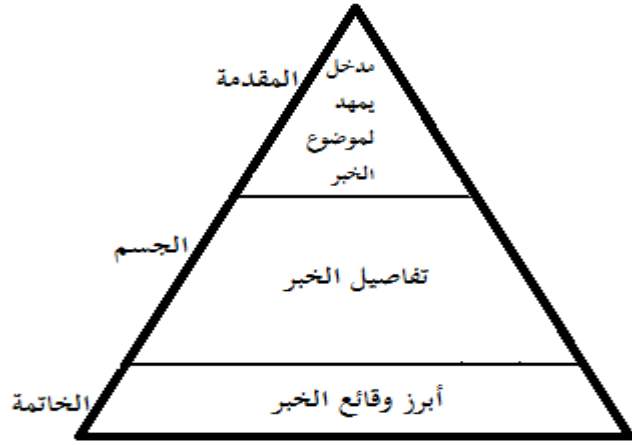
الثالث: قالب الهرم المعتدل:

يقوم هذا القالب على أساس تشبيه البناء الفني للخبر بالبناء المعماري للهرم المعتدل، بحيث ينقسم الخبر إلى ثلاثة أجزاء: مقدمة تحتل قمة الهرم، وهي مدخل يمهد لموضوع الخبر، وإن كان لا يحوي على أهم ما فيه، ثم يتلو المقدمة جسم الخبر الذي يحتل جسم الهرم، وفيه تفاصيل أكثر أهمية، ثم تأتي أخيراً التفاصيل الأكثر أهمية في خاتمة الخبر^(٢).

ويمكن التعبير عن هذا القالب في الشكل الآتي:

(١) انظر: فن الخبر الصحفي (عبد الجواد ربيع)، ص ١٤٢-١٤٣، والخبر الصحفي في منهج الإعلام الإسلامي، ص ٢٠٠.

(٢) انظر: فن الخبر الصحفي (عبد الجواد ربيع)، ص ١٤٣، وفن الخبر الصحفي (فاروق أبو زيد)، ص ٣٣١.



ثالثاً: المنهج الإسلامي في التعامل مع الخبر

أصبح الإعلام مؤخراً جانباً مهماً من جوانب الحياة، وأضحى علماً قائماً بذاته، له أسسه وقواعده وأهدافه، وصار واضحاً لكل ذي بصيرة دوره القوي في حياة المجتمعات، وتأثيره الفاعل في تغيير الأفكار والسلوكيات، وتوجيه الرأي العام نحو القضايا التي يتبناها.

وإذا كان للشريعة الإسلامية أن تتخذ من الإعلام موقفاً -كونها تنظم كل جوانب حياة الإنسان- فقد تعاملت معه تعاملها مع جميع العلوم المماثلة كالاقتصاد والسياسة وغيرها، فوضعت منهجاً علمياً دقيقاً يضبط هذه العلوم، وما يستجد فيها من حوادث ووقائع، ويحدد لها الإطار الشرعي الواضح، فما وافق منها كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فهو مقبول في هذا المنهج، وما خالف ذلك فهو مرفوض^(١).

ولما كان الأسلوب الإخباري أحد أساليب الإعلام الرئيسة فلا شك أن الضوابط الشرعية التي وضعتها الشريعة الغراء للإعلام ككل تنطبق بداهةً على جميع أساليبه مع اختلاف طفيف من أسلوب لآخر بحسب طبيعته وخصائصه ووظائفه، وعليه فإن الباحث سيعرض لأهم ضابطين ينظمان هذا الأسلوب:

(١) انظر: فن الخبر الصحفي (عبد الجواد ربيع)، ص ١٤٢-١٤٣، والخبر الصحفي في منهج الإعلام الإسلامي، ص ٢٠٠.

الضابط الأول: الثبوت من صحة الخبر وصدق قائله

لقد اهتم الإسلام أيما اهتمام في الثبوت من الأخبار، ومراعاة الدقة في قولها ونقلها، والتأكد من صدق قائلها؛ لما في ذلك من حفظ مصالح المجتمع وأفراده، ودفع الأضرار والأخطار عنهم، وقد أوضح ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]، فقد حددت هذه الآية الكريمة الإطار العام للمهج الذي سار عليه الإسلام في الثبوت من الأخبار، والاستيثاق من مصدرها قبل الحكم عليها.

وانطلاقاً من هذه الآية الكريمة وغيرها من الآيات والأحاديث التي تحث على تحري الصدق، وتجنب الكذب والافتراء، فقد استنبط المسلمون قاعدةً منهجيةً مفادها: (إن كنت ناقلًا فالصحة وإن كنت مدعيًا فالدليل)؛ إذ إن موضوع البحث «لا يخلو دائماً من أن يكون خبراً منقولاً، أو دعوةً مزعومة، فأما ما قد يكون منه خبراً، فإنَّ البحث فيه ينبغي أن يكون محصوراً في تحقيق النسبة بينه وبين مصدره؛ إذ هي التي تكون مثاراً للاحتمال والدخيلة والريب، فإن زاد الاحتمال، وانجابت الغاشية، انبثقت من ذلك الخبر حقيقة علمية معينة بشرط أن يكون ذا دلالة قطعية»^(١).

وإذا كان هذا المنهج متبع في العلوم الشرعية فإنه يمكن الإفادة منه في منهج نشر الأخبار في وسائل الإعلام، فلا يؤخذ الخبر إلا عَمَّنْ عُلِمَ صدقه ودقته، وتبين من خلال الممارسات العديدة والمتابعات المستمرة والملاحظات الواعية أنه مصدر صادق ودقيق، لم يُعرف عنه الكذب، سواءً كان هذا المصدر وكالة أنباء أو صحيفة دولية أو مراسلاً خارجياً أو مندوباً صحفياً أو غير ذلك.

الضابط الثاني: رعاية المصالح ودرء المفاسد

بُنِيَت الشريعة الإسلامية على رعاية مصالح العباد وحاجاتهم، ودرء المفاسد والمضار عنهم، تحقيقاً لسعادة البشرية في الدنيا والآخرة، فالشريعة «مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة

(١) محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، دار الفكر (دمشق)، ط ٨، ١٤١٣هـ، ص ٣٤.

كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة، وإن أُدخلت فيها بالتأويل»^(١). وعلى ذلك فإن وسائل الإعلام عموماً والخاصة بنشر الأخبار تحديداً ملزمة في مراعاة هذا الضابط، والعمل بمضمونه ومعانيه، فهي ملزمة بمنع نشر ما يخالف الشرع، كنشر الصور المحرمة مثلاً، أو نشر الأخبار التي تنتهك حرمة أعراض الناس، وتشيع الفاحشة بينهم؛ لما في ذلك من تفتيت وحدة المجتمع وزعزعة تماسكه^(٢). كما يجب عليها -وسائل الإعلام- أن تحصل على الأخبار بالوسائل المشروعة، والابتعاد عن التنصت والتجسس، أو الاطلاع على معلومات خاصة دون إذن أصحابها؛ لما في ذلك من إلحاق الضرر بهم، حتى وإن كان هؤلاء يرتكبون إثماً خاصاً بأنفسهم، ما داموا مستترين به غير مجاهرين^(٣).

(١) ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، دار الجيل (بيروت)، دط، ٢/٣.

(٢) انظر: الخبر الصحفي في منهج الإعلام الإسلامي، ص ٢٦٦.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ٢٦٠.

المطلب الثالث : دلالة الأسلوب الإخباري على مسائل العقيدة (نماذج)

يُعدُّ أسلوب الإخبار أوسع وأشمل الأساليب استخداماً في القرآن الكريم؛ إذ إنَّ معظم الأساليب الأخرى يمكن أن تندرج بصورة أو بأخرى تحت هذا الأسلوب^(١)، وفيما يأتي يعرض الباحث لبعض نماذج دلالة هذا الأسلوب على مسائل العقيدة:

النموذج الأول:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١-٤]، لقد جاء في بعض الروايات أنَّ رجلاً سمع رجلاً آخر يقرأ: (قل هو الله أحد) يرددّها، فلماً أصبح جاء النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر ذلك له -وكان الرجل يتقالها- فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن»^(٢)، وليس في هذا غرابة فإنَّ الأحدية التي أُمِرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم باعتقادها وإعلانها: (قل هو الله أحد) تمثل عقيدة للضمير، وتفسيراً للوجود، ومنهجاً للحياة، ومن ثم فقد تضمنت هذه السورة أعرض الخطوط الرئيسة في حقيقة الإسلام الكبيرة، إنها أحدية الوجود، فليس هناك وجود حقيقي إلا وجود الله تعالى، وكل موجود آخر فإنما يستمد وجوده من ذلك الوجود الحقيقي. إنها أحدية الفاعلية، فليس سواه -الله تعالى- فاعلاً لشيء، أو فاعلاً في شيء، فإذا استقرَّ هذا التفسير، ووضح هذا التصور خلص القلب من كل غاشية ومن كل شائبة، ومن كل تعلق بغير هذه الذات الواحدة المتفردة بحقيقة الوجود وحقيقة الفاعلية^(٣).

يمكن للباحث أن يلمح في مدخل هذه السورة ما ذكره علماء الإعلام في مقدمات الأخبار، فقوله تعالى: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) في بداية هذه السورة المخبرة عن ذات الله تعالى، وتفردها في حقيقتي الوجود والفاعلية، يمثل أحد أبرز معالم (مقدمة التوجيه المباشر) التي

(١) انظر: عوض إبراهيم عوض، أصول الفكر الاتصالي الإنساني، دار الفكر (دمشق)، ط ١، ١٤٣٠هـ، ص ٨١.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب (الآيمان والنذور)، باب (كيف كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم)، رقم ٢٤٤٩/٦، /٦٢٦٧/.

(٣) انظر: في ظلال القرآن، ٤٠٠٢/٦.

تستخدم كمقدمة للأخبار التي توجه المتلقين إلى هدف ما، فيه مصلحتهم وصلاح كما يمثل هذا المدخل أيضاً معلماً من معالم (المقدمة الملخصة) التي تلخص أهم المعلومات التي يحتوي عليها الخبر^(٢)، فما بعد (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) تفسير وتقرير وزيادة إيضاح لها؛ إذ إنَّ معنى أنَّ الله أحد: أنَّه الصمد، وأنَّه لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، ولكن القرآن يذكر هذه التفرعات لزيادة التقرير والإيضاح، فمعنى الصمد: السيد الذي لا يُقضى أمرٌ إلا بإذنه، والله تعالى هو السيد الذي لا سيد غيره، فهو أحد في ألوهيته والكل عبيد له، وهو الذي يقضي في كل أمر، ولا يقضي معه أحد، وهذه الصفة متحققة ابتداءً من كونه الفرد الأحد. ومعنى أنَّه (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ): أنَّ حقيقته ثابتة أزلية، صفتها الكمال المطلق في جميع الأحوال، والولادة انبثاق وامتداد، ووجود زائد بعد نقص وعدم، وهو عليه محال، ثمَّ إنها -الولادة- تقتضي زوجية تقوم على التماثل وهذا محال كذلك، وصفة (أحد) تتضمن نفي هذه المعاني من الوالد والولد. ومعنى (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) أي: لم يوجد له مماثل أو مكافئ في أي صفة من صفات كماله^(٣)، وهذا كذلك متحقق بأنه (أحد)، ولكنَّ هذه المعاني الثلاثة (الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد) من باب التوكيد والتفصيل لمقدمة الخبر الملخصة (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ).

النموذج الثاني:

يقول الله تعالى: ﴿أَفَعَيَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَا تُوسُّوسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ * وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ * وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ * لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ * وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ * أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ * الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ * قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي

(١) انظر: دراسات في فن التحرير الصحفي، ص ١٦٣.

(٢) انظر: سوسولوجيا الخبر الصحفي، ص ١٢٤.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ٦٩٧/٤.

ضَلَّالٌ بَعِيدٌ * قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ * مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا
بِظَلَّامٍ لِلْبَعِيدِ * يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ * وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ
غَيْرَ بَعِيدٍ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيزٍ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ
* ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿ق: ١٥-٣٤﴾، هذه الآيات من (سورة ق) امتداد لما

سبقها من آيات تعالج القضية الرئيسة فيها، إنها قضية إثبات البعث، فمطلع السورة قوله
٥ تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ * بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ
عَجِيبٌ * إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق: ١-٣]، لكن هذا المقطع (الآيات من ١٥
إلى ٣٤) يمتاز بأنه لا يقف عند عرض دلائل إثبات البعث فحسب؛ بل يتعرض للإخبار عن
سلسلة من الغيبيات تتعلق بالموضوع الأساس (البعث)، تبدأ بالخلق الأول، منتقلة إلى
الكتبة من الملائكة، ثم إلى ساعة النزع فالموت، ثم إلى النفخ في الصور، يعقب ذلك البعث
١٠ والحشر والحساب، ثم الجزاء من النار وما فيها من وعيد، والجنة وما فيها من نعيم.

إنَّ الإخبار عن هذه الحلقات المستقبلية -في أغلبها- له أهمية بالغة في حاضر الإنسان؛
إذ إنَّ اختلاف الناس في تصور المستقبل والحقائق المتصلة به يفضي إلى التباين في مظاهر
الحياة، وأنماط السلوك، وما يترتب على ذلك من نتائج، فالمؤمن الذي يرجف فؤاده من
أحوال يوم القيامة، وهو يعلم أنَّ النجاة فيه مرتبطة بتحقيق طاعة الله، والعمل على نيل
١٥ مرضاته، لا شكَّ يستقيم سلوكه، ويحسن عمله، فهو شديد المثابرة، حريص على الإتيان
بالعمل؛ لأنه يستشعر رقابة الله، وعظمة الوقوف بين يديه يوم القيامة للحساب والجزاء
﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي
الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠-٦١]، أما الكافر الذي لا يمتد نظره لأكثر من
الحياة الدنيا، فلا محالة ينحرف سلوكه، ومبعث ذلك فساد اعتقاده، وجهله بحقائق
٢٠ المستقبل الحق ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ
بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤] ^(١).

إنَّ هذه الآيات إخبار من الله تعالى بأنَّ البعث الذي ينكره أولئك المشركون لا محالة
واقع؛ بل يتجاوز ذلك إلى ذكر تفصيلاته ونتائجه، والقارئ لتفصيلات هذا الخبر يلم بما لا

(١) انظر: وظيفة الإخبار في سورة الأنعام، ص ٢٦٩-٢٧٠.

يدع مجالاً للشك أنه ليصعب التعبير عن هذه المعاني والأحداث والحقائق أو التعريف بها بغير أسلوبها القرآني الذي وردت فيه؛ ولذلك سترك الباحث النصَّ القرآني يعبر عن هذه الحقائق مع التعقيب على بعض القضايا من قبله:

تبدأ الآيات بهذا الاستفهام الإنكاري (أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ؟!) إذ لا يسع أحد من الناس إلا الاعتراف بأن الله لم يعجز عن الخلق الأول، فلا ينكر عاقل كمال قدرته وعدم عجزه، ومعلوم لدى الناس جميعاً أن الخلق الأول للأشياء أعظم من إعادة خلق الأموات، إذاً فما الداعي لإنكار القدرة على البعث مع الاعتراف بالقدرة على خلق ما هو أعظم منه؟! إن المنكرين (فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ) اختلطت عليهم الأشياء فما عادوا يميزون بين ما هو ممكن وما هو مستحيل^(١). ويلاحظ في تسمية إعادة الناس للبعث باسم الخلق إيماء إلى أنها إعادة بعد عدم الأجزاء لا جمعاً لمتفرقاتها^(٢).

ثم تعرض الآيات -كما أشار البحث سابقاً- بعض الحقائق والأحداث الغيبية التي لا يمكن معرفتها إلا من خلال الخبر الصادق عنها، يقف البحث على ثلاثٍ منها:

أولها: وجود ملكين لكل إنسان يحصيان أعماله من قول أو فعل، يكون أحدهما من جهة اليمين والآخر من جهة الشمال^(٣) ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ *

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي (بيروت)، ط ١، ١٤٢٠هـ، ٢٦/٢٤٦.
(٢) اختلف المتكلمون في الكيفية التي تكون عليها إعادة الأجساد عند بعثها، بعد اتفاقهم على إثبات البعث الروحاني والجسماني على ثلاثة أقوال: الأول: تعاد الأجسام بعد عدمها، ومعنى إعادتها: إعادة أمثالها بأن يخلق الله أجساماً مثل الأولى، تودع فيها الأرواح التي كانت في الدنيا حالة في الأجسام المعدومة -وقت البعث- فيصير ذلك الجسم لصاحب الروح في الدنيا، إذ الإنسان كان إنساناً بالعقل والنطق وهما مظهرها الروح، ويؤيد هذا الرأي نصوص كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، وفي معناه قوله تعالى: ﴿كَلَّمَآ نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦]، وهذا قول جمهور أهل السنة، والمعتزلة. الثاني: إن إعادة تكون عن تفرق، حيث يجمع الله تعالى جميع الأجزاء المتفرقة ويركبها، واختار هذا الرأي النووي. الثالث: القول بالتوقف وعدم الجزم؛ لعدم وجود دليل سمعي قطعي الدلالة، وهو اختيار الغزالي والأمدي والتفتازاني. انظر: المرجع السابق، ٢٦/٢٣٤، وأصول مسائل العقيدة في ضوء كتب الحديث التسعة، ص ٥١١.

(٣) جاء في عدد من الروايات أن الذي يكتب الحسنات من جهة اليمين، والذي يكتب السيئات من جهة الشمال، منها ما روي عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ أو المسيء، فإن ندم، واستغفر الله منها، وألقاها، =

مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٧-١٨﴾، وموقف الإنسان من هذه الحقيقة - وجود الملكين، وتسجيلهما لأعماله - هو موقفه من سائر الغيبات بأن يتلقاها كما هي، ويؤمن بمدلولها دون البحث في كيفيتها، التي لا تفيد معرفتها في شيء، فضلاً عن كونها غير داخلية في حدود تجاربه ومعارفه البشرية، وبحسب الإنسان أن يعيش وهو عالم بهذه الحقيقة، مستشعر بأن عن يمينه وعن شماله من يسجل عليه كل كلمة وحركة لتكون في سجل حسابه بين يدي خالقه الذي لا يضيع عنده شيء، وقد أخبر الله تعالى الإنسان بهذه الحقيقة؛ ليحسب حسابها لا لينفق الجهد عبثاً في معرفة كيفيتها^(١).

ثانيها: الموت وما يسبقه من سكرات مملوءة بالأحداث ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]، إنَّ مشهد الاحتضار فالموت يتكرر كثيراً في حياة الناس، وكثيرة هي العظات والعبر التي يثيرها هذا المشهد، ولا شك أنَّ استحضار هذا الوقت، وتخيل هذا الموقف مثير لمشاعر الخوف، باعث على التدبر لمن كان له قلب، ومن هنا فقد أخبر الله تعالى عن هذا المشهد في عدد من آيات القرآن الكريم؛ إذ إنَّ هذا الأسلوب -الإخبار عن مشهد النزع والموت- من أنجع الأساليب وأجداها مع المكذبين المستكبرين^(٢)؛ لذلك فإنَّ أغلب ما جاء في الإخبار عن هذا المشهد جاء في سياق الإخبار عن نزع أرواح الكافرين، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ * فَلَوْلَا

= وإلا كتبت واحدة». أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ت: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم (الموصل)، ط ٢، ١٤٠٤هـ، رقم/٧٧٦٥، ١٨٥/٨، والبيهقي في شعب الإيمان، ت: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١، ١٤١٠هـ، باب (في معالجة كل ذنب بالتوبة)، رقم/٧٠٥١، ٣٩١/٥. قال الهيثمي: «رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها وثقوا». مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ٨٨/١١.

(١) انظر: في ظلال القرآن، ٣٣٦٣/٦.

(٢) انظر: وظيفة الإخبار في سورة الأنعام، ص ٢٨٠.

إِنْ كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٣-٨٧﴾^(١) ، والملفت للنظر في آيات (سورة ق) حول هذا الموضوع ذكر كلمة (الحق) فهي توحى بأن النفس ترى الحق

(١) وقد أوضحت السنة النبوية وقائع هذا المشهد وتفاصيله، فعن البراء بن عازب قال: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ وَكَانَ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرُ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ -مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا- ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلِكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتَهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ، قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةً عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطِيبٍ نَفْحَةٍ مِسْكِ وَجَدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، قَالَ: فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ، فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهَوْا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيْنِ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى، قَالَ: فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَالْأَسْوَدُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ. قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيْبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ. قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرَّيْحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِّرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي. قَالَ: وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلِكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتَهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ، قَالَ: فَتَفْرُقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَرَعُهَا كَمَا يَنْتَرَعُ السَّقُودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةً عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّ رِيحَ جَيْفَةٍ وَجَدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَفْجَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُ لَهُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سَجِينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتَطْرَحُ رُوحُهُ طَرَحًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]=

كاملاً في سكرات الموت، وتذكر ما كانت تجهل، وما كانت تجحد^(١)، ولكن بعد فوات الأوان، حين لا تنفع رؤية، ولا تقبل توبة.

ثالثها: النفخ في الصور، والصور في اللغة: القرن^(٢)، وجاء على لسان الشرع بهذا المعنى كذلك، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما الصور؟ قال: «قرن ينفخ فيه»^(٣)، والنفخ في الصور حدث غيبي جسيم، يجمع بين انتهاء الحياة الدنيا وبدء الحياة في الآخرة ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعْدِ﴾ [ق: ٢٠]، والنفخ في الصور لا يقتصر على نفخة واحدة بل هو أكثر، وقد اختلف العلماء في عدد النفخات على قولين رئيسين:

الأول: عددها نفختان: نفخة الصعق، ونفخة البعث، يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، وقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [يس: ٥١]، وما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله

=فَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي. فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ فَأَفْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسُمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُتْنِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِّرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ. أخرجَه أحمد في المسند، (مسند البراء بن عازب رضي الله عنه)، رقم/١٨٥٣٤، ٥٠٣-٤٩٩/٣٠، وقال فيه شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح.

(١) انظر: الماوردي، النكت والعيون، ت: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية (بيروت)، دط، ٣٤٧/٥.

(٢) انظر: لسان العرب، مادة (صور).

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب (صفة القيامة والرقائق والورع)، باب (ما جاء في الصور)، رقم/٢٤٣٠، ٦٢٠/٤، وأبو داود في سننه، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر (بيروت)، دط، كتاب (السنة)، باب (في ذكر البعث والصور)، رقم/٤٧٤٢، ٦٤٩/٢، وقال الترمذي فيه: «حديث حسن».

عليه وسلم: «ما بين النفختين أربعون. قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال: أبيت^(١). قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون سنة؟ قال أبيت»^(٢).

الثاني: عددها ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة البعث، واحتجَّ له بقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧] فالنفخة المرادة هنا نفخة الفزع، وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨] والنفختان هنا نفختا الصعق والبعث^(٣)، فالخلاف بين القولين في نفخة الفزع فأصحاب القول الثاني قالوا: إنَّ الفزع مغاير للصعق، فميزوا بين النفختين بمساعدة النص على ذلك، في حين أنَّ أصحاب القول الأول رأوا أنَّ نفخة الفزع هي نفخة البعث عينها، ووجه ذلك: أنَّه ينفخ في الصور للبعث، فَيُبْعَثُ الخلق وينشرون، فإذا تحققوا يوم القيامة، وشاهدوا آثار عظمة الله تعالى فزعوا وارتعبوا إلا من شاء الله تعالى، وإلى هذا الرأي يميل الباحث.

وهذا الحدث -النفخ في الصور- على الرغم من أنَّه غيب من حيث الماهية والتوقيت والكيفية فإنَّه يمكن الجزم بأنَّه ليس من جنس الأحداث التي رآها البشر وتصوروها، فهو من الغيبات التي يقتصر الحديث عنها على ما جاء في الوحي، وتجاوز ذلك لا أمان فيه ولا يقين^(٤)، والمهم في الإخبار عن هذا الحدث جعل المتلقي يستحضر معناه في نفسه، مما يكون له دافع على اعتناق الحق، والرغبة في الآخرة، والعزوف عن الدنيا ومتعها الزائلة، وقد ترجم هذا المعنى حديث النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: «كيف أنعم! وقد التقم

(١) أراد أبو هريرة رضي الله عنه بقوله: (أبيت) في المواضع الثلاثة من الحديث: أمتنع عن تعيين ذلك بالأيام والشهور والسنين، بل الذي أجزم به أنها أربعون مجملة.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب (التفسير)، باب (ونفخ في الصور...)، رقم/٤٥٣٦، /٤/١٨١٣، ومسلم، كتاب (الفتن وأشرط الساعة)، باب (ما بين النفختين)، رقم/٧٦٠٣، /٨/٢١٠.

(٣) انظر: روح المعاني، ٣١/٢٠.

(٤) انظر: وظيفة الإخبار في سورة الأنعام، ص ٢٨٥.

صاحبُ القرنِ القرنَ، وحنى جبهته، وأصغى سمعه، ينتظر أن يؤمر فينفخ. قال المسلمون:
فكيف نقول يا رسول الله؟ قال: قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، توكلنا على الله ربنا»^(١).

(١) أخرجه الترمذي، كتاب (تفسير القرآن)، باب (ومن سورة الزمر)، رقم/٣٢٤٣، ٥/٣٧٢. وقال فيه: «هذا حديث حسن».

المبحث الثالث : الأسلوب القصصي

المطلب الأول : تعريف القصة وبيان عناصرها وأشكالها القرآنية

أولاً: تعريف القصة:

القصة لغة مأخوذة من (قَصَصَ)، وهذا الجذر يأتي على معانٍ متقاربة أهمها:

٥ - ١ - تتبع الأثر: «يُقال: قصصت الشيء إذا تتبعته أثره شيئاً بعد شيء»^(١)، ومنه قوله

تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ [القصص: ١١] أي: اتبعي أثره، وقوله: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ﴾ [الأنعام: ٥٧] أي: يتابع الحق.

٢ - الخبر والأمر والحديث: «القصة الأمر والحديث، وقد اقتصر الحديث: رواه على

وجهه، وقصَّ الحديث: رواه على وجهه، وقصَّ عليه الخبر قصصاً»^(٢) ومنه قوله تعالى:

١٠ ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ﴾ [القصص: ٢٥] أي: حكى له الأمر الذي حدث له مع

فرعون وقومه على وجهه كما وقع له.

٣ - البيان والإعلام: ومنه قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف:

٣] أي: نبين لك أحسن البيان^(٣).

والذي يُخلص إليه من هذه المعاني أن القصة: الخبر الذي تتابع أحداثه، ويرتبط بعضها

ببعض.

١٥ القصة اصطلاحاً: يختلف المفهوم الاصطلاحي للقصة باختلاف العلم الذي يعبر عنه

هذا المفهوم، فمفهومه في الإعلام غيره في الأدب، ومفهومها في الأدب غيره في الاستعمال

القرآني؛ لذلك سيعرض البحث مفهومها في هذه العلوم الثلاثة -الأدب، الإعلام،

الاستعمال القرآني- ثم ينتهي بتحديد دقيق للأسلوب القصصي كأسلوب إعلامي.

٢٠ للقصة في المفهوم الأدبي تعريفات متعددة متقاربة منها:

(١) لسان العرب، مادة (قصص).

(٢) الرازي، مختار الصحاح، ت: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون (بيروت)، ط ١، ١٤١٥ هـ، مادة (قصص).

(٣) انظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار صادر (بيروت)، ط ١، ١٣٠٦ هـ من جواهر القاموس، مادة (قصص).

١ - هي «عرض لفكرة مرت بخاطر الكاتب، أو تسجيل لصورة تأثرت بها مخيلته، أو بسط لعاطفة في صورة، فأراد أن يعبر عنها بالكلام؛ ليصل بها إلى أذهان القراء، محاولاً أن يكون أثرها في نفوسهم مثل أثرها في نفسه»^(١).

٢ - هي «مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب، وهي تتناول حادثة واحدة أو حوادث عدة، تتعلق بشخصيات إنسانية مختلفة، تتباين أساليب عيشها وتصرفاتها في الحياة على غرار ما تتباين على وجه الأرض، ويكون نصيبها في القصة متفاوتاً من حيث التأثير والتأثير»^(٢).

ومما يلاحظ في هذه التعريفات، ويجدر التنبيه إليه أن القصة الأدبية ليست مقيدة بقص الحقيقة؛ لأنَّ مجال الخيال أمامها طلق فسيح، والوصف فيها أدبي من حيث وصف الأشخاص والأحداث، فتختلط فيها الحقائق الإنسانية بالأمور الخيالية، فتبتعد كثيراً عن حقيقة الواقع^(٣).

وأما في مجال الإعلام فالحديث عن القصة لا ينفك عن الخبر، بل هي -القصة- قالب من قوالب صياغة الخبر، يطلق عليه القصة الخبرية، ويظهر هذا جلياً في تعريفات الإعلاميين لها، فمن تعريفاتهم:

١ - «نستطيع القول بأنَّ القصة الخبرية: هي قالب فني لصياغة الخبر مثل قالب السرد، أو قالب الحديث المنقول، أو ما شابه ذلك، وبالتالي فإنَّ قالب القصة الخبرية هو شكل الهرم المقلوب بمعنى أنَّ الصحفي يأتي بالفكرة الرئيسية أو ما يسمى بالصدر (The lead) أولاً، ثم يأتي بالتفاصيل أو الجسم (The body) بعد ذلك»^(٤).

٢ - هي «التفاصيل الكاملة لخبر من الأخبار بكل ما يشتمل عليه من وقائع وأحداث وخلفيات وظروف مصاغة بطريقة يغلب عليها الطابع القصصي»^(٥).

(١) بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن، دار الشروق (بيروت-القاهرة)، ط ٢، ١٣٩٦هـ، ص ٢١٥.

(٢) محمد يوسف نجم، فن القصة، دار صادر (بيروت)، ١٩٩٦م، ص ٩.

(٣) انظر: فن التحرير الإعلامي، ص ١٨٩.

(٤) فن الخبر الصحفي (عبد الجواد ربيع)، ص ٨٨.

(٥) كرم شلبي، معجم المصطلحات الإعلامية، دار الشروق (القاهرة)، ط ١، ١٩٨٨م، ص ٣٣٩.

إذاً فالفرق بين القصة الأدبية والقصة الخبرية الإعلامية يكمن في نقطتين:

الأولى: من حيث الشكل: إذ إنَّ البناء الفني للقصة الأدبية يقوم على التسلسل من البداية حتى الوسط إلى الذروة في نهايتها، أما بناء القصة الخبرية فيقوم على قالب الهرم المقلوب الذي تأتي الذروة أو أهم المعلومات والأفكار في مقدمته ثم يأتي سرد باقي التفاصيل بعد ذلك. ٥

الثانية: من حيث المضمون: إذ إنَّ من أهم سمات القصة الأدبية التعبير الذاتي للأحداث الذي يسمح بتدخل العنصر البشري، مما يُدخل على الأحداث بعض المبالغات والانطباعات الشخصية للقاص، فتختلط الأحداث الحقيقية بالأمور الخيالية، فتبتعد الأحداث عن حقيقة الواقع. في حين أنَّ من أهم سمات القصة الخبرية التعبير الموضوعي عن الحدث حيث تلتزم القصة الخبرية بعرض الواقع كما حدث بالفعل دون تدخل الخيال الإنساني الذي يضيف ويعدل مجرى الأحداث كما يحب أن يراها، فالقصة الخبرية من هذه الناحية تجد مثلها الأعلى في الدلالة القرآنية لقص النبأ بالحق في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ [الكهف: ١٣]. ١٠

وأخيراً فالقصة في الاستعمال القرآني قد عُرِّفت بتعريفات متعددة، لا تخرج عن مضمون القصة الخبرية الإعلامية، من هذه التعريفات: ١٥

١- هي: «أخبار عن الأحوال الماضية والنبوات السابقة والحوادث الواقعة»^(١).

٢- هي: «تتبع أحداث ماضية واقعة»^(٢).

٣- وأجمع التعريفات وأوضحها تعريف (خواجة): «القصص القرآني: سرد تاريخي انتقائي يعرض أحداثاً ماضية، ويتصل بأشخاص وأحداث من أمكنة وأزمنة مختلفة بعيداً عن الخيال والمبالغة الأسطورية، غرضه التركيز على الفكرة والهدف من الحدث لا الحدث التاريخي في ذاته، مما يجعله يختلف عن الكتب التحقيقية أو التاريخية العرضية، وهي ليست عملاً فنياً قائماً بذاته إنما جزء من القرآن ووسيلة من وسائله لتحقيق أهداف محددة، ولا ٢٠

(١) مباحث في علوم القرآن، ص ٣٠٦.

(٢) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص ٤٥.

ينقل كل الماضي لكنّه يأخذ بعضه ويترك بعضه الآخر خدمة لغرضية معينة، وأكثر من ذلك فقد أصبغ عليها صبغة فنية، فالحادثة الواحدة عرضها بأساليب متباينة»^(١).

وبناءً على ما سبق يمكن القول: إنّ الأسلوب القصصي يتمثّل بنقل الأحداث الماضية الواقعة، والتركيز على ما تحمله في طياتها من عبر؛ بغية التأثير في المتلقي، وجعله يغيّر من اتجاهاته وميوله، ويأتي باستجابات متوافقة مع ما أراده القائم بالاتصال.

ثانياً: عناصر القصة:

تتألف القصة -أدبية كانت أو إعلامية أو قرآنية- من عناصر تشكل لبناء الفني لها، وهذه العناصر هي: الأحداث، والأشخاص، والحوار والسرد. وفيما يأتي عرض البحث لهذه العناصر، وللمنهج القرآني في عرضها بشيء من التفصيل، مع إيراد الشواهد القرآنية المناسبة:

العنصر الأول: الأحداث

وهي مجموعة من الوقائع الجزئية التي ترتبط ببعضها ارتباطاً منطقيّاً، ويجعل من مجموعها وحدة ذات دلالة محددة^(٢)، وللقرآن الكريم طريقة خاصة في عرض الأحداث القصصية تقوم على انتقاء الأحداث التي تخدم الفكرة الرئيسة، وتوجد الجو النفسي الملائم للاقتناع بها، كما يتميز العرض القرآني للأحداث التي ينتقيها بإضافته عليها عنصر الحركة الذي يجعل المشاهد في القصة حية، والأحداث نابضة، والمواقف المختلفة متفاعلة.

ويعمل القرآن الكريم على إبراز هذا العنصر من خلال:

١- الوصف الدقيق المصوّر: كوصف نوح عليه السلام لإعراض قومه عن دعوته في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: ٧].

(١) عبد العزيز خواجه، أنماط العلاقات الاجتماعية في النص القرآني، دار صفحات للنشر (دمشق)، ط ١، ٢٠٠٧م، ص ١٥١.

(٢) انظر: محمد وهدان، الإعجاز الإعلامي في القصص القرآني، دار أطلس (الجيزة)، ط ١، ٢٠٠٦م، ص ٤٤.

٢- التعبير بالمعاني المعبرة عن المشاهد والانفعالات والأحوال النفسية: كما جاء في القرآن الكريم على لسان مريم، وقد تمثل لها الملك رجلاً يفجؤها في خلوتها: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٨]، وكقولها وهي تعاني آلام المخاض: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا﴾ [مريم: ٢٣].

٥- إبراز الصراع منسجماً مع المغزى العام للقصة: صراع الحق والباطل، الإيمان والضلال، وقد يكون صراعاً مادياً كموقف موسى عليه السلام مع السحرة لما رمى عصاه ورموا حبالهم وعصيهم. وقد يكون صراعاً نفسياً كموقف إبراهيم عليه السلام من الكواكب والقمر والشمس^(١).

العنصر الثاني: الأشخاص

١٠- لا يبرز القرآن الكريم هذا العنصر لذاته، وإنما للتأسي بالشخصية الخيرة، والتنفير من الشخصية الشريرة، مثل أشخاص الأنبياء وأعدائهم ممن تحدوا دعواتهم؛ لذلك لم يُعَنَّ برسم الخطوط الشكلية للشخصيات التي تدور معها قصصه، فلا يبرز ملامحها الخارجية كما يفعل المولعون بالقصص، فيذكرون لون الشعر والعينين، ويصفون الفم والأنف والجبين وغيرها من الأوصاف الفزيولوجية، ويرجع عدم اهتمام القرآن الكريم بإبرازها أنها لا تخدم أيَّ غرض ديني من أغراض قصصه.

١٥- وتتمثل الشخصية القرآنية في:

١- فرد معين باسمه: كإبراهيم وموسى وفرعون وقارون.

٢- جنس معين وحدت بين عناصره العصبية، ومجموعة من سجايا العرق: كبنو إسرائيل، وقوم نوح.

٢٠- ٣- شخصيات غير بشرية: كالملائكة في قصة إبراهيم ولوط عليهما السلام، والجن والطير في قصة سليمان عليه السلام، وإبليس في قصة آدم عليه السلام.

وأبرز ما يُلاحظ في التصوير القرآني للشخصية بصفة عامة أمانة النقل في حكاية أقوالها، ودقة التعبير عن مشاعرها، وصدق الترجمة عن خواطرها^(٢).

(١) انظر: سيكولوجية القصة في القرآن، ص ٣٥٠.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٣٦٠-٣٦١.

العنصر الثالث: الحوار والسرد

الحوار والسرد هما الآلية المستخدمة في إيراد الحوادث وتصويرها، وفي رسم شخصيات القصة. ويقصد بالحوار: ما يدور من حديث بين الشخصيات. وأما السرد: فهو الطريقة التي يُوصَف بها جزءٌ من حوادث القصة، أو جانب من جوانب الزمان والمكان الذين تدور فيهما الأحداث^(١).

ولكل من الحوار والسرد قيمة أو ميزة في البناء الفني للقصة، فالحوار يساعد على إبراز الفكرة وتوضيحها؛ لأنَّ كل طرف من أطراف الحوار يحاول أن يثير الجوانب التي يؤمن بها، ويدافع عنها، كما يتميز الحوار بأنَّه يساعد على تجسيد المواقف وإحياء المشاهد حتى يشعر القارئ بالحياة تدب في المشهد وتتحرك، وحتى يعيش القارئ مع الأحداث من خلال أبطالها الذين يشعر بهم وهم يتحركون أمامه كما لو كان حاضراً معهم، يشعر بالحدث كما شعروا، وينفعل به كما انفعلوا.

أما قيمة السرد فتتمثل في أنَّ صاحب القصة يستطيع من خلاله ملاحقة الجوانب الدقيقة للأحداث، كما يمكنه من أن يقف موقف المرشد الذي يقود تفكير القارئ، وينبهمهم إلى القضايا التي يريد إثارتها من خلال الموقف القصصي^(٢).

ويذكر علماء النقد أنَّ معيار الجودة في كل من الحوار والسرد أمران:
الأول: القدرة على تحريك الحدث وتصعيده في مراحل مختلفة.

الثاني: الإفصاح عن المعاني بدقة، دون إخلال بتقصير أو إملال بتطويل^(٣).

ومن الجدير بملاحظته أنَّ الباحث لو نظر في قصص القرآن بحسب ترتيب نزول السور فإنَّه سيجد أنَّها -القصص- بدأت بإشارات خاطفة خالية من الحوار كما في هذه الآيات من سورة الفرقان: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا * فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا * وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ سُرَّةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

(١) انظر: محمد دبور، أسس بناء القصة من القرآن، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه، قسم الأدب والنقد- كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، إشراف: د. فتحي أبو عيسى، ١٤١٧هـ، ص ٢١١.

(٢) انظر: الحوار في القرآن الكريم، ص ٢١٦.

(٣) انظر: محمد كامل الظواهري، بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم، دار الصابوني، ط ١، ١٩٩١م، ص ٧٣.

لِلنَّاسِ آيَةٌ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا * وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا * وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا * وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمِطِرَتْ مَطَرَ السَّوَاءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٣٥-٤٠﴾، ثم تدرجت نحو الطول والتفصيل بتدرج أسلوب الدعوة، وتهيؤ النفوس للاطلاع والمعرفة، واستعداد العقول للجدل، والخوض في القضايا الغيبية التي كانت محور هذه القصص وهي: التوحيد والرسالة والبعث، فكان لا بد لتقرير هذه الحقائق من حصول الجدل والمناظرة سواء مع من ييغون المعرفة للهداية والرشاد، أو مع المكابرين والمعاندين لدحض شبههم، وقطع مبرراتهم ومعاذيرهم، ومن هنا كان دخول عنصر الحوار الذي تدرج بالقصة من الإشارة إلى التفصيل، ومما تغني فيه العاطفة إلى ما يحتاج إلى الفكر والنظر^(١).

وأما عن المنهج القرآني في عرض هذه العناصر وإبرازها فإنه من الملاحظ أنها لا تكاد توجد مجتمعة في القصة القرآنية، وليست موزعة توزيعاً يجعل لكل منها دوراً يختل بانعدامه توازن القصة؛ لأن المقاصد التي يوحى بها السياق هي التي توجه أسلوب العرض، وتتحكم في ترتيب الأحداث، وتسلط الضوء على العنصر المراد إبرازه.

فقد يكون مقصد القصة الترهيب والإنذار مثلاً، فيبرز عنصر الأحداث، كما في قوله تعالى: ﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ * فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٤-٨] فقد كان الغرض من عرض ما حل بالمكذبين من قوم عاد وثمود تذكير أهل مكة، وتخويفهم من عاقبة تكذيبهم، وإنذارهم بعذاب من سبقهم.

وقد يكون القصد تثبيت الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على الحق الذي يدعون إليه على الرغم مما يصيبهم في سبيله من محن، فيبرز عنصر الأشخاص كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ طَا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ * وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤-٧٥] فقد وردت هذه الآيات في معرض ذكر ما من الله به على أصفياه من نصر وتأيد، فلو ط عليه السلام

(١) انظر: سيكولوجية القصة في القرآن، ص ٤١٠-٤١١.

نجاه الله تعالى من القرية التي كان أهلها يرتكب المنكرات، وآتاه الله الحكمة والنبوة، وحباه برحمته جزاء صلاحه واستقامته، وأهلك قومه جزاء كفرهم وانحرافهم، فكان في إبراز شخصية لوط تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

وقد يكون القصد إقامة الحجة والإقناع بحكاية أقوال الخصم، أو التعريف بشخصية ما

والتعقيب عليها، فيبرز عنصر الحوار، فمن محاجة الخصم حوار نوح مع قومه: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَكُثِّرْتَ جَدَلْنَا فَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ * وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: ٣١-٣٤]. ومن تعريف الحوار بالشخصية ما جرى بين موسى وهارون

في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ إِنْ الْقَوْمَ اسْتَضَعْفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٠-١٥١] فقد دلت هذه

الآيات على سرعة غضب موسى، وسرعة رضاه شأن صاحب المزاج الحار والطبع الحاد.

وقد يأتي الحدث والشخصية متساويين في الأهمية، فيكمل كل منهما الآخر، كما في قصة مولد موسى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ * فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنْ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ * وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قَرَّتْ عَيْنٌ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: ٧-٩].

وأما الزمان والمكان فلا تُعنى القصة القرآنية بذكرهما إلا إذا كان لتعيينهما أو تعيين أحدهما أبعاد لقيمة الأحداث نفسها، كتحديد المدة التي قضاها أصحاب الكهف في كهفهم: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥].

أما الترتيب الزمني للأحداث فإن القرآن الكريم لم يلتزمه كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ

خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ * فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٥٨-٦٠﴾ [البقرة: ٥٨-٦٠] فَإِنَّ أَمْرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِدخول بيت المقدس كان بعد خروجهم من التيه، واستسقاء موسى وضرب الحجر بعصاه حدثاً أثناء التيه، لكن القرآن الكريم لم يهتم بزمان الأحداث حتى يرتبها عليه؛ لأنَّ غرضه من عرض هذه الأنباء إنما هو إثارة الاعتبار لديهم، ببيان النعم متصلة بأسبابها؛ لتُطلب بها، وبيان النقم متصلة بعلمها؛ لئيبعد عنها، فكان غرض السياق يقتضي تذكير بني إسرائيل بما منَّ الله عليهم من النعم، وموقفهم منها موقف الجحود؛ لذلك جاء ترتيب الوقائع في الذكر على الوجه الذي يكون أبلغ في التذكر، وأدعى إلى التأثير^(١).

ثالثاً: أشكال القصة القرآنية:

قبل إيضاح الأشكال التي تأخذها القصة القرآنية يبين البحث المراحل التي تمر بها معظم القصص القرآنية، ولاسيما الطويلة منها؛ إذ على هذه المراحل تنبني الأشكال المراد إيضاها:

المرحلة الأولى: مرحلة التمهيد: ومهمة هذه المرحلة تشويق القارئ أو السامع لبقى بكل مشاعره ووجدانه متابعاً لأحداث القصة.

المرحلة الثانية: مرحلة عرض أحداث القصة: ووظيفتها نقل الأهداف الاعتقادية والقيم والأفكار إلى المتلقي عن طريق عناصر القصة من أحداث وأشخاص وحوار، وتعد هذه المرحلة الجسر الذي يوصل إلى نتيجة القصة والعبرة منها. وقد تطول هذه المرحلة أو تقصر بمقدار ما يمكنها ذلك من أداء العبر والقيم، وإيصالها إلى القلوب والنفوس؛ لإيقاظها وتحريك مشاعرها وتهذيبها.

المرحلة الثالثة: مرحلة العاقبة والنتيجة والعبرة: وهي التي تقرر للمتلقي القيم والأفكار التي حملتها عناصر القصة، وحاولت تثبيتها في أعماق الوجدان، مما يؤدي إلى ترسيخها وتحقيقها في الوجدان والسلوك، فهي إذاً المدار الذي تدور حوله أحداث القصة، والأساس

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٩٤-٩٨.

الذي يركز عليه الحوار، والقيمة والعقيدة التي تطول القصة أو تقصر حتى تؤديها خير أداء؛ لذلك عني القرآن الكريم بهذه المرحلة أيما عناية، وصاغها أقوى صياغة، وأداها أحسن أداء^(١).

بعد بيان المراحل التي تمر بها القصة القرآنية من التمهيد إلى عرض الأحداث انتهاءً بالعاقبة والنتيجة والعبرة، وبعد النظر في أكثر القصص القرآنية يتضح للباحث أنها تأتي -في الغالب- على أحد أشكال ثلاثة يميز بينها مرحلة التمهيد في القصة وما تعكسه هذه المرحلة على المراحل الأخرى. وفيما يأتي يوضح البحث هذه الأشكال الثلاثة:

الشكل الأول: يبدأ هذا الشكل بتمهيد مشوق يُشار فيه إلى سرٍّ يكتمه بطل القصة عن رفاقه وعن المتلقين، أو قد يُكتم عن الجميع، ثم يأتي العرض؛ ليكشف عن هذا السر، وفي النهاية تأتي العبرة والنتيجة. من أمثلة هذا الشكل قصة يوسف عليه السلام حيث تبدأ هذه القصة برؤيا يراها بطل القصة يوسف عليه السلام الذي ما زال غلاماً صغيراً، ثم يقصُّ على أبيه نبأ رؤياه، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ * قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿[يوسف: ٤-٥] هذه الرؤية وجهت حياته كلها حتى كأنَّ أحداث القصة كلها على طول مشاهدتها، وتعدد حلقاتها ما هي إلا إيضاح لسرِّ هذه الرؤيا وتعبير لها.

الشكل الثاني: وفيه يلخص التمهيد مجمل القصة، ثم يأتي العرض ليفصّل ما أجمله التمهيد، ويصور دور كل شخصية من شخصيات القصة؛ ليصل بالمتابعين إلى ما تهدف إليه في المرحلة الأخيرة. ومن أمثلة هذا الشكل قصة أصحاب الكهف، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ * إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا * فَضَرْبَتَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿[الكهف: ٩-١٢] فهذا التمهيد يُجمل القصة، ويرسم خطوطها الرئيسة، ويُعرِّفُ بأبطالها، فهم فتية مؤمنون بالله ربهم -لا يُعرف عددهم-، أووا إلى الكهف هرباً من أذى قومهم، فناموا فيه سنين طويلة -لا يُعرف عددها-، ثم بُعثوا من رقادهم، وكان هناك فريقان يتجادلان في شأنهم، إنَّ هذا التمهيد يجعل

(١) انظر: عبد الرحمن النحلاوي، التربية بالقصة، دار الفكر (دمشق)، ط ١، ٢٠٠٨م، ص ٤٩-٥٠.

المتلقي يطرح أسئلة متعددة: من هؤلاء الفتية؟ لماذا أوا إلى الكهف؟ لماذا تضرعوا إلى ربهم أن يهبى لهم من أمرهم رشداً؟ ما عددهم؟ كم لبثوا؟ ما الحكمة من وراء نومهم الطويل ثم يقظتهم؟ إلى غير ذلك من الأسئلة التي يعرضها السياق بشكل مفصل في ثانيا القصة.

الشكل الثالث: يبدأ هذا الشكل بذكر عاقبة القصة ومغزاها، ثم يأتي بعد ذلك عرض

أحداث القصة من بدايتها، ومن أمثلة هذا الشكل قصة موسى عليه السلام في سورة القصص، حيث جاء تمهيد القصة كالآتي: قال تعالى: ﴿طَسْمَ * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * تَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُكِنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ١-٦] ٥

إذ تقرر هذه الآيات الكريمة أن فرعون قد علا في الأرض بقوته، وسخر جميع القوى البشرية المحيطة به لمصلحته، بعد أن جعلهم شيعاً متقابلين متناوئين، لا يجمعهم إلا مداراته ومساندته، وقد صبَّ -فرعون- جام غضبه ونقمته على طائفة من رعيته يستضعفها، يذبح أبناءها -خوفاً على ملكه- ويستحيي نساءها.

وفي هذه الآيات أيضاً يعلن الله تعالى عن إرادته التي ستعلو فوق إرادة فرعون، فهؤلاء المستضعفون يريد الله تعالى أن يمنَّ عليهم، وأن يجعلهم أئمة في الأرض وقادة بعد أن كانوا عبيداً تابعين، وأن يُمكنَّ لهم، فيجعلهم أقوياء راسخي الأقدام، وأن يحقق ما يحذره منهم فرعون وجنوده، وما يتخذون -فرعون وجنوده- دونه من الحيطة والحذر، وهم لا يشعرون. ١٥

يعلن السياق القرآني في هذا التمهيد عن واقع الحال وعمّا هو مقدر في المآل، مما يُبقي القلوب معلقة بأحداث القصة، متحفزة لمتابعة مجرياتها، وكيف تصل إلى تلك النهاية التي أعلنها قبل البدء في عرضها. وبعد هذا التمهيد الذي عرض لنتيجة القصة ومغزاها تبدأ مرحلة عرض الأحداث من بداية القصة ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧] (١).

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٢٣، ٢٧، ٣٤، ٥٣.

المطلب الثاني : الأهمية الإعلامية للأسلوب القصصي ودوره في الإقناع

في البدء لا بدّ من التنويه إلى أنّ صنيع الباحث في جعله الحديث عن الأسلوب القصصي في نهاية الأساليب القرآنية الداعية للعقيدة الصحيحة لا لأنّه يأتي في نهايتها من حيث التأثير؛ ولكن لأنّه يستمد تأثيره من روافد أسلوبية أخرى كالتمثيل والحوار والتكرار والترغيب والترهيب تتجمع كلها في هذا الأسلوب، فتمنحه قدرة على التأثير القادر على استهواء القلوب، والإمساك بمقاليذ النفس البشرية، يقودها فتنقاد، ويوحى إليها فتستجيب، ويلقنها فتقبل في رضا وابتهاج.

فهو مؤثر بتصويره للحوادث والمشاهد، ورسمه للشخصيات وملامحها وأعمق خلجاتها النفسية، ومؤثر باتكائه على غريزة حب الاستطلاع في النفس البشرية، حيث يستحوذ على مشاعر المتلقي، فلا يدعه يلتقط أنفاسه أو يفتر اهتمامه قبل أن يصل إلى نهاية القصة، ويستوعب الدرس الذي توحى به. وهو مؤثر بقدرته على الإثارة والتشويق بما يتخلله من مفاجآت تكون كالهزات العنيفة التي تثير الانتباه، وتذكي الشوق إلى متابعة القصة. وهو مؤثر باستعائته بالخيال، حين يترك فجوات في سياق الأحداث تاركاً للخيال أن يستكملها بتصوره؛ ليجعل من الأحداث بنية متلاحمة متصلة. ثمّ هو مؤثر بما يبثه في تضاعيف عرضه المصور من عظات وتوجيهات وحوارات بطريقة لا تشعر القارئ بأنها دخيلة على السياق القصصي^(١).

وتأتي الأهمية الإعلامية لهذا الأسلوب من قدرته الفعالة على التأثير في المتلقي وجعله يغير من اتجاهاته وميوله ليأتي باستجابات متوافقة مع ما أراده القائم بالاتصال. ويمكن جمع عوامل هذا التأثير للأسلوب القصصي عموماً وللقارئ من خصوصاً في عنصرين رئيسين هما: التأثير الوجداني والإقناع العقلي، وفيما يأتي عرض البحث لهذين العنصرين بشيء من التفصيل:

العنصر الأول: التأثير الوجداني

الأسلوب القصصي يحرك مراكز التأثير في النفس من استثارة عاطفية وجدانية، وإشباع الفضول من تطلع على خبرات وتجارب الآخرين، وذلك بما تمتاز به من مميزات «جعلت

(١) انظر: أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهجاً، ص ٣٠٣.

لها آثاراً نفسيةً وتربويةً بليغةً محكمةً بعيدة المدى على مرّ الزمن، مع ما تثيره من حرارة العاطفة ومن حيوية وحركية في النفس، تدفع الإنسان إلى تغيير سلوكه وتجديد عزمته بحسب مقتضى القصة وتوجيهاتها وخاتمتها والعبرة منها»^(١)، وذلك من خلال:

أولاً: إثارة الانفعالات وتوجيهها في خدمة الغرض الذي لأجله سيقّت القصة^(٢)، فتأثير

بعض القصص الذي يصف ما نزل بالمكذّبين لرسولهم من أهوال العذاب يحدث شعوراً

بالخوف من عاقبة العصيان. هذا الشعور الانفعالي بالخوف هو الذي دفع عتبة بن ربيعة لما

سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يقرأ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ

وَتَمُودَ﴾ [السجدة: ١٢] دفعه إلى أن يمسك على فم النبي صلى الله عليه وسلم، ويناشده أن

يسكت مخافة أن ينزل عليه وعلى قومه العذاب^(٣). وهذا الشعور بالخوف من العقاب الإلهي

يتجدد في النفس كلما أثارت انفعالها قصة من القصص، فالثري المسرف على نفسه الذي

أطغاه المال فنسي ربه، واحتقر الفقراء، وقادته الشهوات إلى الفسوق والعصيان، قد يحس

بالرجفة والخوف عندما يسمع قصة قارون مثلاً أو قصة صاحب الجنتين؛ وذلك لما يجد من

بعض وجوه الشبه بينه وبينها. وقد يكون خوفه مدعاةً لتوبته واستقامته، وتكوين عاطفة حب

الخير والبر في نفسه، وإيمانه أن الترف ظاهرة سيئة، تنمو معه جرائم العفن الخلقي،

ومفاسد الحياة^(٤).

ثانياً: التقمص الوجداني (Empathy): يمكن تعريف التقمص الوجداني بأنّه: العملية

التي يتوصل الإنسان بمقتضاها إلى توقعات عن الطريقة التي يجب أن يتصرف بها إزاء موقف

معين. وتأتي وظيفة القصة في كونها تمد الإنسان من خلال سلوك أشخاصها بالأدوار الخيرة

التي يمكن أن يمارسها، وتأتي متفقة مع توقعات الآخرين، وبالتالي يكافئ عليها، وبالأدوار

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ص ١٨٨.

(٢) انظر: هدى القرشي، أساليب تنمية التفكير العلمي لطفل المرحلة الابتدائية وتطبيقاتها المعاصرة في ضوء التربية الإسلامية، رسالة ماجستير، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية-جامعة أم القرى، إشراف: د. نجم الدين الأنديجاني، ١٤٢٨هـ، ص ١٣٠.

(٣) سبق تخريجه ص ٣٧.

(٤) انظر: سيكولوجية القصة في القرآن، ص ٤٦١.

الشريرة التي ينبغي عليه تركها، والتي لو مارسها سيعاقب عليها، لكي يتضح ما ذكرته آنفاً لا بدّ من الإجابة عن السؤال الآتي:

كيف يحصل التقمص الوجداني؟

للإجابة عن هذا السؤال هناك وجهات نظر متعددة يختار الباحث منها نظرية (جورج ميد)، والتي سماها نظرية أخذ الأدوار في التقمص الوجداني، اختارها الباحث؛ لكونها أكمل النظريات وأقربها تفسيراً للواقع، وفيما يأتي عرضٌ لأهم نقاطها:

يرى أصحاب نظرية أخذ الأدوار أنّ الطفل المولود حديثاً لا يستطيع أن يميز نفسه عن الآخرين، ولكي يطور فكرته عن ذاته، يبدأ بتقليد الآخرين، فهو يلاحظ سلوك الآخرين - ولاسيّما الموجه إليه - ويحاول تقليده بقدر الإمكان، وبتقليد السلوك الموجه إليه يبدأ الطفل بنفسه في التصرف، كما يتصرف الآخرون نحوه، ولكن ليس لديه تفسير لتلك التصرفات، وليس لتصرفاته معنى عنده. هذه هي بداية أخذ الأدوار، وبداية تطوير مفهوم الذات، ففكرة الذات لا تسبق الاتصال بل تتطور من خلاله. إذاً ففي المرحلة الأولى من مراحل أخذ الأدوار يمارس الطفل فعلاً أدوار الآخرين دون أن يفسرها.

وبتطور الطفل يزداد سلوكه الذي يأخذ فيه أدوار الآخرين، في نفس الوقت يتعلم أن يصنع مجموعة من الرموز ويتحكم بها، يصنع رموزاً لها معنى عنده وعند الآخرين، وحينما يزود الطفل بهذه المجموعة من الرموز، يستطيع أن يفهم الأدوار التي يأخذها، ويستطيع أن يفهم كيف سيتصرف الآخرون نحوه، كما يستطيع أن يبدأ فعلاً في وضع نفسه في أماكن الآخرين، وينظر إلى نفسه بالطريقة التي ينظر بها الناس إليه، حينما يتصرف الطفل بهذا الشكل، ينظر إلى نفسه على أنه شيء خارجي، هذه هي المرحلة الثانية من مراحل أخذ الأدوار، وفيها يلعب الطفل أدوار الآخرين بفهم.

وحينما ينضج الطفل يقوم بأدوار الآخرين الأكثر تعقيداً، وباستخدام الرموز يستنتج أدوار الآخرين، ويحتفظ بتلك الأدوار في ذهنه بدلاً من القيام بأدوار الآخرين مادياً، هذه هي المرحلة الثالثة من مراحل القيام بدور، وفيها يبدأ الطفل بوضع نفسه في أماكن الآخرين رمزياً، بدلاً من وضع نفسه مكانهم مادياً.

وحيثما يضع الفرد نفسه في مكان الأطفال الآخرين، يطور توقعات عن سلوكه الذاتي، أي عما هو متوقع منه في هذه الظروف، ثم يتصرف بعد ذلك وفقاً لتلك التوقعات، كما يحددها أخذه لأدوار الآخرين. فإذا قام بعمل جيد، وهو يأخذ الأدوار سيتفق سلوكه مع توقعات الآخرين وسيكافئونه، وإذا لم يقم بما هو متوقع منه في اخذ الأدوار لن يكافئ؛ بل سيعاقبه الآخرون، وباستمرار، بالمساهمة في نشاط الجماعة، يأخذ الفرد أدواراً كثيرة يقوم بها الآخرون، وفي أخذه لتلك الأدوار ينظر إلى نفسه كمتلقي، وبالتدريج يبدأ بالتعميم عن أدوار الآخرين، أي يبدأ في تكوين أفكار عامة عن الطريقة التي سوف يتصرف بها الآخرون، وكيف يفسرون؟ وكيف يستجيبون عليه؟ يسمى هذا مفهوم التعميم عن الآخرين. والتعميم عن الآخرين هو عملية تجريدية تقوم على ما يتعلمه الفرد عن الأدوار الفردية الشائعة التي يقوم بها الآخرون في جماعته. ١٠

فكل فرد يطور ويعمم عن الآخرين، على أساس خبراته في ظروف اجتماعية معينة، وعلى أساس أدوار الآخرين المتتابة التي يقوم بها. إذاً فالتعميم عن الآخرين يوفر للفرد مجموعة من التوقعات عن الطريقة التي يجب أن يتصرف بها. وهذا هو ما يُقصد بمفهوم الذات، فمفهوم الذات: هو مجموعة من التوقعات التي يعتنقها الفرد عن الطريقة التي يجب أن يتصرف بها في ظرف معين. ١٥

وكيف يطور الفرد مفهوم الذات؟ يطرره عن طريق الاتصال، وعن طريق أخذ أدوار الآخرين، وعن طريق تطوير تعميم عن الآخرين، وكلما قام الفرد بسلوك ما، ثم وجد أنه لم يُجازى عليه، أو لم يكن مرغوباً به، أو كانت الاستجابة عليه سلبية، فإنه يلجأ إلى إعادة تعريف الذات أي يطور مفهوم الذات، لكي يفعل هذا يعود إلى أخذ أدوار الآخرين، ويطور مفهوماً جديداً للتعميم عن الآخرين، وبالتالي مجموعة جديدة من التوقعات عن سلوكه، حينما يفعل ذلك يكون قد عرف ذاته، أو طور مفهوم ذاته، فيغير سلوكه وفقاً لهذا التعريف الجديد^(١).

(١) انظر: الأسس العلمية لنظريات الإعلام، ص ٤٠٤-٤٠٦.

العنصر الثاني: الإقناع العقلي

وذلك من خلال:

أولاً: التركيز على النواحي العملية للسلوك، فالقصة تبرز العقائد والأخلاق والتشريعات في قالب عملي واقعي، فهي في نظر المتلقي ليست مجرد أفكار نظرية لا سبيل إلى تطبيقها؛ بل تجعله يراها تتجسد أمامه من خلال أحداثها وسلوك شخصياتها وعوامل التشويق التي تتضمنها، وتدفعه بدورها إلى التأسّي والاقتداء بشخصياتها فيما هو خير^(١).

ثانياً: إقامة الحجة وظهور البرهان في ثنايا القصة ينشئ اقتناعاً فكرياً لدى المتلقي، كحجة إبراهيم عليه السلام في إبطاله لدعوة النمرود، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨] فإبراهيم عليه السلام يجادل النمرود الذي آتاه الله الملك، فادعى الربوبية، وزعم أنه يحيي ويميت، يحيي بالعفو عمّن حكم عليه بالقتل، ويميت من شاء قتله. وفي ذلك تلييس على العامة؛ لأنهم لا يدركون معنى الإحياء الذي نسبه إبراهيم عليه السلام إلى الله تعالى وحده، وهو: إنشاء الحياة في كل العوالم الحية من إنسان وحيوان ونبات، ولا يدركون معنى الإمامة التي يختص الله تعالى بها، وهي: قطع مدد الحياة عنها. لذلك حازه إبراهيم بوجه آخر في سنة كونية ظاهرة، يشترك كل الناس في فهمها، وهي أن يصير طلوع الشمس من المغرب إن كان رباً كما يزعم، وكان هو وأهل مملكته مشتهرون بالتنجيم، فتحده بالواقع الذي لا يقبل الجدل، فأدركته الحيرة من من نصوع الحجة وسطوعها، فانقطع عن الجواب^(٢). فالقارئ والسامع لهذه القصة، وما حوته من حجة على بطلان ربوبية غير الله تعالى يقتنع هو أيضاً، وكان الحجة سبقت لإقناعه هو.

(١) انظر: وسيم معلم، الأساليب التربوية لتعظيم البلد الحرام لطلاب المرحلة الثانوية بالعاصمة المقدسة من خلال الأنشطة غير الصفية، رسالة ماجستير، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية-جامعة أم القرى، إشراف: د. عبد الناصر عطايا، ١٤٢٩هـ، ص ١٥٧.

(٢) انظر: النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار إحياء الكتب العربية (مصر)، دط، ١/١٣٠.

ولما كان للأسلوب القصصي هذا التأثير القوي الذي يجمع بين الإثارة الوجدانية والقناعة العقلية فقد علق المربون عليه أهمية كبيرة، فقد رأوا أنه أسلوب ناجح يحقق كثيراً من الأغراض التعليمية والتربوية المنشودة في كثير من مجالات التعليم إذا وظف بشكل صحيح^(١).

وقد دلت التجربة التربوية على أن أشد المواعظ الدينية نفاذاً ما عرض بأسلوب قصصي يحمل على المشاركة الوجدانية^(٢) للأشخاص، والتأثر بالأحداث، والانفعال بالمواقف. ومن هنا كانت الأساليب والأهداف ترتبط في مناهج التربية ارتباطاً متيناً، فبحيوية العرض في القصة الموجهة وقوة التخيل والتصوير فيها، وتهيئة اللحظة الحاسمة التي تبلغ فيها حرارة الانفعال النفسي درجة الانصهار - مثلما يلاحظ ذلك في القصة القرآنية - يحصل من التأثير بالتوجيه التربوي ما لا يحصل عند إقحام ذلك التوجيه وهي في راحتها واسترخائها^(٣).

والمتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أن الأنبياء كثيراً ما كانوا يلجؤون لهذا الأسلوب في دعوتهم، فكانوا يعرضون على أقوامهم من قصص الأولين ما يخدم دعوتهم، من ذلك قوله تعالى حكاية عن هود عليه السلام: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ [الأعراف: ٦٩]، وحكاية عن صالح عليه السلام: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٧٤]، وحكاية عن شعيب عليه السلام: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٩]، وقوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ * وكُلَّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨-٣٩] فكل أمة يُضرب لها الأمثال بمن سبقها من الأمم للتربية والاعتبار^(٤).

(١) انظر: صبحي طه، التربية الإسلامية وأساليب تدريسها، دار الأرقم (عمان)، ١٤٠٣هـ، ص ٢٤٣.

(٢) المشاركة الوجدانية: هي ميل الإنسان إلى التفاعل مع الناس في أحوالهم العاطفية. وتحدث هذه المشاركة بانتقال حالة وجدانية من شخص إلى شخص آخر أو مجموعة آخرين عن طريق إدراك المظاهر الخارجية للحالة الوجدانية إدراكاً مباشراً، والتأثر فيها. انظر: معروف زريق، علم النفس الإسلامي، دار المعرفة (دمشق)، ط ١، ١٤٠٨هـ، ص ٤٢.

(٣) انظر: سيكولوجية القصة في القرآن، ص ٥٤٤.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص ٥٦٧.

وقبل الانتقال إلى عرض نماذج تطبيقية لدعوة القرآن الكريم للعقيدة الصحيحة بناءً على الأسلوب القصصي يعقب الباحث على ما ذكره (التهامي نقرة) في سياق استخدام الأنبياء للأسلوب القصصي في دعوة أقوامهم حيث قال: «ولما كان إقناع الجماعة والتأثير على نفوسهم يتوقفان على إدراك المشاعر القائمة بها، فإنَّ الأنبياء ولدوا في البيئة التي بعثوا فيها، وليسوا بالغرباء عنها؛ بل كان معظمهم يؤمن بما تؤمن به البيئة، كما قال يوسف: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٣٧]»^(١).

فصحيح أن إقناع الجماعة والتأثير على نفوسهم يتوقفان على إدراك المشاعر القائمة بها، وصحيح أن معظم الأنبياء ولدوا في البيئة التي بعثوا فيها، أمّا أن معظمهم كان يؤمن بما تؤمن به البيئة فغير صحيح ألّبتة، فقد أجمع علماء الإسلام على عصمة الأنبياء عن الكفر قبل البعثة وبعدها^(٢)، وما جاء على لسان يوسف عليه السلام ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٣٧] فقد أجيب عنه من وجوه:

أولها: أنَّ الترك عبارة عن عدم التعرض للشيء، وليس من شرطه أن يكون قد خاض فيه.

ثانيها: أن يُقال: إنَّ يوسف عليه السلام كان عبداً لهم بحسب زعمهم، ولعله قبل ذلك كان لا يظهر التوحيد والإيمان خوفاً منهم، ثمَّ إنَّه أظهره في ذلك الوقت، فكان ما قال جارياً مجرى ترك أولئك الكفرة بحسب الظاهر^(٣).

(١) المرجع السابق، ص ٥٦٥-٥٦٦.

(٢) انظر: التفتازاني، شرح المقاصد في علم الكلام، دار المعارف النعمانية (باكستان)، ١٤٠١هـ، ١٩٣/٢، ولوامع الأنوار البهية، ٣٠٥/٢.

(٣) انظر: اللباب في علوم الكتاب، ١٠٣/١١.

المطلب الثالث : دلالة الأسلوب القصصي على مسائل العقيدة (نماذج)

إنَّ الآراء العلمية المجردة التي تقدم لنشر الدعوة والعقيدة كثيراً ما تكون خالية من القوة النفسية الدافعة، واللمسات الفنية المؤثرة، فلا تفتح الطريق للوجدان كي يتدبر ويعتبر.

لذلك فإنَّ القرآن الحكيم في منهجه عامة، وفي قصصه خاصة لم يقدم العقيدة الإسلامية كنظريات للبحث أو أثر للدراسة، فإنَّ هذا لا يستوعب كل جوانب النفس، ولا يمثل الحياة في شتى مظاهرها. كما أنَّه لم يقدمها كشعور مجرد يثير العواطف الدينية في سذاجة؛ لأنَّ الشعور إذا لم يستند إلى مبدأ يقوده، وفكر يدعمه لا يكون له ثبات ولا قرار، وإنما استعمل في تقديمها وتبليغها للفكر والوجدان ألواناً من أساليب البيان وطرق التأثير وفنون القول، فكان أبرزها وأبلغها أثراً فن القصة التي سلك فيها القرآن منهجاً قوياً؛ لا يقاظ الفكر وإثارة الوجدان.

«فقصص القرآن مزيج من العقيدة والمعرفة، ومن العاطفة والفكر، والحق والجمال، فهو لم ينس حظَّ العقل من حكمة وعبرة، ولاحظ القلب من ترقيق وتحذير. كل ذلك يجعل بذور العقيدة التي يدعو إليها ضاربة في أعماق النفس؛ لأنَّ هدفه الأول أن يصنع رجالاً لا أن يلقي مواعظ، وأن يصوغ ضمائر لا أن يسرد وقائع، وأن يبنى أمة لا أن يقيم فلسفة»^(١).

وقد ارتبطت دعوة القصص القرآني للعقيدة الصحيحة بثلاثة محاور رئيسة هي:

أولاً: التعريف بالله وبصفاته وأفعاله تعريفاً مفصلاً، حتى كأنَّ العباد يحسون به في أعماقهم وهو يدبر الأكوان، ويسمع أصوات خلقه، ويرى أفعالهم وحركاتهم، ويعلم ما تكنه صدورهم، وتخفيه سرائرهم. يأمر وينهى، يرضى ويسخط، يجيب دعوة المضطر، ينصر المظلوم، ويأخذ الظالم، يسوق الأقدار إلى مواقيتها، ويجريها على نظامها.

ثانياً: التعريف بطريقه الموصول إلى صراطه المستقيم، والإيمان برسله الدالين على هذا الطريق، المعرفين بمسالك الحق والخير.

ثالثاً: التعريف بالمآل بعد الموت وهو اليوم الآخر، وما يتضمنه من بعث وحساب، وثواب وعقاب^(٢).

(١) سيكولوجية القصة في القرآن، ص ٤٧٣.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٤٢١.

وفيما يأتي بعض النماذج القرآنية:

النموذج الأول: قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ * قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٥١-٧٢] من الجلي أن هذه الآيات الكريمة

تدور حول قضية التوحيد، وإبطال عبادة كل ما سوى الله تعالى، فكانت معالجة هذه القضية من خلال عرض قصصي حافل في حواراته وأحداثه بما يثير النفوس، وينبه العقول إلى إبطال الشرك، ولزوم التوحيد. فقد دعا إبراهيم عليه السلام عبدة الأصنام من قومه إلى عبادة الله تعالى وتوحيده، ونبذ ما هم عليه من عبادة ما لا يستحق، فرفضوا دعوته، وأصرروا على كفرهم متعللين بأنه دين الآباء والأجداد، فلجأ إلى المنطق والحجة القوية معهم؛ ليبين لهم سخافة اتباعهم لأبائهم دون تفكير، وعجز معبوداتهم من دون الله تعالى وضعفها، فما كان منه إلا أن فعل ما فعل بالأصنام من تكسير وتحطيم، فلمَّا سأله: أهو الذي فعل ذلك؟ ردَّ الإجابة لكبير الأصنام، وراح يطرح عليهم من الأسئلة التي تنبهم لعلهم يستخدمون عقولهم ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ؟﴾ [الأنبياء: ٥٥]، ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ؟ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّون؟﴾ [الشعراء: ٧٢-٧٣]، إنها كما رأيتم لا

تنفع نفسها، فلم تستطع أن تمنع من أرادها بسوء؛ بل ولم تستطع أن تخبركم بالذي حصل معها، فهلّا رجعتُم إلى عقولكم! وسألتم أنفسكم كيف تعبدون ما لا ينفعكم إن عبدتموهم، فيرزقوكم رزقاً على عبادتكم لهم، أو يضروكم بالعقاب لكم إن نبذتم عبادتهم؟ إنَّ ما ينبغي أن تصلوا إليه من جواب عن هذه الأسئلة أنكم ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧].

ولكن يبدو أن قومه بلغوا من العناد مبلغاً أغلقت معه منافذ الفكر والتأمل، فما كان منهم إلا أن لجؤوا إلى منطق القوة، فعزموا على إحراقه، ونصر ضلالهم، فقالوا: ﴿ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٩٧]، وبالفعل قاموا بما عزموا عليه، فحماه الله منها بعد أن جعلها برداً وسلاماً عليه ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]^(١).

بالإضافة لقضية التوحيد التي تعالجها هذه الآيات من قصة إبراهيم عليه السلام هناك إشارة لقضيتين عقديتين أخرتين هما: العصمة والمعجزة، يدرسهما الباحث بشيء من التفصيل في ضوء آيات القصة.

القضية الأولى: عصمة الأنبياء: ١٥

وعصمة الله للأنبياء تعني: «حفظه إياهم أولاً بما خصهم به من صفاء الجوهر، ثم بما أولاهم من الفضائل الجسمية والنفسية، ثم بالنصرة وتثبيت أقدامهم، ثم بإنزال السكينة عليهم، وبحفظ قلوبهم، وبالتوفيق»^(٢).

والأنبياء معصومون عن الكفر والكبائر قبل البعثة وبعدها، أمّا الصغائر: فقبل البعثة لم يأت دليل يمنع وقوعها، وبعد البعثة معصومون عن الصغائر المنفرة، أمّا الصغائر التي لا

(١) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ت: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط ١،

١٤٢٠هـ، ٤٥٥/١٨-٤٦٥، وتفسير القرآن العظيم، ٣/٢٢٤-٢٢٥.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، ٩٩/٢.

تقدح في فاعلها فأجازها الجمهور في حقهم، ولا يُقرُّون عليها، بل يأتي الوحي؛ ليظهر لهم الأكمل والأصوب^(١).

وقد «أجمع أهل الملل والشرائع على عصمتهم عن تعدد الكذب»^(٢)؛ إذ لو جاز الكذب منهم؛ لحصل الكذب على الله في تبليغهم لرسالته، ولسقطت هيبتهم من القلوب، ومن هنا فقد استشكل قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنَّ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، وقوله: ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩] وذلك حين ترك الذهاب معهم إلى احتفالهم؛ كي يذهب إلى معبدهم، ويكسر الأصنام، ففعل ما ظاهره الكذب في هذين الموضعين، وقد ورد هذين الموضعين في السنة في حديث الكذبات الثلاث التي يعرضها عليه السلام يوم القيامة، ويرفض الشفاعة لأجلها^(٣)، وقد جاءت هذه الكذبات الثلاث في حديث خاص فصلها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَطُّ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ ثُنَيْنِ فِي ذَاتِ اللَّهِ قَوْلُهُ: (إِنِّي سَقِيمٌ)، وَقَوْلُهُ: (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا)، وَوَاحِدَةً فِي شَأْنِ سَارَةَ، فَإِنَّهُ قَدِمَ أَرْضَ جَبَّارٍ، وَمَعَهُ سَارَةُ، وَكَانَتْ أَحْسَنَ النَّاسِ، فَقَالَ لَهَا: إِنَّ هَذَا الْجَبَّارَ إِنْ يَعْلَمَ أَنَّكَ امْرَأَتِي يَغْلِبْنِي عَلَيْكَ، فَإِنْ سَأَلَكَ فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكَ أُخْتِي، فَإِنَّكَ أُخْتِي فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمًا غَيْرِي وَغَيْرِكَ، فَلَمَّا دَخَلَ أَرْضَهُ رَأَاهَا بَعْضُ أَهْلِ الْجَبَّارِ، أَتَاهُ، فَقَالَ لَهُ: لَقَدْ قَدِمَ أَرْضَكَ امْرَأَةٌ لَا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَكُونَ إِلَّا لَكَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا، فَأَتَتْ بِهَا، فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الصَّلَاةِ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ لَمْ يَتِمَّالِكْ أَنْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا، فَقَبِضَتْ يَدَهُ قَبْضَةً شَدِيدَةً، فَقَالَ لَهَا: ادْعِ اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي وَلَا أَضْرُكَ، فَفَعَلَتْ، فَعَادَ، فَقَبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَةِ الْأُولَى، فَقَالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ، فَفَعَلَتْ، فَعَادَ، فَقَبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ، فَقَالَ: ادْعِ اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي فَلَكِ اللَّهُ أَنْ لَا أَضْرُكَ، فَفَعَلَتْ، وَأُطْلِقَتْ

(١) انظر: الإيجي، المواقف في علم الكلام مع شرحها، ت: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل (بيروت)، ط ١، ١٩٩٧م، ٤١٥/٣، والفتازاني، شرح العقائد النسفية، ت: محمد عدنان درويش، دار الثقافة العربية، دط، ص ٢١٥، ولوامع الأنوار البهية، ٣٠٥/٢.

(٢) المواقف في علم الكلام مع شرحها، ٤١٥/٣.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب (التفسير)، باب (ذرية من حملنا مع نوح)، رقم ٤٤٣٥/٤، ١٧٤٥/٤، ومسلم، كتاب (الإيمان)، باب (أدنى أهل الجنة منزلة فيها)، رقم ٥٠١/١، ١٢٠/١.

يَدُهُ، وَدَعَا الَّذِي جَاءَ بِهَا، فَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ إِنَّمَا أَتَيْتَنِي بِشَيْطَانٍ، وَلَمْ تَأْتِنِي بِإِنْسَانٍ، فَأَخْرِجْهَا مِنْ أَرْضِي، وَأَعْطِهَا هَاجِرًا. قَالَ: فَأَقْبَلْتُ تَمْشِي، فَلَمَّا رَأَاهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ انْصَرَفَ، فَقَالَ لَهَا: مَهَيْمُ؟ قَالَتْ: خَيْرًا، كَفَّ اللَّهُ يَدَ الْفَاجِرِ، وَأَخَذَ خَادِمًا^(١).

والجواب عن هذا الاستشكال: هو أن هذه الكذبات لا تنصرف في معناها إلى الكذب المذموم فعله، إذ لو كانت كذلك لأدت إلى نفي العصمة التي هي صفة واجبة للأنبياء، فكيف بأبي الأنبياء؟ إن ما أتى به إبراهيم عليه السلام من باب المعاريض و«إن في المعاريض مندوحة عن الكذب»^(٢)، وإِنَّمَا أُطْلِقَ عَلَيْهَا كَذِبَاتٌ؛ لِأَنَّ السَّامِعَ يَظْهَرُ لَهُ فِي ذَلِكَ الْقَوْلِ أَنَّهُ مِنَ الْكُذْبِ، وَلَكِنْ إِنْ تَحَقَّقَ فِي الْقَوْلِ، وَبَحِثَ عَنْهُ عِلْمٌ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْكُذْبِ الْمَحْضِ؛ بَلْ هُوَ مِنَ الْمَعَارِضِ^(٣).

ولهذه الكذبات تأويل مما يدخلها في الكذب المباح، ويظهر أنَّها طاعة من إبراهيم عليه السلام لربه عزَّ وجلَّ، مع أنَّه عليه السلام جعلها سبباً في تركه للشفاعة يوم القيامة؛ لعظم الشفاعة، لإشفاقه على نفسه من أن يؤاخذ الله بها؛ لِأَنَّ مَفْهُومَ ظَاهِرِهَا خِلَافَ بَاطِنِهَا^(٤).

تأويل الأولى: وهي الواردة في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصفافات: ٨٩] قيل: إنَّ به عليه السلام سقم يأتي ويذهب، وإنَّه قد أتاها في ذلك الوقت، وقد استبعد ابن حجر ذلك؛ لكونه لا ينصرف إلى الكذب مطلقاً، وهو كذلك؛ إذ لو كان به سقم يمنعه من الخروج لما

(١) أخرجه البخاري، كتاب (الأنبياء)، باب (قوله تعالى: واتخذ الله إبراهيم خليلاً)، رقم /٣١٧٩/، ١٢٢٥/٣، ومسلم، كتاب (الفضائل)، باب (من فضائل إبراهيم الخليل)، رقم /٦٢٩٤/، ٩٨/٧، واللفظ له.

(٢) أخرجه البيهقي، السنن الكبرى، ت: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز (مكة المكرمة)، دط، ١٤١٤هـ، كتاب (الشهادات)، باب (المعاريض فيها مندوحة عن الكذب)، رقم /٢٠٦٣٠/، ١٩٩/١٠، موقوفاً على عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلفظ: «ما في المعاريض ما يغني الرجل عن الكذب»، وأخرجه في شعب الإيمان، ت: محمد السعيد بسيوني زعلول، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١، ١٤١٠هـ، باب (في حفظ اللسان...)، رقم /٤٧٩٤/، ٢٠٣/٤، موقوفاً على عمران بن حصين بلفظ: «إن في المعاريض مندوحة عن الكذب»، وقال: هذا هو الصحيح موقوفاً.

(٣) انظر: فوزية الملفوح، أصول الإيمان في قصة إبراهيم عليه السلام، رسالة ماجستير، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين-الجامعة الإسلامية (غزة)، إشراف: د. جابر السميري، ١٤٣٠هـ، ص ١٣١.

(٤) انظر: الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الفكر (بيروت)، ١٣٩٩هـ، ٢٩٩/٤.

استطاع كسر الأصنام^(١). ويحتمل أن يكون المعنى: مريض النفس والقلب من عبادتكم للأصنام، وفي هذا اعتذار عن الحضور معهم، وعلى هذا يكون قوله من المعارض التي تخرج عن الكذب المحض المذموم، وتدخل في المباح، قال صاحب الظلال: «قال ذلك معبراً عن ضيقه وتعبه، وأفصح عنه لتركه وشأنه، ولم يكن هذا كذباً منه، إنما كان له أصل في واقع حياته في ذلك اليوم. وإن الضيق ليمرض ويسقم ذويه!»^(٢).

٥
تأويل الثانية: وهي ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، حيث أجاب إبراهيم عليه السلام قومه بعد أن حطّم أصنامهم بأنّ الذي حطّمها كبير الأصنام الذي لم يُحطّم منها، ويظهر للسامع أنها من الكذب، ولكن في هذه الآية معانٍ عدة ترفع عنها الكذب الذي قد يفهمه السامع، منها: أنّ قوله هذا لقومه من باب التوبيخ والتأنيب لهم والتهكم بهم، فهو لم يقصد نسبة الفعل للصنم؛ بل أراد أن يقيم عليهم الحجة^(٣). قال الزمخشري موضحاً هذا الوجه: «هذا من معاريض الكلام، ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها إلا أذهان الراضة^(٤) من علماء المعاني. والقول فيه: أنّ قصد إبراهيم صلوات الله عليه لم يكن إلى أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم، وإنما قصد تقريره لنفسه، وإثباته لها على أسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة، وتبكيّتهم، وهذا كما لو قال لك صاحبك، وقد كتبت كتاباً بخط رشيق، وأنت شهير بحسن الخط: أأنت كتبت هذا؟ وصاحبك أمّي لا يحسن الخطّ، ولا يقدر إلا على خرمشة فاسدة، فقلت له: بل كتبتك أنت! كان قصدك بهذا الجواب: تقريره لك مع الاستهزاء به، لا نفيه عنك، وإثباته للأمّي أو المخرمش؛ لأنّ إثباته والأمر دائر بينكما للعاجز منكما استهزاء به، وإثبات للقادر»^(٥).

ومنها: أنّ إبراهيم عليه السلام أراد من قومه أن يبادروا من أنفسهم، ويصلوا إلى يقين أنّ معبوداتهم لا تنطق ولا تسمع ولا تنفع ولا تضر؛ لأنّها جماد، فأراد عليه السلام لفت

(١) انظر: ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ت: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب، دار الفكر (بيروت) (مصورة عن الطبعة السلفية)، دط، ٣٩١/٦.

(٢) في ظلال القرآن، ٢٩٩٣/٥.

(٣) انظر: أصول الإيمان في قصة إبراهيم عليه السلام، ص ١٣٢.

(٤) المراد بالراضة: جمع راض، من روّض، وذلك صعوبات العلم. انظر: تاج العروس، مادة (روض).

(٥) الكشف، ١٢٥/٣.

عقولهم إلى فساد اعتقادهم، فمن لا ينطق ولا يسمع ولا ينفع ولا يضر لا يستحق أن يعبد، ومثل هذا لا تسميه العرب كذباً، «وقيل: أراد: بل فعله كبيرهم إن كانوا ينطقون... أي: سلوهم إن نطقوا فإنهم يصدقون، وإن لم يكونوا ينطقون، فليس هو الفاعل»^(١).

تأويل الثالثة: أي ما ورد في الحديث من قوله: (هي أختي) في حق سارة زوجته، وكان سبب ما فعله إبراهيم عليه السلام هو أن الملك الطاغية الذي نزلوا أرضه يقدم على انتهاك من تكون زوجة بقتلها أو قتل زوجها، وأما من كانت أختاً فلا يفعل ذلك، فأراد إبراهيم عليه السلام أن يدفع أعظم الضررين لتحمل أخفهما، فقال: هي أختي، وأراد أخوة الدين والإسلام، يدل على ذلك الحديث نفسه؛ إذ علل إبراهيم عليه السلام مقولته بقوله: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك. وأراد بقوله: على وجه الأرض، أي: في تلك البلاد.

واستشكل أيضاً قول إبراهيم عليه السلام لما دعا عبدة الكواكب من قومه، الوارد في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٦-٧٨]، فقوله: (هذا ربي) ظاهره أنه إن اعتقد ذلك فقد وقع في الشرك، وإن لم يعتقده فقد وقع في الكذب. والجواب: إن قصد إبراهيم عليه السلام من قوله ذلك إبطال ما ذهب إليه عبدة الكواكب، وبيان فساد عبادتها، وعدم صلاحيتها لأن تكون أرباباً من دون الله، فساق الإلزام مساق الموافقة في المبدأ، والمخالفة في النهاية؛ ليكون الإلزام أبلغ، والإفحام أقوى^(٢).

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ت: محمد الحفناوي ومحمود عثمان، دار الحديث (القاهرة)، ط ٢، ١٤١٦هـ، ٣١٨/١١.

(٢) انظر: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن، دار الفكر (بيروت)، ١٤١٥هـ، ٤٨٥/١، واللباب في علوم الكتاب، ٢٤٣/٨.

القضية الثانية: المعجزة

«المعجزة في العرف أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة»^(١)، فهي تأييد من الله تعالى لمن ادعى النبوة بأمرٍ ما، بحيث يكون مخالفاً للعادة، موافقاً لدعوى الرسالة، ومقارناً لها، على جهة التحدي، بحيث لا يقدر أحد عليها، ولا على مثلها، ولا على ما يقاربها^(٢).

وقد أيد الله تعالى إبراهيم عليه السلام بآية رآها قومه، إذ لما دحضت حجبتهم، وبان عجزهم، وظهر الحق، واندفع الباطل، عدلوا إلى استعمال جاه ملكهم، فقالوا: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨]، فأشعلوا له ناراً عظيمة، ورموه فيها، فكان موقفه موقف الملتجئ إلى ربه، المفوض كل أموره إلى باريه، فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل. فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: «(حسبنا الله ونعم الوكيل) قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد صلى الله عليه و سلم حين قالوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]»^(٣)، فما كان من الله تعالى إلا أن جعل النار برداً وسلاماً عليه، فبان صدقه عليه السلام في دعوته من خلال ظهور قدرة الله تعالى الباهرة، ونصره لأوليائه^(٤).

النموذج الثاني: قصة إبراهيم عليه السلام مع الملائكة:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ * فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تُصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ * وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ * فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ

(١) شرح المقاصد في علم الكلام، ١٧٦/٢، وانظر: المواقف في علم الكلام مع شرحها، ٣٥٦/٣، ولوامع الأنوار البهية، ٢٨٩/٢.

(٢) انظر: عبد العزيز حاجي، تفسير آيات العقيدة، دار الصابوني (القاهرة)، ط ١، ١٤٢٤هـ، ٣٠٧/١.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب (التفسير)، باب (إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم)، رقم ٤٢٨٧/، ١٦٦٢/٤.

(٤) انظر: الكشف، ١٢٦/٣، وتفسير القرآن العظيم، ٢٢٥/٣.

الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ * إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ * يَا إِبْرَاهِيمُ
أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٦٩-٧٦﴾ [هود: ٦٩-٧٦]،
وتكررت القصة في موضعين آخرين من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرْهُمْ عَنْ ضَيْفِ
إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ * قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ
عَلِيمٍ * قَالَ أَبَشِّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمِمْ تُبَشِّرُونَ * قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ
الْقَانِطِينَ * قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ * قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ *
قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ * إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّمَا
لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥١-٦٠﴾ [الحجر: ٥١-٦٠]، وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ
* إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ *
فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرْهُ غُلَامًا عَلِيمًا * فَاقْبَلَتْ
امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ * قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ
الْعَلِيمُ * قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ * لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ
حِجَابًا مِنْ طِينٍ * مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ * فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا
وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٤-٣٧﴾ [الذاريات: ٢٤-٣٧].

يعالج هذا الجانب من قصة إبراهيم عليه السلام حواراً دار بينه وبين وفد من الملائكة
مفاده: تبشير لإبراهيم وأهله بالولد، وإخباره عن إرسال العذاب على قوم لوط. وإذا نظر
الباحث إلى هذا الحوار وأحداثه نظرة عقدية سيجد أنه يعالج ركناً مهماً من أركان الإيمان ألا
وهو الإيمان بالملائكة، ولذا يقوم الباحث بدراسة هذا الركن في ضوء آيات القصة.

و«الملائكة أجسام لطيفة، تظهر في صور مختلفة، وتقوى على أفعال شاقة، هم عباد
مكرمون، يواظبون على الطاعة والعبادة، ولا يوصفون بالذكورة والأنوثة»^(١). والإيمان
بالملائكة ركن مهم من أركان الإيمان؛ بل هو الركن الثاني منه، وقد اقترن الإيمان بالملائكة
بالإيمان بالله تعالى في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا
أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال

(١) انظر: شرح المقاصد في علم الكلام، ١٩٩/٢.

أَيْضاً: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]، وفي حديث جبريل عليه السلام: «قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ. قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»^(١)، ويكون الإيمان بالملائكة بالإقرار بعدة أمور، يدل على بعضها سياق القصة، وهي:

٥ - ١ - الإيمان بوجودهم.

٢ - إنزالهم منازلهم، وإثبات أنهم عباد لله، مخلوقون له، مكلفون بما أمرهم الله تعالى به.

٣ - إثبات أن منهم رسل يبعثهم الله لمن شاء من عباده، وأن منهم خزنة للجنة خزنة للنار، ومنهم حملة للعرش، ومنهم فريق موكل بقبض الأرواح، وآخر بتقسيم لأرزاق... الخ^(٢).

ويحدد السياق القرآني لأحداث القصة وحوارها بعض صفات الملائكة ووظائفهم، أما الصفات فتمثلت في:

١ - القدرة على التشكل: فقد منح الله تعالى الملائكة القدرة على التشكل بالهيئات المختلفة، وهذا يظهر جلياً من مجيئهم لإبراهيم عليه السلام على هيئة بشر، حتى إنَّه عليه السلام لم يعرفهم، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٤-٢٥]، فلما لم يأكلوا من الطعام الذي قدمه إليهم، وأوجس منهم خيفة، كشفوا له عن هويتهم، فقالوا له: ﴿لَا تَوَجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر: ٥٣]، وقالوا: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٠].

٢ - أنهم لا يأكلون: حيث إنَّ إبراهيم عليه السلام وهو الكريم «أول الناس ضيف الضيف»^(١) قدم لضيوفه -الرسل من الملائكة- عجلاً سميناً حنيذاً -أي: مشوياً على حجارة

(١) انظر: أخرجه البخاري، كتاب (الإيمان)، باب (سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة)، رقم ٥٠/١، ٢٧، ١، ومسلم، كتاب (الإيمان)، باب (معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة)، رقم ١٠٢/١، ٢٨/١، واللفظ له.

(٢) انظر: السيوطي، الحبائك في أخبار الملائك، ت: مصطفى عاشور، مكتبة القرآن (القاهرة)، دط، ص ١٣، و أصول الإيمان في قصة إبراهيم عليه السلام، ص ١١٢.

مُحَمَّاةٍ فِي حُفْرَةٍ-، وذلك قبل أن يكشفوا له عن حقيقة أمرهم، لكنَّهم لم يأكلوا منه، ولم تمتدَّ أيديهم إليه ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٠].

والممتنع لآيات القرآن الكريم وأحاديث السنة النبوية يجد في ثناياها صفات أخرى للملائكة غير ما ورد في ثنايا هذه القصة^(٢).

(١) أخرجه مالك، الموطأ، ت: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد، ط ١، ١٤٢٥هـ، كتاب (الجامع)، باب (ما جاء في السنة في الفطرة)، رقم ٣٤٠٨/، ١٣٤٩/٥، مقطوعاً عن سعيد بن المسيب بلفظ: «كَانَ إِبْرَاهِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلَ النَّاسِ ضَيْفَ الضَّيْفِ، وَأَوَّلَ النَّاسِ اخْتَنَ، وَأَوَّلَ النَّاسِ قَصَّ الشَّارِبِ، وَأَوَّلَ النَّاسِ رَأَى الشَّيْبَ، فَقَالَ: يَا رَبِّ مَا هَذَا؟ فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَقَارُ يَا إِبْرَاهِيمُ. فَقَالَ: يَا رَبِّ زِدْنِي وَقَارًا»، وأخرجه ابن عاصم، الأوائل، ت: محمد بن ناصر العجمي، دار الخلفاء للكتاب (الكويت)، دط، رقم ١٨/، ٦٣/١، مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: إسناده لا بأس به، رجاله موثقون.

(٢) من هذه الصفات: أولاً: أنهم موصوفون بالقوة والشدة. كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم: ٦]، وقال تعالى في وصف جبريل عليه السلام: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم: ٥].

ثانياً: أنهم موصوفون بعظم الأجسام والخلق. فعن عائشة رضي الله عنها أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣] فقال: «إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض»، أخرجه مسلم، كتاب (التفسير)، باب (معنى قول الله عز وجل: وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى. وَهَلْ رَأَى النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- رَبَّهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ)، رقم ٤٥٧/، ١١٠/١.

ثالثاً: أنهم يتفاوتون في الخلق والمقدار، فهم ليسوا على درجة واحدة، فمنهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ومنهم من له أكثر من ذلك. قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعٍ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر: ١].

رابعاً: أنهم لا يوصفون بالأنوثة، قال تعالى منكرأ على الكفار ذلك: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيَسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونُ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْإِنثَى﴾ [النجم: ٢٧].

خامساً: أنهم لا يعصون الله في شيء، ولا تصدر منهم الذنوب، بل طبعهم الله على طاعته، والقيام بأمره، كما قال تعالى في وصفهم: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، وقال أيضاً: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِه يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧].

وأما وظائفهم^(١) الواردة في القصة فتمثلت في:

=سادساً: أنهم لا يفترون عن العبادة ولا يسأمون. قال تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩-٢٠]، وقال في آية أخرى: ﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨].

سابعاً: وصفهم الله تعالى بأنهم كرام أبرار. قال تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٥-١٦]. وقال عز وجل: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٠-١١]. ثامناً: ومن صفاتهم الحياء لقول النبي صلى الله عليه وسلم في حق عثمان رضي الله عنه: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة». أخرجه مسلم، كتاب (فضائل الصحابة)، باب (من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه)، رقم ٦٣٦٢/، ١١٦/٧.

ثامناً: أنهم مخلوقون من نور، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ». أخرجه مسلم، كتاب (الزهد والرقائق)، باب (في أحاديث متفرقة)، رقم ٧٦٨٧/، ٢٢٦/٨.

انظر: شرح العقائد النسفية، ص ٢١٦-٢١٨، وعبد الحميد بن باديس، العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ت: محمد الصالح رمضان، دار الفتح (الشارقة)، ط ١، ١٩٩٥م، ص ٧٨-٧٩، وعمر الأشقر، عالم الملائكة الأبرار، دار النفائس (الأردن)، ط ١٣، ١٤٢٣هـ، ص ٢٥.

(١) والمتتبع لآيات القرآن الكريم وأحاديث السنة النبوية يجد في ثناياها وظائف أخرى للملائكة غير ما ورد في ثنايا هذه القصة، من هذه الوظائف: أولاً: منهم الموكل بالوحي من الله تعالى إلى رسله عليهم الصلاة والسلام، وهو جبريل عليه السلام، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥].

ثانياً: منهم الموكل بقبض الأرواح، وهو ملك الموت، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١]. وملك الموت أعوان من الملائكة، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١].

ثالثاً: منهم الموكل بالصُّور، وهو إسرافيل عليه السلام. والصور: قرن عظيم ينفخ فيه. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينظر متى يؤمر! قال المسلمون: يا رسول الله فما نقول؟ قال: قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا». أخرجه الترمذي، كتاب (تفسير القرآن)، باب (ومن سورة الزمر)، رقم ٣٢٤٣/، ٣٧٢/٥. وقال فيه: هذا حديث حسن.

رابعاً: منهم الموكل بالجبال، وهو ملك الجبال، وقد ورد ذكره في حديث خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل الطائف في بداية البعثة، ودعوته إياهم، وعدم استجابتهم له، وفيه يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال. فسلم عليّ، ثم قال: يا محمد. فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال النبي =

= صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً». أخرجه البخاري، كتاب (بدء الخلق)، باب (إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه)، رقم / ٣٠٥٩ / ، ٣ / ١١٨٠ ، ومسلم، كتاب (الجهاد والسير)، باب (مَا لَقِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ)، رقم / ٤٧٥٤ / ، ٥ / ١٨ . خامساً: منهم حملة العرش، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٧] ، وقال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧].

سادساً: منهم الكرام الكاتبون، وعملهم كتابة أعمال الخلق، وإحصاؤها عليهم. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢] وقال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧-١٨].

سابعاً: منهم الموكلون بفتنة القبر، وسؤال العباد في قبورهم، وهما مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ. عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان، فيقعدانه، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد صلى الله عليه وسلم، فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله. فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً...» الحديث. أخرجه البخاري، كتاب (الجنائز)، باب (الميت يسمع خفق النعال)، رقم / ١٢٧٣ / ، ١ / ٤٤٨ ، ومسلم، كتاب (الجنة وصفة نعيمها وأهلها)، باب (عَرْضُ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ عَلَيْهِ وَإِثْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالتَّعَوُّذِ مِنْهُ)، رقم / ٧٣٩٥ / ، ٨ / ١٦١ .

ثامناً: منهم خزنة الجنة. قال تعالى: ﴿وَسَيَقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] ، وقال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد: ٢٣]. تاسعاً: منهم خزنة النار - عياداً بالله منها - وهم الزبانية، ورؤساؤهم تسعة عشر. قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٩] ، وقال تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ * سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٧-١٨] ، وقال تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ * وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المدثر: ٣٠-٣١].

عاشراً: منهم ملائكة سياحون، يتبعون مجالس الذكر، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم. قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا...» الحديث. أخرجه البخاري، كتاب (الدعوات)، باب (فضل ذكر الله عز و جل)، رقم / ٦٠٤٥ / ، ٥ / ٢٣٥٣ ، ومسلم، كتاب (الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار)، باب (فضل مجالس الذكر)، رقم / ٧٠١٥ / ، ٨ / ٦٨ .

حادي عشر: منهم الملك الموكل بالرحم، على ما دل عليه حديث أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا يَقُولُ: يَا رَبُّ نُطْفَةٍ يَا رَبُّ عَلَقَةٍ يَا رَبُّ مُضْغَةٍ، فَإِذَا أَرَادَ

١- تقديم البشارة: وإذا كانت الملائكة تقدم البشارة للمؤمنين كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠] فكيف بالأنبياء؟ لقد بشرت زكريا بيحيى عليهما السلام، وبشرت مريم بعيسى عليهما السلام، ومن قبل بشرت إبراهيم عليه السلام بالذرية الصالحة، بشرته بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، كما جاء في سياق قصته مع الملائكة: ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ * قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ * قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ * قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٣-٥٦]، وقوله: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١].

١٠ ٢- إرسال العذاب: إِنَّ إِنْزَالَ الْعَذَابِ وَظِيفَةَ يَقُومُ بِهَا بَعْضُ الْمَلَائِكَةِ، يَأْمُرُهُمُ اللَّهُ بِإِنْزَالِهِ عَلَى مَنْ عَصَوْهُ مِنَ الْأُمَمِ، وَلَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِإِنْزَالِ الْعَذَابِ عَلَى قَوْمِ لُوطٍ لَمَّا اسْتَحَلُّوا الْفَوَاحِشَ، وَيُظْهِرُ هَذَا مِنَ الْحَوَارِ الَّذِي دَارَ بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْمَلَائِكَةِ إِذْ سَأَلَهُمْ ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [الذاريات: ٣١]، فَأَجَابُوا: ﴿إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ * لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ [الذاريات: ٣٢-٣٣]، ثُمَّ رَاحَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَجَادِلُ فِي إِنْزَالِ الْعَذَابِ عَلَيْهِمْ ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ * إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [العنكبوت: ٧٤-٧٥].

٢٠ وفي سياق هذه المجادلة عرض الرازي لإشكال يرد على عصمة إبراهيم عليه السلام، وأجاب عنه، وهو أن قوله: يُجَادِلُنَا. أي: يجادل رسلنا. فإن قيل: هذه المجادلة إن كانت مع الله تعالى، فهي جراءة على الله، والجراءة على الله تعالى من أعظم الذنوب، ولأن المقصود من هذه المجادلة إزالة ذلك الحكم، وذلك يدل على أنه ما كان راضياً بقضاء الله تعالى، وأنه كفر. وإن كانت هذه المجادلة مع الملائكة، فهي أيضاً عجيبة؛ لأن المقصود من هذه المجادلة أن يتركوا إهلاك قوم لوط، فإن كان قد اعتقد فيهم أنهم من تلقاء أنفسهم يجادلون

= أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهُ قَالَ: أَذْكَرٌ أَمْ أُثْنَى؟ شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَمَا الرِّزْقُ وَالْأَجَلُ؟ فَيُكْتَبُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ. أخرجه البخاري، كتاب (الحيض)، باب (كَيْفَ نُهَلُّ الْحَائِضُ بِالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ)، رقم ٣١٨/، ٣٢٩/١.

في هذا الإهلاك فهذا سوء ظن بهم، وإن اعتقد فيهم أنهم بأمر الله جاؤوا فهذه المجادلة تقتضي أنه كان يطلب منهم مخالفة أمر الله تعالى وهذا منكر. والجواب من وجهين:

الوجه الأول: وهو الجواب الإجمالي: أنه تعالى مدحه عقيب هذه الآية، فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥]، ولو كان هذا الجدل من الذنوب لما ذكر عقيبه ما يدل على المدح العظيم. ٥

والوجه الثاني: وهو الجواب التفصيلي: أن المراد من هذه المجادلة سعي إبراهيم في تأخير العذاب عنهم، وتقريره من وجوه:

الوجه الأول: أن الملائكة قالوا: إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ. فقال إبراهيم: أرايتم لو كان فيها خمسون رجلاً من المؤمنين أتهلكونها؟ قالوا: لا. قال: فأربعون؟ قالوا: لا. قال: فثلاثون؟ قالوا: لا. حتى بلغ العشرة. قالوا: لا. قال أرايتم إن كان فيها رجل مسلم أتهلكونها؟ قالوا: لا. فعند ذلك قال: إن فيها لوطاً. وقد ذكر الله تعالى هذا في سورة العنكبوت فقال: ﴿وَكَمَا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ * قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿[العنكبوت: ٣١-٣٢]، ثم قال: ﴿وَكَمَا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيُكَ وَأَهْلِكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [العنكبوت: ١٥]، فبان بهذا أن مجادلة إبراهيم عليه السلام إنما كانت في قوم لوط بسبب مقام لوط فيما بينهم. ١٥

الوجه الثاني: يحتمل أن يقال: إنه عليه السلام كان يميل إلى أن تلحقهم رحمة الله بتأخير العذاب عنهم رجاء أنهم أقدموا على الإيمان والتوبة عن المعاصي. وربما وقعت تلك المجادلات بسبب أن إبراهيم كان يقول: إن أمر الله ورد بإيصال العذاب، ومطلق الأمر لا يوجب الفور؛ بل يقبل التراخي، فاصبروا مدة أخرى، والملائكة كانوا يقولون: إن مطلق الأمر يقبل الفور، وقد حصلت هناك قرائن دالة على الفور، ثم أخذ كل واحد منهم يقرر مذهبه بالوجوه المعلومة، فحصلت المجادلة بهذا السبب، وهذا الوجه عندي هو المعتمد. ٢٠

الوجه الثالث في الجواب: لعل إبراهيم عليه السلام سأل عن لفظ ذلك الأمر، وكان ذلك الأمر مشروطاً بشرط، فاختلفوا في أن ذلك الشرط هل حصل في ذلك القوم أم لا؟ فحصلت المجادلة بسببه^(١).

النموذج الثالث: قصة موسى عليه السلام مع ربه عز وجل:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ * قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣-١٤٤]

هاتان الآيتان تمثلان حلقة واحدة من حلقات قصة موسى عليه السلام الطويلة؛ بل هي أطول قصص القرآن الكريم^(٢). في هذه الحلقة يأتي موسى عليه السلام

لميقات ربه، وهو مدفوع في زحمة الشوق، ورغبة الشهود، لنيل شرف خطاب الله تعالى، فلما سمعه دفعه الشوق والحب لرؤية هذا المتكلم العظيم؛ لضم شرف الرؤية إلى شرف التكليم فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] عندئذ ترفق الرب العظيم الرحيم بعبده الضعيف موسى عليه السلام فأعلمه أنه لا يطيق رؤيته في هذه الحياة الدنيا فقال له:

﴿لَنْ تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]. وتلطفاً منه سبحانه وتعالى وتكرماً أراه الدليل على عدم إمكانية رؤيته تعالى، وأنه لا يطيقها فقال: ﴿وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] ومعلوم أن الجبل أثبت وأمكن، وهو مع تمكنه وثباته أقل تأثيراً واستجابة من الكيان البشري، ومع ذلك ﴿لَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]

أي: تراباً مفتتاً، فإن كان الجبل مع قوته وثباته لم يستطع أن يثبت فكيف أنت يا موسى؟! وفي هذا تسكين لفؤاد موسى عليه السلام وإعلام له بأن المانع من الانكشاف الإشفاق عليه ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣] مغشياً عليه، وغائباً عن وعيه ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فقد ثاب عليه السلام إلى نفسه، وأدرك مدى طاقته، واستشعر أنه تجاوز المدى في سؤاله، عندها أدركته رحمة الله تعالى مرة

(١) انظر: مفاتيح الغيب، ٢٤/١٨-٢٥.

(٢) انظر: أنماط العلاقات الاجتماعية في النص القرآني، ص ١٦٠.

أخرى، فإذا به يتلقى بشرى الاصطفاء، والتذكير بنعمة الله عليه تسلياً لقلبه، وتطميناً لنفسه ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤]^(١).

وإنما اختار الباحث هذه الحلقة من حلقات قصة موسى عليه السلام؛ لكونها تعالج قضيتين مهمتين من الناحية العقدية هما: صفة الكلام لله تعالى، وإمكان رؤية الله عز وجل، وفيما يأتي تفصيل لهاتين القضيتين في ضوء آيات القصة.

القضية الأولى: صفة الكلام لله تعالى

إن سياق القصة وحوارها يدل على أن الله تعالى متصف بصفة الكلام فقوله: ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣] يدل على أن الله تعالى متكلم، وقوله: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي﴾ [الأعراف: ١٤٤] يدل على أن الله تعالى كلاماً، ومن هنا فقد استدل جمهور متكلمي أهل السنة بحادثة تكليم الله تعالى لموسى عليه السلام على إثبات صفة الكلام لله تعالى^(٢).

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ٢/٢٩٧، وروح المعاني، ٥٤/٩.

(٢) ذكر الباحث أن جمهور متكلمي أهل السنة استدلوا بحادثة تكليم الله موسى، ولم يقل كلهم؛ لأنهم مختلفون في جواز الاستدلال بالسمع لإثبات صفة الكلام على قولين: الأول: عدم جواز الاستدلال بالسمع؛ لأن ذلك يؤدي إلى الدور، وهو باطل، ويمثل هذا القول الغزالي والأمدى.

الثاني: جواز الاستدلال بالسمع؛ لأن فكرة الدور غير واردة في هذا الموضع؛ لأن كلام الله تعالى ليس من الأصول التي تتوقف عليها صحة النبوة، يقول الرازي: «وإثبات نبوة الأنبياء لا تتوقف على العلم بكونه تعالى متكلماً، وحينئذ يتم هذا الدليل» ويمثل هذا القول الماتريدي والباقلاني والبيهقي والرازي والبياضى والتفتازاني وكثير من المتأخرين. انظر: الأمدى، غاية المرام، ت: حسن الشافعي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية (القاهرة)، ١٩٧١م، ص ٩٠-٩١، والرازي، محصل آراء المتقدمين والمتأخرين، ت: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، دط، ص ١٧٤، والبياضى، إشارات المرام، ت: يوسف عبد الرزاق، مطبعة مصطفى البابي الحلبي (مصر)، ط ١، ص ١٣٨، وشرح العقائد النسفية، ص ١٠٩، وقارن ص ٩١، ففي ص ٩١ ذكر: «وبعضها مما لا يتوقف ثبوت الشرع عليها فيصح التمسك فيها بالشرع كالتوحيد، بخلاف وجود الصانع وكلامه ونحو ذلك مما يتوقف ثبوت الشرع عليه» ثم ناقض نفسه - بحسب ما يرى الباحث - فذكر في ص ١٠٩: «والدليل على ثبوت صفة الكلام إجماع الأمة، وتواتر النقل عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أنه متكلم مع القطع باستحالة التكلم من غير ثبوت صفة الكلام».

بعد استدلال أهل الإسلام بهذه الحادثة على أن الله تعالى متكلم، واستدلال أهل السنة بها على إثبات صفة الكلام لله تعالى، اختلفوا في فهم معنى كلامه^(١)، وخلافهم هذا جرّهم للدخول في تفصيلات كثيرة^(٢) كان من الأسلم عدم الخوض فيها؛ لعدم وجود الأدلة الصحيحة الصريحة التي تساعد في الدخول فيها.

(١) يمكن تحديد الأقوال الرئيسة في معنى كلام الله كما فهمه المتكلمون بثلاثة: أولها: هو المعنى القائم بالنفس الذي تدل عليه العبارات، وما يصطلح عليه من الإشارات، وهو بهذا المعنى -المعنى القائم بالنفس- قديم ليس بحادث، صفة لذاته قائم به، ليس حرفاً ولا صوتاً، وهو غير الإرادة والعلم، وهو من حيث تعلقاته أمرٌ ونهيٌ وخبرٌ، ومع ذلك هو معنى واحد. وهذا قول الأشاعرة والماتريدية.

ثانيها: هو فعل من أفعاله تعالى، مؤلف من حروف وأصوات، يحدثه ويخلقه في الأجسام إذا أراد مخاطبة الخلق بالأمر والنهي والوعد والوعيد والزجر والترغيب، وهو قول المعتزلة. ثالثها: هو صفة ذات وصفة فعل، فالكلام من حيث هو فإنه صفة قائمة بالذات ملازمة لله تعالى في الأزل وفيما لم يزل، وبالنظر لتعلقها بمشيئة الله وإرادته تكون صفة فعل، وهو عندهم حرف وصوت معبرين عن المعنى، وكل ذلك قديم. وهو قول الحنابلة وبعض أهل الحديث، قال ابن تيمية: «إن الله تعالى تكلم بها بصوت نفسه وحروف نفسه، وذلك غير مخلوق، وصفات الله تعالى لا تماثل صفات العباد؛ فإن الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا صفاته ولا أفعاله، والصوت الذي ينادي به عباده يوم القيامة، والصوت الذي سمعه منه موسى ليس كأصوات شيء من المخلوقات، والصوت المسموع هو حروف مؤلفة، وتلك لا يماثلها شيء من صفات المخلوقين». مجموع الفتاوى، ت: أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء (القاهرة)، ط ٣، ١٤٢٦هـ، ٦٥/١٢، وانظر: الرازي، الأربعين في أصول الدين، ت: أحمد حجازي السقا، دار التضامن (القاهرة)، ط ١، ١٤٠٦هـ، ص ٢٤٩، والنسفي، تبصرة الأدلة في أصول الدين، ت: حسين أتابي، رئاسة الشؤون الدينية التركية (أنقرة)، ط ١، ١٩٩٣م، ص ٣٣٩، والقاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة (منسوب للقاضي)، ت: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة (القاهرة)، ط ٣، ١٤١٦هـ، ص ٥٢٨-٥٣٢.

(٢) فالأشاعرة والماتريدية بعد اتفاقهم على كون المراد من الكلام: الكلام النفسي، اختلفوا في: جواز سماع هذا الكلام النفسي القديم: فذهب الأشاعرة إلى سماعه، وأن الله تعالى قادر على أن يخلق للإنسان قوة تسمع كلامه، كما هو قادر على أن يخلق قوة تستطيع أن تراه. وذهب جمهور الماتريدية وبعض الأشاعرة إلى استحالة سماع كلام الله النفسي القديم، وقالوا: إن قياس سماع الكلام النفسي على الرؤية فاسد. انظر: ابن خلدون، لباب المحصل في أصول الدين، ت: عباس سليمان، دار المعرفة الجامعية (الاسكندرية)، ط ١، ١٩٩٦م، ص ١٥٨، والصابوني، البداية من الكفاية في الهداية في أصول الدين، ت: فتح الله خليف، دار المعارف (الإسكندرية)، ط ١، ١٩٦٩م، ص ٦٥، وشرح العقائد النسفية، ص ١١٦-١١٧.

القضية الثانية: إمكان رؤية الله تعالى

الرؤية عبارة عن إدراك تام، وانكشاف بليغ يحصل عقب فتح البصر^(١)، وهذه الحالة لا تتعلق في الحياة الدنيا -بحسب جريان العادة- إلا بما هو في جهة ومكان، فمثل هذه الحالة الإدراكية هل يصح أن تقع دون المقابلة والجهة؟ وأن تتعلق بذات الله تعالى منزهاً عن الجهة والمكان؟

أهل السنة من الأشاعرة والماتريدية والحنابلة والظاهرية ومن وافقهم قالوا بجوازها ووقوعها في الآخرة^(٢). أما المعتزلة ومن وافقهم فقد قالوا بعدم جوازها وبالتالي عدم وقوعها^(٣).

=واختلفوا في: دخول جميع تعلقات الكلام الإلهي تحت صنف واحد: فذهب الأشاعرة إلى أن التعلقات جميعها ترجع إلى الخبر، فالأمر بالشيء إخبارٌ عن ترتب الثواب، واستحقاق المدح لمن يمثل به، والنهي عن الشيء إخبار عن ترتب العقاب عليه واستحقاق الذم لمن يرتكبه وهكذا. وذهب الماتريدية إلى اختلاف هذه المعاني ضرورة، وأن استلزام البعض للبعض لا يوجب الاتحاد. انظر: الأربعين في أصول الدين، ص ٢٥١، وشرح العقائد النسفية، ص ١١١. والحنابلة مختلفون اختلافاً كبيراً في فهم مذهبهم والتعبير عنه؛ ولعل ذلك يرجع إلى اختلافهم في مدى الاعتماد على العقل فمنهم من يميل إلى العقل كابن عقيل، ومنهم من يميل إلى حرفية النص كأبي يعلى، ومنهم من توسط كابن تيمية. انظر: عمار بوشي، صفة الكلام عند الحنابلة، بحث مقدم في المرحلة التمهيدية في الماجستير، قسم العقائد والأديان، كلية الشريعة-جامعة دمشق، إشراف: د.حسان القاري، ١٤٣٠هـ، ص ٥٩.

والمعتزلة كما ينقل عنهم الخصوم -ولم يجد الباحث هذا في كتبهم- مختلفون اختلافاً كبيراً بعد اتفاقهم على أن كلامه تعالى محدث، فالبعض يرى أن كلامه تعالى جسم محسوس محدود، والبعض يراه عرضاً يمكن وجوده في أماكن كثيرة، والبعض يراه عرضاً لا يمكن وجوده في أماكن كثيرة، إلى غير ذلك من الأقوال. انظر: الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ت: هلموت ريتز، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ط ٣، ص ١٩٢.

(١) انظر: شرح العقائد النسفية، ص ١٢٥.

(٢) انظر: الباقلاني، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، ت: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، ط ٢، ١٤٢١هـ، ص ١٧٠، وشرح المقاصد في علم الكلام، ١١١/٢، وشرح العقائد النسفية، ص ١٢٥، ولوامع الأنوار البهية، ٢٤٤/٢، وابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي (القاهرة)، دط، ٣/٣.

(٣) انظر: شرح الأصول الخمسة، ص ٢٣٢.

وقد استدللَّ كل من الطرفين على قوله بإمكان الوقوع أو عدمه بآيات هذه الحلقة من قصة موسى، ووجهها لتدلَّ على قوله، فأهل السنة استدلوا على إمكان الرؤية في ذاتها بهذه الحادثة، وذلك من وجوه:

الأول: أن موسى عليه السلام سأل الرؤية ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فلو لم تكن ممكنة لكان طلبها جهلاً بما يجوز في حق الله تعالى وما لا يجوز، أو عبثاً وسفهاً وطلباً للمحال، والأنبياء منزهون عن ذلك^(١).

الثاني: أن الله تعالى لم ينكر على موسى عليه السلام سؤاله، وهذا دليل الجواز؛ لأنَّ نوحاً عليه السلام لما سأله نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله حيث قال: ﴿إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦]^(٢).

الثالث: علق الله تعالى رؤيته على استقرار الجبل ﴿وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] واستقرار الجبل أمر جائز الوقوع ممكن في نفسه، والمعلق على الممكن ممكن^(٣).

الرابع: ما ذكره الرازي بقوله: «من الوجوه المستنبطة من هذه الآية في إثبات جواز الرؤية: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣] وهذا التجلي هو الرؤية: ويدل عليه وجهان: الأول: إن العلم بالشيء يجلي لذلك الشيء، وإبصار الشيء أيضاً يجلي لذلك الشيء، إلا أن الإبصار في كونه مجلياً أكمل من العلم به، وحمل اللفظ على المفهوم الأكمل أولى. الثاني: أن المقصود من ذكر هذه الآية تقرير أن الإنسان لا يطيق رؤية الله تعالى بدليل أن الجبل مع عظمته لما رأى الله تعالى اندك، وتفرقت أجزاؤه، ولولا أن المراد من التجلي ما ذكرناه وإلا لم يحصل هذا المقصود، فثبت أن قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣] هو أن الجبل لما رأى الله تعالى اندكت أجزاؤه، ومتى كان الأمر كذلك ثبت أنه تعالى جائز الرؤية^(٤).

(١) انظر: شرح العقائد النسفية، ص ١٢٧.

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص ١٨٨.

(٣) انظر: الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة، ت: فوقية حسين محمود، دار الأنصار (القاهرة)، ط ١،

١٣٩٧هـ، ص ٣٥، وشرح العقائد النسفية، ص ١٢٨.

(٤) مفاتيح الغيب، ١٤/ ١٨٩.

الخامس: ما ذكره ابن أبي العز الحنفي بقوله: «أنه تعالى قال: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]. ولم يقل: إني لا أرى أو لا تجوز رؤيتي أو لست بمرئي. والفرق بين الجوابين ظاهر ألا ترى أن من كان في كفه حجر، فظنه رجل طعاماً، فقال: أطعمنيه. فالجواب الصحيح: أنه لا يؤكل. أما إذا كان طعاماً صح أن يقال: إنك لن تأكله، وهذا يدل على أنه سبحانه مرئي، ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار؛ لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى»^(١).

وأما المعتزلة فقد استدلوا كذلك بهذه الحادثة على عدم جواز رؤية الله تعالى في الدنيا والآخرة، وذلك من وجوه:

الأول: أن (لن) في قوله تعالى: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] تفيد التأييد حقيقةً، ويمكن استعمالها مجازاً لا على التأييد، يقول القاضي عبد الجبار: «فأما شيوخوا فقد استدلوا بهذه الآية على أنه تعالى لا يرى، لأنه تعالى قال: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] وذلك يوجب نفي رؤيته في المستقبل أبداً، فإذا صحَّ ذلك من موسى وجب قبله في الأنبياء والمؤمنين»^(٢).

وقد أجاب النحويون عن هذا فقالوا: إن (لن) لا تفيد توكيد النفي ولا تأييده، وكلاهما دعوى بلا دليل؛ إذ لو كانت للتأييد لكان ذكر الأبد في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٩٥] تكراراً والأصل عدمه^(٣).

الثاني: أن سؤال موسى عليه السلام كان لأجل قومه حيث قالوا له: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]، فسأل؛ ليعلموا امتناعها، كما علمه هو^(٤).

وأجيب على هذا بأنه مخالف للظاهر، فموسى عليه السلام لم يقل: أرهم ينظروا إليك. وبالإضافة لمخالفته للظاهر هو فاسد لأمر منها:

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص ١٨٨.

(٢) متشابه القرآن، ت: عدنان زرزور، دار التراث (القاهرة)، دط، ص ٢٩٦.

(٣) انظر: ابن هشام، مغني اللبيب، ت: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر (بيروت)، ط ٦، ١٩٨٥ م، ٣٧٤/١.

(٤) انظر: شرح الأصول الخمسة، ص ٢٦٢.

١- لأنَّ تجويز الرؤية باطل بل كفر عند المعتزلة، فلا يجوز لموسى عليه السلام تأخير الرد، وتقرير الباطل.

٢- لأنهم -قوم موسى- إن كانوا مؤمنين بموسى مصدقين لكلامه كفاهم إخباره لهم بامتناع الرؤية من غير طلب المحال، وإن كانوا كفاراً لم يصدقوا موسى عليه السلام في حكم الله تعالى بالامتناع^(١).

الثالث: قالوا إنَّ الله تعالى علق الرؤية باستقرار الجبل حال تحركه دالاً بذلك على أنَّ الرؤية مستحيلة كاستحالة استقرار الجبل حال تحركه^(٢).

وأجيب بأنَّ الاستقرار حال التحرك ممكن أيضاً بأن يقع السكون بدل التحرك، والمحال اجتماع الحركة والسكون^(٣).

وقد عضدت آيات هذه القصة أدلة أخرى في الدلالة على إمكان رؤية الله تعالى، بل دلَّ أكثرها على الوقوع في الآخرة^(٤)، وفي ذلك دلالة على الإمكان وزيادة.

(١) انظر: شرح العقائد النسفية، ص ١٢٨.

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة، ص ٢٦٥.

(٣) انظر: شرح العقائد النسفية، ص ١٢٨.

(٤) من هذه الأدلة قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] فالنظر إذا اقترن بالي جاء بمعنى الرؤية، وكذلك فقد قرن الله تعالى النظر بالوجه فدلَّ على أنَّ المراد: نظر العينين اللتين في الوجه. ومنها: قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] قال مالك: لما حجب أعداءه فلم يروه، تجلَّى لأوليائه حتى رأوه، ولو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة، لم يعير الكافرون بالحجاب. ومنها: قول النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقاءك» وفي هذا الحديث تصريح من النبي صلى الله عليه وسلم بجواز الرؤية، وأنَّها غير مستحيلة؛ لأنَّه صلى الله عليه وسلم لا يطلب مستحيلاً، ولا سيما بعد تقدم طلب موسى عليه السلام وما حصل معه، فلو كانت مستحيلة لما طلبها صلى الله عليه وسلم. وهذا الحديث جزء من حديث أخرجه أحمد في المسند، (مسند عمار بن ياسر)، رقم/١٨٣٢٥، ٣٠/٣٦٥، وعلق عليه شعيب الأرنؤوط: بأنه حديث صحيح، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، باب (صفة الصلاة)، (ذكر جواز دعاء المرء في الصلاة بما ليس في كتاب الله)، رقم/١٩٧١، ٥/٣٠٤، وابن أبي شيبه في مصنفه، ت: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد (الرياض)، ط ١، ١٤٠٩ هـ، كتاب (الدعاء)، باب (من كان يقول في دعائه أحييني ما كانت الحياة خيراً لي)، رقم/٢٩٣٤٦، ٦/٤٤، ونص الحديث كاملاً كما عند ابن أبي شيبه: «اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحييني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً»

خاتمة الباب الأول

في نهاية الباب الأول يتضح للباحث أنَّ القرآن الكريم سلك في عرض قضاياه أساليب متعددة تتناسب مع مستويات الإدراك ومنافذ التأثير لدى المدعوين، وقد وقف الباحث على الأساليب الرئيسة -بحسب ما رأى- التي عدَّت سبعة أساليب، فصنفها في ثلاث مجموعات تبعاً لمدخل التأثير فيها؛ وجدانية (ترغيب وترهيب، وتكرار)، وعقلية (حوار وجدل)، وفنية (تمثيل وإخبار وقصة). وقد بين الباحث أثناء البحث الأساس الذي يؤثر تبعاً له كل أسلوب من الأساليب، من خلال بيان أهميته وطريقته في الإقناع.

وفي خاتمة الباب يذكر الباحث بعض العوامل التي ساعدت على اكتساب أساليب القرآن الكريم قوة إضافية في التأثير في المستقبلين.

العامل الأول : الحضور الإلهي

يمتاز القرآن الكريم عن سائر الكتب الأخرى بقدسية فريدة، وهي أنَّه إلهي بلفظه ومعناه، فالله سبحانه هو المتكلم به دون سواه. وعلى هذا فإنَّ القارئ للقرآن الكريم يجد في أساليبه قداسة الحضور الإلهي الذي يثير في القلوب أعظم الأحاسيس الدينية، ويدفع المتلقي للقضايا التي تعرضها إلى القبول والإذعان.

=لي، الله إني أسألك كلمة الإخلاص في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، وخشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك الرضا بالقدر، وأسألك نعيماً لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، ولذة العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك، وشوقاً إلى لقاءك، وأعوذ بك من ضراء مضره، وفتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين». ومنها: قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أَمَّا إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، يَعْنِي الْعَصْرَ وَالْفَجْرَ، ثُمَّ قَرَأَ جَرِيرٌ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠]» والرؤية إذا أطلقت ومثلت برؤية العيان لم يكن معناها إلا الرؤية بالعيان. وهذا الحديث أخرجه البخاري، كتاب (مواقيت الصلاة)، باب (فضل صلاة العصر)، رقم ٥٢٩/، ٢٠٣/١، ومسلم، كتاب (المساجد والمساجد)، باب (فضل صلاتي الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِمَا)، رقم ١٤٦٦/، ١١٣/٢. وانظر الأدلة السابقة وأوجه الاستدلال بها في: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، ص ١٧٤، و شرح العقائد النسفية، ص ١٢٨-١٢٩، و شرح المقاصد في علم الكلام، ١٤٣/٣، والبيجوري، تحفة المريد على جوهرة التوحيد، ت: علي جمعة ومحمد الشافعي، دار السلام (القاهرة)، ط ١، ١٤٢٢هـ، ص ١٩٤، ١٩١.

من مظاهر هذا العامل ما يجده القارئ في إسناد الله تعالى الفعل إليه مباشرة في كثير من مقامات الترغيب والترهيب، كقوله سبحانه وتعالى في معرض تذكير بني إسرائيل بما أنعم عليهم -الترغيب-: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٠]، وقوله تعالى في معرض الترهيب من غضبه: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [فصلت: ١٦].

ومن أبرز مظاهر هذا العامل أيضاً ما يجده القارئ في القصص القرآني، حيث يعرض فيها من خفايا الأسرار ما لا يتسنى لأحد أن يعلمه إلا الله تعالى الذي يحيط بما تُخفي الصدور، فمن غيره سمع صوت يونس في ظلمات الليل والبحر وبطن الحوت: ﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، ومن غيره سمع صوت فرعون الذي يصارع لجج الأمواج: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَّا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]، فكشفُ الله تعالى للناس حُجُبَ الأسرار وإسماعهم خطرات الضمائر مواقفٌ تثير الشعور بالجلال والرهبة، وتبين للأفهام أنَّ كل الخلائق في قبضته تعالى وتحت سلطانه^(١).

العامل الثاني : جمعها بين التأثير في القلوب والإقناع للعقول

إنَّ الأسلوب المنطقي الذي يراه القارئ جافاً مجرداً عند المتكلمين والفلاسفة يمتزج في القرآن الكريم بالأسلوب العاطفي المثير، دون أن يكون ذلك على حساب أدلته وبراهينه، فهو يخاطب الإنسان، ويثيره عن طريق قضايا ومشكلاته؛ ليحرك تطلعه لمعرفة الحقيقة ذات الصلة بحياته الحاضرة، ومصيره البعيد، وهو يدعو إلى النظر في الكون؛ لاستنباط سننه، والإيمان بخالقه، وكل هذه الدعوات موجهة إلى قواه العاقلة؛ ليكون إيمانه عن تعقل وتدبر، لا عن تقليد للآباء.

(١) انظر: سيكولوجية القصة في القرآن، ص ٤٣٦-٤٣٧.

انظر إليه مثلاً وهو في خضم الاستدلال العقلي على البعث والإعادة في مواجهة منكريهما كيف يسوق استدلاله سوقاً يهزُّ القلوب، ويمتّع العواطف بما جاء في طي هذه الأدلة المقنعة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ * وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ * وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ * رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [ق: ٦-١١] تأمل في الأسلوب الذي أقنع العقل، وأمتع العاطفة في آن واحد، حتى في الجملة التي هي بمثابة النتيجة من مقدمات الدليل؛ إذ قال في الآية الأولى: (إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ)، وفي الآيات الأخيرة: (كَذَلِكَ الْخُرُوجُ)^(١)، «وفي التعبير عن إخراج النبات من الأرض بالأحياء وعن حياة الموتى بالخروج تفخيم لشأن الإنبات، وتهوين لأمر البعث، وتحقيق للمماثلة بين إخراج النبات وإحياء الموتى، لتوضيح منهاج القياس، وتقريبه إلى أفهام الناس»^(٢).

العامل الثالث : تميُّز الأدلة التي تقدمها

أنزل القرآن الكريم بلغة العرب، ونهج طريقتهم في الكلام وفنون التعبير، ولم يكن يخرج عن معهود العرب في العرض والبيان والاستدلال؛ لكن -على الرغم من ذلك- يجد القارئ أساليبه تعلو كل الأساليب، فكان هذا القرآن معجزةً بكل ما حواه من المعارف، لا يضاهيه شيء من صنع البشر. والأدلة القرآنية التي تعبر عنها أساليبه المتنوعة جزء من تلك المعجزة العظيمة، تتميز بخصائص تجعلها منفردة عن سائر أدلة البشر، ويمكن إجمال أبرز هذه الخصائص فيما يأتي:

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٤٧٠، ومناهل العرفان في علوم القرآن، ٢/٢٢٥.

(٢) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، دط، ١٢٧/٨.

أولاً : الأدلة القرآنية سهلة وواضحة

إنَّ الأدلة القرآنية تعرض القضايا بأسلوب سهل الفهم، بعيد عن التعقيد، قليل المقدمات، «إن من أعظم كمال القرآن تركه في أمثاله المضروبة وأقيسته المنصوبة لذكر المقدمة الجلية الواضحة المعلومة، ثم إتباع ذلك بالإخبار عن النتيجة التي قد علم من أول الكلام أنها هي المقصود؛ بل إنما يكون ضرب المثل بذكر ما يستفاد ذكره، وينتفع بمعرفته، فذلك هو البيان، وهو البرهان»^(١).

لاحظ مثلاً كيف أجاب القرآن الكريم عن ذلك السؤال: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ؟﴾ [يس: ٧٨] الذي لو أراد متكلم أو فيلسوف الإجابة عنه لأتى بكلام كثير، يصعب فهمه على صاحب الاختصاص فضلاً عن العامي، يجيب عنه القرآن الكريم بمتنهي الوجة والإحاطة بالمطلوب: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ * أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٧٩-٨٢].

ثانياً : الأدلة القرآنية تناسب مختلف مستويات الفهم

القرآن الكريم كتاب دعوة وهداية، وهو وحي من الله تعالى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم لتبليغه لجميع البشر في كل زمان ومكان، ولما كانت طبائع البشر متفاوتة وقدراتهم على النظر والتفكير مختلفة، وكان من الناس بسبب هذا التفاوت من لا يقنعه إلا البرهان، ومنهم من لا يقنعه إلا الجدل، ومنهم من ليسوا من هذين الصنفين، وهم الجمهور الأعظم من الناس، وهؤلاء أقرب في تفكيرهم إلى الفطرة السليمة.

لما كان الناس من حيث الطبائع والعقول على هذا التباين، وكان القرآن كتاب الله تعالى إلى الناس كافة، فإنه تضمن من أساليب الإقناع وبراهينها العقلية ما يصلح لجميع العقول، ويناسب جميع الطبائع، فخاطب العقل في قمة وعيه وعلمه، وفي أدنى درجاته في البساطة، وخاطب القلب، وأثار العاطفة والوجدان، واتجه إلى الإنسان في كليته، فاستعمل معه طرق الإقناع العقلي تارة، والإرشاد تارة أخرى، والجدل والإلزام تارة ثالثة، فكان بذلك موافقاً

(١) مجموع الفتاوى، ١٤/٦٢.

للطباع المختلفة والعقول المتباينة^(١)، هذه الحقيقة بينها ابن رشد غاية البيان، حيث قرر أن القرآن الكريم «اشتمل على أصناف الدلائل؛ الخطابية منها والجدلية والبرهانية، فالمرء إذا كان من أهل البرهان فقد جعل له سبيل التصديق بها (يريد الإقرار بالله تعالى والنبوات والبعث وغيرها) بالبرهان، وإن كان من أهل الجدل فبالجدل، وإن كان من أهل الموعظة فبالموعظة، وأما الأشياء التي لخفائها لا تُعلم إلا بالبرهان فقد تلطف الله فيها لعباده، الذين لا سبيل لهم إلى البرهان، إما من قبل فطرتهم، وإما من قبل عاداتهم، وإما من قبل عدمهم أسباب التعلم، بأن ضرب لهم أمثالها وأشباهها، ودعاهم إلى التصديق بتلك الأمثال، إذ كانت تلك الأمثال يمكن أن يقع التصديق بها بالأدلة المشتركة للجميع - أعني الجدلية والخطابية - وهذا هو السبب في أن انقسم الشرع إلى ظاهر وباطن. فإن الظاهر هو تلك الأمثال المضروبة لتلك المعاني، والباطن هو تلك المعاني التي لا تنجلي إلا لأهل البرهان»^(٢).

اقرأ مثلاً قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠] حيث توجه الأذهان إلى عظيم قدرة الله تعالى، وقوة سلطانه على الوجود، وكيف أنه اخترع من غير سابق مثال، كل ذلك لإثبات أن الله تعالى وحده الأحق بالعبادة.

ولاحظ أن العامي يقرأها، فيرى فيها علماً لم يكن يعلمه، يدركه في أيسر كلفة، وأقرب طريق دون إجهاد فكر ونظر، ويرى العالم فيها والباحث في نشأة الكون دقة العلم وإحكامه وموافقته ما وصل إليه العقل البشري، مع سمو البيان وعلو البرهان^(٣).

ثالثاً: الأدلة القرآنية يقينية

إن اختصاص الدليل القرآني بكونه يقينياً لا يعني أنه يلتزم التراكيب والأشكال التي أوجبتها قواعد المنطق، على النحو الذي حدده أرسطو ومن وافقه؛ إذ إن القرآن الكريم ليس

(١) انظر: مسائل العقيدة ودلائلها بين البرهنة القرآنية والاستدلال الكلامي، ص ١١٨-١١٩.

(٢) فصل المقال، ص ٢٧.

(٣) انظر: منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل الحجة، ص ٧٠.

كتاب منطق أو فلسفة. وإنما وصف دليله بأنه يقيني يعني: أنه يجري وفق قواعد العقل السليم وفطرته.

وموافقة الدليل للفطرة العقلية الصحيحة تعني: أن مقدماته صحيحة في نظر العقل، وأن النتائج المستخرجة منها لازمة لها لزوماً عقلياً، وأنها لذلك تؤدي إلى التصديق اليقيني الذي لا يخالطه أدنى شك لكل من كانت فطرته العقلية باقية على صفائها، بعيدة عن مؤثرات الأهواء^(١). وعلى هذا يمكن فهم كلام ابن رشد السابق عن تنوع طرق التصديق في القرآن الكريم بين خطابية وجدلية وبرهانية، فسواء كان الدليل القرآني برهانياً أم جدلياً أم خطابياً فإنّه في كل الأحوال يقوم على مقدمات صحيحة، تؤدي إلى التصديق اليقيني.

(١) انظر: مسائل العقيدة ودلائلها بين البرهنة القرآنية والاستدلال الكلامي، ص ١٢٥.

الباب الثاني

القضايا العقدية في سورة إبراهيم (أسلوب إعلامي ومنهج دعوي)

تمهيد الباب الثاني : مدخل إلى سورة إبراهيم

أولاً : تسميتها ونزولها وفضلها

من الثابت أن جميع أسماء السور توقيفية، وإن اختلف المصاحف في تسمية بعض السور ناشئ عن تعدد الروايات الواردة في ذلك. والغالب تسمية السور القرآنية -على ما يبدو من أسمائها- بكلمة أو باشتقاق كلمة واردة فيها، جرياً على عادة العرب قديماً في مراعاتها في كثير من المسميات أخذ أسمائها من شيء نادر أو مستغرب يكون فيها من خلق أو صفة تخصها، ويسمون القصيدة بأشهر ما ورد فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور القرآن، لأنَّ القرآن الكريم جاء على سنن العرب في كلامها وخطابها^(١). وقد أضيفت هذه السورة إلى اسم إبراهيم عليه السلام، فكان ذلك اسماً لها، لا يعرف لها غيره، ووجه تسميتها بهذا الاسم - سورة إبراهيم - على الرغم من أنَّ ذكر إبراهيم عليه السلام جرى في كثير من السور؛ أنها من السور المفتوحة ب: (الر)، وقد مِيزَ بعضها عن بعض بالإضافة إلى أسماء الأنبياء عليهم السلام التي جاءت قصصهم فيها - كما في سور يونس وهود ويوسف وإبراهيم - أو إلى مكان بعثة بعضهم - كما في سورة الحجر -؛ ولذلك لم تضاف سورة الرعد إلى مثل ذلك؛ لأنها متميزة بفاتحتها بزيادة حرف ميم على ألف ولا م وراء^(٢).

وهنا لعلَّ القارئ يتساءل لماذا سُمِّيت السورة باسم إبراهيم على الرغم من أنَّه جاء في مطلع السورة ذكر موسى، ثم تلاه ذكر نوح ورسول عاد وثمود؟ الجواب: إنَّ هذه الأسماء الضخمة -على الرغم من تمهل السياق في عرض طائفة من الأحداث المرتبطة بها- لم تكن الموجهة للمحور الرئيس الذي تدور حوله السورة، فما تحدثت الآيات عن موسى، وإخراجه قومه من الظلمات إلى النور، وما تحدثت عن نوح ورسول عاد وثمود وكفاحهم مع أقوامهم، إلا ليكون ذلك رمزاً لوحدة الرسالة -رسالة التوحيد- التي نادى بها إبراهيم عليه السلام، وكافح لأجلها، حتى صار رمزاً لها ونبراساً يقتدي به الرسل من بعده^(٣).

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، ١/١٨٦، ١٩٦.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ١٢/٢١٣.

(٣) انظر: صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، ط ٢٤، ٢٠٠٠م، ص ٢٢٧.

وهي مكية كلها عند الجمهور^(١). وعن ابن عباس وقتادة: هي مكية إلا آيتين. وقيل: ثلاث، من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم: ٢٨] إلى قوله: ﴿فَإِنْ مَصِيرُكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [إبراهيم: ٣٠] نزلت في المشركين في قضية بدر^(٢).

نزلت سورة إبراهيم بعد سورة الشورى وقبل سورة الأنبياء، وقد عدت السبعين في ترتيب السور في النزول، فهي من أواخر السور المكية نزولاً. وهي اثنتان وخمسون آية، وعدد كلماتها ثمان مائة وإحدى وثلاثون كلمة، وعدد حروفها ثلاثة آلاف وأربعمائة وأربعة وثلاثون حرفاً^(٣).

وهي محكمة كلها عند عامة المفسرين إلا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فإنه قال فيها آية منسوخة، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤] نُسِخَتْ بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨] والجمهور على خلاف قوله^(٤).

ولم يقف الباحث على نص في فضل هذه السورة -خصوصاً- إلا ما ذكره جماعة من المفسرين^(٥) مروياً عن أبي بن كعب رضي الله عنه مرفوعاً: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ إِبْرَاهِيمَ أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ عَشْرُ حَسَنَاتٍ بَعْدَ مَنْ عَبَدَ الْأَصْنَامَ، وَمَنْ لَمْ يَعْبُدْهَا»^(٦).

(١) انظر: ابن قتيبة، غريب القرآن، ت: أحمد صقر، دار الكتب العلمية (بيروت)، ١٣٩٨هـ، ص ٢٣٠، واللباب في علوم الكتاب، ٣٢٨/١١، والتحرير والتنوير، ٢١٣/١٢.

(٢) انظر: الكشف، ٥٠٥/٢، والنيسابوري، الكشف والبيان، ت: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ط ١، ١٤٢٢هـ، ٣٠٤/٥.

(٣) انظر: اللباب في علوم الكتاب، ٣٢٨/١١.

(٤) انظر: ابن حزم، الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، ت: عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١، ١٤٠٦هـ، ص ٤٢، والكرمي الحنبلي، قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن، ت: سامي عطا حسن، دار القرآن الكريم (الكويت)، ١٤٠٠هـ، ص ١٢٧.

(٥) انظر: الكشف، ٥٣٢/٢، والكشف والبيان، ٣٠٤/٥، والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر (بيروت)، دط، ٣٥٩/٣، واللباب في علوم الكتاب، ٤٢١/١١.

(٦) لم يجده الباحث في كتب السنة، وإنما ذكره جماعة من المفسرين كما هو واضح في الإحالة السابقة، وفي سنده سَلَامُ بن سليم المدائني، قال السمعاني: «يروي عن الثقات الموضوعات، كأنه كان المتعمد لها، وكان يحيى بن معين يقول: سلام بن سليم ليس حديثه بشيء». الأنساب، ت: عبد الله عمر=

ثانياً : موضوعاتها ومقاصدها العامة

تتناول سورة إبراهيم -شأنها شأن السور المكية الأخرى- موضوع العقيدة في أصولها الكبيرة (الإيمان بالله وتوحيده، الإيمان بالرسالة، الإيمان بالبعث والجزاء). لكن السياق في هذه السورة يسلك نهجاً خاصاً في عرض هذا الموضوع وحقائقه الأصيلة، نهجاً فريداً يميزها -كالشأن في كل سورة قرآنية- عن غيرها من السور، يميزها بجوها وطريقة أدائها، والأضواء الخاصة التي تعرض فيها حقائقها الكبرى، ولون هذه الحقائق التي قد لا تفترق موضوعياً عن مثيلاتها في السور الأخرى، ولكنها تعرض من زاوية خاصة، في أضواء خاصة، فتوحي إichاءات خاصة. كما تختلف مساحتها في رقعة السورة وجوها، فتزيد أطرافاً وتنقص أطرافاً، فيحسها القارئ جديدة بما وقع فيها من تجديد، وذلك من الإعجاز القرآني في طريقة الأداء والعرض. ١٠

ولقد تضمنت السورة عدة حقائق رئيسة في العقيدة، مثل: (الهداية والضلال، الكفار وصفاتهم ومصير أعمالهم الصالحة، الخلود في النار وطبيعة العذاب، البعث وطبيعته، التقليد وحكمه، الأعمال وأثرها في دخول الجنة، سؤال الملكين، الدعاء للكافرين والاستغفار لهم). ولكن حقيقتين تظهران في السورة كلها، وهما الحقيقتان المتناسقتان مع شخصية إبراهيم في السورة: ١٥

الحقيقة الأولى: حقيقة وحدة الرسالة، والرسول ووظيفتهم ووحدة دعوتهم، ووقفاتهم أمة واحدة في مواجهة الجاهلية المكذبة بدين الله تعالى على اختلاف الأمكنة والأزمنة. يبرز السياق هذه الحقيقة في عرض فريد في طريقة الأداء، فقد أبرزها سياق بعض السور المكية الأخرى في صورة توحيد الدعوة التي يبعث بها كل رسول، فيقول كلمته لقومه ويمضي، ثم يجيء رسول آخر يفعل كما فعل سالفه وهكذا، كلهم يقولون الكلمة ذاتها، ويلقون الرد ذاته، ويصيب المكذبين ما يصيبهم في الدنيا، ويُنظر بعضهم، ويمهل إلى أجل في الأرض أو إلى أجل بعد الموت. ولكن السياق هناك كان يعرض كل رسول في مشهد، كالشريط ٢٠

=البارودي، دار الجنان (بيروت)، ط ١، ١٤٠٨هـ، ٨٤/٤؛ ولهذا لن يضع الباحث هذا الحديث في فهرس الأحاديث النبوية؛ لظهور وضعه.

المتحرك منذ الرسالات الأولى، وأقرب مثل لهذا النسق ما يجده القارئ لسورة الأعراف وسورة هود.

أما سورة إبراهيم فتجمع الأنبياء كلهم في صف، وتجمع الجاهليين كلهم في صف، وتجري المعركة بينهم في الأرض، ثم لا تنتهي هنا؛ بل تتابع خطواتها إلى اليوم الآخر، حيث يبصر القارئ أمة الرسل، وأمة الجاهلية، في صعيد واحد مع فارق الحال والمقام.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ * قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَاثْنُوا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنْصَبِرَ عَلَى مَا أَدْبَتُنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ * وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدٍ * وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ٩-١٦].

هنا تتجمع الأجيال من لدن آدم عليه السلام، وتتجمع الرسل، وتبرز الحقيقة الكبرى: حقيقة الرسالة الواحدة. واعتراضات الجاهليين عليها، وهي واحدة. وحقيقة نصر الله للمؤمنين، وهي واحدة. وحقيقة استخلاف الله للصالحين، وهي واحدة. وحقيقة الخيبة والخذلان للمكذبين، وهي واحدة. وحقيقة العذاب الذي ينتظرهم هناك، وهي واحدة. ولا تنتهي المعركة بين الكفر والإيمان هنا؛ بل يتابع السياق خطواته بها إلى ساحة الآخرة، فتبرز معالمها في مشاهد القيامة المتنوعة التي تتضمنها السورة، وهذه نماذج منها:

﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ

مَحِيصٍ * وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿إِبْرَاهِيم: ٢١-٢٣﴾، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنَدْتُهُمْ هَوَاءً﴾ ﴿إِبْرَاهِيم: ٤٢-٤٣﴾، ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ * يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ ﴿إِبْرَاهِيم: ٤٧-٥٠﴾. هذه الآيات كلها تشير إلى أن المعركة واحدة، تبدأ في الدنيا، وتنتهي في الآخرة، وتكمل إحداها الأخرى بلا انقطاع ولا انفصال.

الحقيقة الثانية: حقيقة نعمة الله على البشر، وزيادتها بالشكر، ومقابلة أكثر الناس لها بالجحود والكفران، وهذه الحقيقة تتناثر في سياق السورة كله. يظهر ذلك في تعداد الله تعالى نعمه على البشر كافة: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ ﴿إِبْرَاهِيم: ٣٢-٣٤﴾.

وفي إرسال الرسل للناس نعمة، تعدل تلك، أو تربو عليها: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ ﴿إِبْرَاهِيم: ١﴾، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ ﴿إِبْرَاهِيم: ٢٠﴾.

وفي قول الرسل مجتمعين: ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ ﴿إِبْرَاهِيم: ١٠﴾ والدعوة لأجل الغفران نعمة تعدل نعمة النور، وهي منه قريب.

وفي جو الحديث عن النعمة يذكر موسى قومه بأنعم الله عليهم: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَذَّبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ ﴿إِبْرَاهِيم: ٦﴾.

ويبرز السياق حقيقة زيادة النعمة بالشكر: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]. مع بيان أن الله غني عن الشكر وعن الشاكرين: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨]. ويقرر السياق أن الإنسان في عمومهِ لا يشكر النعمة حق الشكر: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنْ الْإِنْسَانُ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]. ولكن الذين يتدبرون آيات الله، وتفتح لها بصائرهم، يصبرون على البأساء، ويشكرون على النعماء: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥]

ويتمثل الصبر والشكر في شخص إبراهيم في موقف الخاشع عند بيت الله الحرام، كله حمد وشكر وصبر ودعاء: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَا كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * رَبَّنَا إِنِّي أَصْبَرْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ * رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٥-٣٩].

وأخيراً إنَّ القارئ ليجد ملامح هذه الحقيقة في كثير من تعبيرات السورة وفواصل آياتها، كما في: ﴿وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥]، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]، ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [إبراهيم: ٣٩]، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم: ١١]^(١).

وفي الفصل الأول يأتي تفصيل المباحث العقدية، وبيان أساليب عرضها، فتتضح موضوعات السورة ومقاصدها بشكل أكبر وأتم -إن شاء الله تعالى-.

(١) انظر: عبد الله محمود شحاتة، أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة)، ١٩٧٦م، ص ١٦١-١٦٨.

الفصل الأول : الأساليب الإعلامية ومضمونها العقدي في

سورة إبراهيم

المبحث الأول : الأساليب الوجدانية ومضمونها العقدي في سورة إبراهيم

المبحث الثاني : الأساليب العقلية ومضمونها العقدي في سورة إبراهيم

المبحث الثالث : الأساليب الفنية ومضمونها العقدي في سورة إبراهيم

المبحث الأول : الأساليب الوجدانية ومضمونها العقدي في سورة إبراهيم

المطلب الأول : أسلوب الترغيب والترهيب والمضمون العقدي الذي عرضه

يأتي أسلوب الترغيب والترهيب في عشرين آية من آيات سورة إبراهيم الاثنتين والخمسين ، هذه الآيات هي : قوله تعالى : ﴿الرَّكَابُ أَزْلَنَاهُ إِلَيْكَ لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ * الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ [إبراهيم : ١-٣] وقوله : ﴿قَالَتْ رَسُولُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَنْ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَاثْنُوا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ [إبراهيم : ١٠] وقوله : ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ [إبراهيم : ١٥-١٧] وقوله : ﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ * وَجَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾ [إبراهيم : ٢٨-٣٠] وقوله : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنَدْتُهُمْ هَوَاءً * وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ * وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ * وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ * فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفَ وَعْدِهِ رَسُولُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ * يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ * لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم : ٤٢-٥٢] وفيما يأتي يعرض البحث للقضايا العقدية التي تتضمنها هذه الآيات من خلال الرجوع لكتب الكلام

والتفسير بشكل رئيس.

المقطع الأول: قوله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ * الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١-٣] استنبط من هذه الآيات العديد من المسائل العقدية: ٥

أولها: خلق القرآن: من قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ [إبراهيم: ١] فقد دلت هذه الآية على أن القرآن الكريم موصوف بكونه منزلاً من عند الله تعالى، وهذا القدر متفق عليه، لكن المعتزلة قالوا: إنَّ النازل والمنزل لا يكون قديماً. وعليه قالوا: إنَّ القرآن مخلوق^(١). أجاب المخالفون -كالأشاعرة والماتريدية- القائلون بقدم القرآن^(٢) بأن الموصوف بالنازل والمنزل هو الحروف المتعاقبة المؤلفة للكلمات، وهي محدثة بلا نزاع^(٣). ١٠

والخلاف الحاصل بين الفريقين في قدم القرآن أو حدوثه راجع إلى اختلافهم في تحديد مفهوم الكلام أو إلى إثبات الكلام النفسي ونفيه؛ إذ الكلام عند المعتزلة: الحروف المنتظمة والأصوات المتقطعة، ولم يثبتوا أمراً آخر غير ذلك^(٤)، أما عند جمهور الأشاعرة والماتريدية فهو: المعنى القائم بالنفس، والحروف والأصوات دلالات على ذلك المعنى^(٥). وعليه: من جعل كلام الله تعالى -ومنه القرآن الكريم- معنى قائماً بالنفس قال بقدمه، ومن جعله حروفاً وأصواتاً -عدا الحنابلة ومن وافقهم الذين جعلوا الكلام حروفاً وأصواتاً غير مخلوقة- قال بخلقه، وعليه: فالفريقان لم يتواردا على نقطة خلاف واحدة، فالمعتزلة لا يقولون بحدوث -أو وجود- الكلام النفسي، والأشاعرة والماتريدية لا يقولون بقدم الحروف والأصوات. ١٥

(١) انظر: القاضي عبد الجبار، المحيط بالتكليف، جمع: ابن متويه، ت: عمر السيد عزمي، الدار المصرية للتأليف (القاهرة)، دط، ١/٣٢٤.

(٢) انظر: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، ص ٧٠، والبزدوي، أصول الدين، ت: هانز لنس، دار إحياء الكتب العربية (القاهرة)، ١٩٦٣م، ص ٥٨.

(٣) انظر: تبصرة الأدلة في أصول الدين، ص ٣٩٣، ومفاتيح الغيب، ١٩/٥٧.

(٤) انظر: المحيط بالتكليف، ١/٣٢٠.

(٥) انظر: الجويني، العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، ت: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث (القاهرة)، ١٤١٢هـ، ص ٢٧-٢٨.

ثانيها : خلق أفعال العباد : استدللَّ المعتزلة -على ما ذكر الرازي وتبعه ابن عادل- على قولهم بأنَّ الإنسان يخلق فعل نفسه^(١) بقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [إبراهيم: ١] ، وذلك من وجوه:

الأول: أنَّه تعالى لو خلق الكفر في الكافر، فكيف يصحُّ إخراجُه منه بالكتاب.
الثاني: أنَّه تعالى أضاف الإخراج من الظُّلُمَاتِ إلى النور إلى الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم، فإن كان خالق الكفر هو الله تعالى فكيف يصحُّ من الرسول صلى الله عليه وسلم إخراجهم منه؟ وكان للكافر أن يقول: إنَّك تقول: إن الله خلق الكفر فينا، فكيف يصحُّ منك أن تخرجنا؟ فإن قال لهم: أنا أخرجكم من الظُّلُمَاتِ التي هي كفر مستقبل لا واقع. فلهم أن يقولوا: إن كان الله سيخلقه فينا لم يصح ذلك الإخراج، وإن لم يخلقه الله فنحن خارجون منه بلا إخراج. ١٠

الثالث: أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم إنَّما يخرجهم من الكفر بالكتاب بأن يتلوه عليهم؛ ليتدبروه، ولينظروا فيه، فيعلموا بالنَّظر والاستدلال كونه تعالى عالماً قادراً حكيماً، ويعلموا بكون القرآن معجزة صدق الرسول، فحينئذ يقبلوا منه كلَّ ما جاءهم من الشرائع، وذلك إنَّما يكون إذا كان الفعل لهم، ويقع باختيارهم، ويصحُّ منهم أن يقدموا عليه، ويتصرفوا فيه. ١٥

يجيب الرازي الأشعري: إنَّ الفعل الصادر من العبد إمَّا أن يصدر عنه حال استواء الدَّاعي إلى الفعل والترك، أو حال رجحان أحد الطرفين على الآخر. والأول باطل؛ لأنَّ صدور الفعل يقتضي رجحان جانب الوجود على جانب العدم، وحصول الرَّجْحَانِ حال حصول الاستواء محال. والثاني عين قولنا؛ لأنَّه يمتنع صدور الفعل عنه إلَّا بعد حصول الرجحان، فإن كان ذلك الرجحان من العبد عاد السَّؤال، وإن لم يكن منه؛ بل من الله، فحينئذ يكون المؤثر الأول هو الله تعالى، وهو المطلوب^(٢).

(١) انظر: القاضي عبد الجبار، المختصر في أصول الدين (منسوب للقاضي)، ت: محمد عمارة، دار الهلال (القاهرة)، ضمن رسائل العدل والتوحيد، ٢٠٨/١.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، ٥٨/١٩، واللباب في علوم الكتاب، ٣٢٩/١١-٣٣٠.

واستدل مخالفو المعتزلة -وهم أهل السنة من الأشاعرة والماتريدية وغيرهم- بهذه الآيات على أن فعل العبد مخلوق لله تعالى، فقلوه تعالى: ﴿يَاذُنِ رَبِّهِمْ﴾ [إبراهيم: ١] معناه: أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يمكنه إخراج الناس من الظلمات إلى النور إلا بإذن الله تعالى. والمراد بهذا الإذن: إما الأمر، وإما العلم، وإما المشيئة والخلق، وحمل الإذن على الأمر محال؛ لأن الإخراج من الجهل إلى العلم لا يتوقف على الأمر، فإنه سواء حصل الأمر أم لم يحصل، فإن الجهل متميز على العلم، والباطل متميز عن الحق.

وأيضاً: حمل الإذن على العلم محال؛ لأن العلم يتبع المعلوم على ما هو عليه، فالعلم بالخروج من الظلمات إلى النور تابع لذلك الخروج، ولما بطل هذان القسمان لم يبق إلا أن المراد من الإذن: المشيئة والتخليق، وذلك يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يمكنه إخراج الناس من الظلمات إلى النور إلا بمشيئة وتخليق الله تعالى.

وكذلك احتجوا بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ٢] ذلك أن الله تعالى قال: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٢] وأعمال العباد حاصلة في السموات والأرض، فوجب القول بأن أفعال العباد له، بمعنى كونها مملوكة له، والملك عبارة عن القدرة، فوجب كونها مقدورة لله تعالى، وإذا ثبت أنها مقدورة لله تعالى وجب وقوعها بقدرة الله تعالى، وإلا لكان العبد قد منع الله تعالى من إيقاع مقدوره، وذلك محال^(١).

وملخص الخلاف في مسألة أفعال العباد التي بحثها الإسلاميون منطلقين من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية منذ زمن مبكر، أن طائفة ذهبت إلى أن الإنسان حر في أفعاله، وله عليها قدرة حقيقية مؤثرة، وسموا بالقدرية -والممثل الرئيس لهذا الاتجاه المعتزلة-، وطائفة أخرى ذهبت إلى أن الإنسان لا حرية له ولا اختيار، والله تعالى هو الخالق لكل شيء، ولا تنسب الأفعال إلى الإنسان إلا على سبيل المجاز، وسموا بالجبرية.

ومنشأ الخلاف بين الطرفين وجود نصوص تشهد بظاهرها لكل منهما، فمما يشهد للأولين: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] ومما يشهد

(١) انظر: المرجع السابق، ٦١/١٩.

لِلآخَرِينَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤].

ولما لم يكن كل من الرأيين خالياً من الشطط والتطرف؛ إذ رأي الأولين لا يسلم من الاعوجاج؛ لأن من شأنه أن يحدّد من القدرة الإلهية، ورأي الآخرين لا يصلح لإقامة حياة اجتماعية قويمّة؛ لما فيه من دعوة إلى التخاذل والخمول، وتحريض على الفجور والانحلال بالتعلل بالجبر على الفعل، — فإنّ جُلّ المسلمين أعرضوا عنهما، ووقفوا موقفاً وسطاً، وشاع موقفهم من أنه لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين.

ثم إن مدارس أهل السنة الكلامية التي من أشهرها مدرستي الأشاعرة والماتريدية اجتهدوا في تحديد جوانب هذا الموقف الوسط بين الجبر والتفويض، فقالوا: إنّ أفعال العباد مخلوقة لله تعالى، وإنّ للإنسان كسباً هو محل الثواب والعقاب، ثم اختلفوا في تفسير هذا الكسب، ففسّره الأشاعرة بكونه عبارة عن مقارنة قدرة العبد وإرادته بالمقدور بشرط عدم تأثيرهما بالإيجاد^(١)، وبيان ذلك: أن الإنسان إذا قصد إلى فعل ما، خلق الله عند ذلك شيئين اثنين: الأول: ذلك الفعل المقصود، والثاني: قدرة للإنسان تقتزن بذلك الفعل، فالخالق في الحقيقة هو الله تعالى، وليس لقدرة الإنسان من أثر إلا اقترانها بذلك الفعل، وهذا الاقتران هو الكسب^(٢)، يقول الجرجاني: «والمراد بكسبه إياه مقارنته لقدرة وإرادته من غير أن يكون هناك منه تأثير أو مدخل في وجوده، سوى كونه محلاً له»^(٣).

وأما تفسير الماتريدية له فإنهم -الماتريدية- يفرقون بين نوعين من الإرادة: الأولى: الإرادة الكلية: وهذه الإرادة من شأنها أن تتعلق بكل واحد من طرفي الفعل والترك، وهي

(١) انظر: الحسن بن عبد المحسن، الروضة البهية في ما بين الأشاعرة والماتريدية، دائرة المعارف النظامية (الهند)، ط ١، ص ١٠٧، وعبد الرحيم بن علي الشهير بشيخ زاده، نظم الفرائد وجمع الفوائد، ت: بسام الجابي، المطبعة الأدبية (القاهرة)، ط ١، ص ٢٥٤.

(٢) انظر: اللقاني، إتحاف المريد بجوهرة التوحيد، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة الفلاح (حلب)، ط ١، ١٤١١هـ، ص ١٥٢، ومحمد السنوسي، شرح أم البراهين مع حاشية الدسوقي عليها، دار الفكر (بيروت)، دط، ص ١٦٤.

(٣) المواقف في علم الكلام مع شرحها، ٢١٤/٣.

حقيقية مخلوقة لله تعالى. الثانية : الإرادة الجزئية : وهي عبارة عن تعلق الإرادة الكلية بجانب معين من الفعل والترك صادرة من العبد اختياراً، وليست مخلوقة لله تعالى ؛ لأنها ليست من الموجودات الخارجية، بل هي من الأمور الاعتبارية عند جمهور الماتريدية، ومن قبيل الحال المتوسط بين الوجود والعدم عند صدر الشريعة^(١)، وهذه الإرادة الجزئية هي أثر قدرة العبد عندهم، فالقدرة تعمل على توجيه الإرادة الكلية إلى أحد طرفي الفعل، وهذا التوجيه يُسمَّى : (بالقصد والاختيار الجزئي والإرادة الجزئية والعزم المصمَّم والكسب)، وهو مناط المثوبة والعقوبة^(٢)، يقول صدر الشريعة: «فالكسب لا يوجب وجود المقدور، بل يوجب من حيث هو كسب اتصاف الفاعل بذلك المقدور، ثم اختلاف الإضافات ككونه طاعة أو معصية مبني على الكسب لا على الخلق؛ إذ خلق القبيح ليس بقبيح؛ إذ خلقه لا ينافي المصلحة والعاقبة الحميدة؛ بل يشتمل على كثير منهما، وإنما الاتصاف به بإرادته وقصده قبيح، وقد علم أن الكسب من حيث هو يوجب الاتصاف، فالقصد إليه قبيح؛ لأنه موصل إلى القبيح؛ لأنه يعلم أنه كلما قصده يخلقه الله تعالى، ولا جبر في القصد، فالحاصل أن مشايخنا رحمهم الله ينفون عن العبد قدرة الإيجاد والتكوين، فلا خالق ولا مكون إلا الله، لكن يقولون: إن للعبد قدرة ما على وجه لا يلزم منه وجود أمر حقيقي لم يكن»^(٣) وهذه الإرادة الجزئية سبب أو شرط عادي لخلق الله تبارك وتعالى الفعل بعدها، ومغايرتها للفعل بديهية «لأنها أمر متقدم على الفعل ذاتاً، ومتأخر عنه وصفاً، بمعنى أنه لا تسمى كسباً إلا بعد خلق الله تعالى الفعل، وإن كان الخلق متفرعاً عليه عادة، كالرمي لا يسمى قتلاً إلا عقب خلق الله تعالى الموت به، وإن كان ناشئاً عنه»^(٤)، يقول ابن الهمام: «جميع ما يتوقف عليه أفعال الجوارح من الحركات وكذا التروك، وهي أفعال النفس من الميل والداعية والاختيار

(١) انظر: صدر الشريعة، التوضيح مع التلويح، نظارة المعارف الروسي، دط، ١٨٨٣م، ص ٢٩٤.

(٢) انظر: الروضة البهية في ما بين الأشاعرة والماتريدية، ص ١٠٧.

(٣) التوضيح مع التلويح، ص ٢٩٤-٢٩٦.

(٤) خالد النقشبندي، الرسالة الكسبية في الفرق بين الجبر والقدر، ت: حمود حمود البرهو، بحث دراسة وتحقيق مقدم في المرحلة التمهيديّة للماجستير في قسم العقائد والأديان، كلية الشريعة-جامعة دمشق، إشراف: د.مدین هواري، ٢٠٠٩م، ص ٤٢.

بخلق الله تعالى ، لا تأثير لقدرة العبد فيه ، وإنما محل قدرته عزمه عقيب خلق الله هذه الأمور في باطنه عزمًا مصممًا بلا تردد ، وتوجهه توجهاً صادقاً للفعل طالباً إياه ، فإذا أوجد العبد ذلك العزم خلق الله له الفعل ، فيكون منسوباً إليه تعالى من حيث هو حركة ، وإلى العبد من حيث هو زنا ونحوه»^(١).

والذي يميل إليه الباحث في مسألة أفعال العباد القول بأن الله تعالى خالق لكل شيء ، وأن الإنسان فاعل مختار ، ولقدرته مدخل في التأثير دون خوض في مدى هذا التأثير وحقيقته ، وبعبارة أخرى الوقوف عند موقف السلف الأوائل من أنه لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين.

ثالثها : تعليل أفعال الله تعالى : استدل المعتزلة -على ما ذكر الرازي- بقوله تعالى : ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [إبراهيم : ١] على أن أفعال الله تعالى وأحكامه معللة برعاية المصالح ، وذلك أن اللام في : (لِتُخْرِجَ النَّاسَ) لام التعليل ، وهذا يدل على أنه تعالى إنما أنزل هذا الكتاب لعلة وغرض وحكمة متمثلة في إخراج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الهداية.

أجاب الرازي الأشعري عنه : «بأن من فعل فعلاً لأجل شيء آخر ، فهذا إنما يفعله لو كان عاجزاً عن تحصيل هذا المقصود إلا بهذه الوسطة ، وذلك في حق الله تعالى محال ، وإذا ثبت بالدليل أن يمتنع تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه بالعلل ثبت أن كل ظاهر أشعر به فإنه مؤول محمول على معنى آخر»^(٢).

وحاصل المسألة أن المتكلمين على قولين في تعليل أفعال الله تعالى :
الأول : أفعاله تعالى ليست معللة بشيء من الأغراض والعلل الغائية ، وإلى هذا ذهب الأشاعرة^(٣) والظاهرية^(٤).

(١) الكمال ابن الهمام ، المسامرة ، مطبعة السعادة (مصر) ، ط ٢ ، ١٣٤٧هـ ، ص ١١١٥-١١٦ .

(٢) مفاتيح الغيب ، ١٩ / ٥٧ .

(٣) انظر : المواقف في علم الكلام مع شرحها ، ٢٩٥ / ٣ .

(٤) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ١٠١ / ٣ .

الثاني: أفعاله تعالى معللة بالغايات، ولا يجوز أن تخرج عن الحكمة، وإلى هذا ذهب الماتريدي^(١) وجمهور الحنابلة^(٢) والمعتزلة^(٣). وإلى هذا الرأي يميل الباحث، لكن في الوقت نفسه لا بدّ من الإشارة إلى أنّ رفض أصحاب القول الأول لتعليل الفعل الإلهي، وتأكيدهم أنّ الله لا يفعل لغرض لا يعني أنّهم لم يقولوا بأن أفعال الله تعالى متقنة ولا تخرج عن النظام، يدل على هذا استدلالهم على اتصاف الله تعالى بصفة العلم بالنظام والإتقان في أفعاله تعالى^(٤)، وإنما دفعهم لنفي التعليل حرصهم على التأكيد على المشيئة الإلهية المطلقة، والحكمة عندهم -والتي يثبتونها في أفعال الله تعالى- نفاذ المشيئة وفقاً لما كان في العلم، وعلمه كاشف لدقائق الأمور وتفصيلها ونظامها، وعليه فأفعاله الصادرة بمقتضى مشيئته المطلقة وعلمه لا تخرج عن الإتقان والنظام، وبذلك يلتقي الفريقان -بحسب ما يرى الباحث- في نقطة واحدة، وهي أنّ أفعاله تعالى محكمة متقنة لا تخرج عن النظام.

رابعها: وجوب توحيد الله تعالى: يُستدل بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ٢] على وجوب توحيد الله تعالى، وذلك أن كل ما في السموات والأرض لله تعالى خلقاً وملكاً، فلا يتصور أن يحتاج إلى شيء منهما، ولا إلى شيء متحيّز فيهما، ولا يصح بوجه أن يكون بعض ما يملكه المالك جزءاً منه أو ولداً أو شريكاً له؛ لأنّ الملكية تنافي الجزئية والبنوة والشركة^(٥).

خامسها: صفات الكفار: ذكر هذا المقطع ثلاثاً من صفات الكفار مقرونة بالترهيب من الاتصاف بها أو فعلها، وهي:

الصفة الأولى: استحباب الحياة الدنيا وإيثارها على الآخرة، وقد ذُكرت هذه الصفة في قوله تعالى: ﴿يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٣] وقد جمع الله تعالى بين هذين الوصفين ليتبين بذلك أن الاستحباب للدنيا وحده لا يكون مذموماً إلا بعد أن يضاف

(١) انظر: الماتريدي، التوحيد، ت: فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية (الإسكندرية)، دط، ص ٢١٦.

(٢) انظر: لوامع الأنوار البهية، ٢٨٥/١.

(٣) انظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل، ٤٨/٦.

(٤) انظر: المواقف في علم الكلام مع شرحها، ١٠٣/٣.

(٥) انظر: الشربيني، تفسير السراج المنير، دار الكتب العلمية (بيروت)، دط، ٤٠٢/١.

إليه إيثارها على الآخرة، فأما من أحبها ليصل بها إلى منافع النفس وإلى خيرات الآخرة فإن ذلك لا يكون مذموماً، حتى إذا أثرها على آخرته بأن اختار منها ما يضره في آخرته، فهذه المحبة هي المحبة المذمومة.

الصفة الثانية: السعي في صد الغير، ومنعه من الوصول إلى المنهج القويم والصراط المستقيم، وقد ذكرت هذه الصفة في قوله تعالى: ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٣] فإن من كان موصوفاً باستحباب الدنيا وتفضيلها على الآخرة فهو ضال، ومن منع الغير من الوصول إلى سبيل الله ودينه فهو مضل، فالصفة الأولى إشارة إلى كونهم ضالين، والصفة الثانية وهي كونهم صادين عن سبيل الله أي مضلين لغيرهم.

الصفة الثالثة: السعي في إلقاء الشكوك والشبهات في المذهب الحق، والعمل على تقييح صفته بكل ما يقدر عليه من الحيل، وهذا هو النهاية في الضلال والإضلال، وقد ذكرت هذه الصفة في قوله تعالى: ﴿وَيَعْمِدُونَ عَلَىٰ حِيلٍ﴾ [إبراهيم: ٣] أي: يطلبون لسبيل الله زيغاً واعوجاجاً، ويبينوا للناس أنها سبيل ناكبة عن الحق غير مستوية، والأصل: ويبغون لها عوجاً^(١).

هذه القضايا العقدية من وجوب الإيمان بالقرآن الكريم كلام الله تعالى المنزل لإخراج البشرية من الظلمات، ظلمات الوهم والخرافة والتقاليد، ظلمات الحيرة في تيه الأرباب المتفرقة، وفي اضطراب التصورات والقيم والموازين، لإخراج البشرية من هذه الظلمات كلها إلى نور الإيمان، النور الذي يكشف هذه الظلمات، يكشفها في عالم الضمير وفي دنيا التفكير وفي واقع الحياة والقيم والتقاليد. ومن وجوب توحيد الله تعالى في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله. ومن ضرورة الحذر والابتعاد عن صفات الكفار وأخلاقهم من استحباب الحياة الدنيا وإيثارها على الآخرة، إلى صد الآخرين، ومنعهم من الوصول إلى المنهج القويم والصراط المستقيم، انتهاءً بالسعي في إلقاء الشكوك والشبهات في المذهب الحق، والعمل على تقييح صورته بكل الأساليب والوسائل المتاحة. إن هذه القضايا عرضت متضمنة في ثناياها إشارات الترهيب من مخالفة مضمون توجيهاتها، أول هذه الإشارات يتمثل في التوعد بالعذاب الشديد في قوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ٢] والمعنى:

(١) انظر: الكشف، ٥٠٦/٢، ومفاتيح الغيب، ٦١/١٩-٦٢، واللباب في علوم الكتاب، ٣٣٤/١١.

أنهم لما تركوا عبادة الله تعالى الذي هو المالك للسموات والأرض، ولكل ما فيهما، إلى عبادة ما لا يملك ضراً ولا نفعاً، ويخلق ولا يخلق، ولا إدراك له ولا فعل، فالويل ثم الويل لمن كان كذلك، وإنما خُص المخالفون لتوجيهات هذه الآيات بالويل؛ لأن المعنى: أنهم يولولون من عذاب شديد، ويصيحون فيه، ويضجون منه، ويقولون: يا ويلاه، ونظيره قوله تعالى في بيان حالهم: ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣]^(١).

وثاني هذه الإشارات في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [إبراهيم: ٣] حيث وصف هذا الضلال بالبعد؛ وذلك لوجوه متعددة، تُشَمُّ منها رائحة التنفير والترهيب:

الوجه الأول: أن المتصف بهذه الأوصاف في غاية البعد عن طريق بحيث لا يعقل ضلال أقوى من هذا الضلال، فحري بمن اتصف بهذه الأوصاف أن يرجع عن ضلاله البين قبل أن يصل به إلى نقطة لا يمكنه بعدها الرجوع عن هذا الغي.

الوجه الثاني: أن يكون المراد أنه يبعد ردهم عن طريقة الضلال إلى الهدى، لأنه قد تمكن ذلك في نفوسهم، وفي هذا غاية التنفير من الاتصاف بخلال هذا الضلال.

الوجه الثالث: أن يكون المراد من الضلال الهلاك، والتقدير: أولئك في هلاك يطول عليهم فلا ينقطع، والمراد بالبعد امتداده وزوال انقطاعه^(٢). ولا يخفى ما في هذه الإشارات والوجوه من الترهيب من محاولة تغيير أو تعديل البناء النفسي للمنكرين من خلال توضيح الأخطار والنتائج المترتبة على عدم استجابتهم لما طلب منهم الالتزام به.

ولأهمية الترغيب والترهيب في الدعوة، وأثره في وجدان المتلقين وجه الله تعالى رسله لاستخدام هذا الأسلوب في دعوتهم لأقوامهم، كما هو الحال في توجيه الله تعالى لموسى عليه السلام في الآيات التي تأتي عقب آيات هذا المقطع مباشرة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥] و«المعنى: عظمهم بالترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، فالترغيب والوعد أن يذكرهم ما أنعم الله عليهم، وعلى من قبلهم ممن آمن بالرسول في سائر ما سلف من الأيام، والترهيب والوعد أن يذكرهم بأس الله وعذابه وانتقامه ممن كذب

(١) انظر: والكشاف، ٥٠٥/٢، ومفاتيح الغيب، ٦١/١٩، واللباب في علوم الكتاب، ٣٣٣/١١.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، ٦٢/١٩.

الرسول ممن سلف من الأمم فيما سلف من الأيام، مثل ما نزل بعاد وشمود وغيرهم من العذاب؛ ليرغبوا في الوعد فيصدقوا، ويحذروا من الوعيد فيتركوا التكذيب»^(١).

المقطع الثاني: قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [إبراهيم: ١٠] استنبط من هذه الآية

العديد من المسائل العقدية، يعرض البحث لإحداها هنا، والباقي عند الحديث عن القضايا العقدية المعروضة بأسلوب الحوار والجدل.

استدل بقوله تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠] على وجود الله تعالى بدليل أطلق عليه بعض المتكلمين دليل الاختراع أو دليل الحدوث^(٢)، ويرتكز هذا الاستدلال على أصليين معلومين بداهة:

أولهما: حدوث المخلوقات؛ وهذا معلوم بالمشاهدة في آحاد الحيوان والنبات، وبالضرورة العقلية في الكواكب وسائر المخلوقات؛ لأنها مسخرة مدبرة، والمسخر المأمور مخترع من قبل غيره ضرورة.

الثاني: حاجة المحدث إلى محدث؛ وهذا الأصل معلوم بضرورة العقل؛ فالمحدث لا بد له من محدث لا يفتقر إلى غيره؛ وهو الله تعالى.

وقد توسع الرازي في بيان الوجوه التي يدل فيها قوله تعالى: ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠] على وجود الله تعالى في مواضع متعددة من تفسيره، يوجزها الباحث بالآتي:

فطر تعني: خلق، والخلق عبارة عن التقدير بمقدار مخصوص، وهذا المعنى حاصل في السموات والأرض من وجوه:

الأول: إن كل جسم متناه، فجسم السماء متناه، وجسم الأرض متناه، وكل ما كان متناهياً في الحجم والقدر كان اختصاصه بذلك القدر المعين دون الأزيد والأنقص أمراً جائزاً، وكل جائز لا بد له من مقدر ومخصص، وكل ما كان مفتقراً إلى الغير فهو محدث.

(١) المرجع السابق، ٦٦/١٩.

(٢) انظر: محمد صالح الزركان، الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية، دار الفكر، دط، ص ١٩٧.

الثاني: إن جسم الفلك مركب من أجزاء، بعضها حصلت في عمق جرم الفلك، وبعضها في سطحه، والذي حصل في العمق كان يُعَقَل حصوله في السطح وبالعكس، وإذا ثبت هذا كان اختصاص كل جزء بموضعه المعين أمراً جائزاً، فيفتقر إلى المخصص والمقدر. الثالث: إن الحركة والسكون جائزان على كل الأجسام، بدليل أن الطبيعة الجسمية واحدة، ولزوم الأمور الواحدة بالحركة دون السكون اختصاص بأمر ممكن. ٥

الرابع: إن كل حركة يمكن وقوعها أسرع مما وقع وأبطأ مما وقع، فاختصاص تلك الحركة المعينة بذلك القدر المعين من السرعة والبطء اختصاص بأمر ممكن.

فثبت بهذه الوجوه -وغيرها حيث أوصلها الرازي إلى عشرة- أن أجرام السموات والأرضين مختلفة بصفات وأحوال، فكان يجوز في العقل حصول أصدادها ومقابلاتها، فوجب أن لا يحصل هذا الاختصاص الخاص إلا لمرجّح ومقدّر، وإلا فقد ترجح أحد طرفي الممكن على الآخر لا لمرجح، وهو محال، وهذا المرجح لا بدّ أن يكون واجب الوجود لذاته، وهو الله تعالى^(١).

وقد سيقّت قضية الإيمان بوجود الله تعالى الواحد مشحونةً بمعاني الترغيب والترهيب من خلال التعقيب عليها بقوله تعالى: ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [إبراهيم: ١٠] فقد وعد الله تعالى المؤمنين به بأمرين ترغيباً لهم بالإيمان: ١٥

الأول: الوعد بغفران الذنوب، وغفرانها يعني: أنه يصفح عن فاعليها، ويعفو عنهم، فلا يؤاخذهم بها في الآخرة؛ بل إنّ من ترك سبيل الكفر، وتاب إلى الله تعالى فإنّ الله تعالى يبدل سيئاته تلك حسنات، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠]^(٢).

الثاني: الوعد بعدم الاستئصال والإهلاك، فمعنى ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [إبراهيم: ١٠] وجهان: ٢٠

الأول: ما روي عن ابن عباس أنّ المعنى: يتمتعكم في الدنيا بالطيبات واللذات إلى الموت.

(١) انظر: مفاتيح الغيب، ١٢/١٢٤، و١٩/١٧٨.

(٢) انظر: اللباب في علوم الكتاب، ١١/٣٥١.

الثاني: أنكم إن آمنتم أخر الله موتكم إلى أجل مسمى، وإلا عاجلكم بعذاب الاستئصال والإهلاك الجماعي^(١)، فإن هلاك الأمم والشعوب سببه الكفر والفسوق والعصيان، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ * فَكَثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر: ٦-١٣] والإكثار من الفساد: هو العمل بالكفر وشعبه، من جميع أجناس المعاصي، والسعي في محاربة الرسل، وصد الناس عن سبيل الله، فلما بلغوا من العتو ما هو موجب لهلاكهم، أرسل الله عليهم من عذابه ما أهلكهم واستأصلهم^(٢). ويؤكد هذا المعنى ما روي عن زينب بنت جحش قالت: قلت: يا رسول الله أنهلك وفيما الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث»^(٣).

المقطع الثالث: قوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٥-١٧] تأتي هذه الآيات تعقيماً على حوار الأنبياء مع أقوامهم -الذي سيرضه البحث عند الحديث عن أسلوب الحوار والقضايا العقدية التي عُرِضت فيه- أتت هذه الآيات؛ لتنقل القارئ بخياله ووجدانه إلى مشهد من المستقبل، إنه مشهد أولئك الأقوام الذين كذبوا برسالات الأنبياء تجبراً وعناداً من بعد ما تبين لهم الحق، وهم يعانون ويلات العذاب الشديد، إنه مشهد مليء بمعاني التهيب، حقيقٌ بكل من سمعه وعاشه في وجدانه أن يعود إلى فكره وعقله، وينتهي عن عناده وتجبره.

تعرض هذه الآيات بعض القضايا العقدية المتعلقة بالعذاب الذي يلاقيه أهل النار: أولها: أصناف عذاب الكفار: بعد أن ذكرت الآيات أن الخيبة بمعنى: عدم الفلاح، هي جزاء المكذبين في الدنيا، عقت بذكر بعض أصناف العذاب الذي يلاقونه في الآخرة، وهي:

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٣/٦٣٠، ومفاتيح الغيب، ١٩/٧٥.
(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط ١، ١٤٢٠هـ، ١/٩٢٣.
(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم، كتاب (الفتن وأشرط الساعة)، باب (اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج)، رقم/٢٨٨٠، ٤/٢١٠٧.

الصف الأول: في قوله تعالى: ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ﴾ [إبراهيم: ١٦] فدخل جهنم هي مصير المكذبين بالحق.

الصف الثاني: في قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ [إبراهيم: ١٦-١٧] ففي جو العذاب المهين في جهنم يطلب أولئك المكذبون الماء؛ ليخفف من حر عذابهم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٠] فيغاثون بماء وأي ماء! يغاثون بماء يكون سبباً في زيادة شقائهم ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَقَقًا﴾ [الكهف: ٢٩] ثم إن الواحد منهم لو أتى ليشرب هذا الماء فإنه ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ [إبراهيم: ١٧]؛ لأنه ﴿مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٦]، وهو ما يسيل من جلود أهل النار من القيح والنتن والقذارة، حتى إذا ما نفذ منه شيء إلى الجوف بعد إبطاء وكراهة في إساغته؛ بسبب مرارته وقذارة طعمه، فإن هذا النافذ ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ [الحج: ٢٠]، ﴿وَسَقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥].

الصف الثالث: في قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: ١٧] والمعنى: إن موجبات الموت أحاطت به من جميع الجهات، ومع ذلك فإنه لا يموت، فإنه ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [الحج: ٢٢]، وسيأتي تفصيل مسألة خلود الكفار في النار.

الصف الرابع: في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٧] وفي معنى هذا الصف وجهان:

الأول: أن المراد من العذاب الغليظ كونه دائماً غير منقطع. الثاني: أنه في كل وقت يستقبله يتلقى عذاباً أشد مما قبله^(١).

ثانيها: شمول العذاب للروح والجسد: يدل قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ [إبراهيم: ١٦-١٧] على أن العذاب للروح والجسد معاً، لأن

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٦/٥٤٧-٥٤٨، والكشاف، ٢/٥١٣، ومفاتيح الغيب، ١٩/٨١-٨٢، واللباب في علوم الكتاب، ١١/٣٥٨-٣٥٩.

التجرع والإساعة صفات لا تكون إلا للجسد، ولا فائدة من تعذيب الجسد إذا لم يكن فيه روح.

ثالثها: خلود الكفار في النار: يدل قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: ١٧] على خلود الكفار في النار، فعذابهم متصل، ليس فيه فتور ولا انقطاع، تحيط بهم أسباب الموت من كل جهة، لكنهم لا يموتون زيادةً لهم في العذاب. ٥
ومسألة خلود الكفار في النار مسألة دار حولها جدل كثير، اشتهرت بمسألة فناء النار، والخلاف فيها على قولين:

الأول: رأي جمهور المتكلمين من الأشاعرة والماتريدية والحنابلة والظاهرية والمعتزلة، قالوا: إن النار لا تفتنى ولا تبيد، وإن الكفار خالدون فيها^(١).

القول الثاني: رأي نسبه ابن تيمية وابن القيم وابن أبي العز الحنفي إلى جماعة من السلف، مفاده أن النار تفتنى، وبالتالي فالكفار ليسوا مخلدين في العذاب^(٢)، ويفهم من صنيع ابن تيمية في رسالته التي أفرد لها هذا الموضوع أنه يميل لهذا الرأي وإن لم يصرح؛ لأنه قام فيها بعرض الآراء، ثم ردَّ على من قال بفناء الجنة والنار كليهما، ثمَّ أورد أدلة القائلين بفناء النار فقط وكيفية الاستدلال بها دون أن يجيب عليها أو ينقدها، ثمَّ أورد أدلة القائلين ببقائها، وقام بنقدها، يفهم من صنيعه هذا ميله لرأي القائلين بفناء النار وبقاء الجنة. ١٥

(١) انظر: البغدادي، أصول الدين، دار زاهد القدسي، دط، ص ٢٣٨، وشرح المقاصد في علم الكلام، ٢/٢١٩، ولوامع الأنوار البهية، ٢/٢٣٢، والفصل في الملل والأهواء والنحل، ٤/٦٩، وشرح الأصول الخمسة، ص ٦٦٧.

(٢) انظر: ابن تيمية، الرد على من قال بفناء الجنة والنار وبيان الأقوال في ذلك، ت: محمد بن عبد الله السمهوري، دار بلنسية (الرياض)، ط ١، ١٤١٥هـ، ص ٥٢، وابن القيم، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، دار الكتب العلمية (بيروت)، دط، ص ٢٤٩، وشرح العقيدة الطحاوية، ص ٤٢٠، وقريب من هذا القول قول أبي الهذيل العلاف الذي قال: بانقطاع حركات أهل النار، وكذلك الجنة، لكنَّه رجع عن قوله ذلك. انظر: القاضي عبد الجبار، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ومباينتهم لسائر المخالفين، ت: فؤاد سيد، الدار التونسية للنشر (تونس)، ١٣٩٣هـ، الكتاب ضمن مجموعة: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص ٢٥٨، وأقرب منه قول الجهم بن صفوان الذي نقل عنه الأشعري قوله بفناء الجنة والنار ومن فيهما. انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ص ٥٤٢.

استدلَّ أصحاب القول الأول بالآيات والأحاديث التي تنفي الموت عن الكفار في النار، وتضيف الخلود إلى عذابهم، نحو: قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبَشَ الْأَمْصِيرُ﴾ [التغابن: ١٠]، وقوله صلى الله عليه وسلم: «يُجاء بالموت يوم القيامة، كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، فيُقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشربون، وينظرون، ويقولون: نعم هذا الموت. قال: ويقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ قال: فيشربون، وينظرون، ويقولون: نعم هذا الموت. قال: فيؤمرُ به، فيذبح، قال: ثم يُقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت. قال: ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩]، وأشار بيده إلى الدنيا»^(١).

واستدلَّ أصحاب القول الثاني بالآيات التي تحدد مدة زمنية للعذاب أو يرد فيها استثناء، وبالأخبار التي تصرح بخروج أهل النار منها، أو تلك التي تبين أن رحمة الله تعالى أعظم من غضبه^(٢)، نحو: قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلطَّاغِينَ مَابًا * لَا بُدَّ لَهَا فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [النبا: ٢١-٢٣]، وقوله تعالى: ﴿النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨]، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٦-١٠٧]، وقول عمر: «لو لبث أهل النار في النار عدد رمل عالٍ لكان لهم وقت يخرجون فيه»^(٣)، وقول عبد الله بن عمرو: «يأتي على جهنم زمان تخفق أبوابها، ليس فيها

(١) أخرجه البخاري، كتاب (التفسير)، باب (وأنذرهم يوم الحسرة)، رقم/٤٤٥٣، ١٧٦٠/٤، ومسلم، كتاب (الجنة وصفة نعيمها وأهلها)، باب (النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء)، رقم/٢٨٤٩، ٢١٨٨/٤.

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص ٤٢٠، وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ص ٢٥٣.

(٣) قال ابن حجر: «أخرجه عبد بن حميد في تفسيره من رواية الحسن عن عمر قوله، وهو منقطع ولفظه: لو لبث أهل النار في النار عدد رمل عالٍ لكان لهم يوم يخرجون فيه» فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٤٢٢/١١.

أحد»^(١)، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي»^(٢).

أجاب أصحاب الفريق الأول عن هذه الأدلة بأن ما ورد فيه الاستثناء خاص ببعض أهل النار، وهم عَصَاة وفسَّاق الأمة، أو أنَّ هذا الاستثناء غير معمول به؛ للتصريح في غيرها بتأييد عذاب أهل النار. وأجابوا عن النصوص التي يرد فيها تحديد مدة زمنية للعذاب كقوله تعالى: ﴿لَا يَشِينُ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [النبا: ٢٣] بأنَّ المراد بالأحقاب هنا: دهوراً متتابعة غير متناهية، والعرب يعبرون بهذا اللفظ وأمثاله عن الدوام. وأجابوا عن الأخبار التي تصرح بخروج أهل النار منها بأنَّ أكثرها لم يصح روايته، وما ثبتت صحته منها له تأويل صحيح، يمكن حملها عليه^(٣). وأمَّا ما ورد من الأخبار التي تبين أنَّ رحمة الله تعالى أعظم من غضبه بأنَّ رحمة الله تعالى لا تكون إلا لمستحقها، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

والذي يراه الباحث أنَّه لا يصح ترك ما هو صحيح صريح إلى ما هو -على فرض ثبوته- ظاهر مؤوَّل، وبالتالي لا فرق في الخلود بين أهل الجنة وأهل النار، ولكن في الوقت نفسه فإنَّ وجود قيد التأقيت أو التعليق على شرط في بعض النصوص القرآنية المتناولة لعذاب أهل النار تجعل في القلب شيئاً من الرجاء، أن يأتي حين من الدهر، تنالُ أهل النار رحمةً من رحمت الله تعالى، تؤدي إلى إيقاف العذاب عنهم.

(١) أخرجه البزار عن عبد الله بن عمرو موقوفاً، مسند البحر الزخار، ت: محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن ومكتبة العلوم والحكم (بيروت - المدينة)، ١٤٠٩هـ، مسند (عبد الله بن عمرو)، ٤٤٢/٦، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، عن أبي أمامة مرفوعاً، ٢٤٦/٨، وقال الهيثمي: «فيه جعفر بن الزبير، وهو ضعيف» انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ٢٩٥/١١، وقال السيوطي: «موضوع؛ جعفر هو ابن الزبير متروك» اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، دار الكتب العلمية (بيروت)، دط، ٣٨٨/٢.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب (التفسير)، باب (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين)، رقم/٧٠١٥، ٢٧١٢/٦.

(٣) انظر: الصنعاني، رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار، ت: ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي (بيروت)، دط، ص ٦٥-٩٠.

المقطع الرابع : قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ * وَجَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨-٣٠] يتناول هذا المقطع قضية التحذير من الكفر عموماً ومن الشرك خصوصاً، مستعملاً في التحذير أسلوب التهيب الذي له بالغ الأثر في المتلقين ٥ كما يرى علماء الإعلام، فقد أوضحوا أن «الافتراض الأساس هو أنه حينما يثار الخوف أو أي مشاعر أخرى غير سارة بشدة سواء بالتحذير اللفظي أو بمواجهة الفرد لعلامات الخطر بشكل مباشر، فهناك ما يدفع الفرد لتجنب أو الابتعاد عن الحالة العاطفية المؤلمة، وسوف يثابر في جهوده لتحقيق هذا حتى يتجنب الدلالات التي تبعث على الحزن بطريقة أو بأخرى»^(١)؛ لهذا جاءت قضية التنفير من الكفر والشرك مصحوبة بالتهديد والوعيد من خلال قوله تعالى : ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ [إبراهيم: ٢٩]، وقوله تعالى : ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [إبراهيم: ٣٠]. ١٠

والشرك الذي جاءت الآيات لتنفّر عنه يحتمل وجوهاً ثلاثة ذكرها الرازي :
الأول: جعلهم للأصنام حظاً فيما أنعم الله به عليهم، نحو قولهم: ﴿هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ- وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٦].

الثاني: شركهم بين الأصنام وبين خالق العالم في العبودية. ١٥
الثالث: تصريحهم بإثبات الشركاء لله، وهو قولهم في الحج: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك^(٢).

والذي يبدو أن الآيات تُنفّر عن الشرك مطلقاً بكافة معانيه بما يشمل هذه الوجوه الثلاثة وغيرها.

المقطع الخامس : قوله تعالى : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنِدْتُهُمْ هَوَاءً * وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ * وَسَكَتْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ

(١) الأسس العلمية لنظريات الإعلام، ص ٤٧١.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، ٩٧/١٩.

ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ * وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكَرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ * فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ * يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ وَتَعْشَى وُجُوهُهُمْ النَّارُ * لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿إِبْرَاهِيم: ٤٢-٥٢﴾ استنبط من هذه الآيات العديد من القضايا المتعلقة بالعقيدة:

أولها: عصمة الأنبياء: سبق الحديث غير مرة في البحث عن عصمة الأنبياء عن المعاصي والذنوب، وهنا استشكل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [إِبْرَاهِيم: ٤٢] مع ما ثبت للنبي من العصمة. ونص الاستشكال: كيف يليق بالرَّسُول صلوات الله وسلامه عليه أن يحسب الله عزَّ وجلَّ موصوفاً بالغفلة؟
أُجيب عليه من وجوه:

الأول: إنَّ المراد به التثيت على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله غافلاً ألبتة، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَاهًا آخَرَ﴾ [القصص: ٨٨].

الثاني: المقصود منه بيان أنه لو لم ينتقم لكان عدم الانتقام لأجل غفلته عن ذلك الظالم، ولما كان امتناع هذه الغفلة معلوماً لكل أحد، كان عدم الانتقام محالاً.

الثالث: إنَّ المراد: ولا تحسبه يعاملهم معاملة الغافل عمَّا يعملون، ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على الصغير والكبير.

الرابع: إنَّ هذا الخطاب، وإن كان خطاباً للنبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر إلا أنه خطاب للأمة^(١).

ثانيها: وجود يوم القيامة وحال منكره فيه: يدل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنَدْتُهُمْ هَوَاءً ﴿إِبْرَاهِيم: ٤٢-٤٣﴾ على وجود يوم القيامة، وعلى صفات

(١) انظر: اللباب في علوم الكتاب، ٤٠٥/١١-٤٠٦.

المنكرين له فيه، أمّا الدلالة على وجود القيامة فهو في قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢] فالمقصود منه التنبيه على أنه تعالى لو لم ينتقم للمظلوم من الظالم لزم أن يكون إما غافلاً عن ذلك الظالم أو عاجزاً عن الانتقام منه أو راضياً بذلك الظلم، ولما كانت الغفلة والعجز والرضا بالظلم محالاً على الله امتنع أن لا ينتقم للمظلوم من الظالم. ٥

ثم بين تعالى أنه إنما يؤخر عقاب الظالمين ليوم معلوم عنده، تكون صفاتهم فيه على النحو الآتي:

الصفة الأولى: أنه تشخص فيه الأبصار، وشخص البصر يدل على الحيرة والدهشة وسقوط القوة.

١٠ الصفة الثانية: أنهم يكونون مُهْطِعِينَ، وفي تفسير الإهطاع أقوال:

الأول: الإسراع، وعليه فالمعنى: أن الغالب من حال من يبقى بصره شاخصاً من شدة الخوف أن يبقى واقفاً، فبين الله تعالى أن حالهم بخلاف هذا المعتاد، فإنهم مع شخص أبصارهم يكونون مهطعين، أي: مسرعين نحو ذلك البلاء. الثاني: المهطع الذي ينظر في ذل وخشوع. الثالث: المهطع الساكت.

١٥ الصفة الثالثة: أنهم مُقْنَعُونَ رُؤُوسِهِمْ، والإقناع رفع الرأس والنظر في ذل وخشوع، فمُقْنَعُونَ رُؤُوسِهِمْ أي: رافعو رؤوسهم، والمعنى: أن المعتاد فيمن يشاهد البلاء أنه يطرق رأسه عنه؛ لكي لا يراه، فبين تعالى أن حالهم بخلاف هذا المعتاد، وأنهم يرفعون رؤوسهم.

الصفة الرابعة: أنهم لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ، والمراد من هذه الصفة: دوام ذلك الشخص، فقوله ﴿تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢] لا يفيد كون هذا الشخص دائماً، وقوله: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤٣] يفيد دوام هذا الشخص، وذلك يدل على دوام تلك الحيرة والدهشة في قلوبهم.

٢٥ الصفة الخامسة: أن أَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ، والهواء: الخلاء الذي لم تشغله الأجرام، ثم جُعِلَ وصفاً، فقيل: قلب فلان هواء إذا كان خالياً لا قوة فيه، والمراد: بيان أن قلوب الكفار خالية يوم القيامة عن جميع الخواطر والأفكار؛ لعظم ما ينالهم من الحيرة، ومن كل رجاء وأمل؛ لما تحققوه من العقاب، ومن كل سرور؛ لكثرة ما فيه من الحزن.

وقد اختلفوا في وقت حصول هذه الأوصاف، ف قيل: إنها عند المحاسبة بدليل: أنه تعالى إنما ذكر هذه الصفات عقب وصف ذلك اليوم بأنه يوم يقوم الحساب، وقيل: إنها تحصل عند ما يتميز فريق عن فريق، ويذهب السعداء إلى الجنة والأشقياء إلى النار، وقيل: بل يحصل عند إجابة الداعي والقيام من القبور، والأول أولى للدليل الذي ذكر، والله تعالى أعلم^(١).

ثالثها: عدم إخلاف الله وعده: استدل بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلَفًا وَعَدِهِ رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ [إبراهيم: ٤٧] على أن الله تعالى لا يخلف وعده، فقد وعد الله تعالى رسله بالنصر والتمكين، فقال غير مرة في كتابه العزيز: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]، وقال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١] فإن أخلف وعده كان ذلك مستلزماً للنقص في حقه سبحانه وتعالى، وهذا بخلاف الوعيد، فإن إخلاف الوعيد لا يُذم؛ بل يُمدح، فالله تعالى يجوز عليه إخلاف الوعيد، ولا يجوز عليه إخلاف الوعد، والفرق بينهما: أن الوعيد حقه، وإخلافه عفو وهبة، وإسقاط ذلك موجب كرمه وإحسانه، أما الوعد فهو حق ألزم به نفسه بمقتضى كرمه، وإخلافه يستلزم نقصاً يتنزه عنه تعالى^(٢)، وخالف في ذلك بعض المعتزلة (وهم البغدادية) الذين ذهبوا إلى أن الله تعالى لا يخلف وعيده؛ لأنه لو أخلفه لأدَّى ذلك إلى الكذب في إخباره تعالى^(٣).

رابعها: تبدل السموات والأرض: من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨] فإن التبدل يحتمل وجهين:

الأول: أن تكون الذات باقية، وتبدل الصفة بصفة أخرى، كما تقول: بدلت الحلقة خاتماً، إذا أذبتها، وسويتها خاتماً، فنقلتها من شكل إلى شكل آخر، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ يَبْدَلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠].

(١) انظر: مفاتيح الغيب، ١٩/١١١-١١٢.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، ١٩/١١٥، ولوامع الأنوار البهية، ١/٣٧٠.

(٣) انظر: شرح الأصول الخمسة، ص ٦٤٤-٦٤٥.

الثاني: أن تُفنى الذات، ويؤتى بذاتٍ أخرى، كما تقول: بدلتُ الدرّاهمَ دنانيراً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾ [سبأ: ١٦]. وإذا عرفت أن لفظ (التبديل) محتملٌ للوجهين، فإنَّ في تبديل السموات والأرض المذكور في الآية قولين:

الأول: تبديل الصفات، فتبديل الأرض، يكون بنسف جبالها، وتفجير أنهارها، وتسويتها، بحيث ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٧]، عن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة، يتكفؤها الجبار بيده، كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر، نزلاً لأهل الجنة»^(١)، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم: «ثم يبدل السماء والأرض غير الأرض، ثم دحاهما، ثم يلفهما، فقال ثلاثاً: أنا الجبار، ألا من كان لي شريكاً فليأت، ألا من كان لي شريكاً فليأت، فلا يأتيه أحد، فيسطحها، ويسطحها، ويمدها مد الأديم العكاظي، لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً»^(٢). وتبدل السموات بانتثار كواكبها وانفطارها، وتكوير شمسها، وخسوف قمرها، فتكون تارة كالمهل وتارة كالدهان^(٣).

والقول الثاني: تبديل الذات، روي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨] قال: «أرض بيضاء، لم يسفك عليها دم، أو لم يعمل عليها خطيئة»^(٤).

(١) أخرجه البخاري، كتاب (الرقاق)، باب (يقبض الله الأرض يوم القيامة)، رقم / ٦١٥٥، ٢٣٨٩/٥، ومسلم، كتاب (صفة القيامة والجنة والنار)، باب (نزل أهل الجنة)، رقم / ٢٧٩٢، ٢١٥١/٤.

(٢) أخرجه إسحاق بن راهويه، المسند، ت: عبد الغفور البلوشي، مكتبة الإيمان (المدينة المنورة)، ط ١، ١٤١٢هـ، (مسند أبي هريرة)، ٨٨/١. ولم أجد قولاً لأهل العلم في الحكم عليه، وفي إسناده مجهول.

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، ١١٥/١٩، واللباب في علوم الكتاب، ٤١٥/١١.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب (صفة القيامة والجنة والنار)، باب (في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة)، رقم / ٢٧٩١، ٢١٥٠/٤.

أَمَّا عَنْ زَمَانِ هَذَا التَّبْدِيلِ ، فَقَدْ وَرَدَ فِيهِ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨] فَأَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ : «عَلَى الصِّرَاطِ»^(١).

خامسها : شمول العذاب للروح والجسد : يدل قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيَوْمَ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنِدُتْهُمْ هَوَاءٌ * [إبراهيم: ٤٢-٤٣] وقوله تعالى : ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ * سَرَّابِلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ * [إبراهيم: ٤٨-٤٩] على أَنَّ العذاب يكون للروح والجسد معاً؛ وذلك لأنَّ شخوص الأبصار، والرؤوس الذليلة، والأفئدة الفارغة، والأعضاء المقيدة بالأغلال، والوجوه التي تغشاها النار، كل هذه الصفات لا تكون إلا للجسد، ولا فائدة من تعذيب الجسد إذا لم يكن فيه روح؛ فثبت بذلك أَنَّ العذاب يكون للروح والجسد معاً.

سادسها : وجوب توحيد الله تعالى : قوله تعالى : ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم: ٥٢] «هذه الآيات مشعرة بأن التذكير بهذه المواعظ والنصائح يوجب الوقوف على التوحيد، والإقبال على العمل الصالح، والوجه فيه أن المرء إذا سمع هذه التخويفات والتحذيرات عظم خوفه، واشتغل بالنظر والتأمل، فوصل إلى معرفة التوحيد والنبوة، واشتغل بالأعمال الصالحة»^(٢).

(١) أخرجه البزار في المسند، (مسند عبد الله بن مسعود)، رقم/١٨٥٩، /٥/٢٤٧، وقال: «هذا الحديث لا نعلم رواه عن أبي إسحاق عن عمرو عن عبد الله مرفوعاً إلا جرير بن أيوب، وجرير فليس بالقوي». وقال الهيثمي: «فيه جرير بن أيوب، وهو مُجْمَعٌ عَلَى ضَعْفِهِ». مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ٢٧٤/١١.

(٢) مفاتيح الغيب، ١٩/١١٩.

المطلب الثاني : أسلوب التكرار والمضمون العقدي الذي عرضه

على خلاف أسلوب الترغيب والترهيب، فإن أسلوب التكرار أقل الأساليب المستخدمة في سورة إبراهيم، فلا يوجد إلا في موضع واحد، هو قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ النَّهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤] حيث كرر الفعل (سَخَّرَ) أربع مرات في معرض بيان قدرة الله تعالى وإنعامه على العباد، ولهذا التكرار أثره في ترسيخ المعنى المكرر في النفس، وتحويله إلى حقيقة ثابتة، وأما عن الدلالة العقدية التي تتضمنها هذه الآيات، فهي توجيه النظر إلى مظاهر قدرة الله تعالى في الكون، فتناولت قدرته على: خَلْقِ السموات والأرض، وإنزال المطر؛ لإرواء الأرض وإنبات الزروع والثمار، وإلهام الإنسان لصناعة السفن التي تجري البحار والأنهار بمشيئته تعالى، وإجراء الأنهار العذبة التي يشرب منها الناس، ويروون أنعامهم منها، وجَعَلَ الشمس والقمر سائرين على نظام دائم، وحركة مستمرة، بحيث ينفعا الناس، ويصلحوا حياتهم، وجَعَلَ الليل ليسترريح فيه الناس من عناء الأعمال، والنهار للسعي في تحصيل الرزق، وجَعَلَهُمَا -الليل والنهار- يتعاقبان في أدق نظام، هذه النعم وغيرها كثير، مما يعجز الإنسان عن إحصائه، ما هي إلا دلالات على كمال علم وقدرته من خلق هذه الأشياء كلها، مما يُحْتَمُّ على الإنسان ضرورة الإيمان به، وإفراده بالعبودية، ووصفه بكل صفات الكمال، وتنزيهه عن كل نقص لا يليق به تعالى.

المبحث الثاني : الأساليب العقلية ومضمونها العقدي في سورة إبراهيم

المطلب الأول : أسلوب الحوار والمضمون العقدي الذي عرضه

يأتي أسلوب الحوار في عشر آيات من سورة إبراهيم الاثنتين والخمسين ، هذه الآيات هي : قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ * قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَثُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَمَا لَنَا أَلَّا تَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنْصَبِرَ عَلَى مَا أَذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ * وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٩-١٤] ، وقوله تعالى : ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ * وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٢١-٢٢] ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ * وَسَكَتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴾ [إبراهيم: ٤٤-٤٥] ، وقد عُرِضَتْ آيات المقطع الأخير عند الحديث عن أسلوب الترغيب والترهيب ، وفيما يأتي يعرض البحث للقضايا العقدية التي تتضمنها آيات المقطعين الأولين .

المقطع الأول : قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا

إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ * قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخَّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنْصَبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ * وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدٌ ﴿إبراهيم: ٩-١٤﴾ في هذه الآيات الكريمة التي تعرض صورة من صور الحوار الممزوج بالجدل بين الرسل وأقوامهم بعض القضايا المتصلة بالعقيدة: ١٠

أولها: شبه حول النبوة وردّها: يعرض الحوار شبهاً ثلاثاً للأقوام حول النبوة، وبالمقابل يجيب الأنبياء عنها، ويفندونها:

الشبهة الأولى: من قول الله تعالى حكاية عنهم: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ ﴿إبراهيم: ١٠﴾ وشرحها قولهم: إنّ الأشخاص الإنسانية متساوية في تمام الماهية، فيمتنع أن يبلغ التفاوت بين تلك الأشخاص إلى حدٍّ يكون الواحد منهم رسولاً من عند الله، مطلعاً على الغيب، مخالطاً لزمرة الملائكة، والباقون غافلون عن كل هذه الأحوال. ولعلمهم كانوا يقولون أيضاً: إن كنت قد فارقتنا في هذه الأحوال العالية وجب أن تفارقنا في الأحوال الخسيسة، وفي الحاجة إلى الأكل والشرب والحدث، وغير ذلك من الأحوال البشرية. ١٥

الشبهة الثانية: من قول الله تعالى حكاية عنهم: ﴿تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ ﴿إبراهيم: ١٠﴾ وهي التمسك بطريقة التقليد، حيث إنهم وجدوا آباءهم وعلماءهم وكبراءهم مطبقين متفقين على عبادة الأوثان، ويبعد أن يقال: إن أولئك القدماء على كثرتهم وقوة خواطرهم لم يعرفوا بطلان هذا الدين، وأن الرجل الواحد عرف فسادهم، ووقف على بطلانه. ٢٠

الشبهة الثالثة: من قول الله تعالى حكاية عنهم: ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ ﴿إبراهيم: ١٠﴾ فقالوا: إنّ المعجز لا يدل على الصدق أصلاً، وإن كانوا سلموا على أن المعجز يدل على ٢٥

الصدق إلا أنهم طعنوا في الذي جاء به أولئك الرسل، وزعموا أنها أمور معتادة، وأنها ليست من باب المعجزات الخارجة عن قدرة البشر.

ولمّا حكى الله تعالى عن الكفار شبهاتهم في الطعن في النبوة حكى عن الأنبياء عليهم السلام جوابهم عنها:

جواب الشبهة الأولى: إنّ الأنبياء سلموا أنّ الأمر كذلك، لكنهم بينوا أن التماثل في البشرية والإنسانية لا يمنع من اختصاص بعض البشر بمنصب النبوة؛ لأن هذا المنصب منصب يمنّه الله به على من يشاء من عباده.

جواب الشبهة الثانية: فهو عين الجواب المذكور عن الشبهة الأولى؛ لأن التمييز بين الحق والباطل والصدق والكذب عطية من الله تعالى وفضل منه، ولا يبعد أن يخص بعض عباده بهذه العطية، وأن يحرم الجمع العظيم منها.

جواب الشبهة الثالثة: جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ١١] وشرحه: أن المعجزة التي جئنا بها، وتمسكنا بها حجة قاطعة، ودليل تام، وأما الأشياء التي طلبتموها، فهي أمور زائدة، والحكم فيها لله تعالى، فإن خلقها وأظهرها فله الفضل، وإن لم يخلقها فله العدل، ولا يحكم عليه بعد ظهور قدر الكفاية^(١).

ثانيها: عصمة الأنبياء عن الكفر: استشكل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [إبراهيم: ١٣] مع ما هو ثابت من عصمة الأنبياء عن الكفر قبل البعثة وبعدها^(٢)، فقليل: إن قوله: ﴿أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [إبراهيم: ١٣] يوهم أنهم كانوا على ملتهم في أول الأمر حتى يعودوا فيها مرة أخرى، فأجيب من وجوه:

الأول: أن أولئك الأنبياء عليهم السلام إنما نشؤوا في تلك البلاد، وكانوا من تلك القبائل، وهم في أول الأمر لم يظهروا المخالفة مع أولئك الكفار؛ بل كانوا في ظاهر الأمر معهم، فالقوم ظنوا لهذا السبب أنهم كانوا في أول الأمر على دينهم، وطلبوا منهم العود فيه. الثاني: أن هذا حكاية كلام الكفار، ولا يجب في كل ما قالوه أن يكونوا صادقين فيه، فلعلهم توهموا ذلك مع أنه ما كان الأمر كما توهموه.

(١) انظر: مفاتيح الغيب، ٧٥-٧٧، واللباب في علوم الكتاب، ٣٥٢/١١-٣٥٣.

(٢) انظر: شرح المقاصد في علم الكلام، ١٩٣/٢، ولوامع الأنوار البهية، ٣٠٥/٢.

الثالث: لعل الخطاب وإن كان في الظاهر مع الرسل إلا أن المقصود بهذا الخطاب أتباعهم وأصحابهم، ولا بأس أن يقال: إنهم كانوا قبل ذلك الوقت على دين أولئك الكفار.

الرابع: أن العود يأتي بمعنى الصيرورة في كلام العرب.

الخامس: لعل أولئك الأنبياء كانوا قبل إرسالهم على ملة من الملل، ثم إنه تعالى أوحى إليهم بنسخ تلك الملة، وأمرهم بشريعة أخرى، وبقي الأقوام على تلك الشريعة التي صارت منسوخة مصرين على سبيل الكفر، وعلى هذا التقدير فلا يبعد أن يطلبوا من الأنبياء أن يعودوا إلى تلك الملة.

السادس: لا يبعد أن يكون المعنى أو لتعودن في ملتنا أي: إلى ما كنتم عليه قبل إدعاء الرسالة من السكوت عن ذكر معائب ديننا، وعدم التعرض له بالطعن والقدح^(١).

المقطع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَنُونَ عَلَيْنَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ * وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢١-٢٢] هذا المقطع عرض لمشهد من أعجب مشاهد القيامة، وأحفلها بالحركة والانفعال إنه مشهد الحوار بين الضعفاء والمستكبرين، وبين الشيطان والمستكبرين والضعفاء جميعاً.

أمّا الشق الأول من الحوار، فهو حوار بين الضعفاء والمستكبرين، الضعفاء هم الذين تنازلوا عن أخص خصائص الإنسان الكريم على الله، حين تنازلوا عن حريتهم الشخصية في التفكير والاعتقاد والسلوك، وجعلوا أنفسهم تبعاً للمستكبرين الطغاة، ودانوا للعبيد من دون الله تعالى، والضعف ليس عذراً؛ بل هو الجريمة، فالله تعالى لا يريد لأحد أن يكون ضعيفاً، وهو يدعو الناس كلهم إلى العزة، العزة بالدينونة لله وحده، ولا يريد لأحد أن ينزل عن نصيبه في الحرية؛ إذ هي مناط تكليفه وتكريمه.

(١) انظر: الكشف، ٥١١/٢، ومفاتيح الغيب، ٧٨/١٩-٧٩، واللباب في علوم الكتاب، ٣٥٤/١١-

والقوة المادية -كائنة ما كانت- لا تملك أن تستعبد إنساناً يريد الحرية، ويستمسك بكرامته الآدمية، فقصارى ما تملكه تلك القوة أن تملك الجسد، تكبله وتعذبه وتذله، أما الروح والعقل فلا يملك أحد حبسها ولا استذلالها، إلا أن يسلمها صاحبها للحبس والإذلال! فمن ذا الذي يملك أن يجعل أولئك الضعفاء تبعاً للمستكبرين في العقيدة والسلوك؟ ومن ذا الذي يملك أن يجعل أولئك الضعفاء يدينون لغير الله، والله هو خالقهم ورازقهم وكافلهم دون سواه؟ لا أحد إلا أنفسهم الضعيفة، فهم ضعفاء لا لأنهم أقل قوة مادية من الطغاة، ولا لأنهم أقل جاهاً أو مالاً أو ... كلا، إن هذه كلها أعراض خارجية لا تعد بذاتها ضعفاً يلحق صفة الضعف بالضعفاء، إنما هم ضعفاء؛ لأن الضعف في أرواحهم وقلوبهم وضمائرهم، وفي اعتزازهم بأخص خصائص الإنسان.

يقف هؤلاء الضعفاء في الآخرة في ضعفهم وتبعيتهم للذين استكبروا، يسألونهم: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْتُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [إبراهيم: ٢١]. يرد الذين استكبروا على السؤال: ﴿قَالُوا: لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١] فَعَلَّامَ تَلُومُونَنَا، ونحن وإياكم في طريق واحد إلى مصير واحد؟ إننا لم نهتد ونضلكم، ولو هدانا الله لقدناكم إلى الهدى معنا، كما قدناكم حين ضللنا إلى الضلال، وهم ينسبون هداهم وضلالهم إلى الله، فيعترفون الساعة بقدرته، وكانوا من قبل ينكرونها وينكرونها، ويستطيلون على الضعفاء استطالة من لا يحسب حساباً لقدرة القاهر الجبار. وهم إنما يتهربون من تبعة الضلال والإضلال بإرجاع الأمر لله تعالى، والله تعالى لا يأمر بالضلال، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ لَكُمْ شَيْئًا فَلَا يُغْنِي عَنْكُمْ كُفُّكُمْ أَلَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨] ثم هم يؤنبون الضعفاء من طرف خفي، فيعلمونهم بأن لا جدوى من الجزع، كما أنه لا فائدة من الصبر، فقد حق العذاب، ولا رادَّ له من صبرٍ أو جزعٍ، وفات الأوان الذي كان الجزع فيه من العذاب يجدي، فيرد الضالين إلى الهدى، وكان الصبر فيه على الشدة يجدي، فتدركهم رحمة الله تعالى، لقد انتهى كل شيء، ولم يعد هنالك مفر ولا محيص: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١] (١).

(١) انظر: في ظلال القرآن، ٢٠٩٦/٤-٢٠٩٧.

أمّا الشق الثاني فهو مشهد الحوار بين الشيطان والمتكبرين والضعفاء، وفيه تظهر شخصية الشيطان لتبدو في هذا الحوار على أتمها كما بدت شخصية الضعفاء وشخصية المستكبرين في المشهد السابق.

٥ إنه الشيطان الذي وسوس لهم، وصدهم عن استماع الدعوة، يقول لهم بعد فوات الأوان: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢٢] ثم يزيدهم عذاباً بتملصه من المسؤولية، فهم الذين استجابوا له، وليس له عليهم من سلطان، سوى أنهم تخلوا عن شخصياتهم، ونسوا ما بينهم وبين الشيطان من عدااء قديم، فاستجابوا لدعوته الباطلة، وتركوا دعوة الحق من الله: ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢] ثم يؤنبهم، ويدعوهم لتأنيب أنفسهم، يؤنبهم على أن أطاعوه: ﴿فَلَا تُلْؤُمُونِي وَلُؤْمُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢٢] ثم يظهر البراءة منهم، وهو الذي وعدهم من قبل ومناهم، ووسوس لهم أن لا غالب لهم، أما الساعة فما هو بملبيهم إذا صرخوا، كما أنهم لن يلبوه إذا صرخ: ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، ثم يبرأ من إشراكهم به، ويكفر بهذا الإشراك: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، ثم ينهي خطبته الشيطانية بالقاصمة يصبها على أوليائه: ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢]. ١٥

هذا ويمكن أن يستنبط من ثنايا هذا الحوار الوصفي الذي تجري أحداثه في دركات العذاب في مشهده، بعض القضايا العقدية:

٢٠ أولها: معنى البروز لله تعالى: من قوله تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [إبراهيم: ٢١] والبروز في اللغة: بمعنى الظهور بعد الخفاء، وهذا في حق الله محال، فلا بد من التأويل، وهو من وجوه:

الأول: أنهم كانوا يستترون من الغير عند ارتكاب الفواحش، ويظنون أن ذلك يخفى على الله تعالى، فإذا كان يوم القيامة انكشفوا عند الله تعالى، وعلموا أن الله تعالى لا يخفى عليه خافية.

الثاني: أنهم خرجوا من قبورهم، فبرزوا لحساب الله تعالى^(١).

(١) انظر: اللباب في علوم الكتاب، ٣٦٧/١١.

ثانيها: مصير أولاد الكفار: يدل قوله تعالى: ﴿فَلَا تُلْمُوا نِي وَكُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾

[إبراهيم: ٢٢] على أن الإنسان لا يجوز ذمه وعقابه بسبب فعل الغير، وعند هذا يظهر أنه لا يجوز عقاب أولاد الكفار بسبب كفر آبائهم، وهذا قول المعتزلة والمحققين من أهل السنة على ما ذكر النووي^(١)، والأكثر من أهل السنة قالوا هم في النار؛ لأنهم كفار حكماً، فيكونون تبعاً لآبائهم^(٢).

والذي يراه الباحث راجحاً قول المعتزلة ومحققي أهل السنة؛ لأن نصوص القرآن الكريم تدل على أن الإنسان مسؤول عما كسبه بنفسه، ولا يسأل عما كسبه غيره، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤].

ثالثها: رفض التبعية في العقيدة: يُستنبط من هذا الحوار سواء الذي دار بين الشيطان والمستكبرين والضعفاء، أو ذلك الذي دار بين المستكبرين والضعفاء أنفسهم، يستنبط وجوب التأكيد على رفض التبعية في العقيدة، وضرورة الاستقلال الذاتي في تحصيل القناعة بما تعتقده النفس؛ لأن أي تبرير للتبعية في أي زاوية من زوايا العلاقات العامة والخاصة، لا يمنع من تحمل المسؤولية، ومواجهة نتائجها في الدنيا والآخرة. كذلك فإن العقيدة المنحرفة لا تصنع الوحدة الروحية؛ إذ الارتباط بين الأفراد والجماعات على أساس العقيدة المنحرفة أو السلوك المنحرف لا يصنع الوحدة الروحية، أو الرابطة المصيرية بينهم، والتي تدفعهم للتضامن والمشاركة في تحمل نتائج المسؤولية دون تأفف أو تذمر، ولعل السبب في ذلك أن الانحراف لا يخضع للفكر غالباً؛ بل للمصلحة الذاتية وللعلاقات العاطفية، مما يدفع الإنسان إلى التخلي عن صاحبه عند أي إشارة خطر تهدده، أو عند الوقوع في المصير السيئ، فتكون النتيجة -كما ظهر في الحوارين السابقين- الملاعنة والتسابق إلى التهرب من المسؤولية، وإلقائها على الطرف الآخر^(٣).

(١) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ٢٠٨/١٦.

(٢) انظر: شرح المقاصد في علم الكلام، ٢٢٨/٢.

(٣) انظر: الحوار في القرآن الكريم، ص ٣٦٣-٣٦٤.

المطلب الثاني : أسلوب الجدل والمضمون العقدي الذي عرضه

في سورة إبراهيم أربع إشارات إلى استخدام أسلوب الجدل جاءت في سبع آيات، هي قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم: ١٠-١١]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم: ١٩-٢٠]، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْيَوْمَ وَاللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤]، وفيما يأتي شرح الباحث هذه الإشارات الجدلية، ويوضح ما تضمنته من قضايا عقدية:

الإشارة الأولى : التقرير : وذلك بالاستفهام عن المقدمات الجلية الواضحة التي يمنع جلاؤها ووضوحها أن يجحدها أحدٌ أو يماري فيها، كما في قوله تعالى على لسان لرسول مستخدمين مسلك التقرير في جدالهم لأقوامهم: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ؟﴾ [إبراهيم: ١٠] فوجود الله تعالى لا يحتمل الشك، ومن هنا ذهب بعض المتكلمين -كالغزالي والشهرستاني الأشعريين وأبو المعين النسفي الماتريدي- إلى أن الفطرة شاهدة بوجود الصانع المختار قبل الوقوف على الدلائل الدقيقة^(١)، يقول الشهرستاني: «إنَّ الفطرة السليمة الإنسانية شهدت بضرورة فطرتها، وبديهة فكرتها على صانع حكيم عالم قدير ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]، ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]، وإن هم غفلوا عن هذه الفطرة في حال السراء، فلا شك أنهم يلودون إليه في

(١) انظر: إحياء علوم الدين، ٣٢١/٤، والشهرستاني، نهاية الإقدام في علم الكلام، ت: الفرد جيوم، دط، ص ١٢٤-١٢٥، والنسفي، بحر الكلام، مطبعة كردستان العلمية (مصر)، ١٣٢٩هـ، ص ١٠-١١.

حال الضراء ﴿دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [يونس: ٢٢]، ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ﴾ [الإسراء: ٦٧]؛ ولهذا لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع، وإنما ورد بمعرفة التوحيد، ونفي الشريك، «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(١)؛ ولهذا جُعِلَ محل النزاع بين الرسل وبين الخلق في التوحيد ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾ [غافر: ١٢]»^(٢).

الإشارة الثانية: التسليم الجدلي: حيث أن الأقوام في معرض حوارهم مع الرسل طرحوا إشكالات حول النبوة: ﴿قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠] مفاده: إنكم يا من تدعون النبوة متساوون معنا في تمام البشرية، فيمتنع أن يبلغ التفاوت بيننا وبينكم إلى حد يكون الواحد منكم رسولاً من عند الله تعالى، مخالطاً لزمرة الملائكة، ونحن غافلون عن كل هذه الأحوال.

فأجاب الأنبياء على هذا الإشكال مستخدمين الطريقة الجدلية في مجارة الخصم، والتسليم ببعض مقدماته، واستدراجه حتى يقع في عثرة، فينكشف زيف دعواه، فقالوا: ﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم: ١١] فالرسل في جدالهم لقومهم يجارونهم في دعواهم، فيعترفون لهم بكونهم بشراً مثلهم، فكأنهم -حسب فهم قومهم- قد سلّموا انتفاء الرسالة عن أنفسهم، وليس هذا مراد الرسل؛ بل هو من قبيل مجارة الخصم ليعثر، فكأنهم قالوا: ما ادعيتم من كوننا بشراً حقاً لا ننكره؛ ولكن هذا التماثل في البشرية والإنسانية لا يمنع من اختصاص بعض البشر بمنصب النبوة؛ لأن هذا المنصب منصب يمين الله به على من يشاء من عباده^(٣).

وقد استدلل المتكلمون بقوله تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم: ١١] على أن النبوة غير مكتسبة، فالنبوة عطية من الله تعالى يهبها لكل من يشاء من عباده، ولا يتوقف حصولها على امتياز ذلك الإنسان عن

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري، كتاب (الزكاة)، باب (وجوب الزكاة)، رقم/١٣٣٥، ٥٠٧/٢، ومسلم، كتاب (الإيمان)، باب (الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله...)، رقم/٣٢، ٥١/١.

(٢) نهاية الإقدام في علم الكلام، ص ١٢٤-١٢٥.

(٣) انظر: الكشف، ٥١٠/٢، ومفاتيح الغيب، ٧٥/١٩-٧٧، واللباب في علوم الكتاب، ٣٥٢/١١.

سائر الناس بالإشراقات النفسية والقوى فوق العادية، فالآية تبين أن حصول النبوة ليس إلا بمحض المنة من الله تعالى، والعطية منه^(١).

والمخالف في هذه المسألة هم الفلاسفة الذين جوزوا اكتساب النبوة، فقالوا: إنَّ مَنْ لازم الخلوة والعبادة، وداوم على المراقبة، وتناول الحلال، وأخلى نفسه من الشواغل العائقة عن المشاهدة، بعد كمال ظاهره وباطنه بالتهذيب والرياضة انصقلت مرآة باطنه، وفتحت بصيرة لبه، وتهياً لما لا يتهيأ له غيره من التحلي بالنبوة؛ لأن النبوة عندهم عبارة عن اجتماع ثلاث خواص في الإنسان: أولها: الاطلاع على المغيبات؛ لصفاء جوهر نفسه، وشدة اتصاله بالروحانيات العالية، من غير سابقة تعلم ولا تعليم. ثانيها: ظهور خوارق العادات. ثالثها: مشاهدة الملائكة على صور متخيلة، وسماع كلام الله تعالى^(٢).

والذي يفهم من كلام الرازي أن فلاسفة الإسلام لم يقولوا بكون النبوة مكتسبة مطلقاً، وإنما يقولون: يجب أن يكون النبي مكتسباً لصفات هي شرطٌ لاختصاصه النبوة من الله تعالى بعد أن تتحقق فيه، يقول الرازي عند تعليقه على الآية محل البحث: «حكماء الإسلام قالوا: إن الإنسان ما لم يكن في نفسه وبدنه مخصوصاً بخواص شريفة علوية قدسية فإنه يمتنع عقلاً حصول صفة النبوة له. وأما الظاهريون من أهل السنة والجماعة، فقد زعموا أن حصول النبوة عطية من الله تعالى، يهبها لكل من يشاء من عباده، ولا يتوقف حصولها على امتياز ذلك الإنسان عن سائر الناس بمزيد إشراق نفساني وقوة قدسية»^(٣)، ثم ساق جوابهم على استدلال المتكلمين بالآية بأن الأنبياء لم يذكروا فضائلهم النفسية والجسدية تواضعاً منهم، واقتصروا على قولهم: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم: ١١] بالنبوة؛ لأنه قد عُلِمَ أنه تعالى لا يخصصهم بتلك الكرامات إلا وهم موصوفون بالفضائل التي لأجلها استوجبوا ذلك التخصيص، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]^(٤).

(١) انظر: تحفة المريد على جوهره التوحيد، ص ٢١١.

(٢) انظر: المواقف في علم الكلام مع شرحها، ٣/٣٣٠، ولوامع الأنوار البهية، ٢/٢٦٨.

(٣) مفاتيح الغيب، ١٩/٧٦.

(٤) انظر: المرجع السابق، ١٩/٧٦.

الإشارة الثالثة: قياس الأولى: في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ يَاشَأُ يَذْهَبِكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم: ٢٠-١٩] فبعد أن أوضح الله تعالى عظيم قدرته فهو الذي خلق السموات والأرض وما فيهما من مخلوقات بديعة الصنع، خاطب الكفار المشككون بقدرته، المكذبون برسالاته: ﴿إِنْ يَشَأُ يَذْهَبِكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٩] والمعنى: إن من كان قادراً على خلق السموات والأرض بالحق، فبأن يقدر على إفناء قوم وإماتتهم، وعلى إيجاد آخرين وإحيائهم كان أولى؛ لأن القادر على الأصعب الأعظم يكون بالبداية قادراً على الأسهل الأضعف من باب أولى^(١). وهذه الآيات بيان لتمادي الكفار في الضلال، وعظيم خطئهم في الكفر بالله تعالى؛ لوضوح آياته الشاهدة له، الدالة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة، وأنه هو الحقيق بأن يعبد، ويخاف عقابه، ويرجي ثوابه في دار الجزاء^(٢).

الإشارة الرابعة: التوجيه للنظر في الملكوت: في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُم مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤] وذلك من خلال الحض على النظر والتفكير في الفعل المعجز والتدبير الحكيم الذي يدل العقل، ويقوده إلى الإقرار بالفاعل الحكيم، والخالق المدبر، ففي هذه الآيات يوجه الباري سبحانه وتعالى النظر إلى مظاهر قدرته في الكون، فتناولت قدرته على: خلق السموات والأرض، وإنزال المطر، وإلهام الإنسان لصناعة السفن التي تجري البحار والأنهار بمشيئته تعالى، وإجراء الأنهار، وجعل الشمس والقمر سائرين على نظام دائم، وحركة مستمرة، بما ينفع الناس، ويصلح حياتهم، وتسخير الليل والنهار بما يتلاءم مع حياتهم، هذه النعم وغيرها كثير مما يعجز الإنسان عن إحصائه ما هي إلا دلالات على كمال علم وقدرته من خلق هذه الأشياء كلها، فكيف يُشرك بعبادته؟ وكيف يُنسب إليه الصاحبة والولد والبنت؟

(١) انظر: المرجع السابق، ٦٣/١٩.

(٢) انظر: الكشف، ٥١٤/٢.

المبحث الثالث : الأساليب الفنية ومضمونها العقدي في سورة إبراهيم

المطلب الأول : أسلوب التمثيل والمضمون العقدي الذي عرضه

يأتي أسلوب التمثيل في ست آيات من سورة إبراهيم الاثنتين والخمسين ، هذه الآيات هي : قوله تعالى : ﴿الرَّكَابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١] ، وقوله تعالى : ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ * مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٧-١٨] ، وقوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٦] وفيما يأتي عرض الباحث القضايا العقدية المتضمنة في الآيات التي لم يأتي عرضها في الأساليب السابقة:

المقطع الأول : قوله تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨] ١٥
تعالج هذه الآية قضية عدم استفادة الكفار من أعمالهم يوم القيامة ، وهذه الأعمال هي أولاً: أعمال البر كالصدقة وصلة الرحم وبر الوالدين وإطعام الجائع ، وثانياً: تلك الأعمال التي ظنوها أعمال بر كعبادتهم للأصنام ، وما تكلفوه من كفرهم الذي ظنوه إيماناً وطريقاً إلى الخلاص. أما الأولى: فلأنها تصير محبطة باطلة؛ بسبب كفرهم ، ولولا كفرهم لانتفعوا بها، وأما الثانية: فلأنها باطلة في حد ذاتها؛ لقيامها على أساس من الضلال^(١).

٢٠ وقد سيقّت هذه القضية بطريقة رمزية باستخدام التمثيل من خلال مشهد الرماد الذي تشتد به الريح في يوم عاصف مشهود معهود ، يجسم به السياق معنى ضياع الأعمال سدى ، لا يقدر أصحابها على الإمساك بشيء منها ، ولا الانتفاع به أصلاً ، يجسمه في هذا المشهد العاصف المتحرك ، فيبلغ في تحريك المشاعر له ما لا يبلغه التعبير الذهني المجرد عن ضياع

(١) انظر: مفاتيح الغيب ، ٨٣/١٩.

الأعمال وذهابها ببدأً. هذا المشهد ينطوي على حقيقة ذاتية في أعمال الكفار، فالأعمال التي لا تقوم على قاعدة من الإيمان، ولا تمسكها العروة الوثقى التي تصل العمل بالبائع، وتصل الباعث بالله تعالى، أعمال مفككة كالهباء والرماد، لا قوام لها ولا نظام. هكذا يلتقي المشهد المصور مع الحقيقة العميقة، وهو يؤدي المعنى في أسلوب مشوق موح مؤثر، ويلتقي معهما التعقيب: ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨]، فهو تعقيب يتفق ظله مع ظل الرماد المتطاير إلى بعيد في يوم عاصف^(١).

المقطع الثاني: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٦] بعد أن عُرِضَتْ دعوة الرسل إلى توحيد الله تعالى، بطريقة حوارية رائعة حيث تتجمع الأجيال من لدن نوح، وتتجمع الرسل، وتبدأ مجريات الحوار، فيعرض الرسل دعوتهم بلسان الرفق والترغيب ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [إبراهيم: ١٠]، ويبيدي الأقوام اعتراضاتهم ف﴿قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَاثْنُوا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [إبراهيم: ١٠]، ويجب الأنبياء على هذه الاعتراضات ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم: ١١]، وعندما يعجز أهل الباطل عن الحوار يلجؤون إلى القمع بكافة أشكاله المادية منها والنفسية ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [إبراهيم: ١٣] عند ذلك يظهر تأييد الله تعالى لأوليائه، ويزيد العرض حيوية تملأ القلوب رهبة بنقل مجريات الأحداث والحوار إلى ساحة الآخرة -وقد عرضت هذه الأحداث والمشاهد الحوارية في أسلوب الترغيب والترهيب والحوار فلا داع لإعادة عرضها- من خلال كل هذا تبرز الحقائق الكبرى: حقيقة رسالة الأنبياء ووحدتها، وحقيقة اعتراضات الجاهليين عليها ووحدتها، وحقيقة نصر الله للمؤمنين

(١) انظر: في ظلال القرآن، ٢٠٩٤/٤.

ووحدها، وحقيقة استخلاف الله للصالحين ووحدها، وحقيقة الخيبة والخذلان للمتجبرين ووحدها، وحقيقة العذاب الذي ينتظرهم هناك ووحدها.

بعد أن عُرِضَت دعوة الرسل إلى توحيد الله تعالى، وموقف الآخرين منها بهذه الطريقة وبهذه الأساليب المتعددة المتساندة في التعبير والتأثير، تُعْرَضُ بطريقة أخرى، بطريقة تمثيلية ٥

تَعْقِدُ مقارنةً بين الكلمة الطيبة المعبرة عن دعوة الرسل إلى توحيد الله تعالى، والكلمة الخبيثة المعبرة عن دعوة الجاهلية عبر العصور، هذه المقارنة التمثيلية ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٦] تبلغ من التعبير والتأثير مبلغاً لا تبلغه التعبيرات الذهنية

المجردة؛ لمخاطبتها حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية، بالإضافة لما يتميز به التمثيل ١٠ من إيجاز التعبير، فالقليل يؤدي الكثير اعتماداً على عمل المخيلة، فالكلمة أو الصورة الموجزة تثير المعاني الكثيرة التي تتداعى أمام المتلقي، وكأنها أحداث ماثلة أمام عينيه؛ وبذلك يشارك المتلقي بفكره الإبداعي ومخزون ذكرياته في تمثيل أبعاد الصورة، وبالتالي يتحقق التأثير المطلوب؛ إذ إنَّ المتلقي يصبح مشاركاً^(١)، فأسلوب التمثيل يوسع آفاق المتلقي الفكرية والنفسية بتدريبه على ربط المعقولات بالمحسوسات، والانتقال من التجريد ١٥ إلى المحسوس، ومن المحسوس إلى التجريد، وربط المفاهيم المجردة وتقريبها من الواقع المحسوس^(٢).

في هذه المقارنة التمثيلية يجد القارئ الكلمة الطيبة -كلمة الحق- كالشجرة الطيبة ثابتة عالية مثمرة؛ ثابتة لا ترزعزعها رياح الباطل، ولا تقوى عليها معاول الطغيان، وإن خِيلَ للبعض أنها معرضة للخطر الماحق في بعض الأحيان. عالية متعالية، تطل على الشر والظلم ٢٠ والطغيان من علٍّ، وإن خِيلَ إلى البعض أحياناً أن الشر يزحمها في الفضاء. مثمرة لا ينقطع ثمرها؛ لأن بذورها تنبت في النفوس المتكاثرة آنأ بعد آن. ويجد الكلمة الخبيثة -كلمة الباطل- كالشجرة الخبيثة، قد تهيج، وتعالى، وتتشابك، ويخيل إلى بعض الناس أنها

(١) انظر: البعد التصويري في القرآن الكريم سورة يوسف نموذجاً، ص ٣٦.

(٢) انظر: ضرب الأمثال في القرآن أهدافه التربوية وآثاره، ص ٨٩.

أضخم من الشجرة الطيبة وأقوى، ولكنها تظل نافشة هشة، وتظل جذورها في التربة قريبة، حتى لكانها على وجه الأرض، وما هي إلا فترة، ثم تُجَثَّتْ من فوقها، فلا قرار لها ولا بقاء. وقد روي في تحديد الشجرة -المشبه به- في كل من المثليين بأن الشجرة الطيبة شجرة النخيل، والشجرة الخبيثة شجرة الحنظل، فعن أنس بن مالك قال: «أُتِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقناع عليه رطب، فقال: ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٥] قال: هي النخلة، ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦] قال: هي الحنظل»^(١). وتفسير الشجرة الطيبة المضروبة مثلاً لرسالة التوحيد بالنخلة، وتفسير الشجرة الخبيثة المضروبة مثلاً لرسالة الجاهلية بالحنظلة تفسيرٌ متناسب مع الأوصاف التي أضفاها النص القرآني لكلا الشجرتين، ومتناسب مع حقيقة الرسالة التي ضُربت لها مثلاً، فقد وُصِفَتِ الشجرة الطيبة بصفات أربع متناسبة تماماً مع صفات النخلة، ومتناسبة مع رسالة التوحيد:

الصفة الأولى: أنها شجرة طيبة الرائحة والمنظر والثمار، فهي لذيذة مستطابة، وكذلك رسالة الإيمان وكلمة التوحيد، فهي طيبة، لا ينتج عنها إلا كل خير.

الصفة الثانية: أنها شجرة ثابتة الأصل والجذر لا تزول، وكذلك رسالة الإيمان وكلمة التوحيد ثابتة إلى يوم القيامة لا تزول.

الصفة الثالثة: أنها شجرة عالية الفرع، بعيدة عن عفونة الأرض وقذارتها، وكذلك رسالة الإيمان وكلمة التوحيد مرتفعة عن أقدار المادة، مترفعة عن عفن الشهوات.

الصفة الرابعة: أنها شجرة دائم ثمرها وفائدتها، وكذلك رسالة الإيمان وكلمة التوحيد دائمة الأجر والثواب، وصاحبها لا يخلو من خير في كل حين.

(١) أخرجه الترمذي، كتاب (التفسير)، باب (ومن سورة إبراهيم عليه السلام)، رقم/٣١١٩، ٢٩٥/٥، وله روايات أخرى عنده موقوفة على أنس، والذي يُفهم من كلام الترمذي أنه يرجح كونه موقوفاً من كلام أنس، قال الترمذي: «حدثنا قتيبة، حدثنا أبو بكر بن شعيب بن الحبحاب عن أبيه عن أنس بن مالك نحوه بمعناه ولم يرفعه... وهذا أصح من حديث حماد بن سلمة. وروى غير واحد مثل هذا موقوفاً، ولا نعلم أحداً رفعه غير حماد بن سلمة، ورواه معمر وحماد بن زيد وغير واحد، ولم يرفعه». وقال الألباني في تعليقه على رواية الرفع: ضعيف مرفوعاً.

وقد وُصِفَت كذلك الشجرة الخبيثة بصفتين متناسبتين تماماً مع صفات الحنظلة، ومتناسبة مع كلمة الباطل وشبهات الجاهلية:

الصفة الأولى: أنها شجرة خبيثة الرائحة خبيثة الثمار، وكذلك كلمة الباطل وشبهاتها، فهي خبيثة لا ينتج عنها إلا كل شر.

الصفة الثانية: أنها شجرة فاقدة الرسوخ والاستقرار، سرعان ما تُقَطَّع؛ لقرب جذورها من سطح الأرض، فليس للناس فيها نفع، فلا ظلُّ لها يستظلون به، ولا ثمر لها لذيق يأكلونه، وكذلك كلمة الباطل وشبهاتها ليس لها رسوخ ولا استقرار أمام الحق، كما أخبر الله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

المطلب الثاني : أسلوب الإخبار والمضمون العقدي الذي عرضه

جاء أسلوب الإخبار في خمس آيات من آيات سورة إبراهيم، وهي قوله تعالى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤]، وقوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ [إبراهيم: ٣١]، وفيما يأتي عرض الباحث للقضايا العقدية المتضمنة في آيات هذا الأسلوب التي لم تُعرض في الأساليب السابقة:

المقطع الأول: قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤] يخبر الله تعالى في هذه الآية بقضيتين عقديتين:

الأولى: عموم بعثة النبي صلى الله عليه وسلم: ظاهر هذه الآية يفيد أن كل الأنبياء بُعثوا إلى أقوامهم خاصة، وهذا يتنافى مع ما هو ثابت من عموم بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ومن هنا زعم طائفة من اليهود (العيسوية) أن محمداً رسول الله؛ لكن إلى العرب لا إلى سائر الناس^(١)، وتمسكوا بهذه الآية من وجهين: الأول: أن القرآن لما كان نازلاً بلغة العرب لم يُعرف كونه معجزةً بسبب ما فيه من الفصاحة إلا العرب، وحيث لا يكون القرآن حجةً إلا على العرب، ومن لا يكون عربياً لم يكن القرآن حجةً عليه.

الثاني: قالوا إن قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم: ٤] المراد بذلك اللسان: لسان العرب، وذلك يقتضي أن يُقال: إنه ليس له قوم سوى العرب، وذلك يدل على أنه مبعوث إلى العرب فقط.

(١) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ٤/ ١٤٤.

والجواب على ذلك من وجوه: الأول: بُعِثَ إلى العرب بلسانهم والناس تبعٌ لهم، ثم بعثَ الرُّسُلَ إلى العجم يدعوهم إلى الله تعالى، ويترجمون لهم بألسنتهم، قال القرطبي: «ولا حجة للعجم، وغيرهم في هذه الآية؛ لأنَّ كلَّ من تُرجم له ما جاء به النبي صلوات الله وسلامه عليه ترجمةً يفهمها لزمته الحجة»^(١).

٥ الثاني: أن يقال: لم لا يجوز أن يكون المراد من قَوْمِهِ أهل بلده، وليس المراد من قَوْمِهِ أهل دعوته^(٢). والدليل على عموم دعوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم لجميع الناس قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]؛ بل هو مرسل إلى الثقلين؛ لأنَّ التحدي بالقرآن كما وقع مع الإنس، فقد وقع مع الجن، بدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

١٠ الثانية: الهداية والضلال: يخبر الله تعالى أنَّه: ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٤]، وإنَّ الهداية التي بمعنى: بيان طريق النجاة لكل مكلف متفق بين المتكلمين أنها من الله تعالى، لكنهم اختلفوا بعد ذلك في الهداية التي تكون بفعل العبد للطاعات، والضلال الذي يكون بفعل العبد للمعاصي أهما من خلق الله تعالى أم لا؟

١٥ فذهب الأشاعرة والماتريدية إلى أنهما -الهداية والضلال- من خلق الله تعالى عند اختيار العبد لهما، فالهداية خلق الاهتداء في العبد، والإضلال خلق الضلالة فيه^(٣).

وذهب المعتزلة إلى أنَّ الهداية وصف الله تعالى العبد بالهداية عند فعله الطاعات، والإضلال وصف الله تعالى العبد بالضلال عند فعله المعاصي، والله تعالى لا يتبدى أحداً

(١) الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ١٤٠٥هـ، ٣٤٠/٩.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، ٦٣/١٩، واللباب في علوم الكتاب، ٣٣٦/١١.

(٣) انظر: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، ص ١٥١، والبداية من الكفاية في الهداية، ص ١٣٧.

بالضلال قبل أن يستحقه العبد بفعله للمعاصي وإعراضه عن الهدى، فالهداية على هذا من فعل العبد وخلقها والضلال من فعل العبد وخلقها^(١).

وقد تمسك الأولون بظاهر هذه الآية: ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٤]، وقال المعتزلة لا يمكن إجراء هذه الآية على ظاهرها، وبيان ذلك من وجوه:

الأول: أنه تعالى قال أول الآية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾

[إبراهيم: ٤] والمعنى: إن الله تعالى إنما أرسل كل رسول بلسان قومه؛ ليبين لهم تلك التكليف بلسانهم، فيكون إدراكهم لذلك البيان أسهل، ووقوفهم على المقصود والغرض

أكمل، وهذا الكلام إنما يصح لو كان مقصود الله تعالى من إرسال الرسل حصول الإيمان للمكلفين، فأما لو كان مقصوده الإضلال وخلق الكفر فيهم لم يكن ذلك الكلام ملائماً لهذا المقصود.

الثاني: إن الرسل عليهم السلام إذا قالوا لأقوامهم: إن الله يخلق الكفر والضلال فيكم، فلهم أن يقولوا له: فما الفائدة في بيانك؟ وما المقصود من إرسالك؟ وهل يمكننا أن نزيل كفرًا خلقه الله تعالى فينا عن أنفسنا؟ وحينئذ تبطل دعوة النبوة، وتفسد بعثة الرسل.

الثالث: أنه إذا كان الكفر حاصلًا بتخليق الله تعالى ومشيئته وجب أن يكون الرضا به واجباً؛ لأن الرضا بقضاء الله تعالى واجب، وذلك لا يقوله عاقل.

فثبت بهذه الوجوه أنه لا يمكن حمل قوله تعالى: ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٤] على أنه تعالى يخلق الكفر في العبد، فوجب المصير إلى التأويل، من

هذه التأويلات: أن يكون الإضلال عبارة عن الذهاب بهم عن طريق الجنة إلى النار، والهداية عبارة عن إرشادهم إلى طريق الجنة. ومنها: أنه تعالى لما ترك الضال على إضلاله، ولم

يتعرض له صار كأنه أضله، والمهتدي لما أعانه بالألطف صار كأنه هو الذي هداه، فالمراد بالإضلال التخلية ومنع الألطف، وبالهداية التوفيق واللطف^(٢).

أجاب الرازي الأشعري عن هذه الوجوه:

(١) انظر: القاضي عبد الجبار (منسوب للقاضي)، الأصول الخمسة، ت: فيصل بدير عون، مطبوعات جامعة الكويت (الكويت)، ط ١، ١٩٩٨م، ص ٧٨.

(٢) انظر: الأصول الخمسة، ص ٧٨، والكشاف، ٥٠٧/٢.

فأجاب عن الأول: بأنَّ معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤] ليكون بيانه لهم تلك الشرائع بلسانهم الذي ألفوه، واعتادوه، ثم قال: ومع أن الأمر كذلك، فإنه تعالى يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، والغرض منه التنبيه على أن تقوية البيان لا توجب حصول الهداية، فربما قوِيَ البيان، ولا تحصل الهداية، وربما ضعف البيان، وحصلت الهداية، وإنما كان الأمر كذلك؛ لأجل أن الهداية والضلال لا يحصلان إلا من الله تعالى.

وأجاب عن الثاني: بأنَّه يعارضه أن الخصم يسلم بأن هذه الآية إخبار عن كون الضال ضالاً، فللكافر أن يقول: لم أخبر إلهك عن كوني كافراً؟ فإن آمنت صار إلهك كاذباً، فهل أقدر على جعل إلهك كاذباً؟ وهل أقدر على جعل علمه جهلاً؟ وإذا لم أقدر عليه فكيف يأمرني بهذا الإيمان؟ فثبت أن هذا السؤال الذي أورده الخصم علينا هو أيضاً وارد عليه.

وأجاب عن الثالث: أنَّه يلزم المخالف أنه يجب على العبد السعي في تكذيب الله تعالى وفي تجهيله، وهذا أشد استحالة مما ألزمته المعتزلة علينا؛ لأنه تعالى لما أخبر عن كفره، وعلم كفره، فإزالة الكفر عنه يستلزم قلب علمه جهلاً وخبره الصدق كذباً^(١).

ولا يخفى ما في هذه الإجابات من اتباع الطريقة الجدلية التي تعتمد إلى إلزام الخصم دون أن تجيب إجابات مباشرة على كلامه، ولا يخفى أيضاً أن عرض الرازي لكلام الخصوم ووجهة نظرهم في فهم الآية كان أقوى من رده عليهم.

المقطع الثاني: في قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣] إخبار من الله تعالى بعاقبة المؤمنين في الآخرة، ويستفاد من هذا الإخبار مسائل ثلاث:

الأولى: دوام نعيم أهل الجنة: يدل قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [إبراهيم: ٢٣] على أن نعيم أهل الجنة دائم لا انقطاع فيه، وهذا متفق عليه بين المسلمين^(٢) باستثناء ما نُقل عن أبي الهذيل العلاف (من المعتزلة) الذي قال بانقطاع حركات أهل الجنة والنار، ثم رجع عن

(١) انظر: مفاتيح الغيب، ١٩/٦٤-٦٥.

(٢) انظر: أصول الدين، ص ٢٣٨، وشرح المقاصد في علم الكلام، ٢/٢١٩، وشرح الأصول الخمسة، ص ٦٦٧، والفصل في الملل والأهواء والنحل، ٤/٦٩.

قوله ذلك^(١)، وقريب منه قول الجهم بن صفوان الذي نقل عنه الأشعري قوله بفناء الجنة والنار ومن فيهما^(٢).

الثانية : أثر الأعمال في دخول الجنة : يستفاد من قوله تعالى : ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [إبراهيم: ٢٣] أن دخول الجنة والخلود فيها لا يكون بمجرد الأعمال؛ بل يكون بفضل الله تعالى ورحمته؛ لأن التوفيق إلى الأعمال الصالحة من الله تعالى، والوسائل التي يعمل بها العمل الصالح من خلق الله تعالى، ويشهد لهذا الأحاديث الصحيحة فعن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «سَدُّوا وَقَارِبُوا، وَعَلِّمُوا أَنْ لَنْ يُدْخَلَ أَحَدُكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، وَأَنْ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَذْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ»^(٣)، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَنْ يُدْخَلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ». قالوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: «وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَعَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِفَضْلِ وَرَحْمَةٍ»^(٤).

الثالثة : الثواب : يُعرَّف الثواب بأنه: «منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم»^(٥)، ووجه انطباق التعريف على ثواب المؤمنين الوارد في الآية، أن المنفعة الخالصة أشير إليها بقوله تعالى ﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [إبراهيم: ٢٣]، وكونها دائمة أشير إليه بقوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [إبراهيم: ٢٣]، والتعظيم حصل من وجهين: أحدهما: أن تلك المنافع إنما حصلت بإذن الله تعالى وأمره. الثاني: قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣]؛ لأن بعضهم يحيي بعضاً بهذه الكلمة، والملائكة يحيونهم بها كما قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُدْخِلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الرعد: ١٥].

(١) انظر: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ومباينتهم لسائر المخالفين، ضمن مجموعة: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص ٢٥٨.

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ص ٥٤٢.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب (الرقاق)، باب (القصد والمداومة على العمل)، رقم /٦٠٩٩/، ٢٣٧٣/٥.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب (صفات المنافقين وأحكامهم)، باب (لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى)، رقم /٢٨١٦/، ٢١٦٩/٤.

(٥) مفاتيح الغيب، ٩١/١٩.

[٢٣] ، والرب الرحيم يحييهم أيضاً بهذه الكلمة كما قال: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]^(١).

المقطع الثالث: استدلال بقوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧] على إثبات سؤال الملكين في القبر، فالتثبيت في الدنيا: أن يقوي عزائمهم بالثبات على رسالة التوحيد، والتمسك بها ونصرها. والتثبيت في الآخرة: هدايتهم إلى الجواب الحق عند سؤال الملكين^(٢)، كما جاء في الحديث الصحيح عن البراء بن عازب، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، قَالَ: نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ، فَيَقَالُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]»^(٣).

المقطع الرابع: قوله تعالى: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ [إبراهيم: ٣١] في هذه الآية يأمر الله تعالى نبيه أن يخبر عباده المؤمنين بأن ينفقوا مما رزقهم قبل أن يأتي يوم القيامة، حيث تنقطع التعاملات الدنيوية، ولا ينفع العبد إلا ما جاء به من عمل، وفي هذه الآية بحث عند المتكلمين في معنى الرزق.

الرزق في كلام العرب هو الحظ، قال تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢] أي: حظكم من هذا الأمر، والحظ: هو نصيب الرجل، وما هو خاص له دون غيره^(٤). وأما في عرف الشرع: فقال أهل السنة: الرزق هو كل ما انتفع به، سواء كان حلالاً

(١) انظر: المرجع السابق، ٩١/١٩.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٩٦/١٩، واللباب في علوم الكتاب، ٣٨٢/١١.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب (الجنة وصفة نعيمها وأهلها)، باب (عَرْضِ مَقْعَدِ الْمُيَّتِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ عَلَيْهِ وَإِثْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالتَّعَوُّذُ مِنْهُ)، رقم/٧٣٩٨، ٢٢٠١/٤.

(٤) انظر: الأزهرى، تهذيب اللغة، ت: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ٢٠٠١م، ط ١، باب (حظ).

أم حراماً أم غير ذلك^(١). وقال المعتزلة: الرزق هو ما يُنتفع به، وليس للغير المنع منه^(٢).
فالاخلاف بين الفريقين في الحرام هل يسمى رزقاً أو لا؟ فقال أهل السنة: نعم، وقال
المعتزلة: لا.

وحجة الأولين من وجهين: الأول: أن الرزق في أصل اللغة هو الحظ والنصيب، فمن
انتفع بالحرام، فذلك الحرام صار حظاً ونصيباً، فوجب أن يكون رزقاً له.
الثاني: أنه تعالى قال: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] وقد
يعيش الرجل طول عمره لا يأكل إلا من السرقة، فوجب أن يقال أنه طول عمره لم يأكل من
رزقه شيئاً^(٣).

أما المعتزلة فقد احتجوا بالقرآن الكريم من وجوه: أحدها: قوله تعالى: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ
الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [إبراهيم: ٣١] فقد أمر الله
تعالى عباده المؤمنين بالإنفاق مما رزقهم، ولو كان الحرام رزقاً لجاز أن ينفق الغاصب منه،
وقد أجمع المسلمون على أنه لا يجوز للغاصب أن ينفق مما أخذه؛ بل يجب عليه رده، فدل
على أن الحرم لا يكون رزقاً. وثانيها: قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣] فقد
مدحهم الله تعالى على الإنفاق مما رزقهم إياه، فلو كان الحرام رزقاً لوجب أن يستحقوا
المدح إذا أنفقوا من الحرام، وذلك باطل بالاتفاق. وثالثها: قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ
اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ [يونس: ٥٩] فبين أن من
حرم رزق الله فهو مفتر على الله تعالى، فثبت أن الحرام لا يكون رزقاً^(٤).

أجاب أهل السنة عن استدلال المعتزلة بالآيات بأنه خُصَّ اسم الرزق بالحلال على
سبيل التشريف، وإن كان الحرام رزقاً أيضاً^(٥).

(١) انظر: العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، ص ٨٣.

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة، ص ٧٨٤.

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، ٢/٢٨.

(٤) انظر: شرح الأصول الخمسة، ص ٧٨٧.

(٥) انظر: مفاتيح الغيب، ٢/٢٩.

المطلب الثالث : الأسلوب القصصي والمضمون العقدي الذي عرضه

جاء الأسلوب القصصي بعرض بعض المشاهد من قصتي موسى وإبراهيم عليهما السلام، جاءت هذه المشاهد في إحدى عشرة آية، وهي: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ * وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم * وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد * وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد * [إبراهيم: ٥-٨]، وقوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبني أن نعبد الأصنام * رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم * ربنا إنني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكروا * ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء * الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء * رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء * ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾ * [إبراهيم: ٣٥-٤١] وفيما يأتي عرض الباحث القضايا العقدية المتضمنة في هذه الآيات:

المقطع الأول: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ * وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم * وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد * وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد * [إبراهيم: ٥-٨] إن هذه الآيات مشهد صغير من قصة موسى عليه السلام أطول القصص القرآنية، وقد تضمن هذا المشهد بعض الوصايا الخلقية، كوجوب تذكر نعم الله تعالى، ووجوب شكرها، لكن السياق لا يخلو من إشارات عقدية:

أولها : المعجزة ودلالاتها : في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ [إبراهيم: ٥]

الآيات جمع آية، وهي المعجزات، والمعجزة في عرف المتكلمين: «أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة»^(١)، وقد أرسل الله تعالى موسى عليه السلام، وأيده بالمعجزات التي جاء ذكرها في مشاهد القصة في كثير من آيات القرآن الكريم، كإنقلاب العصى حيّة، وإخراج اليد بيضاء من غير مرض وغيرها.

وهذه المعجزات طريق الدلالة على صدق النبي في دعواه، فهي قائمة مقام قول الله تعالى: صدق عبدي فيما يبلغ عني^(٢)، ولكن أتنحصر الدلالة على النبوة بالمعجزة أم أن هناك طرقاً أخرى غير المعجزة تثبت بها النبوة؟

ذهب المعتزلة والماتريدية وجمهور الأشاعرة إلى حصر دلالة النبوة في المعجزة^(٣)، يقول الجويني: «لا دليل على صدق النبي غير المعجزة. فإن قيل: هل في المقدور نصب دليل على صدق النبي غير المعجزة؟ قلنا: ذلك غير ممكن، فإن ما يقدر دليلاً على الصدق لا يخلو إما أن يكون معتاداً، وإما أن يكون خارقاً للعادة، فإن كان معتاداً، يستوي فيه البر والفاجر، فيستحيل كونه دليلاً، وإن كان خارقاً للعادة، يستحيل كونه دليلاً دون أن يتعلّق به دعوى النبي؛ إذ كل خارق للعادة يجوز تقدير وجوده ابتداءً من فعل الله تعالى، فإذا لم يكن بدٌّ من تعلقه بالدعوى، فهو المعجزة بعينها»^(٤).

بينما ذهب بعض الأشاعرة، والحنابلة إلى أن الدلالة على النبوة ليست محصورة في دلالة المعجزة^(٥)، وذكروا طرقاً أخرى تدل على نبوة النبي مثل: «الاستدلال بأحواله قبل النبوة، وحال الدعوة، وبعد تمامها، وأخلاقه العظيمة، وأحكامه الحكيمة، وإقدامه حيث

(١) شرح المقاصد في علم الكلام، ١٧٦/٢.

(٢) انظر: أبو المعين النسفي، التمهيد لقواعد التوحيد، ت: جيب الله حسن أحمد، دار الطباعة المحمدية (القاهرة)، ط ١، ١٤٠٦هـ، ص ٢٣٨.

(٣) انظر: شرح الأصول الخمسة، ص ٥٦٨، والبداية من الكفاية في الهداية في أصول الدين، ص ٨٧-٨٨، والتمهيد لقواعد التوحيد، ص ٢٣٦، والجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الدين، ت: محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم، مكتبة الخانجي (القاهرة)، ١٣٦٩هـ، ص ٣٣١.

(٤) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الدين، ص ٣٣١.

(٥) انظر: المواقف في علم الكلام مع شرحها، ٣/٣٨٩، وشرح العقيدة الطحاوية، ص ١٤٩.

يحجم الأبطال»^(١)، و«إخبار الأنبياء المتقدمين عليه عن نبوته»^(٢)، مع إقرارهم بأن دلالة المعجزة هي الأصل.

ثانيها: مهمة الرسول : يُستدلُّ بقوله تعالى: ﴿أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥] على أنَّ مهمة الرسول تنحصر في تبليغ الرسالة والتذكير بها، وإرشاد الناس وتوجيههم لما فيه خيرهم وصلاحهم، وليس عليه أن يؤمن الناس، بخلاف ما يفهم من ظاهر الأمر ﴿أَخْرِجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [إبراهيم: ٥] حيث أسند إليه الفعل؛ لأنَّه الداعي إليه والمبلغ له، والمخرج على الحقيقة هو الله تعالى.

المقطع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * رَبَّنَا إِنِّي أَصْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ * رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ * رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ * رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٣٥-٤١] إنَّ هذا المشهد الذي عُرض في سورة إبراهيم هو المشهد الأخير في قصة إبراهيم عليه السلام الموزعة في عدد من سور القرآن الكريم، تبعاً لطريقة القرآن الكريم الفريدة في عرض حلقات القصة الواحدة في مواطن متعددة، فيعرض في كل سورة الحلقة التي تخدم هدف السورة وموضوعاتها، وقد ذكَّرَ الباحث في التمهيد (مدخل إلى سورة إبراهيم) أنَّ السورة وإنَّ عالجت العديد من القضايا العقدية والخلقية إلا أنَّه هناك حقيقتان تظللان جوَّ السورة كلها:

الحقيقة الأولى: حقيقة وحدة الرسالة (رسالة التوحيد)، والرسول ووظيفتهم ووحدة دعوتهم، ووقفتهم أمة واحدة في مواجهة الجاهلية المكذبة بدين الله تعالى على اختلاف الأمكنة والأزمنة.

(١) المواقف في علم الكلام مع شرحها، ٣/٣٨٦.

(٢) المرجع السابق، ٣/٤١٠.

الحقيقة الثانية: حقيقة نعمة الله على البشر، وزيادتها بالشكر، ومقابلة أكثر الناس لها بالجحود والكفران.

وقد جاءت هذه الحلقة من قصة إبراهيم عليه السلام متناسبة مع هاتين الحقيقتين، أمّا الحقيقة الأولى فقد جاءت في تبرؤ إبراهيم عليه السلام من الأصنام وعبادتها، وتضرعه إلى الله تعالى أن يبعده وذريته عن عبادتها، قال تعالى: ﴿وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَا كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٥-٣٦]، وأمّا الحقيقة الثانية فقد جاءت في توجه إبراهيم عليه السلام حامداً الله تعالى على نعمه الكثيرة، وشكره عليها، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ * رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ * رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٣٩-٤١]، وخلال عرض هذه الحلقة من قصة إبراهيم عليه السلام جاءت الإشارة إلى بعض القضايا العقدية:

أولها: وجوب توحيد الله تعالى: من قوله تعالى: ﴿وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَا كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٥] يُستدلُّ بهذه الآية على وجوب توحيد الله تعالى، ووجوب الابتعاد عن الشرك ومظاهره، فإبراهيم عليه السلام بالغ في إنكار الشرك ومظاهره، فدعا الله تعالى أن يبعده وذريته عن عبادة ما سواه، ونسب عباده غير الله تعالى إلى الضلال، مما يفيد زيادة في الإنكار^(١).

وقد استُشكِلَ دعاء إبراهيم عليه السلام ﴿وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] من وجهين:

الأول: أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من عبادة الأصنام، فما فائدة هذا الدعاء؟
الثاني: أن كثيراً من أبنائه عبدوا الأصنام؛ لأنَّ كفَّار قريش كانوا من أولاده، وكانوا يعبدون الأصنام، فكيف لم يُجب الله تعالى دعوته؟
وأجيب عن الاستشكال الأول: بأنَّ المراد: ثبُتِي على اجتناب عبادتها، كما قال تعالى: ﴿وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] أي: ثبتنا على الإسلام. ولقائل أن يقول: السؤال

(١) انظر: اللباب في علوم الكتاب، ٣٩٢/١١.

باق؛ لأنه من المعلوم أن الله تبارك وتعالى ثبت الأنبياء على الإسلام، واجتناب عبادة الأصنام، فما الفائدة من هذا السؤال؟ أجيب عليه من وجهين:

الأول: أنه عليه السلام وإن كان يعلم أن الله تعالى يعصمه من عبادة الأصنام، إلا أنه ذكر ذلك هضمًا للنفس وإظهارًا للحاجة إلى فضل الله تعالى في كل المطالب.

الثاني: أن الشرك نوعان: شركٌ ظاهرٌ، وهو الذي يقوله المشركون، وشركٌ خفي، وهو تعلق القلب بالأسباب الظاهرة. والتوحيد: هو أن يقطع نظره عن الوسائط، وأن لا يرى متوسطاً سوى الحق سبحانه وتعالى، فيحتمل أن يكون المراد من قوله: ﴿وَاجْتَنِبِي وَبَنِيَّ أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]: أن يعصمه عن هذا الشرك الخفي.

وأجيب عن الاستشكال الثاني من وجوه:

أحدها: إن المراد من قوله: (وبني) بنوه من صلبه.

وثانيها: أراد أولاده، وأولاد أولاده الذين كانوا موجودين حال الدعاء، ولا شك أن دعوتهم مجابة فيهم.

وثالثها: أن هذا الدعاء مختص بالمؤمنين من أولاده، بدليل قوله في الآية التالية: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وذلك يفيد أن من لم يتبعه في دينه، فإنه ليس منه، يشهد له قوله تعالى لنوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود: ٤٦].

ورابعها: لعله وإن كان عم في الدعاء إلا أنه تعالى أجاب دعاءه في حق البعض دون البعض، وذلك لا يوجب تحقير الأنبياء عليهم السلام، ونظيره قوله تعالى في حق إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي لِظَالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]^(١).

ثانيها: ثبوت الشفاعة لأصحاب الكبائر: من قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضَلَّلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦] احتج مثبتو

(١) انظر: الكشف، ٥٢٣/٢-٥٢٤، ومفاتيح الغيب، ١٩/١٠٥-١٠٦، واللباب في علوم الكتاب، ٣٩٣/١١-٣٩٥.

الشفاعة - وهم أهل السنة - لأصحاب الكبائر^(١) (الذين ماتوا قبل التوبة) بهذه الآية، ووجه استدلالهم فيها:

أن إبراهيم عليه السلام ذكر هذا الكلام والغرض منه الشفاعة في حق أصحاب الكبائر من أمته، والدليل عليه أن قوله: ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦] صريح في طلب المغفرة والرحمة لأولئك العصاة، فقالوا: أولئك العصاة إما أن يكونوا من الكفار أو لا يكونوا كذلك. والأول باطل من وجهين: الأول: أنه عليه السلام بين في مقدمة هذه الآية أنه مبرأ عن الكفار، وهو قوله: ﴿وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، وأيضاً قوله: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [إبراهيم: ٣٦] يدل بمفهومه على أن من لم يتبعه على دينه، فإنه ليس منه، ولا يهتم بإصلاح مهماته. والثاني: أن الأمة مجمعة على أن الشفاعة في إسقاط عقاب الكفر غير جائزة، ولما بطل هذا ثبت أن قوله: ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦] شفاعة في العصاة الذين لا يكونون من الكفار.

وإذا ثبت هذا يقال: تلك المعصية إما أن تكون من الصغائر أو من الكبائر بعد التوبة أو من الكبائر قبل التوبة، والأول والثاني باطلان؛ لأن قوله: (وَمَنْ عَصَانِي) اللفظ فيه مطلق، فتخصيصه بالصغيرة عدول عن الظاهر، وأيضاً الصغائر والكبائر بعد التوبة مغفورة، فثبت أن هذه الآية تثبت شفاعة في إسقاط العقاب عن أهل الكبائر قبل التوبة، وإذا ثبت حصول هذه الشفاعة في حق إبراهيم عليه السلام ثبت حصولها في حق محمد صلى الله عليه وسلم لوجوه:

الأول: أنه لا قائل بالفرق.

الثاني: هو أن هذا المنصب أعلى المناصب، فلو حصل لإبراهيم عليه السلام مع أنه غير حاصل لمحمد صلى الله عليه وسلم لكان ذلك نقصاناً في حقه.

(١) انظر: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، ص ١٦٢، والبداية من الكفاية في الهداية في أصول الدين، ص ١٤٤.

الثالث: أن محمداً صلى الله عليه وسلم مأمور بالاعتداء بإبراهيم عليه السلام؛ لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ اِقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] وقوله: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣]^(١).

والمخالف في هذه المسألة هم المعتزلة والخوارج الذين أنكروا أن تنال الشفاعة أصحاب الكبائر، واختلفوا في حكم مرتكبي الكبيرة، فقال المعتزلة: هم فاسق، في منزلة بين منزلتي الإيمان والكفر، ومصيرهم يوم القيامة في النار مخلدون فيها، لكن في أخف درجات النار، أما أكثر الخوارج فقد حكموا بكفرهم وتخليدهم في النار^(٢).

ثالثها: ثبوت صفة العلم لله تعالى: من قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٨] يستفاد من دعاء إبراهيم عليه السلام إثبات صفة العلم لله تعالى، والعلم صفة قائمة بذات الله تعالى، يتأتى بها كشف الأمور والإحاطة بها على ما هي عليه في الواقع، أو على ما ستكون عليه في المستقبل^(٣)، ومن الجدير بالذكر أن جمهور المتكلمين لا يجيزون الاستدلال بالنقل على إثبات صفة العلم؛ لأن الاستدلال بالنقل يؤدي إلى الدور -من وجهة نظرهم-^(٤).

رابعها: الدعاء للكفار والاستغفار لهم: في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١] إشكالان:

الأول: إن إبراهيم عليه السلام طلب المغفرة لنفسه، وطلبها إنما يكون بعد سابقة الذنب، فهذا يدل على أنه كان قد صدر الذنب عنه، وهذا يتنافى مع ما هو ثابت للأنبياء من العصمة. أوجب عنه بأن المقصود من طلب المغفرة الالتجاء إلى الله تعالى، وقطع الطمع إلا من فضله.

(١) انظر: مفاتيح الغيب، ١٩/١٠٥-١٠٦، واللباب في علوم الكتاب، ١١/٣٩٥-٣٩٦.

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة، ص ٦٨٨، والسكسكي، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، ت: بسام سلامة، مكتبة المنار (الزرقاء)، ط ٢، ١٤١٧هـ، ص ٢١.

(٣) انظر: كبرى اليقينيات الكونية، ص ١٢٠.

(٤) انظر: السباعي، حاشيته على شرح الخريدة، ت: علي عبد الرحمن الهاشم، ط ١، ١٤١٤هـ، ص ٣١٥.

الثاني: إِنَّ من الثابت أَنَّهُ لا يجوز الدعاء للكافرين والاستغفار لهم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ٨٤] فكيف جاز أن يستغفر إبراهيم عليه السلام لأبويه، وقد كان أبوه كافراً؟ أجيب عنه من وجوه:

٥ الأول: أن المنع منه لا يعلم إلا بالتوقيف، فلعله لم يجد منعاً منه، فظن كونه جائزاً، ولأنه كان قد وعد أباه بالدعاء والاستغفار له، كما أخبر الله تعالى عنه في قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الممتحنة: ٤] فلما علم أَنَّهُ لا يؤمن ترك الدعاء والاستغفار له، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤].

الثاني: أراد بوالديه آدم وحواء.

الثالث: كان ذلك بشرط الإسلام^(١).

(١) انظر: مفاتيح الغيب، ١٩/١١١، واللباب في علوم الكتاب، ٤٠٤/١١.

الفصل الثاني : منهج الدعوة من خلال سورة إبراهيم

المبحث الأول : مضمون رسالة الداعية

المبحث الثاني : عقبات الدعوة وموقف الداعية منها

المبحث الأول : مضمون رسالة الداعية

إن الداعية إلى منهج الله تعالى لا بد أن يكون مسلماً بكل ما لهذه الكلمة من معنى، أي: مسلماً ملتزماً بما أمر الله تعالى به من اعتقادات، وما أوجب عليه من أفعال، وما طلب إليه من اتصاف بصفات، وتركز هذه الأمور في ثلاثة محاور:

أولها: عقيدة صالحة بعيدة عن الظن وما تهوى الأنفس.

٥

ثانيها: عبادة صالحة بعيدة عن الشرك والرياء، التزام بالفروض، وتقرب إلى الله بالنوافل والمندوبات.

ثالثها: أخلاق صالحة، هي صفات حميدة أمر الله تعالى بالتخلق بها.

وقد جاءت الإشارة لهذه العناصر الثلاثة، وضرورة التزام الداعية بها في سورة إبراهيم،

يتناولها الباحث بشيء من الإيضاح مسترشداً بآيات السورة -سورة إبراهيم- في مطالب ثلاثة.

١٠

المطلب الأول : رسالة العقيدة في سورة إبراهيم

من المعروف بداهة أنه لا يمكن حمل الإنسان على اعتناق فكرة جديدة، وفي ذهنه ما يناقضها، فلا بدّ أولاً من إزالة الموجود؛ لتثبيت الجديد، فإنّ الله تعالى ﴿لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]؛ ولهذا لم يكتف القرآن بشرح عقيدة الإسلام وفكرته فحسب؛ بل عمد إلى ما في نفوس القوم من عقائد وأفكار فاسدة، فبيّن زيفها، وأثبت بطلانها.

حين جاء الإسلام كان المجتمع في جهل مطبق، وضلال عميق، ولما كان من البدهي أن لا تجتمع عقيدتان متناقضتان في قلب إنسان، كان لا بدّ من دحض العقائد الفاسدة، والأفكار الخاطئة، فعمل القرآن الكريم على قرع الحجة بالحجة، وجاءت الآيات تترى تُسفه أحلام القوم، وتهاجم معتقداتهم، وتبين زيفها، وتثبت بطلانها، أسساً وفروعاً، ولم تكتف بالرد جملة على من لم يؤمن، ولم تستعمل العموميات فحسب؛ بل عمدت إلى الجزئيات كذلك، وناقشت كل فئة بما تقول^(١).

وقد تناولت سورة إبراهيم العديد من القضايا العقدية -التي تمّ عرضها بتفصيل في الفصل السابق- ولكنّ الرسالة الرئيسة التي رفعتها هذه السورة، كما يتضح من فاتحتها وخاتمتها، هي رسالة التوحيد، التي هي رمز للعقائد الإسلامية جميعها، فقوله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [إبراهيم: ١]، وقوله: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم: ٥٢] هاتان الآيتان تقرران بكل وضوح أن هدف الرسالة استنقاذ الناس أجمعين من ظلمات الجهل والكفر والأخلاق السيئة وأنواع المعاصي إلى نور العلم والإيمان والأخلاق الحسنة^(٢)، وهذا لا يتحقق إلا بتحقيق التوحيد الخالص المجرد لله تعالى، كما ذكر في الآية الثانية: ﴿وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، هذه الرسالة في التوحيد هي رسالة الرسل جميعاً بلا استثناء، وقد عرّض اتحادهم بهذه الرسالة عرضاً مؤثراً حيث جُمع الرسل في صعيد واحد،

(١) انظر: حافظ صالح، منهج القرآن الكريم في الدعوة، بحث الكتروني في موسوعة المكتبة الشاملة، ص ٦١.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٤٢١.

وَجُمِعَت البشرية متجمعة في جاهليتها في صعيد واحد، ودارت بين الطرفين أحداث الصراع بين الحق والباطل: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ * قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِئَةُ اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَثُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنْصَبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ * وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ٩-١٣] يتجلى من خلال قصة البشرية هذه مجموعة من الحقائق التي ينبغي أن يعيها الداعية، وأن يضعها نصب عينيه وجلاء قلبه، في رسالته في الدعوة إلى العقيدة عموماً والتوحيد خصوصاً، هذه الحقائق هي:

أولاً: إن الناظر في آيات سورة إبراهيم يقف على حقيقة أولية بارزة يوضحها لنا الحكيم الخبير، تتمثل في أن موكب الإيمان منذ فجر التاريخ الإنساني موكبٌ واحدٌ موصولٌ، يقوده رسل الله الكرام، جاهرين بدعوة واحدة، سائرين على منهج واحد، كلهم لا يدعوا مع الله أحداً، ولا يتوكل على أحدٍ غيره، ولا يلجأ إلى ملجأ سواه، ولا يعرف له سنداً إلا إياه. فأمر الاعتقاد في الله الواحد ليس كما يزعم كثير من علماء الدين المقارن أنه تطور، وترقى من التعدد إلى الثنية إلى التوحيد، ومن عبادة الأرواح والنجوم والكواكب والطواطم إلى عبادة الله الواحد. إن الاعتقاد في الله الواحد جاءت به الرسالات منذ فجر التاريخ، لم تتغير هذه الحقيقة، ولم تبدل في رسالة واحدة من الرسالات، كما يقص علينا الحكيم الخبير.

ولو قال أولئك العلماء: إن قابلية البشرية لعقيدة التوحيد التي جاء بها الرسل كانت تترقى من عهد رسول إلى عهد الرسول الذي بعده، وإن الوثنيات الجاهلية كانت تتأثر بعقائد التوحيد المتوالية، التي كان موكب الرسل الكرام يواجه بها هذه الوثنيات حيناً بعد حين. حتى جاء زمان كانت عقيدة التوحيد أكثر قبولاً لدى جماهير الناس مما كانت؛ بفعل توالي

رسالات التوحيد، لو قالوا قولاً كهذا لساغ، ولكنهم إنما يتأثرون بمنهج في البحث يقوم ابتداءً على قاعدة من العداء الدفين للدين، ومن الرغبة الخفية -الواعية أو غير الواعية- في تحطيم المنهج الديني في التفكير، وإثبات أن الدين لم يكن قط وحياً من عند الله تعالى، وإنما كان اجتهاداً من البشر، ينطبق عليه ما ينطبق على تطورهم في التفكير والتجربة والمعرفة العلمية سواء بسواء^(١).

ثانياً: إنَّ هذا الموكب الكريم من الرسل واجه البشرية الضالة بدعوة واحدة، وعقيدة واحدة، وكذلك واجهت الجاهلية ذلك الموكب الكريم، وهذه الدعوة الواحدة مواجهةً واحدة -كما يعرضها السياق القرآني مغضياً عن الزمان والمكان- وكما أن دعوة الرسل لم تبدل، فكذلك مواجهة الجاهلية لم تبدل، إنها حقيقة تستوقف النظر حقاً! إن الجاهلية هي الجاهلية على مدار الزمان، إن الجاهلية ليست فترة تاريخية، ولكنها وضع واعتقاد وتصور وتجمع عضوي على أساس مقومات معينة، تقوم ابتداءً على أساس من دينونة العباد للعباد، ومن تأليه غير الله، أو من ربوبية غير الله تعالى -وكلاهما سواء في إنشاء الجاهلية- فسواء كان الاعتقاد قائماً على تعدد الآلهة، أو كان قائماً على توحيد الإله مع تعدد الأرباب -أي المتسلطين- فهو ينشئ الجاهلية بكل خصائصها الثانوية الأخرى؛ ودعوة الرسل إنما تقوم على توحيد الله تعالى، وتنحية الأرباب الزائفة، وإخلاص الدين لله -أي إخلاص الدينونة لله وإفراده سبحانه بالربوبية، أي الحاكمية والسلطان- ومن ثم تصطدم اصطداماً مباشراً بالقاعدة التي تقوم عليها الجاهلية، وتصبح بذاتها خطراً على وجود الجاهلية. وبخاصة حين تتمثل دعوة الإسلام في تجمع خاص، يأخذ أفراد من التجمع الجاهلي، ويفصل بهم عن الجاهلية من ناحية الاعتقاد، ومن ناحية القيادة، ومن ناحية الولاء، الأمر الذي لا بد منه للدعوة الإسلامية في كل مكان وفي كل زمان^(٢).

ثالثاً: إنَّ من أساسيات المواجهة بين الحق المتمثل بدعوة الرسل، والباطل المتمثل بدعاوي الجاهلية أنه عندما يشعر التجمع الجاهلي -بوصفه كياناً عضوياً واحداً متسانداً- بالخطر الذي يهدد قاعدة وجوده من الناحية العقدية، من خلال بروز الاعتقاد الإسلامي في

(١) انظر: في ظلال القرآن، ٤/١٨٨٢-١٨٨٥.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٤/٢١٠١.

تجتمع آخر منفصل عنه ومواجه له ، عندئذ يسفر التجمع الجاهلي عن حقيقة موقفه تجاه دعوة الإسلام ، إنها المعركة بين وجودين لا يمكن أن يكون بينهما تعايش أو سلام ، المعركة بين تجمعين عضويين ، كل منهما يقوم على قاعدة مناقضة تماماً للقاعدة التي يقوم عليها التجمع الآخر. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ * وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدٌ﴾ [إبراهيم: ١٣-١٤].

فأصحاب الجاهلية لا يقبلون من الرسل والذين آمنوا معهم ، أن يتميزوا وينفصلوا بعقيدتهم وبقيادتهم وبتجمعهم الخاص ، إنما يطلبون إليهم أن يعودوا في ملتهم ، ويندمجوا في تجمعهم ، أو أن يطردوهم بعيداً ، وينفوهم من أرضهم ، ولم يقبل الرسل الكرام أن يندمجوا في التجمع الجاهلي ، ولا أن يفقدوا شخصية تجمعهم الخاص^(١).

رابعاً: ينبغي أن لا يغفل أصحاب الدعوة بعد إنهاء دور التكوين العقدي عن ضرورة السعي في بناء مجتمعهم المستقل المتميز عن مجتمع الجاهلية ، مجتمعهم الذي يجعل من مبادئهم العقدية أساساً تبنى عليه التشريعات والقوانين التي تحكمهم ، وهذا يؤخذ من سير النبي صلى الله عليه وسلم في طريق الدعوة ، فبعد أن أكمل دور البناء العقدي اتجه لتكوين الدولة القائمة على الأسس العقدية التي ظل يرسخها في قلوب وعقول أصحابه - ثلاث عشرة سنة - طيلة المرحلة المكية من دعوته.

هذه الحقائق التي ترسمها آيات سورة إبراهيم حقائق يجدر بالذين يحملون لواء الدعوة إلى الله تعالى أن يكونوا عالمين بها ؛ فهي حقائق تمثل سنناً إلهية ثابتة ، وقواعد في كيفية التعامل مع المجتمعات البشرية.

(١) انظر: المرجع السابق ، ٤/ ٢١٠١-٢١٠٢.

المطلب الثاني : رسالة العبادة في سورة إبراهيم

إنَّ الإنسان مكون من مادة وروح، فإذا كان العنصر الجسدي فيه يجد حاجته في العناصر المادية من مأكَل ومشرب وملبس وتناسل وغير ذلك، فإن العنصر الروحي لا يجد إشباعاً لحاجته إلا بالقرب من الله تعالى، إيماناً به، واتباعاً لمنهجه؛ حتى يشعر بمعيته، وذلك لا يتحقق إلا بالعبادة. وللعبادة أثر بالغ في حياة الداعية إلى الله تعالى، فهي الزاد الذي يتزود به في مواجهة الصعاب، وهي وسيلة التعبير عن الشكر على التمكين من القيام بأعباء الدعوة، وقد أرشد الله تعالى نبيه للعبادة في كلا الحالين، فقال الله تعالى مخاطباً رسوله صلى الله عليه وسلم وموجهاً له: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٧-٩٩]، وقال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١-٣].

ولمَّا كانت سورة إبراهيم من السور المكية، فإنها لم تتضمن تفاصيل الأحكام في العبادة، وإنَّما تضمنت إشارات سريعة تحمل توجيهاً من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بأن يأمر المؤمنين المخلصين في عبوديتهم له أن يفعلوا ما ينقذهم من غضب الله تعالى، وذلك بالمواظبة على حسن أداء الصلوات في أوقاتها، والتصدق من مال الله الذي آتاهم إياه، وأن يسارعوا في قيامهم بهذه العبادات قبل أن يأتي يوم الجزاء، حيث لا يستطيع المقصر أن يتدارك ما فاتته، فقال تعالى: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ [إبراهيم: ٣١]^(١).

(١) انظر: مفاتيح الغيب، ٩٨/١٩.

المطلب الثالث : رسالة الأخلاق في سورة إبراهيم

لَمَّا كَانَتِ الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عَمَلَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَأَتْبَاعَهُمْ، وَلَمَّا كَانَ الدَّعَاةُ هُمُ الْعَامِلُ الْأَسَاسُ فِي نَجَاحِ الدَّعْوَةِ، فَهَمُّ رَأْسِ مَالِهَا، إِذَا صَلَحُوا نَجَحَتِ الدَّعْوَةُ، وَحَقَّقَتْ ثَمَارَهَا الْمَرْجُوءَةَ فِي الْأَرْضِ، وَظَهَرَتْ آثَارُهَا فِي سُلُوكِ أَفْرَادِ الْمَجْتَمَعِ، لَمَّا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ كَانَ لَا بَدَّ لِلْقَائِمِ بِهَا -الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى- مِنَ التَّحْلِي بِصِفَاتٍ رَئِيسَةٍ؛ لِيَكُونَ أَهْلًا لِهَذَا الْعَمَلِ، وَتَكُونَ دَعْوَتُهُ دَعْوَةً مَثْمُرَةً^(١)، وَقَدْ عَرَضْتُ آيَاتِ سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ لِبَعْضِ هَذِهِ الصِّفَاتِ مِنْ خِلَالِ تَحْلِي الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِهَا، هَذِهِ الصِّفَاتُ الَّتِي يَنْبَغِي لِلدَّعَاةِ أَنْ يَتَمَثَّلُوهَا، وَيَحْمِلُوهَا الْمَدْعُوينَ عَلَى تَمَثُّلِهَا وَالتَّحْلِي بِهَا، وَتَرْجِعُ الصِّفَاتُ الَّتِي تَعْرِضُهَا آيَاتُ هَذِهِ السُّورَةِ إِلَى ثَلَاثِ صِفَاتٍ، يَعْرِضُهَا الْبَاحِثُ تَبَاعًا:

١٠ أولها : الحكمة :

تُعَرَّفُ الْحِكْمَةُ بِأَنَّهَا: «الإصابة في الأقوال والأفعال، ووضع كل شيء في موضعه»^(٢)، وَالْحِكْمَةُ فِي الدَّعْوَةِ تَجْعَلُ الدَّاعِيَةَ إِلَى اللَّهِ يَتَأَمَّلُ، وَيُرَاعِي أَحْوَالَ الْمَدْعُوينَ وَظُرُوفَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ وَطَبَائِعَهُمْ، وَالْوَسَائِلَ الَّتِي يُؤْتُونَ مِنْ قَبْلِهَا، وَالْقَدْرَ الَّذِي يَبِينُ لَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ حَتَّى لَا يَثْقُلَ عَلَيْهِمْ، وَلَا يَشُقُّ بِالتَّكَالِيفِ قَبْلَ اسْتِعْدَادِ النُّفُوسِ لَهَا، وَالطَّرِيقَةَ الَّتِي يَخَاطِبُهُمْ بِهَا، وَالتَّنَوُّعَ وَالتَّشْوِيقَ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ حَسَبَ مَقْتَضِيَّاتِهَا، وَيَدْعُو إِلَى اللَّهِ بِالْعِلْمِ لَا بِالْجَهْلِ، وَيَبْدَأُ بِالْمَهْمِ، فَالَّذِي يَلِيهِ، وَيُعَلِّمُ الْعَامَّةَ مَا يَحْتَاجُونَهُ بِأَلْفَاظٍ وَعِبَارَاتٍ قَرِيبَةٍ مِنْ أَفْهَامِهِمْ وَمَسْتَوِيَّاتِهِمْ، وَيَخَاطِبُهُمْ عَلَى قَدْرِ عَقُولِهِمْ، فَالْحِكْمَةُ تَجْعَلُ الدَّاعِيَةَ يَنْظُرُ بِبَصِيرَةِ الْمُؤْمِنِ، فَيَرَى حَاجَةَ النَّاسِ، وَيَعَالِجُهَا بِحَسَبِ مَا يَقْتَضِيهِ الْحَالُ، وَبِذَلِكَ يَنْفِذُ إِلَى قُلُوبِ النَّاسِ مِنْ أَوْسَعِ الْأَبْوَابِ، وَتَنْشُرُ لَهُ صُدُورَهُمْ، وَيُرُونَ فِيهِ الْمُنْقِذَ الْحَرِيصَ عَلَى سَعَادَتِهِمْ وَرِفَاهِيَّتِهِمْ وَأَمْنِهِمْ وَاطْمَئِنَّانِهِمْ، وَهَذَا كُلُّهُ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْحِكْمَةِ الَّتِي هِيَ الطَّرِيقُ الْوَحِيدُ لِلنَّجَاحِ. وَمِنْ الْمَهْمِ لِنَجَاحِ الدَّعْوَةِ أَنْ تَكُونَ أَقْوَالُ الدَّاعِيَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَأَفْعَالُهُ وَتَدْبِيرَاتُهُ وَأَفْكَارُهُ نَابِعَةً مِنَ الْحِكْمَةِ، مُوَافِقَةً لِلصَّوَابِ، غَيْرَ مُتَقَدِّمَةٍ عَلَى أَوَانِهَا وَلَا مُتَأَخِّرَةٍ، لَا زِيَادَةَ فِيهَا عَمَّا يَنْبَغِي وَلَا نَقْصَ.

(١) انظر: المدخل إلى علم الدعوة، ص ١٥٥.

(٢) الحكمة في الدعوة إلى الله، ص ١٩.

وآيات سورة إبراهيم تضع بعضاً من معالم الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، والتي تستوجب من الداعية أن يراعيها، أهم هذه المعالم هي:

أولاً: مراعاة أحوال المدعوين واختيار ما يناسبهم من الوسائل: ويتضح ذلك جلياً في سورة إبراهيم من خلال إرسال الله تعالى الرسل -ومثلهم الدعاة- بلغة المدعوين؛ إذ إن توافق لسان الداعية مع لسان المدعوين أمر لازم لتحقيق البيان عن الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤].

ثانياً: مراعاة التدرج وترتيب الأولويات: إذ الحكمة تقتضي النظر في متدرجات أمور الدعوة؛ لأخذ الناس بالأولى فالأولى، فقضايا العقيدة وأصول الملة والديانة تأتي في المقام الأول، فهي إن لم تصح في العبد، فلن يجدي فيه العمل الطيب والخلق الحسن، ويدل على هذا المعلم الواقع العملي للدعوة الإسلامية في الصدر الأول، حيث بدأت الدعوة بتأسيس العقائد، ثم انتقلت بعد ذلك إلى بيان الشريعة^(١)، وخير ما يشهد لهذا الترتيب في الأولويات خلال عملية الدعوة حديث معاذ عندما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن، فقال له: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَكَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ، فَتَرُدُّ عَلَى فَقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»^(٢).

ويظهر هذا المعلم جلياً في آيات سورة إبراهيم، حيث تبدأ السورة، وتختتم في الدعوة إلى العقيدة الصحيحة في التوحيد، كما مر في المطلب الأول من هذا المبحث، ثم إن المتأمل في حوار الرسل لأقوامهم يجد أنهم بدؤوا بدعوتهم إلى عبادة الله تعالى وتوحيده: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ

(١) انظر: المدخل إلى علم الدعوة، ص ٢٤٧-٢٤٨.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب (الزكاة)، باب (أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا)، رقم/١٤٢٥، ٥٤٤/٢.

وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿إِبْرَاهِيمَ: ١٠﴾، وإبراهيم عليه السلام بدأ دعوته بالدعوة إلى التوحيد كما يومئ دعاؤه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَا كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [إِبْرَاهِيمَ: ٣٥-٣٦].

٥ ثالثاً: مراعاة طبائع النفوس وطبقات المدعوين: فالناس متباينون في طبائعهم، مختلفون في مداركهم، في العلم والذكاء، في الأمزجة والمشاعر، مختلفون في الميول والاتجاهات، مما يدعو رجل العلم والدعوة إلى تخير المدخل؛ بل المداخل المناسبة لتلك النفوس المختلفة والعقول المتباينة، فيستعمل الداعية الأساليب الوجدانية في المواقف الوجدانية، والأساليب العقلية في المواقف العقلية، والأساليب الفنية حيث لزم، والملاحظ في آيات سورة إبراهيم يجد أن الآيات تستخدم الأساليب المتناسبة مع المواقف، فموسى عليه السلام بعثه الله تعالى إلى بني إسرائيل؛ ليخرجهم من ظلمات العبودية للعباد إلى نور العبودية لرب العباد، ووجهه إلى استخدام أسلوب الترغيب والترهيب: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إِبْرَاهِيمَ: ٥] و«المعنى: عظمهم بالترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، فالترغيب والوعد أن يذكرهم ما أنعم الله عليهم، وعلى من قبلهم ممن آمن بالرسول في سائر ما سلف من الأيام، والترهيب والوعد أن يذكرهم بأس الله وعذابه وانتقامه ممن كذب الرسل ممن سلف من الأمم فيما سلف من الأيام، مثل ما نزل بعاد وشمود وغيرهم من العذاب؛ ليرغبوا في الوعد، فيصدقوا، ويحذروا من الوعد، فيتركوا التكذيب»^(١)، فالتزم موسى بتوجيهات ربه سبحانه وتعالى، فبدأ دعوته إياهم بالترغيب من خلال التذكير بنعم الله تعالى عليهم، وبالترهيب من خلال التحذير من الوقوع في نفس مصير الأمم السالفة: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ [إِبْرَاهِيمَ: ٦]، ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ [إِبْرَاهِيمَ: ٩]، وأسلوب الترغيب والترهيب هو الأسلوب الأمثل في التعامل مع قوم من شاكلة بني إسرائيل.

(١) مفاتيح الغيب، ١٩/٦٦.

ويظهر هذا المَعْلَم كذلك من خلال دعوة موكب الرسل للأقوام، حيث كانوا يبدؤون دعوتهم بأسلوب الحوار الهادئ المفعم بالترغيب؛ حملاً لهم على الإيمان برسالة التوحيد: ﴿قَالَتْ رَسُولُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [إبراهيم: ١٠]، فلماً انتقل الأقوام إلى التكذيب والعناد، وصاروا يوردون الشبهات انتقل الرسل الكرام لاستخدام الجدل الذي يلزمهم، فينقطعوا عن الجواب، كما في قوله تعالى على لسان الرسل لَمَّا طَرَحَ الْأَقْوَامُ الشَّبهَةَ عَلَى النَّبِيِّ وَامْتَنَاعُهَا: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رَسُولُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم: ١١] حيث سلموا لهم بداية انتفاء الرسالة عن أنفسهم، وليس هذا مرادهم؛ بل هو من قبيل مجارة الخصم ليعثر، فكأنهم قالوا: ما ادعيتم من كوننا بشراً حق لا ننكره؛ ولكن هذا التماثل في البشرية والإنسانية لا يمنع من اختصاص بعض البشر بمنصب النبوة؛ لأن هذا المنصب منصب يمنُّ الله به على من يشاء من عباده^(١).

ثانيها : الصبر :

الصبر في باب الدعوة إلى الله تعالى يعني: ضبط النفس على الاستمرار في طريق الدعوة مهما لاقى من العقبات، وحبسها عن الإساءة للمدعوين قولاً أو فعلاً، وبعبارة أخرى هو: عدم الانتقام حين الأذى، وعدم الانقطاع عن الدعوة حين الملل، وعدم اليأس حين الفشل.

والصابر في طريق دعوته إلى الله تعالى يتميز بعدم الاستجابة لردود فعل النفس، وبعدم التسرع في التصرف حيال المواقف؛ لذلك كان القرآن الكريم حافلاً بالاهتمام بالصبر، لما له من أثر كبير في استمرار الداعية، وعدم نفور المدعوين؛ ولذلك عدَّ الله تعالى الصبر مع التقوى من عزائم الأمور، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، وكان من أوائل ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمر بالصبر مقروناً بالدعوة إلى الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: ١-٧].

(١) انظر: الكشف، ٥١٠/٢، ومفاتيح الغيب، ٧٧-٧٥/١٩، واللباب في علوم الكتاب، ٣٥٢/١١-

بل جعل الله تعالى في سورة إبراهيم الصبرَ على الأذى من أساسيات منهج الأنبياء، فقال سبحانه وتعالى حكاية عن موقف الأنبياء تجاه تهديد أصحاب الجاهلية: ﴿وَلَكَّصْبِرًا عَلَى مَا أَدَّيْتُمُونَا﴾ [إبراهيم: ١٢] ولا شك أن في هذا إشارة جلية من الله تعالى إلى أن الرسل ومن بعدهم الدعاة سيلاقون من المشاق والمتاعب ما يستلزم استحضرار هذا الابتلاء والاستعداد لمواجهة، ولقد جاء التزام الرسل بهذا الصبر مؤكداً بلام القسم وبنون التوكيد مبالغة في الثبات، وإمعاناً في إظهار الثقة بالله تعالى أنه ينصرهم^(١).

ثالثها : التوكل على الله تعالى :

يعرف ابن عطاء الله السكندري التوكل بأنه: «أن لا يظهر فيك انزعاج إلى الأسباب مع شدة فافتك إليها، ولا تزول عن حقيقة السكون إلى الحق مع وقوفك عليها»^(٢). وبعبارة أخرى هو: الاعتماد على الله سبحانه وتعالى في جلب المطلوب، وزوال المكروه، مع فعل الأسباب المأذون فيها. ومن خلال هذا التعريف يتبين أنه لا بد من تحقق أمرين في التوكل الصحيح:

الأول: أن يكون الاعتماد على الله اعتماداً صادقاً حقيقياً.

الثاني: فعل الأسباب المأذون فيها.

فمن جعل أكثر اعتماده على الأسباب نقص توكله على الله، ويكون قادحاً في كفاية الله تعالى، فكأنه جعل السبب وحده هو العمدة فيما يصبو إليه من حصول المطلوب وزوال المكروه. ومن جعل أكثر اعتماده على الله تعالى ملغياً للأسباب، فقد طعن في حكمة الله تعالى؛ لأن الله تعالى جعل لكل شيء سبباً، فمن اعتمد على الله تعالى اعتماداً مجرداً كان قادحاً في حكمة الله تعالى؛ لأن الله تعالى حكيم يربط الأسباب بمسبباتها.

إذا اتضح ما سبق فإن آيات سورة إبراهيم تُبين أن الرسول والداعية الناجح هو الذي يستعين بالله تعالى على تنفيذ أوامره، ويعتمد عليه حين يأخذ بالأسباب مهما كانت هذه

(١) انظر: وسيم فتح الله، أساليب التربية والدعوة والتوجيه من خلال سورة إبراهيم، بحث في موسوعة المكتبة الشاملة، ص ٢٠.

(٢) ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ت: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي (بيروت)، ط ٢، ١٣٩٣هـ، ١١٥/٢.

الأسباب قوية، وأي شيء أقوى من معجزات أيد الله تعالى بها رسله وبيّنات أقام على أيديهم بها حجته! ولكن ذلك لا يكفي؛ بل إن مقام شهود هذه الأسباب هو -بالنسبة للداعية الناجح- عين مقام شهود الفقر إلى الله تعالى، وهو بذلك أشد دافع إلى التوكل على الله تعالى حق توكله دونما ركون لما سواه مهما كان قويا؛ بل إن هذا التوكل يصبح في سياق مجابهة الرسل أقوامهم نوعاً من التحدي المعجز بحد ذاته، فهو كالأشارة من الرسل عليهم الصلاة والسلام لقومهم بآية عظيمة، وهو أن قومهم -في الغالب- لهم القهر والغلبة عليهم، فتحدثهم رسلهم بأنهم متوكلون على الله تعالى، في دفع كيدكم ومكركم، وجازمون بكفايته إياهم، وقد كفاهم الله شرهم مع حرصهم على إتلافهم وإطفاء ما معهم من الحق، ولقد جاءت السورة بتأكيد هذا الأمر في مقام حاجة الرسل قومهم، تأمل قوله تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [إبراهيم: ١١-١٢]، والحقيقة أنه لا يمكن أن تقوم للداعية قائمة في مواجهة مهمة البلاغ إلا بتوكل صحيح على الله تعالى، ولهذا كان توكل الرسل عليهم الصلاة والسلام أكمل ما يكون من التوكل؛ لأنه في أعلى ما يكون من المطالب، وأشرف ما يكون من المراتب^(١)، فحري بالداعية إلى الله تعالى أن يسير على خطاهم وأن يقتفي آثارهم وسننهم.

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٤٢٢-٤٢٣، وأساليب التربية والدعوة والتوجيه من خلال سورة إبراهيم، ص ١٩.

المبحث الثاني : عقبات الدعوة وموقف الداعية منها

إن دعوة الناس إلى توحيد الله تعالى وعبادته دعوة يسيرة بسيطة في حقيقتها، ولكن أصحاب الجاهلية الذين اغتصبوا لأنفسهم خواص الألوهية - كالحاكمية المطلقة والسلطان - لا يهنأ لهم عيش ما لم يضعوا المعوقات والعراقيل في طريق دعوة التوحيد، فكان من الضروري تنبيه الدعاة إلى الله تعالى إلى وجود هذه المعوقات؛ حتى يتم التعامل معها بما يكون أرجى لنجاح الدعوة وتبليغ الرسالة، وفيما يأتي يفصل الباحث ما ورد في هذه السورة من معوقات للدعوة، ويشفعها بمعالم معالجة هذه العقبات، وذلك في مطلبين:

المطلب الأول : عقبات الدعوة

ذكرت سورة إبراهيم خمسةً من المعوقات التي تقف في وجه إتمام الداعية أداء دعوته، وهذه المعوقات هي :

أولاً : استحباب الدنيا وتفضيلها على الآخرة :

وقد جاءت هذه العقبة وصفاً للكافرين في قوله تعالى : ﴿وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ * الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢-٣] ، واستحباب الدنيا وتفضيلها على الآخرة يمكن عداها الداء الأصيل لكل من وضع أمام الدعوة عائقاً أو اعترض طريقها بعقبة ؛ لأن الذي يعمل للدنيا يتخبط في كل أوديتها، ويسير وراء كل هوى، فكلما عارض الشرع ودعوة الحق هوأه أخذ يضع من العوائق والعقبات ما يحجب دعوة الحق عنه ؛ لتخلي بينه وبين هوأه، وهذا هو كونه المعوق الأصيل للدعوة، فهو يتعدي كونه مانعاً من قبول الفرد للدعوة وتلقيها إلى تجنيد هذا الفرد تحت إمرة إبليس، للوقوف في طريق الدعوة بشتى السبل ؛ ولهذا كان مناسباً أن ذكرت آيات سورة إبراهيم هذه العقبة أول العقبات التي تقف في طريق الداعية إلى منهج الحق.

ثانياً : صدُّ الناس عن الدعوة :

إن أصحاب دعوة الجاهلية لا يكتفون برفض دعوة الرسل -ومثلهم الدعاة- لهم، ولكنهم يصرفون الناس عن اتباع ما جاؤوا به، وهذا الصد يكون بالرفض تارة، وبالإكراه تارة، وبالتهديد تارة، وبالتشويه والتحريف تارة أخرى، كما بينت آيات سورة إبراهيم : ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [إبراهيم: ٣] أي: يسعون في صد الغير، ومنعه من الوصول إلى المنهج القويم والصراط المستقيم، ويسعون في إلقاء الشكوك والشبهات في المذهب الحق، والعمل على تقييح صفته بكل ما يقدرُونَ عليه من الحيل^(١)، ولما كان دأب هؤلاء هو التشهير بالدعوة والدعاة، فقد رد عليهم القرآن بمثل ما فعلوا، فشهر الله تعالى بهم، وفضحهم على رؤوس الأشهاد، وبَيَّن أنهم معادون لمولاهم، ومعادون للحق، ومعادون لأنفسهم في اعتراض دعوة الرسل، وتنفير الناس منها، ولقد ذكر الله تعالى أمثال هؤلاء في غير موضع من القرآن، مثل قوله تعالى : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

(١) انظر: الكشف، ٥٠٦/٢، ومفاتيح الغيب، ٦١/١٩-٦٢، واللباب في علوم الكتاب، ٣٣٤/١١.

مَنْ آمَنَ تَبَغُّوْنَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا
فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿٩٩-١٠٠﴾، فكان
جزاء هؤلاء من جنس عملهم^(١).

ثالثاً : الاستهزاء بأصحاب الدعوة :

ولمَّا كان دعاة الجاهلية على باطل، فإنَّهم ليسوا من أصحاب الحجة الدامغة، ولا من
أصحاب المنطق السليم، فهم يلجؤون في مواجهة دعوة الحق إلى السخرية والاستهزاء،
وهذا دليل على إفلاس حججهم بل عدمها؛ إذ لو كانت لهم حجة من المعقول أو أثر
صحيح منقول لخاصموا به الرسل والدعاة، ولكن لما أعيتهم الحيلة جحدوا ﴿جَاءَتْهُمْ
رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٩]، وهذا الفعل (ردُّ الأيدي في
الافواه) يحتمل وجوهاً، منها أنَّ هذا الفعل يوحي بشيء من الاستهزاء والتهكم، وهذا
مشاهد ومعروف عند الناس، فترى الرجل إذا تكلم بكلمة لا يحبها القوم، وضعوا أيديهم
على أفواههم، وتهكموا، وربما تبسموا، أو ضحكوا استخفافاً واستهزاءً بما يقول^(٢).

رابعاً : إثارة الشكوك والشبهات :

ولا يقف دعاة الجاهلية عند حدِّ الاستهزاء والسخرية؛ بل إنهم يمعنون في الكِبْر،
فيوردون الشبهات الواهية التي تعبر عن مدى انحطاط هؤلاء الصادِّين عن سبيل الله تعالى،
فهم لا يتورعون عن إثارة الفتنة والشبهة مهما كانت الحقيقة بدهية في العقول، وقد فضحت
السورة هذا المسلك حين عرضت شبهاتهم، وبينت زيفها، كما في قوله تعالى حكاية عن
أصحاب الجاهلية الذين شككوا في الحقيقة التي ينطق بها كل شيء في الوجود، حقيقة
وجود الله تعالى، فقال: ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾
[إبراهيم: ٩]، فرد الرسل عليهم رداً حاسماً في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ
فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]، ومثل هذا تلك الشبه التي أوردها دعاة الجاهلية
على الرسل حول حقيقة دعوتهم وصحتها، في قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿قَالُوا إِن أَنْتُمْ إِلَّا
بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَثَبُوا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [إبراهيم: ١٠]، فكان

(١) انظر: أساليب التربية والدعوة والتوجيه من خلال سورة إبراهيم، ص ٢٣.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٢٥.

الرد من الرسل على هذه الشبهات بطريقة تتناسب مع تعنتهم: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم: ١١]، وقد تقدم تفصيل هذه الشبهات وأوجه ردها^(١).

٥ خامساً: الإيذاء الحسي والإخراج من الأرض :

إِنَّ دَابَّ دَعَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ عَلَىٰ مَرِّ الزَّمَنِ وَاخْتِلَافِ الْأَمَاكِنِ أَنَّهُمْ حِينَمَا يَعْبِزُونَ عَنْ مَقَارَعَةِ الْحُجَّةِ بِالْحُجَّةِ، وَلَا يَجِدِي مَعَهُمُ الْاسْتِهْزَاءُ وَالسَّخَرِيَّةُ نَفْعًا، وَتَتَهَوَّى شَبَهَاتُهُمْ مَعَ قُوَّةِ الْحَقِّ وَأَجُوبَتُهُ الدَّامِغَةُ، عِنْدَ ذَلِكَ يَلْجَأُونَ إِلَى الْقُوَّةِ وَالتَّهْدِيدِ، ثُمَّ الْإِيْذَاءُ وَالنَّفْيُ، يَظْهَرُ هَذَا جَلِيًّا مِنْ عَرْضِ اللَّهِ تَعَالَى لِقِصَّةِ الْبَشَرِيَّةِ مَعَ رُسُلِ الْحَقِّ، فَإِنَّ دَعَاةَ الْجَاهِلِيَّةِ الْمُتَمَثِّلِينَ بِالْأَقْوَامِ عَلَى مَرِّ التَّارِيخِ لَجَأُوا إِلَى التَّهْدِيدِ وَالتَّصْفِيَةِ الْجَسَدِيَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوْدُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [إبراهيم: ١٣]، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا التَّهْدِيدَ يَعدُّ مِنَ الْمَعْوَقَاتِ الرَّئِيسَةِ الَّتِي تَقِفُ فِي وَجْهِ الدَّعَاةِ، فَالمرءُ مَجْبُولٌ عَلَى حُبِّ مَوْطَنِهِ، وَالْأَنَسُ بِهِ، وَكَرَاهَةُ الْإِخْرَاجِ مِنْهُ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ حَمْرَاءَ الزَّهْرِيِّ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاقِفًا عَلَى الْحَزْوَرَةِ - وَهُوَ مُوَضَّعٌ بِمَكَّةَ - فَقَالَ: «وَاللَّهِ إِنْكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ»^(٢)، وَفِي هَذَا تَنْبِيْهِ لِلرُّسُلِ وَلِلدَّعَاةِ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَى عِظَمِ مَا سَيَقَابِلُهُمْ بِهِ قَوْمُهُمْ، وَأَنَّ هَذَا يَجِبُ أَنْ لَا يَشْنِيَهُمْ عَنِ الْمَضِيِّ قُدَمَاءً فِي أَدَاءِ الرِّسَالَةِ، فَاللَّهُ تَعَالَى يَتَوَلَّى حِفْظَهُمْ وَرَدَّ مَكْرَ دَعَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ بِهِمْ، كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي هَذِهِ السُّورَةِ: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [إبراهيم: ٤٦].

(١) انظر: ص ٢٤٧-٢٤٨ من البحث.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب (المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم)، باب (في فضل مكة)، رقم/٣٩٢٥، ٧٢٢/٥، وقال: «هذا حديث حسن غريب صحيح، وقد رواه يونس عن الزهري نحوه، ورواه محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وحديث الزهري عن أبي سلمة عن عبد الله بن عدي بن حمراء عندي أصح»، وابن ماجه في سننه، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر (بيروت)، دط، كتاب (المناسك)، باب (فضل مكة)، رقم/٣١٠٨، ١٠٣٧/٢.

المطلب الثاني : موقف الداعية تجاه العقبات

في مواجهة تلك العقبات رسم الله تعالى للدعاة معالم معالجتها، فجعل سُبُل المواجهة منوطة بأمرين متلازمين لا بدَّ منهما جميعاً، وهما التقوى والصبر، وقد جاءت آيات عديدة في القرآن الكريم تربط بين هذين الأمرين في مجال معالجة العقبات والنجاة من كيد الأعداء ومكرهم، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠]، وقال: ﴿تَبْلُؤُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، وقال بعد عرض العقبات التي واجهت يوسف عليه السلام: ﴿إِنَّهُ مِنْ يَتَّقِي وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠]، وليست التقوى والصبر مجرد كلمات تُقال أو دعاوى تُدعى، وإنما هما حالتان نفسيتان تعرفان بآثارهما ومظاهريهما.

وأبرز مظاهر المَعْلَم الأول (الصبر) الذي واجه به الرسل العقبات التي وضعتها دعاة الجاهلية في طريق دعوتهم ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا﴾ [إبراهيم: ١٢] أبرز مظاهره أمور:

أولها: الاستمرار والثبات على العمل دون كلل أو يأس، فإنَّ نصر الله تعالى يأتي مع الصبر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الأنعام: ٣٤].

ثانيها: التعقل في العمل، وضبط النفس، وعدم التعجل بالنتيجة، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

ثالثها: تفويض الأمر لله تعالى، وصدق التوكل عليه، قال تعالى: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢].

رابعها: البذل والتضحية في سبيل الله تعالى، والجهاد بالمال والنفس، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]^(١).

وأبرز مظاهر المعلم الثاني (التقوى) أمور:

٥ أولها: إخلاص الداعية في دعوته؛ إذ الإخلاص هو الذي يقي الأعمال من أن تحبط، وتضيع آثارها، وهو الذي يعين الداعية على مواجهة كيد دعاة الجاهلية ومكرهم، قال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ١٤].

ثانيها: التواصي بين المؤمنين بالحق، وتبادل النصيحة والشورى فيما بينهم، والتأمر بينهم بالمعروف، والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣]. ١٠

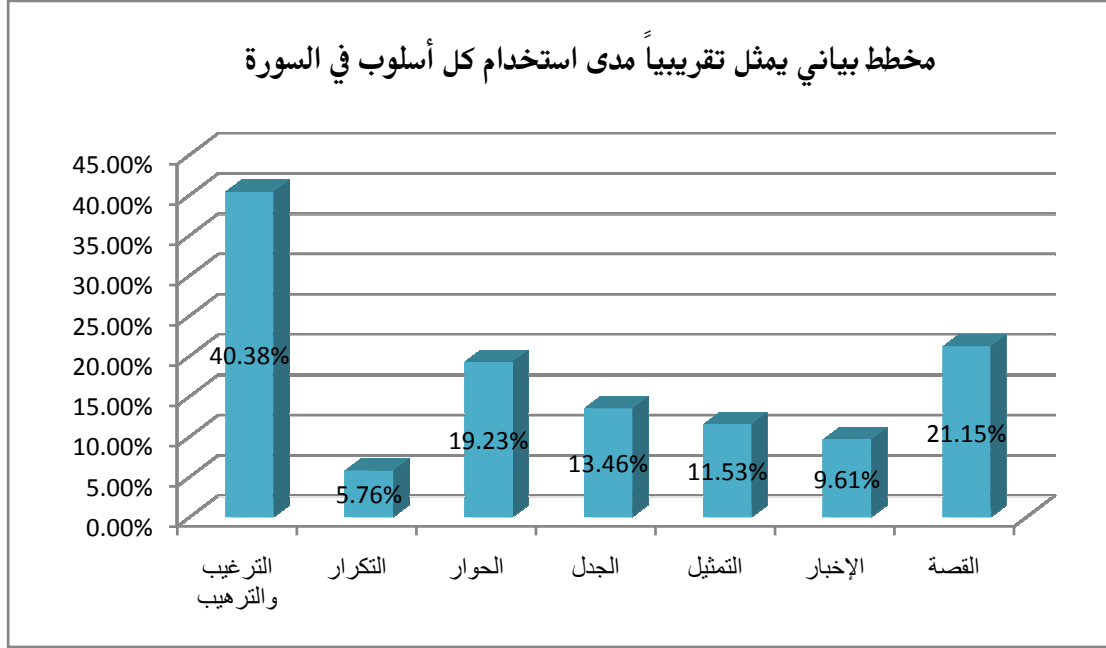
ثالثها: تحقيق وحدة الصف، ونبد التفرق والشقاق، ولاسيما عند مواجهة العقبات والصعاب، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٢-١٠٣]^(٢).

(١) انظر: المدخل إلى علم الدعوة، ص ٣٧٨-٣٨٢.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٣٧٣-٣٧٧.

خاتمة الباب الثاني

في نهاية الباب الثاني يتضح للباحث أنَّ سورة إبراهيم قد استخدمت في عرض موضوعاتها مختلف الأساليب وبنسب متفاوتة، والمخطط الآتي يوضح نسبة استخدام كل أسلوب في السورة:



١٥

ومن الملاحظ تفوق أسلوب الترغيب والترهيب على باقي الأساليب، ولهذا التفوق دلالة؛ حيث إنَّ سورة إبراهيم من آخر السور المكية نزولاً -ترتيبها سبعون^(١) من أصل ست وثمانين- أي أنَّ نزولها كان بعد أن قطعت الدعوة شوطاً كبيراً، وخلال هذا الشوط كانت المواقف قد تبلورت، والصراع حول قبول الدعوة بات مكشوفاً، فسور القرآن الكريم يتوالى نزولها على النبي صلى الله عليه وسلم، فيبلغها للناس، ويرى صناديد قريش في توسع الدعوة خطراً على نفوذهم، وقضاءً على امتيازاتهم، فيناصبونها العداء، وكلما تعقبهم القرآن كاشفاً لزيغهم، زادوا في عنادهم، ولجوا في طغيانهم، حتى أحاطوا أنفسهم بسياج من الكراهية للدعوة ورجالها، وصموا آذانهم عن سماع القرآن، وتواصوا فيما بينهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

١٠٠

١٠٥

(١) انظر: اللباب في علوم الكتاب، ٣٢٨/١١.

إذاً فمستقبلو الرسالة في هذه المرحلة قوم يصدق عليهم قول الله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ [مريم: ٩٧]، فهم قوم من الكفار علموا أن ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من عقائد وتشريعات هو الحق، ومصدره الله الواحد سبحانه وتعالى، لكنهم على الرغم من ذلك رفضوا الاستجابة له وقبوله، عناداً واستكباراً، فكان الترغيب والترهيب الأسلوب الأمثل في التعامل معهم؛ لتلين غلظتهم المتأججة في صدورهم من جهة؛ ولكسر شوكتهم، وصد شرهم من جهة أخرى، وبذلك يتم الانتصار على نزوات الشر الراسخة في نفوسهم، والتي جعلتهم يتباطؤون في الاستجابة.

وقد عرضت السورة -سورة إبراهيم- بأساليبها المتنوعة مجموعة من القضايا العقدية، والجدول الآتي يمثل القضايا العقدية التي عرضها كل أسلوب من الأساليب:

جدول يمثل آيات سورة إبراهيم وأساليبها وقضاياها العقدية

رقم الآية	آيات سورة إبراهيم	الأسلوب المتبع في العرض						القضية العقدية المتضمنة
		التكرار	الحوار	الجدل	التمثيل	الإخبار	القصة	
١	الر كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ	نعم	-	-	-	نعم	-	قدم القرآن-أفعال العباد- تعليل أفعال الله تعالى
٢	اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ	نعم	-	-	-	-	-	وجوب توحيد الله تعالى
٣	الَّذِينَ يَسْتَحْيُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ	نعم	-	-	-	-	-	صفات الكفار
٤	وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُلٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ	-	-	-	-	نعم	-	عموم بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم- الهداية والضلال
٥	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ	-	-	-	-	-	نعم	المعجزات ودلائلها على النبوة- مهمة الأنبياء
٦	وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ	-	-	-	-	-	نعم	مهمة الأنبياء
٧	وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ	-	-	-	-	-	نعم	-
٨	وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ	-	-	-	-	-	نعم	-
٩	أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ	-	-	-	-	-	-	شبه حول النبوة

					نعم	-	-	وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ
١٠	نعم	-	نعم	نعم	-	-	-	قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِئَةُ اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ
١١	-	-	نعم	نعم	-	-	-	قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ
١٢	-	-	-	نعم	-	-	-	وَمَا لَنَا أَلَّا تَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنْصَبِرَ عَلَىٰ مَا أَذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ
١٣	-	-	-	نعم	-	-	-	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوْدُنَّ فِيهَا وَلَئِنَّا فَآوِخَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ
١٤	-	-	-	نعم	-	-	-	وَلَنَسَكِّتَنَّكَمُ الْاَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعَبَدَ
١٥	نعم	-	-	-	-	-	-	وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ
١٦	نعم	-	-	-	-	-	-	مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ
١٧	نعم	-	-	-	-	-	-	يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ
١٨	-	-	-	-	-	-	-	مِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ
١٩	-	-	-	نعم	-	-	-	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ
٢٠	-	-	-	نعم	-	-	-	وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ
٢١	-	-	-	نعم	-	-	-	وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَبَلَّ أَنْتُمْ مَغْنُوثٌ غِنًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ سَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ
٢٢	-	-	-	نعم	-	-	-	وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
٢٣	-	-	-	-	-	-	-	وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ
٢٤	-	-	-	نعم	-	-	-	أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ
٢٥	-	-	-	نعم	-	-	-	تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ

٢٦	وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ	-	-	-	-	-	نعم	-	وجوب توحيد الله تعالى
٢٧	يُبَيِّنُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ	-	-	-	-	-	نعم	-	سؤال الملكين
٢٨	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ	-	-	-	-	-	نعم	-	التحذير من الكفر والشرك
٢٩	جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ	-	-	-	-	-	نعم	-	التحذير من الكفر والشرك
٣٠	وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتُّوا فَاِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ	-	-	-	-	-	نعم	-	التحذير من الكفر والشرك
٣١	قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٍ	-	-	-	-	-	نعم	-	الرزق
٣٢	اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ	-	-	-	-	نعم	نعم	-	وجود الله ومظاهر قدرته
٣٣	وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ	-	-	-	-	-	نعم	-	وجود الله ومظاهر قدرته
٣٤	وَأَنَّا كُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ	-	-	-	-	-	نعم	-	وجود الله ومظاهر قدرته
٣٥	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ	-	-	-	-	-	نعم	-	وجوب توحيد الله تعالى
٣٦	رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ	-	-	-	-	-	نعم	-	وجوب توحيد الله تعالى - ثبوت الشفاعة
٣٧	رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ	-	-	-	-	-	نعم	-	-
٣٨	رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ	-	-	-	-	-	نعم	-	علم الله تعالى وسعته
٣٩	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ	-	-	-	-	-	نعم	-	-
٤٠	رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ	-	-	-	-	-	نعم	-	-
٤١	رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ	-	-	-	-	-	نعم	-	الدعاء للكفار
٤٢	وَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمَ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ	-	-	-	-	-	نعم	-	إشكال حول العصمة - وجود يوم القيامة وصفات منكره - شمول العذاب للروح والجسد
٤٣	مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ	-	-	-	-	-	نعم	-	وجود يوم القيامة وصفات منكره - شمول العذاب للروح والجسد
٤٤	وَأَذِّنْ لِلنَّاسِ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرَجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَفْهَمَ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ	-	-	-	-	-	نعم	-	-
٤٥	وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ	-	-	-	-	-	نعم	-	-
٤٦	وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ	-	-	-	-	-	نعم	-	-

٤٧	فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِيفَ وَعْدِهِ رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ	نعم	-	-	-	-	-	عدم إخلاف الوعد
٤٨	يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ	نعم	-	-	-	-	-	صفة تبدل الأرض يوم القيامة
٤٩	وَنَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ	نعم	-	-	-	-	-	شمول العذاب للروح والجسد
٥٠	سَرَابِلُهُمْ مِنْ طَيْرٍ اِنَّمَا تَغْنَمُ وَأَصْوَاهُمْ النَّارُ	نعم	-	-	-	-	-	شمول العذاب للروح والجسد
٥١	لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ	نعم	-	-	-	-	-	-
٥٢	هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذْكُرُوا وَلِئَلَّا يَكُونُوا مِنَ الْكَاذِبِينَ	نعم	-	-	-	-	-	وجوب التوحيد

كما عرضت سورة إبراهيم ملامح المنهج الذي ينبغي أن يسير عليه الدعاة إلى الله تعالى، فيجد فيها الباحث الرسالة التي يحملها الداعية في العقيدة والشريعة والأخلاق، ويجد فيها بعض ما يواجهه الداعية من مصاعب مشفوعة بسبل التغلب عليها، مما تمّ توضيحه في الفصل الثاني من هذا الباب. ٥

الخاتمة

بعد أن تناول الباحث في هذا البحث دراسة أساليب صياغة الرسالة الإعلامية العقديّة في القرآن الكريم، بياناً لمفهومها، وإيضاحاً لأقسامها، وشرحاً لأهميتها الإقناعية، وعرضاً لنماذج دلالتها على قضايا العقيدة، كما تناول بالدراسة نموذجاً تطبيقياً للاستخدام القرآني لهذه الأساليب في عرض قضايا العقيدة في إحدى السور -سورة إبراهيم-، بعد تناول ذلك بالدراسة يمكنه -بإيجاز حتى لا يعيد ما قد قيل- أن يجمال في هذه الخاتمة أهم النتائج والتوصيات، التي تعدُّ ثمرة الجهد المبذول في هذا البحث:

أولاً: اتضح من خلال البحث أن المفهوم الدقيق للإعلام ينبغي أن يحدد الوظيفة التي يقوم بها، والوسيلة التي يستخدمها؛ حتى لا يختلط بغيره من المفاهيم، وعليه فالتعريف المقترح للإعلام هو: بثُّ رسالة ما (إخبارية أو إقناعية أو تعليمية أو ترفيهية...) على أعداد كبيرة من الناس، عن طريق إحدى الوسائل الجماهيرية (الصحافة والكتاب والإذاعة والتلفاز...) بأسلوب يخدم هدف الرسالة، ويساعد على تحقيق الأثر المطلوب في الجمهور.

ثانياً: يطلق مصطلح الدعوة على معنيين: الأول: الدين (الإسلام)، والثاني: عملية تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع حياتهم. وسياق إirاده هو الذي يحدد المعنى المراد. والعلاقة بين مفهومي الإعلام والدعوة علاقة (عموم وخصوص من وجه)، فمن حيث الوظيفة والهدف، فإن الإعلام يشمل بثَّ رسالة ما؛ لمجرد إطلاع المستقبل عليها (الإخبار)، أو للترفيه عنه، أو لمحاولة إقناعه بمضمونها. في حين أن الدعوة تهدف إلى القسم الأخير فقط، فالإعلام هنا أكثر شمولاً من الدعوة. ومن حيث الوسيلة، فإن الدعوة أكثر شمولاً؛ لأن الدعوة قد تأخذ صبغة الاتصال الشخصي والجمعي والجماهيري. أما الإعلام فإنه يقتصر على الاتصال الجماهيري.

ثالثاً: يتحدد مصطلح الأسلوب الإعلامي: بصياغة الرسالة الإعلامية صياغةً مقنعةً ومؤثرةً في المستقبل بما يتناسب مع حاله، ويخدم هدف المرسل. أمّا مصطلح الوسيلة الإعلامية فيتمثل: بتلك القنوات الجماهيرية (الكتاب، الصحافة، الإذاعة، التلفاز...) التي يبثُّ المرسلُ من خلالها رسالته الإعلامية، ويستهدف من خلالها أكبر شريحة ممكنة من المُستقبليين. وبناءً على ذلك فالفرق بين الأسلوب والوسيلة -بعبارة بسيطة- أنَّ الأسلوب

يمثل القلب الذي تُصاغ فيه الرسالة الإعلامية، بينما الوسيلة تمثل الأداة التي تنقل الرسالة بقلبها - بأسلوبها - إلى المستقبلين.

رابعاً: راعى القرآن الكريم أحوال الناس العقلية والنفسية، فنوع أساليب عرض الرسالة العقدية، بما يتناسب مع إمكانياتهم، ومداخل التأثير والإقناع فيهم. وقد اصطلح الباحث بعد استقراءه الآيات القرآنية التي تحمل مضموناً عقدياً على تصنيف أساليب العرض فيها في ٥ ثلاث مجموعات، تتضمن سبع أساليب رئيسة؛ وجدانية (ترغيب وترهيب، وتكرار)، وعقلية (حوار وجدل)، وفنية (تمثيل وإخبار وقصة).

خامساً: الترغيب والترهيب كأسلوب إعلامي هو: تلك العملية المزدوجة القائمة على تحريك نوازع الشوق أو الخوف في نفس المدعو بمكاسب أو مضار عاجلة أو آجلة قد تلحقه، مما يدفعه إلى قبول موضوع الدعوة والثبات عليه والامتناع عن رفضه. ويرتكز هذا الأسلوب إلى تقنية نفسية في الإقناع يُطلق عليها علماء الإعلام الاستراتيجية الدينامية النفسية والتي تقوم على استخدام رسالة إعلامية فعالة، لها القدرة على تغيير الوظائف النفسية للأفراد؛ حتى يستجيبوا لهدف القائم بالاتصال.

سادساً: أسلوب الترغيب والترهيب من أكثر الأساليب استخداماً في سور القرآن الكريم المكية التي تعالج القضايا العقدية، ويُلاحظ أنَّ جانب الترهيب يغلب جانب الترغيب، وتفسير ذلك أنَّ مستقبل الرسل (المدعوين) في المرحلة المكية قوم يصدق عليهم قول الله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، فهم قوم من الكفار علموا أنَّ ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم هو الحق، ومصدره الله الواحد سبحانه وتعالى، لكنهم على الرغم من ذلك رفضوا الاستجابة له وقبوله، عناداً واستكباراً، فكانت تأتي آيات الترهيب فتصور التهديد والوعيد بالعذاب الشديد كنموذج قوة تواجه قوتهم ٢٠ المزعومة، وبذلك يتم الانتصار على نزوات الشر الراسخة في نفوسهم، التي جعلتهم يتباطؤون في الاستجابة.

سابعاً: التكرار كأسلوب إعلامي يتمثل بتلك العملية التي تقوم على إعادة وترديد موضوع الرسالة المراد إقناع الجمهور بها؛ مما يرسخ معناها في نفوسهم، ويدفعهم إلى الاستجابة لموضوعها والاقتناع به. ويؤكد علماء النفس والاجتماع أنَّ للتكرار أثره في ترسيخ ٢٥

المعنى المكرر في النفس، وتحويله إلى حقيقة ثابتة، ومن هنا فلا عجب من وجود التكرار في عرض القضايا المهمة في القرآن الكريم؛ لأنَّ ذلك يعدُّ ضرورة تربوية وتعليمية لإقناع الناس بها وترويضهم عليها.

ثامناً: كان أكثر القضايا العقدية تكراراً في القرآن الكريم قضية توحيد الله عزَّ وجل في ألوهيته بعبادته وحده، واعتقاد أن كل ما سواه من الموجودات سواءً في كونهم ملكاً وعبداً له، لا يملكون من دونه نفعاً ولا ضرراً؛ ويفسر هذا الأمر أنَّ هدم معادل الوثنية وحصونها المشيدة في الأفكار والقلوب، ما كان ليتمَّ بإقامة برهان عقلي واحد أو برهانين؛ بل لا بدَّ فيه من التكرار الذي يعمل على ترسيخ المعنى المكرر في النفس، وتحويله إلى حقيقة ثابتة فيها.

تاسعاً: الحوار أسلوب منظم في عرض القضايا، ومراجعة الكلام حولها من قبل طرفين أو أكثر بعيداً عن الخصومة والنزاع؛ للوصول إلى توافق أو اتفاق عليها، بحيث يتبلور فيها مفهوم يكون موضع رضا وقبول لدى كل الأطراف. وقد استخدم القرآن الكريم الحوار بأشكال كثيرة في عرض القضايا العقدية.

عاشراً: للحوار أهمية بالغة في الإقناع الذاتي الذي ينبع من أعماق صاحبه، والذي هو أساس الإيمان الذي لا يمكن أن يُفرض فرضاً، وإنما ينبع من داخل الإنسان. ومن هنا كان الحوار ضرورة معرفية عقلية وضرورة نفسية وضرورة اجتماعية وضرورة تربوية وضرورة دعوية.

حادي عشر: أسست نصوص القرآن الكريم لمجموعة من الضوابط التي تكفل نجاح الحوار، كتحديد موضوع الحوار، وتحرير محل النزاع، وتحديد المفاهيم والمصطلحات، وترك التعصب للأفكار المسبقة، وغيرها. هذه الضوابط تنظم مسار الحوار، فتعصم المتحاورين من الانحراف، وتساهم في كبح جماح الفهم الخاطئ، وتمنع من تسرب التفاسير المشوشة، والتأويلات البعيدة.

ثاني عشر: الجدل كأسلوب إعلامي قرآني: ما استعمله القرآن الكريم من براهين وأدلة وحجج، ومختلف أشكال الاستدلال، وطرق الإلزام والإفحام؛ لجعل الخصم يسير وفق المنهج الذي سطره القرآن الكريم لذلك؛ بغية إيصاله في الأخير إلى الاقتناع.

ثالث عشر: سلك القرآن الكريم في جدله مسالك متعددة، كالسبر والتقسيم، والقول بالموجب، والانتقال، والترقي والتدلي، والتجزئة، والاستدراج، والتقرير والقياس، وغيرها من المسالك وأوجه الاستدلال الصحيحة التي تجري وفق قواعد العقل السليم وفطرته. وهنا تظهر ضرورة اعتماد الدراسات العقدية على مسالك القرآن الكريم في الجدل، ونبذ أكثر المسالك الكلامية القائمة على الاعتماد على مسلمات الخصوم، والتشقيق الجدلي، وانتفاء المدلول لانتفاء دليله وغيرها.

رابع عشر: التمثيل كأسلوب إعلامي يتمثل بتلك العملية التي تقوم على تصوير المعاني المجردة بصور مجسدة، والأحوال القائمة بوقائع تاريخية معروفة بحيث يتلقاها القارئ أو السامع لموضوع الرسالة وكأنها مشهد مرئي أمامه؛ مما يؤثر إيجاباً في المتلقي، ويدفعه للقيام بسلوك مرغوب. والمتتبع للتمثيلات القرآنية يجد أنها أولت القضايا العقدية أهمية بالغة؛ لكونها تمثل القاعدة الكبرى التي يقوم عليها بناء الإسلام، فجاءت الأهداف العقدية للأمثال القرآنية أكثر بكثير من الأهداف السلوكية.

خامس عشر: يؤكد علماء النفس الاتصالي -فرنسيس برغن (Francis Berguin) ويان لولي (Yann Lelay)- على أهمية أسلوب التمثيل في عملية الإقناع حيث أشاروا في كتاباتهم إلى أن الرسالة الاتصالية الناجحة يجب أن تتمتع بخاصية كونها محسوسة أو ملموسة، فكلمات الرسالة المحسوسة أكثر تحديداً للمعنى من الكلمات المجردة؛ لكونها تثير الحواس الإنسانية كالسمع والبصر واللمس وغيرها، والكلمات المحسوسة تزود المستقبل بصورة ذهنية للأشياء ترسخ في ذهنه، بعكس الكلمات المجردة التي لا تسعفه في تكوين صورة ذهنية راسخة، فالكلمات المحسوسة تساعد المستقبل على تخيل الرسالة وتذكر موضوعها والتفاعل معها بشكل قوي ومؤثر.

سادس عشر: الإخبار كأسلوب إعلامي يتمثل بالإعلان عن الأحداث المهمة التي وقعت أو ستقع، وسيكون لها أثر في حال الناس أو مآلهم؛ مما يدفعهم للاطلاع على مضمونها، واتخاذ المواقف والتصرف على ضوءها.

سابع عشر: لأسلوب الإخبار أهمية بالغة في الإقناع، حيث يعمل الخبر على تكوين ونمو المعرفة الإنسانية، وإحداث التأثير والتغيير من خلال تدعيم قدرة الأفراد على إدراك ما

يجري حولهم من أحداث، ودون هذا الإدراك لا يمكن تأسيس المعرفة لديهم، وبالتالي عدم قدرتهم على المشاركة وإبداء الرأي في هذه الأحداث. ومن خلال توسيع معارف الأفراد حول أسباب ومسببات ما يجري من أحداث تحيط بهم، وعلاقات الارتباط بينها، وعندها يصبح الأفراد واعين ومهيئين لاتخاذ المواقف وإصدار الأحكام. كما يعمل على تعزيز قدرة الأفراد على فهم وتفسير الأحداث المختلفة والمتنوعة، وبهذا الفهم والتفسير تتحسن قدراتهم في قراءة مجرى حركة الأحداث، وبالتالي التصرف على ضوءها، ويعمل أخيراً على تكوين رأي عام واعٍ للقضايا الأساس في حياة المجتمع.

ثامن عشر: الأسلوب القصصي كأسلوب إعلامي يتمثل بنقل الأحداث الماضية الواقعة، والتركيز على ما تحمله في طياتها من عبر؛ بغية التأثير في المتلقي، وجعله يغيّر من اتجاهاته وميوله، ويأتي باستجابات متوافقة مع ما أراده القائم بالاتصال. وقد دلت التجربة التربوية على أنّ أشد المواعظ الدينية نفاذاً ما عرض بأسلوب قصصي يحمل على المشاركة الوجدانية للأشخاص، والتأثر بالأحداث، والانفعال بالمواقف. فبحيوية العرض في القصة الموجهة وقوة التخيل والتصوير فيها، وتهيئة اللحظة الحاسمة التي تبلغ فيها حرارة الانفعال النفسي درجة الانصهار يحصل من التأثر بالتوجيه التربوي ما لا يحصل عند إقحام ذلك التوجيه والنفس في راحتها واسترخائها.

تاسع عشر: قصص القرآن الكريم تمثل ربع القرآن الكريم، وهي مزيج من العقيدة والمعرفة، ومن العاطفة والفكر، والحق والجمال. فهو لم ينس حظّ العقل من حكمة وعبرة، ولا حظّ القلب من ترقيق وتحذير. كل ذلك يجعل بذور العقيدة التي يدعو إليها ضاربة في أعماق النفس.

عشرون: إنّ لكل أسلوب من الأساليب السبعة آليته الخاصة ومدخله في التأثير والإقناع، وهناك بعض العوامل التي ساعدت على اكتساب أساليب القرآن الكريم قوة إضافية في التأثير في المستقبلين كالحضور الإلهي الذي يثير في القلوب أعظم الأحاسيس الدينية، وكونها تجمع بين التأثير في القلوب والإقناع للعقول، أضف إلى ذلك تميز الأدلة التي تقدمها بالسهولة والوضوح واليقينية ومناسبتها مختلف مستويات الفهم.

إحدى وعشرون: استخدمت عينة الدراسة التطبيقية -سورة إبراهيم- في عرض موضوعاتها العقدية المتنوعة (المتصلة بمختلف قضايا التوحيد والنبوة والبعث) مختلف الأساليب وبنسب متفاوتة، كالاتي: الترغيب والترهيب ٤٠,٣٨% من آيات السورة، يليه القصة ٢١,١٥% منها، ثم الحوار ١٩,٢٣% منها، ثم الجدل ١٣,٤٦%، ثم التمثيل ١١,٥٣% منها، ثم الإخبار ٩,٦١% منها، وأخيراً التكرار ٥,٧٦% منها. ويمكن إرجاع تفوق أسلوب الترغيب والترهيب على باقي الأساليب لنفس السبب الذي مرّ في النتيجة السادسة.

اثنتان وعشرون: رسمت سورة إبراهيم ملامح المنهج الذي ينبغي أن يسير عليه الدعاة إلى الله تعالى، فبينت الرسالة التي يحملها الداعية في العقيدة والشريعة والأخلاق، ونهت إلى بعض ما قد يواجهه الداعية من مصاعب مشفوعة بسبل التغلب عليها.

ثلاث وعشرون: أوضحت سورة إبراهيم أنّ الداعية لكي يكون أهلاً للقيام بأعباء دعوته لا بدّ أن يكون متحلياً بصفات ثلاث أساس، هي: الحكمة التي تعني الإصالة في الأقوال والأفعال، ووضع كل شيء في موضعه، والتي تجعل الداعية إلى الله يتأمل، ويراعي أحوال المدعوين وظروفهم وأخلاقهم وطبائعهم، والوسائل التي يؤثرون من قبلها، والقدر الذي يبين لهم في كل مرة حتى لا يثقل عليهم، والطريقة التي يخاطبهم بها. والصبر الذي يعني ضبط النفس على الاستمرار في طريق الدعوة مهما لاقى من العقبات، وحبسها عن الإساءة للمدعوين قولاً أو فعلاً. والتوكل على الله تعالى الذي يعني الاعتماد على الله سبحانه وتعالى في جلب المطلوب، وزوال المكروه، مع فعل الأسباب المأذون فيها.

أربع وعشرون: ذكرت سورة إبراهيم خمسة من المعوقات التي تقف في وجه إتمام الداعية أداء دعوته، هذه المعوقات هي: استحباب الدنيا وتفضيلها على الآخرة، وصدّ الناس عن الدعوة، والاستهزاء بأصحاب الدعوة، وإثارة الشكوك والشبهات، والإيذاء الحسي والإخراج من الأرض، وأوضحت أنّ سبيل المواجهة لهذه المعوقات يتمثل بالتخلق بأخلاق الدعوة المتمثلة بالصبر والتقوى.

خمس وعشرون: أوصي العاملين في ميدان الدعوة والإرشاد من معلمين وأئمة مساجد وخطباء وإعلاميين بضرورة الاستفادة من أساليب القرآن الكريم في عرض قضاياها، والإقناع بها.

ست وعشرون: أوصي العاملين في ميدان الدعوة والإرشاد من معلمين وأئمة مساجد وخطباء وإعلاميين بضرورة تنوع أساليب عرض رسائلهم، ولاسيما العقيدة منها، وترك الاقتصار في عرض القضايا العقدية على الأسلوب الجدلي في صورته المعهودة البعيدة عن كثير من مسالك القرآن الكريم في الجدل؛ إذ إنَّ المتلقي يجد في الرسالة المتنوعة الأساليب ما يلمس موطن التأثير فيه، فيصل إلى الاستجابة والاقتناع.

سبع وعشرون: أوصي القائمين على وضع مناهج العقيدة في المدارس والجامعات بضرورة استلهاهم منهج القرآن الكريم وأسلوبه في تقرير قضايا العقيدة، وعدم الاقتصار في دراسة العقيدة وتدريسها على التصورات والأطروحات التي قدمتها منظومة علم الكلام، التي كان لها دور بارز في الدخول بهذه العقيدة في متاهات جدلية عقيمة أضعفت من فاعلية هذه العقيدة لدى معتنقيها.

ثمان وعشرون: أوصي الباحثين بإجراء بحوث في مجال تأثير القرآن الكريم بالمتلقين، ولاسيما التأثير الوجداني في القرآن الكريم، والاستعانة في ذلك بنظريات تأثير وسائل الإعلام المعاصرة.

وأخيراً أختتم الكلام بأمرين: أولهما: شكرٌ لكل من له يد في إنجاز هذا البحث إرشاداً وتوجيهاً وتنسيقاً. وثانيهما: أني أرجو أن يُقرأ هذا البحث بعين النصح لي، فإن عُثر فيه على موقع سهو فأمكن تصحيحه، قُضي فيه حق أخٍ مسلم، وإن كان موافقاً للحق فهو منة من الله تعالى عليّ ورحمة لي، وأعوذ بالله أن أكون ممن زُينَ له سوء عمله فرآه حسناً.

والحمد لله رب العالمين

الفهارس العامة

أولاً : فهرس الآيات القرآنية

ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية

ثالثاً : فهرس المصادر والمراجع

رابعاً : فهرس الموضوعات

أولاً : فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	السورة	رقم الآية	صفحة الورد
﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾	البقرة	٣	٢٦٨
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	البقرة	٢١	٧٢
﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	البقرة	٢٣	١٠٦
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا﴾	البقرة	٢٦	١١٣
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾	البقرة	٣٤	٤١
﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾	البقرة	٥٠	٢٠٩
﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾	البقرة	٥٥	٢٠٧
﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ * فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَىٰ الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾	البقرة	٥٨-٦٠	١٧٦
﴿وقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾	البقرة	٨٣	٨٢
﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾	البقرة	٨٥	١١٠
﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾	البقرة	٨٧	١١٠
﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ	البقرة	٨٩	١٠٩

			قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٠٧﴾
٢٠٧	٩٥	البقرة	﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾
١٠٨	١١١	البقرة	﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
٢٧٢	١٢٤	البقرة	﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي لِلظَّالِمِينَ﴾
٢٧٢	١٢٨	البقرة	﴿وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ﴾
١١	١٢٩	البقرة	﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾
١١٥	١٦٣	البقرة	﴿وَالْهَيْكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾
١١٥	١٦٤	البقرة	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾
١٩٤	١٨٥	البقرة	﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾
١٢	٢٢١	البقرة	﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾
١٨٣-١٠٥	٢٥٨	البقرة	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾
١٣٠	١١-١٠	آل عمران	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ * كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾
١٢٧	٥٧	آل عمران	﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾
١١٧-١٠١-١٢١	٦١-٥٨	آل عمران	﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ * إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * الْحَقُّ

			مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٥٣﴾
٥٣	٦٢	آل عمران	﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾
٧٧	٦٦	آل عمران	﴿هَآ أَنتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾
٤١	٧٨	آل عمران	﴿وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾
٢٩١	-٩٩ ١٠٠	آل عمران	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾
٢٩٤	-١٠٢ ١٠٣	آل عمران	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾
٢٩٤	١٢٠	آل عمران	﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرَّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾
١١٨	١٣٧	آل عمران	﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾
٢٩٥	١٤٢	آل عمران	﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾
١٢٢	١٥٩	آل عمران	﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾
١٩٣	١٧٣	آل عمران	﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾
١٠٩	١٨٣	آل عمران	﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
٢٩٦-٢٩٣	١٨٦	آل عمران	﴿لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

			مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٢٤﴾
١٢٤	٨٢	النساء	﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾
٧١	٩٤	النساء	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾
١٩٤	١٣٦	النساء	﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾
١١١	١٥٧	النساء	﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾
١١١	١٨	المائدة	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾
١١٢	١٨	المائدة	﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾
١٨	٣٥	المائدة	﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾
٧١	٦٧	المائدة	﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾
١٢٣	٧٥	المائدة	﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾
١٤	٩٩	المائدة	﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾
٢٤٠	١٤	الأنعام	﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾
٢٩٤	٣٤	الأنعام	﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى آتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾
١٦٨	٥٧	الأنعام	﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْصُ الْحَقُّ﴾
١٩٢-١٢١	٧٨-٧٥	الأنعام	﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا

			أَفَلَا قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ
٢٧٥	٩٠	الأنعام	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾
١٦٣	٩٣	الأنعام	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾
١١٦	٩٥-٩٩	الأنعام	﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ * فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ * وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنَ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾
١٠٤-٤٧	١٠١-١٠٢	الأنعام	﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾
٢٥٥	١٢٤	الأنعام	﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾
٢٣٧	١٢٨	الأنعام	﴿النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾
٢٣٩	١٣٦	الأنعام	﴿هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ - وَهَذَا لِسُرْكَائِنَا﴾
١٠١	١٤٣-	الأنعام	﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ الذِّكْرَيْنِ

١٤٤		حَرَّمَ أَمِ الْاُنْثَيْنِ اَمَّا اُسْتَمَلَتْ عَلَيْهِ اَرْحَامُ الْاُنْثَيْنِ نَبَّوْنِي بِعِلْمٍ اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَمِنْ الْاِبِلِ اِثْنَيْنِ وَمِنْ الْبَقَرِ اِثْنَيْنِ قُلِ الذَّكْرَيْنِ حَرَّمَ اَمِ الْاُنْثَيْنِ اَمَّا اُسْتَمَلَتْ عَلَيْهِ اَرْحَامُ الْاُنْثَيْنِ اَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ اِذْ وَصَّاكُمُ اللّٰهُ بِهٰذَا فَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرٰى عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ اِنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّٰلِمِينَ
٢٥٢	١٦٤	الأنعام ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ اِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ اُخْرٰى﴾
٤٢	١٢-١١	الأعراف ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوْا لِاٰدَمَ فَسَجَدُوْا اِلَّا اِبْلٰسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السّٰجِدِيْنَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ اَلَّا تَسْجُدَ اِذْ اَمَرْتُكَ قَالَ اَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِيْ مِنْ نّٰرٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِيْنٍ﴾
٢٥٠	٢٨	الأعراف ﴿قُلْ اِنَّ اللّٰهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ اَتَقُوْلُوْنَ عَلَى اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ﴾
١٠٤	٤٠	الأعراف ﴿اِنَّ الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِآيٰتِنَا وَاسْتَكْبَرُوْا عَنْهَا لَا تُفَتّحُ لَهُمْ اَبْوَابُ السَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُوْنَ الْجَنَّةَ حَتّٰى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِيْ سَمِّ الْخِيَاطِ﴾
٢٣٥-٦٨	٥١-٤٢	الأعراف ﴿وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا اِلَّا وُسْعَهَا اُولٰٓئِكَ اَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيْهَا خَالِدُوْنَ * وَنَزَعْنَا مَا فِيْ صُدُوْرِهِمْ مِنْ غُلٍّ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهِمُ النَّهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِيْ هَدٰٓاَنَا لِهٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا اَنْ هَدٰٓاَنَا اللّٰهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُّوْا اَنْ تَلْكُمُ الْجَنَّةَ اُوْرِثْتُمُوْهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ * وَنَادٰى اَصْحَابُ الْجَنَّةِ اَصْحَابَ النَّارِ اَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَاذْنُ مُؤَدِّنٌ بَيْنَهُمْ اَنْ لَعْنَةُ اللّٰهِ عَلَى الظّٰلِمِيْنَ * الَّذِيْنَ يَصُدُّوْنَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ وَيَبْغُوْنَهَا عَوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كٰفِرُوْنَ * وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْاَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُوْنَ كُلًّا بِسِيْمَاهُمْ وَنَادَوْا اَصْحَابَ الْجَنَّةِ اَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوْهَا وَهُمْ يَطْمَعُوْنَ * وَاِذَا صُرِفَتْ اَبْصَارُهُمْ تَلْقَآءُ اَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظّٰلِمِيْنَ * وَنَادٰى اَصْحَابُ الْاَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُوْنَهُمْ بِسِيْمَاهُمْ قَالُوا مَا اَغْنٰى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُوْنَ * اَهٰٓؤُلَآءِ الَّذِيْنَ اَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللّٰهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ

			عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ * وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ * الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥٦-٥٩﴾
٥٦-٤٩	٦٠-٥٩	الأعراف	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٦﴾
٥٦	٦٥	الأعراف	﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾
٥٦	٧٣	الأعراف	﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴿٥٦﴾
١٨٤	٧٤	الأعراف	﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ ﴿١٨٤﴾
٥٦	٨٥	الأعراف	﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴿٥٦﴾
٢٠٣-٢٠٢- ٢٠٥-٢٠٤- ٢٠٦	١٤٣- ١٤٤	الأعراف	﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ * قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٠٣-٢٠٢-٢٠٥-٢٠٤-٢٠٦﴾
١٧٥	١٥٠- ١٥١	الأعراف	﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأُلُوحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنُ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ الْقَوْمُ اسْتَضَعِفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُسْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٧٥﴾
٢٣٨	١٥٦	الأعراف	﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكُنْهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٣٨﴾

٢٦٣	١٥٨	الأعراف	﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾
	١٧٥- ١٧٦	الأعراف	﴿وَأَنذَرْتُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبِعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾
١٤٢	١٩٤- ١٩٥	الأعراف	﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آعِينٌ يُمْسِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ﴾
١٠٥	٦	التوبة	﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾
١٤٣	٢٨	التوبة	﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾
١٠٣	٦١	التوبة	﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذنٌ قُلْ أذنٌ خَيْرٌ لَكُمْ﴾
٢٧٦	٨٤	التوبة	﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾
٢٧٦	١١٤	التوبة	﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾
٢٥٤	٢٢	يونس	﴿دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾
٦٦	٣٢-٣١	يونس	﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾
١٦٧-١١٠	٥٩	يونس	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾
٥٨	٦٨-٦٦	يونس	﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ * هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ

			مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢١٠﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١١﴾
٢١٠	٩٠	يونس	﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢١٢﴾﴾
٢٦٨	٦	هود	﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴿٢٦٨﴾﴾
١٠٦	١٣	هود	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاذْعُوا مِنْ أَسْطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٠٦﴾﴾
-٧٠-٥٠ ٢٢٦-١٧٥	٣٤-٢٥	هود	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٢٦﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٢٧﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشْرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدِلْنَا بِآدِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٢٨﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿٢٢٩﴾ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣١﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٣٢﴾ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَكُثِّرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٣٣﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٣٥﴾﴾
٢٧٣	٤٦	هود	﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴿٢٧٣﴾﴾
٢٠٦	٤٦	هود	﴿إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٢٠٦﴾﴾
٦٦	٥٠	هود	﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٦٦﴾﴾

٥٦	٦١	هود	﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾
١٩٤-١٩٥-١٩٩	٦٩-٧٦	هود	﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامًا فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ * فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ * وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ * فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ * إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ * يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾
٥٧	٨٤	هود	﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾
١٨٤	٨٩	هود	﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمُ نُوحٍ أَوْ قَوْمُ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾
٢٣٧	١٠٦-١٠٧	هود	﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾
١٦٨	٣	يوسف	﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾
١٧٧	٤	يوسف	﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ * قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾
١١	٣٣	يوسف	﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾
١٨٥	٣٧	يوسف	﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾

٢٩٣	٩٠	يوسف	﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾
٥٣	١١١	يوسف	﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾
٢٦٥	٢٣	الرعد	﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾
٢٧٨	١١	الرعد	﴿لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾
-٢٢١-٢١٩ -٢٢٤-٢٢٢ -٢٢٨-٢٢٧ -٢٣٠-٢٢٩ -٢٦١-٢٥٦ ٢٩٠-٢٧٨	٣-١	إبراهيم	﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ * الَّذِينَ يَسْتَحْيُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾
-١٠٠-٨٢ -٢٦٢-٢٦١ -٢٦٤-٢٦٣ ٢٨٤	٤	إبراهيم	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾
-٢١٩-٢١٨ -٢٦٨-٢٣٠ -٢٧٠-٢٦٩ ٢٨٥	٨-٥	إبراهيم	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ * وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ * وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾
-٢١٨-١٠٢ -٢٢١-٢١٩ -٢٣٢-٢٣١ -٢٤٥-٢٣٤ -٢٤٧-٢٤٦ -٢٥٣-٢٥٢	١٦-٩	إبراهيم	﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ * قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا

٢٥٤-٢٥٧ ٢٧٩-٢٨١ ٨٥-٢٨٦ ٢٨٧-٢٨٨ ٢٩١-٢٩٢ ٢٩٣			عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَآتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ * وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ * وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿٢٩٣﴾
٢٣٤-٢٣٦ ٢٥٦-٢٥٧	١٧-١٨	إبراهيم	﴿مِثْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبُعِيدُ﴾
٢٥٢-٢٥٥	١٩-٢٠	إبراهيم	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾
٢١٨-٢٤٥ ٢٤٨-٢٤٩ ٢٥٠-٢٥١	٢١-٢٢	إبراهيم	﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ * وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٥٠﴾
٢٦٤-٢٦٥	٢٣	إبراهيم	﴿وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾

٢٥٦-١٣٠- ٢٥٨-٢٥٧ ٢٥٩	٢٦-٢٤	إبراهيم	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾
٢٦٦-٢٦١	٢٧	إبراهيم	﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾
٢١٩-٢١٥- ٢٣٨-٢٢١	٣٠-٢٨	إبراهيم	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ * وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾
٢٦٦-٢٦١- ٢٨٢-٢٦٧	٣١	إبراهيم	﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾
٢٤٤-٢١٨- ٢٥٥-٢٥٢	٣٤-٣٢	إبراهيم	﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُم مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾
٢٦٨-٢١٩- ٢٧١-٢٧٠- ٢٧٣-٢٧٢ ٢٨٥-٢٧٤	٤١-٣٥	إبراهيم	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَلْنِي كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ * رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ * رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ * رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾
٢٢٢-٢١٩- ٢٤١-٢٤٠	٥٢-٤٢	إبراهيم	﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ

٢٤٣-٢٤٢ ٢٤٦-٢٤٤ ٢٩٣-٢٧٩			طَرَفُهُمْ وَأَفْتَدَتْهُمْ هَوَاءٌ * وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ * وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِينِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ * وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكَرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ * فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِيفَ وَعْدِهِ رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ * يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ وَتَعْشَى وُجُوهُهُمُ النَّارَ * لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٧٩﴾
٤٢	٣٣-٢٨	الحجر	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِمَنْ خَلَقْتُهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾
١٩٥-١٩٤ ١٩٩	٦٠-٥١	الحجر	﴿وَبَشِّرْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ * قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ * قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمِ تَبَشِّرُونَ * قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ * قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ * قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ * إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا لَهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾
٢٨٣	٩٩-٩٧	الحجر	﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾
٢١٥	١٨	النحل	﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
٥٧	٣٦	النحل	﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا

			الطَّاغُوتِ ﴿٤٠﴾
٤٠	٥١	النحل	﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ﴾
١٢٧	٦٠	النحل	﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾
١٤٠	٧١	النحل	﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾
١٢٠	٧٦-٧٥	النحل	﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْ رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يَتَفَقُّ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْتَمًا يُوَجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾
٧٤	١١١	النحل	﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾
٢٧٥	١٢٣	النحل	﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾
٨٢-١٩	١٢٥	النحل	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾
٢٢	١٠-٩	الإسراء	﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا * وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾
٨٢	٥٣	الإسراء	﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾
٤٢	٦١	الإسراء	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾
٢٥٣	٦٧	الإسراء	﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ﴾
٢٦٢-١٠٧	٨٨	الإسراء	﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾
١٧٧-١٥٢	١٢-٩	الكهف	﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا * إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ

			لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا * فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١٧٠﴾
١٧٠	١٣	الكهف	﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾
١٧٥	٢٥	الكهف	﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا﴾
١٣٤	٢٩	الكهف	﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾
٦٣	٣٤	الكهف	﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾
٦٣	٣٧	الكهف	﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾
٤٢	٥٠	الكهف	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾
٧٤	٥٤	الكهف	﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرُ شَيْءٍ جَدَلًا﴾
١٥٣	٨-٧	مريم	﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا * قَالَ رَبِّ أُنِّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَأَنِّ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾
١٢٧	١٧	مريم	﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾
١٧٢	١٨	مريم	﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾
١٧٢	٢٣	مريم	﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا﴾
٢٠٧	٢٦	مريم	﴿فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾
٢٣٧	٣٩	مريم	﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾
٨٨-٨٩-٩٠-٩١	٤٨-٤١	مريم	﴿وَإِذْ ذُكِّرَ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ

			وَلَيْلًا * قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا *
٢٣٥-٣٣	٩٧	مريم	﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَدًّا﴾
٥٤-٥١	٢٥-٩	طه	﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى * إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي * إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى * فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرَدَّى * وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهْسُ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَارَبٌ أُخْرَى * قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى * قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى * وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى * لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى * اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * قَالَ رَبِّ...﴾ النح
٨٢	٢٨-٢٥	طه	﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾
٢٤٣	١٠٧	طه	﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾
٤٢	١١٦	طه	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾
٢٦١	١٨	الأنبياء	﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾
١٢٢	٢٢	الأنبياء	﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾
١٠٨-٨٠	٢٤	الأنبياء	﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾
٢١٢	٣٠	الأنبياء	﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾
-١٨٨-١٨٧	٧٢-٥١	الأنبياء	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ

١٩١-١٨٩ ١٩٣			وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ * قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جَذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْهَيْتَةِ إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَاتُّوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَةِ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿١٨٩﴾
١٧٤	٧٥-٧٤	الأنبياء	﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسَقِينَ * وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾
١٩٩	٨٧	الأنبياء	﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾
٢٤	٩٠	الأنبياء	﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾
٢٣٥	٢٠	الحج	﴿يُصْنَعُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾
٢٣٥	٢٢	الحج	﴿كَلِمًا أَرَادُوا أَنْ يَخْرِجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾
٨٣	٦٩-٦٨	الحج	﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ * اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾
١٣٠-١١٣ ١٤٠-١٣٩	٧٤-٧٣	الحج	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ

			شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ * مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٥٠﴾
٥٦-٥٠	٢٥-٢٣	المؤمنون	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ * إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فْتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾
٤٠	٣٦	المؤمنون	﴿هِيَ هَاتَ هِيَ هَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾
١١٦	٦١-٦٠	المؤمنون	﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾
٩٢-٦٩	٨٨-٨١	المؤمنون	﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ * قَالُوا إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ يَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾
١١١-١٠٢	٩١	المؤمنون	﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾
٦٩	١٠٣- ١١٤	المؤمنون	﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ * أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ * قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ * إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِحْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوَكُمُ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ * قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ

			يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِينَ * قَالَ إِنْ لَيْسَ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣١﴾
٢٣١	١٣	الفرقان	﴿دَعُوا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾
١٧٤-١٧٣	٤٠-٣٥	الفرقان	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا * فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا * وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا * وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا * وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا * وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرَ السَّوَاءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾
١٨٤	٣٩-٣٨	الفرقان	﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا * وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾
٥٩	٥٥-٤٥	الفرقان	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا * ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا * وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا * لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْآسِيَّ كَثِيرًا * وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا * وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا * فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا * وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا * وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا * وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾
٩٠	٦٣	الفرقان	﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾
٢٣٣	٧٠	الفرقان	﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾
٤٦-٤١	٩-٧	الشعراء	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * إِنَّ

			فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٦﴾
٤٦	٦٨-٦٣	الشعراء	﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ * وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾
١٤٥	٦٩	الشعراء	﴿وَأَثَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾
١٨٧	٧٣-٧٢	الشعراء	﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ؟ * أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ؟﴾
٤٧	٩١- ١٠٤	الشعراء	﴿وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ * وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكَ أَوْ يَنْتَصِرُونَ * فَكُفُّوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ * وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ * قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ * فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ * فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾
٥٤-٥٢ ١٤٤	١٢-٧	النمل	﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بَخْرٌ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ * إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾
٢٩٦-٣٣ ٣٠٢	١٤	النمل	﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾
٥٦	٤٥	النمل	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾

١٠٨	٥٩	النمل	﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آلَهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾
٥٨-٤١ ١٠٨-٨٠	٦٤-٦٠	النمل	﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا إِلَهُهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ * أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا إِلَهُهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهُهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ * أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ إِلَهُهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَهُهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
٤١	٦٦	النمل	﴿بَلْ إِدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ عَنْهَا عَمُونَ﴾
١٦٦	٨٧	النمل	﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾
١٨٨-٥٧	١٧-١٦	العنكبوت	﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾
٢٠٠	٣٢-٣١	العنكبوت	﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ * قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾
٢٠٠	٣٣	العنكبوت	﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾
١٢٧	٤٣	العنكبوت	﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبِهَا لِلنَّاسِ﴾
٧٩	٤٦	العنكبوت	﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾

			مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٩٩﴾
١٩٩	٧٥-٧٤	العنكبوت	﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشَرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ * إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿١٩٩﴾﴾
١١٩	١٩	الروم	﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١٩﴾﴾
١٤٠	٢٨	الروم	﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾
١٣٠	٣٢	الروم	﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾
٥٩	١١-١٠	لقمان	﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾
١٣٢	١٨	لقمان	﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٣٢﴾﴾
٥٩	٣٢-٢٩	لقمان	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٥٩﴾﴾
١٨٠	١٢	السجدة	﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٨٠﴾﴾
٥١	٥٠	الأحزاب	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عُمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً

			إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٤٣﴾
٢٤٣-١٥٠	١٧-١٥	سبأ	﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥٠﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٥١﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٥٢﴾﴾
٨٠	٢٤	سبأ	﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨٠﴾﴾
٢٦٣	٢٨	سبأ	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴿٢٨﴾﴾
٩٥-٩٤-٩٣	٣٣-٣١	سبأ	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرُوا التَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٥﴾﴾
٢٣٧-٣١	٣٧-٣٣	فاطر	﴿جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾

١٣٠	٤٣	فاطر	﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾
١٦٥	٥١	يس	﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾
٢٦٦	٥٨	يس	﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾
١١٣-١٢٤-٢١١-٢١٠	٧٨-٨٢	يس	﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ * أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾
١٣٦	٦٢-٦٥	الصفات	﴿أَذَلَّكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾
١٨٨	٩٧	الصفات	﴿ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾
١٨٩	٨٩	الصفات	﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾
١٣٩	٥-٧	ص	﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ * وَأَنطَلِقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾
١٢٠	٢٦	ص	﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾
٤٢	٧١-٧٦	ص	﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾
١٧٨	١-٦	القصص	﴿طُسم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ *

			وَتُمْكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَثَرِيَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿١٧٨﴾
١٧٨	٩-٧	القصص	﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ فَالتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿١٧٩﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨٠﴾
١٦٨	١١	القصص	﴿وَقَالَتِ لَأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾
١٦٨	٢٥	القصص	﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقُصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ﴾
٥٤	٢٩	القصص	﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾
٥٤	٣٠	القصص	﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾
٨٢	٣٥-٣٤	القصص	﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ قَالَ سَنَسُدُّ عَصْدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعُكُمَا الْعَالِبُونَ ﴿٣٥﴾
١٠٩	٤٨	القصص	﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوْلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ﴿٤٩﴾
٨٥	٥٥	القصص	﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾
٢٣٩	٨٨	القصص	﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾
٥٩	٦-٥	الزمر	﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴾ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقَكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦٠﴾

٤٦	٢٣	الزمر	﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ﴾
١٦٦-١٦٥	٦٨	الزمر	﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾
٩٩	٥	غافر	﴿وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾
٢٥٣	١٢	غافر	﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾
٢٩٧	١٤	غافر	﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾
١٠١	٢٨	غافر	﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ﴾
٢٤١	٥١	غافر	﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾
٧٧	٥٦	غافر	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾
٥٩-٤٧	٦٥-٦١	غافر	﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ * ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَىٰ تُؤَفَّكُونَ * كَذَلِكَ يُؤَفِّكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ * اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُم فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ * هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
٣٦-٣٤-٣٣	٨-١	فصلت	﴿حَم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْثَنِهَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاغْمِلْ إِنَّا عَامِلُونَ * قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ

			كَافِرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٠٩﴾
٢٠٩	١٦	فصلت	فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿٢١٠﴾
٦٩	٢٢-١٩	فصلت	﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِمَ لُجُودُنَا لَمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾
٢٩٦-٣٥	٢٦	فصلت	﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾
١٩٩	٣٠	فصلت	﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفَامُوا تَنْزِيلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةِ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾
٢١٠-١١٧	٣٩	فصلت	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
٥٧	١١	الشورى	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾
٢٥٣	٩	الزخرف	﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾
١٠٤	٨١	الزخرف	﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾
٢٥٣	٨٧	الزخرف	﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾
١٦١	٢٤	الجاثية	﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾
١١٣	٣٣	الأحقاف	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُمْ بَقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
٢٩٤	٣٥	الأحقاف	﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أَوَّلُ الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾

١٢٧	١٥	محمد	﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾
٢٣٥	١٥	محمد	﴿وَسَقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾
١٥٥	٦	الحجرات	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾
٧٢	١١	الحجرات	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾
٧٢	١٣	الحجرات	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾
١٦١	٣-١	ق	﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ * بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ * إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾
٢٠٩	١١-٦	ق	﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ * وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ * وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ * رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾
١٦١-١٦٣-١٦٥	٣٤-١٥	ق	﴿أَفَعَيَّنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَا تُوسُّوسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ * وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ * وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ * لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ * وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ * أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ * الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ * قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ

			بَعِيدٍ * قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ * مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ * يَوْمَ نَقُولُ لَجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتَ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ * وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿
١٩٤-١٩٩-١٩٥	٣٧-٢٤	الذاريات	﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ * فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صِرَةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ * قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ * قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ * لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ * فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿
٦٨	٢٨-١٧	الطور	﴿ إِنَّا الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ * فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * مُتَكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْنُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهينٌ * وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ * يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ * وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّانَا عَذَابَ السَّمُومِ * إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿
١٠٦	٣٤-٣٣	الطور	﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَاثُوا بِحَدِيثِ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿
٤١	١٧-١٦	القمر	﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ

			مَذْكِرٌ ﴿
١٣٠	٦٠	الرحمن	﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾
١٥١	٦-١	الواقعة	﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ * إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾
٤٠	١٠	الواقعة	﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾
٢٦٧	٨٢	الواقعة	﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكَذِبُونَ﴾
١٦٤	٨٧-٨٣	الواقعة	﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ * فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
٦٣	١	المجادلة	﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾
٢٤٢	٢١	المجادلة	﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾
٢٤	١٣	الحشر	﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾
١٣٠	١٤	الحشر	﴿تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾
٢٧٦	٤	المتحنة	﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾
١٠٣	٨	المنافقون	﴿يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾
٢٣٧	١٠	التغابن	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾
٧١	٦	التحریم	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾
٧١	٩	التحریم	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ

			جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٧٤﴾
١٧٤	٨-٤	الحاقة	﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ * فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾
٥٦	٣-١	نوح	﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ﴾
١٧١	٧	نوح	﴿وَإِنِّي كَلَّمَاِ دَعَوْتُهُمْ لِيَتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾
٧٢	١٤-١١	المزمل	﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا * إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا * وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا * يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَهِيلًا﴾
٢٨٧	٧-١	المدثر	﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَيَبَّاكَ فَطَهِّرْ * وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾
٤١	٢٠-١٩	المدثر	﴿فَقَتِلَ كَيْفَ قَدَرٌ * ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَرٌ﴾
١٣٠	٣٨	المدثر	﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾
١٤١	٥١-٤٩	المدثر	﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ * كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ * فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾
١١٩-١١٨	٤٠-٣٦	القيامة	﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾
٧٢	٣-١	النبا	﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ * الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾
٢٣٨-٢٣٧	٢٣-٢١	النبا	﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلطَّاغِينَ مَابًا * لَا بُدَّ لَهَا حَقَابًا﴾
٦٣	١٤	الانشقاق	﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾
٧٣	٢٠-١٧	الغاشية	﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾

٢٣٤	١٣-٦	الفجر	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾
٢٣	٨-٧	الشرح	﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾
٢٩٥	٣-١	العصر	﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾
١٥٠	٣-١	الماعون	﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾
٢٨٣	٣-١	النصر	﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾
١٥٩-١٣٨	٤-١	الإخلاص	﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية

صفحة الورود	طرف الحديث
٢٦٠	أَتَيْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقِنَاعٍ عَلَيْهِ رُطْبٌ
٣٦-٣٥	اجْتَمَعَتْ قَرِيشٌ يَوْمًا فَقَالُوا انْظُرُوا أَعْلَمَكُمْ بِالسَّحَرِ
٢٤٣	أَرْضٌ بِيضَاءُ ، لَمْ يَسْفِكْ عَلَيْهَا دَمٌ
١٦٥-١٦٤	اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ
١٠٧	أَسْلَمَا تَسْلَمَا
١٩٧	أَلَا أَسْتَحْيِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحْيِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ
٢٠٨	أَمَّا إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ
٢٥٤	أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
٢٣	إِنْ أَسْتَخْلَفَ فَقَدْ اسْتَخْلَفَ مِنْهُ خَيْرٌ مِنِّي أَبُو بَكْرٍ
١٦٢	إِنْ صَاحِبُ الشِّمَالِ لِيرْفَعُ الْقَلَمَ سِتَّ سَاعَاتٍ
١٩٨	إِنْ الْعَبْدُ إِذَا وَضَعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابَهُ
١٩٨	إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا يَقُولُ يَا رَبِّ نُطْفَةٍ
١٩٥	أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
١٩٠	إِنْ فِي الْمَعَارِضِ مَنْدُوحَةٌ عَنِ الْكَذِبِ
١٩٨	إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطَّرِيقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ
٢٨٥	إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ
١٩٦	إِنَّمَا هُوَ جَبْرِيلُ ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ
١٩٥	أَوَّلُ النَّاسِ ضَعِيفُ الضَّعِيفِ
٢٤٣	تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَبْزَةً وَاحِدَةً
٢٤٣	ثُمَّ يَبْدُلُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ
١٩٣	(حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ
١٩٧	خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ
١١	دَعَا دَاعِيَ الْبَلْبَنِ
١١	دَعَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ ، وَبَشَّرَ عِيسَى ، وَرَأَتْ أُمِّي
٢٦٥	سَدِّدُوا وَقَارِبُوا ، وَاعْلَمُوا أَنَّ لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ
٢٤٤	عَلَى الصِّرَاطِ

١٩٧	فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل
١٦٥	قرن ينفخ فيه
٢٣	كيف أنتم إذا مرّج الدين وظهرت الرغبة
١٦٧	كيف أنعم ! وقد التقم صاحبُ القرنِ القرنَ
١١٥	لقد نزلت علي الليلة آية ، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها
١٨٩-١٩٠	لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَطُّ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ
٢٣٨	لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق عرشه
٢٦٦	لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ
٢٠٧	اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك
٢٣٧	لو لبث أهل النار في النار عدد رمل عالج
١٦٦	ما بين النفختين أربعون
١١	من قال حين يسمع النداء ، اللهم ربّ هذه الدعوة التامة
٢٦٧	نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ ، فَيُقَالُ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟
٢٣٤	نعم إذا كثّر الخبث
١٥٩	والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن
٢٩٣	والله إنك لخير أَرْضِ الله
٦٣	وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكَفْرِ أَوْ قَالَ عَدُوَّ اللَّهِ
٢٣٧-٢٣٨	يأتي على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد
٢٣٧	يُجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح

ثالثاً : فهرس المصادر والمراجع

- إبراهيم إسماعيل، الإعلام الإسلامي ووسائل الاتصال الحديثة، ضمن سلسلة دعوة الحق، السنة الثالثة عشرة، العدد ١٣٣، ١٤١٤هـ.
- إبراهيم الديوب، أصول مسائل العقيدة في ضوء كتب الحديث التسعة، أطروحة دكتوراه من قسم الفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم-جامعة القاهرة، إشراف: د.عبد اللطيف العبد، ١٤٢٤هـ.
- إبراهيم إمام
- دراسات في الفن الصحفي، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة)، دط.
- العلاقات العامة للمجتمع، مكتبة الأنجلو (القاهرة)، ١٩٨١م.
- إبراهيم عابد، وسائل الدعوة إلى الله تعالى في شبكة المعلومات الدولية، أطروحة دكتوراه، كلية الدعوة والاحتساب-جامعة محمد بن سعود الإسلامية، (السعودية)، ١٤٢٧هـ.
- إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، دط.
- إحسان عبد المنعم سمارة، أضواء قرآنية على دور الجدل والحوار في الدعوة للإسلام، بحث مقدم لمؤتمر الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي، جامعة الشارقة-كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٤٢٨هـ.
- إحسان عسكر، الخبر ومصادره، عالم الكتب (القاهرة)، دط.
- أحمد الشايب، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة)، ط٧، ١٣٩٦هـ.
- أحمد الطعان، منهجية الحوار الجدلي في القرآن الكريم والسنة النبوية، بحث غير مطبوع.
- أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، دار نهضة مصر (القاهرة)، د/ط.
- أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية: أصولها ووسائلها، دار الكتاب اللبناني (بيروت)، دط، ١٩٨٧م.
- أحمد: بن حنبل، المسند، ت: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط٢، ١٤٢٠هـ.
- أحمد محمد الشرقاوي، الحوار القرآني في ضوء سورة الأنعام، بحث مقدم لمؤتمر الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي، جامعة الشارقة-كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٤٢٨هـ.
- الأزهرى: محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، ت: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ٢٠٠١م، ط١.

- إسحاق بن راهويه، المسند، ت: عبد الغفور البلوشي، مكتبة الإيمان (المدينة المنورة)، ط ١، ١٤١٢هـ.
- الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، د.د (مصر)، ١٣٢٧هـ.
- الأشعري: علي بن إسماعيل
- ٥ -الإبانة عن أصول الديانة، ت: فوقية حسين محمود، دار الأنصار (القاهرة)، ط ١، ١٣٩٧هـ.
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ، ت: هلموت ريتز، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ط ٣.
- الآلوسي: محمود بن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، د.ط.
- الآمدي: سيف الدين، غاية المرام، ت: حسن الشافعي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية (القاهرة)، ١٩٧١م.
- ١٠
- الإيجي: عبد الرحمن بن أحمد، المواقف في علم الكلام، ت: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل (بيروت)، ط ١، ١٩٩٧م.
- الباقلاني: أبو بكر بن الطيب
- إعجاز القرآن، ت: أحمد صقر، دار المعارف (مصر)، ط ٣.
- ١٥ -الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، ت: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث (القاهرة)، ط ٢، ١٤٢١هـ.
- البخاري: محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، ت: مصطفى البغا، دار ابن كثير - اليمامة (بيروت)، ط ٣، ١٤٠٧هـ.
- البزار، مسند البحر الزخار، ت: محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن ومكتبة العلوم والحكم (بيروت - المدينة)، ١٤٠٩هـ.
- ٢٠
- البزدوي: محمد بن محمد بن الحسين، أصول الدين، ت: هانز لنس، دار إحياء الكتب العربية (القاهرة)، ١٩٦٣م.
- البغدادي: عبد القاهر بن طاهر، أصول الدين، دار زاهد القدسي، د.ط.
- بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن، دار الشروق (بيروت-القاهرة)، ط ٢، ١٣٩٦هـ.
- البياضي: أحمد بن حسين بن سنان، إشارات المرام، ت: يوسف عبد الرزاق، مطبعة مصطفى البابي الحلبي (مصر)، ط ١.
- ٢٥
- البيجوري: إبراهيم بن محمد بن أحمد، تحفة المريد على جوهرة التوحيد، ت: علي جمعة ومحمد الشافعي، دار السلام (القاهرة)، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- البيضاوي: عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر (بيروت)، د.ط.

- البيهقي: أحمد بن الحسين
- السنن الكبرى، ت: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز (مكة المكرمة)، دط، ١٤١٤هـ.
- شعب الإيمان، ت: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١، ١٤١٠هـ.
- الترمذي: محمد بن عيسى، سننه، ت: أحمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، دط.
- التفتازاني: سعد الدين عمر
- شرح العقائد النسفية، ت: محمد عدنان درويش، دار الثقافة العربية، دط.
- شرح المقاصد في علم الكلام، دار المعارف النعمانية (باكستان)، ١٤٠١هـ.
- التهامي نقره، سيكولوجية القصة في القرآن، أصل الكتاب أطروحة دكتوراه-جامعة الجزائر، الشركة التونسية للتوزيع (تونس)، ١٩٧٤م.
- التهانوي: محمد علي الفاروقي، كشاف اصطلاحات الفنون، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١، ١٤١٨هـ.
- ابن تيمية: أحمد بن عبد الحلیم
- درء تعارض العقل والنقل، ت: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية (بيروت)، ١٤١٧هـ.
- الرد على من قال بفناء الجنة والنار وبيان الأقوال في ذلك، ت: محمد بن عبد الله السمهوري، دار بلنسية (الرياض)، ط١، ١٤١٥هـ.
- مجموع الفتاوى، ت: أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء (القاهرة)، ط٣، ١٤٢٦هـ.
- الجرجاني: علي بن محمد، التعريفات، ت: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي (بيروت)، ط١، ١٤٠٥هـ.
- ابن جزري: محمد بن أحمد الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، دار الكتاب العربي (بيروت)، ط٤، ١٤٠٣هـ.
- جمعة شعبا وافي، المناهج الإعلامية وأثرها في الدعوة، بحث مقدم لمؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، ١٤٢٦هـ، ضمن بحوث المؤتمر.
- جون ديوي، الديمقراطية والتربية، تر: متى عقراوي وزكريا ميخائيل، لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة)، ١٩٤٦م.
- الجوهري: إسماعيل بن حماد، الصحاح، دار العلم للملايين (بيروت)، ط٤، ١٩٩٠م.
- الجويني: إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف
- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الدين، ت: محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم، مكتبة الخانجي (القاهرة)، ١٣٦٩هـ.

-العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، ت: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث (القاهرة)، ١٤١٢هـ.

• جيهان أحمد رشتي

-الإعلام ونظرياته في العصر الحديث، دار الفكر العربي (بيروت)، ط ١.

٥ -الأسس العلمية لنظريات الإعلام، دار الفكر العربي (القاهرة)، ١٩٧٥م.

• حافظ صالح، منهج القرآن الكريم في الدعوة، بحث الكتروني في موسوعة المكتبة الشاملة.

• الحاكم: محمد بن عبد الله، المستدرک على الصحيحين، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١، ١٤١١هـ.

• ابن حبان: محمد بن حبان البستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط ٢، ١٤١٤هـ. ١٠

• ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ت: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحبد الدين الخطيب، دار الفكر (بيروت) (مصورة عن الطبعة السلفية)، دط.

• ابن حزم: علي بن أحمد

-الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي (القاهرة)، دط.

١٥ -الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، ت: عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١، ١٤٠٦هـ.

• حسني نصر، الإعلام الإسلامي، ضمن قضايا إشكالية في الفكر الإسلامي المعاصر، سلسلة قضايا الفكر الإسلامي، العدد: ١٦، المعهد العالمي للفكر الإسلامي (القاهرة)، ط ١، ١٤١٨هـ.

• حسين نصار، التكرار، مكتبة الخانجي (القاهرة)، ط ١، ١٤٢٣هـ.

• أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، دار الفكر (بيروت)، ط ٢، ١٤٠٣هـ. ٢٠

• الخازن: علاء الدين علي بن محمد، لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الفكر (بيروت)، ١٣٩٩هـ.

• خالد النقشبندی، الرسالة الكسبية في الفرق بين الجبر والقدر، ت: حمود حمود البرهو، بحث دراسة وتحقيق مقدم في المرحلة التمهيدية للماجستير في قسم العقائد والأديان، كلية الشريعة-جامعة دمشق، إشراف: د. مدين هواري، ٢٠٠٩م. ٢٥

• خالد الياسين، الحوار والاستدلال في القرآن الكريم، مطبعة الفارس، ط ١، ٢٠٠٧م.

• خالد حسب الله، الجوانب العقدية والقيم الحوارية في مجادلات الخليل عليه السلام، بحث في مجلة الشريعة والقانون، العدد: ٣٥، ١٤٢٩هـ.

• خالد سليمان عيد الشيخ عيد، الحوار في القرآن والسنة النبوية لفك الحصار عن الدعوة الإسلامية، مشروع تخرج في تخصص التربية الإسلامية، جامعة القدس المفتوحة-منطقة رفح التعليمية، إشراف: طلال أحمد النجار، ٢٠٠٩م.

• ابن خلدون: عبد الرحمن

٥ -لباب المحصل في أصول الدين، ت: عباس سليمان، دار المعرفة الجامعية (الاسكندرية)، ط ١، ١٩٩٦م.

-المقدمة، ت: درويش الجويدي، شركة الأنصاري للنشر والتوزيع (بيروت)، ط ٢، ١٤١٦هـ.

• أبو داوود: سليمان بن الأشعث، سنن أبي داوود، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر (بيروت)، دط.

• الرازي: فخر الدين ١٠

-الأربعين في أصول الدين، ت: أحمد حجازي السقا، دار التضامن (القاهرة)، ط ١، ١٤٠٦هـ.

-محصل آراء المتقدمين والمتأخرين، ت: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، دط.

-مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١، ١٤٢١هـ.

• الرازي (محمد بن أبي بكر)، مختار الصحاح، ت: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون (بيروت)، ط ١، ١٤١٥هـ. ١٥

• الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ت: صفوان داوودي، دار القلم (دمشق)، ط ١، ١٤١٢هـ.

• ابن رشد: محمد بن أحمد، مناهج الأدلة في عقائد الملة، ت: محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة)، ط ٢، ١٩٦٤م.

• رقية نیاز، الترهيب في الدعوة، دار اشبيليا (الرياض)، ط ١، ١٤٢٠هـ. ٢٠

• زاهر الألمعي، مناهج الجدل في القرآن الكريم، مطبعة الفرزدق التجارية، دط.

• الزبيدي: محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، دار صادر (بيروت)، ط ١، ١٣٠٦هـ.

• الزرقاني: محمد بن عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر (بيروت)، ط ١، ١٩٩٦م. ٢٥

• الزركشي: محمد بن بهادر بن عبدالله، البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة (بيروت)، ١٣٩١هـ.

• الزمخشري: محمود بن عمر

-أساس البلاغة، دار صادر (بيروت)، ١٣٨٥هـ.

-الكشاف، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، دط.

- سالم بن سعيد بن مسفر، الإقناع في التربية الإسلامية، دار الأندلس الخضراء، ط ١، ١٤١٩هـ.
- السباعي، حاشيته على شرح الخريدة، ت: علي عبد الرحمن الهاشم، ط ١، ١٤١٤هـ.
- سعد عاشور، ضوابط الحوار مع الآخر، بحث في مجلة الجامعة الإسلامية بغزة، المجلد السادس عشر، العدد الأول، ٢٠٠٨م.
- السعدي: عبد الرحمن، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط ١، ١٤٢٠هـ.
- أبو السعود: محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، دط.
- سعيد إسماعيل صيني، الإعلام الإسلامي النظري في الميزان، مكتبة الملك فهد الوطنية (الرياض)، ١٤١٧هـ.
- سعيد القحطاني، الحكمة في الدعوة إلى الله، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد (السعودية)، ط ١، ١٤٢٣هـ.
- السفاريني: محمد بن أحمد، لوامع الأنوار البهية، مؤسسة الخافقين (دمشق)، ط ٢، ١٤٠٢هـ.
- السكاكي: يوسف بن أبي بكر بن محمد، مفتاح العلوم، ت: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١، ١٤٠٣هـ.
- السكسكي: عباس بن منصور بن عباس التريمي، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، ت: بسام سلامة، مكتبة المنار (الزرقاء)، ط ٢، ١٤١٧هـ.
- سلمان خلف الله، الحوار وبناء شخصية الطفل، مكتبة العبيكان (الرياض)، ط ١، ١٤١٩هـ.
- سليمان الدويش، أسلوب الترغيب في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، رسالة أعدت لنيل الماجستير من قسم الدعوة والاحتساب - كلية الدعوة والإعلام، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، إشراف: د.حسين مجد خطاب، ١٤١٦هـ.
- السمعاني: عبد الكريم بن أبي المظفر، الأنساب، ت: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان (بيروت)، ط ١، ١٤٠٨هـ.
- السيد رزق الحجر، مسائل العقيدة ودلائلها بين البرهنة القرآنية والاستدلال الكلامي، إدارة الدعوة والتعليم، سلسلة دعوة الحق، العدد: ٢٢٣، السنة: ٢٣، ١٤٢٨هـ.
- سيد قطب

-التصوير الفني في القرآن، دار الشروق (القاهرة)، ط ٦، ١٤٢٣هـ.

-في ظلال القرآن، دار الشروق (بيروت-القاهرة)، ط ١٧، ١٤١٢هـ.

- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر
- الإتقان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة)، ١٣٩٤هـ.
- الحبائك في أخبار الملائك، ت: مصطفى عاشور، مكتبة القرآن (القاهرة)، دط.
- ٥ -الآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، دار الكتب العلمية (بيروت)، دط.
- معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ت: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب (القاهرة)، ١٤٢٤هـ.
- الشاطبي: إبراهيم بن موسى اللخمي، الموافقات في أصول الفقه، ت: عبد الله دراز، دار المعرفة (بيروت)، دط.
- شاهر أبو شريح، الأساليب التربوية والوسائل التعليمية في القرآن الكريم، دار جرير (الأردن)، ط١، ١٤٢٥هـ.
- الشربيني: محمد بن أحمد، تفسير السراج المنير، دار الكتب العلمية (بيروت)، دط.
- شعلان القرني، التكرار في إثبات وحدانية الله في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية-جامعة أم القرى، إشراف: د. شريف العبدلي، ١٤٠٨هـ.
- ١٥ • الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن، دار الفكر (بيروت)، ١٤١٥هـ.
- الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم، نهاية الإقدام في علم الكلام، ت: الفرد جيوم، دط.
- الشوكاني: محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، دار الفكر (بيروت)، دط.
- ٢٠ • ابن أبي شيبة في مصنفه، ت: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد (الرياض)، ط١، ١٤٠٩هـ.
- الشيرازي: إبراهيم بن علي، المعونة في الجدل، ت: علي عبد العزيز العميريني، جمعية إحياء التراث الإسلامي (الكويت)، ط١، ١٤٠٧هـ.
- الصابوني: نور الدين أبو محمد أحمد بن محمود، البداية من الكفاية في الهداية في أصول الدين، ت: فتح الله خليف، دار المعارف (الاسكندرية)، ط١، ١٩٦٩م.
- ٢٥ • صالح أبو صبرة، وتيسير أبو عرجة، الاتصال والعلاقات العامة، منشورات جامعة القدس، المكتبة الوطنية (الأردن)، ١٩٩٩م.
- صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، ط٢٤، ٢٠٠٠م.
- صبحي طه، التربية الإسلامية وأساليب تدريسها، دار الأرقم (عمان)، ١٤٠٣هـ.
- صدر الشريعة، التوضيح مع التلويح، نظارة المعارف الروسي، دط، ١٨٨٣م.

• الصنعاني: محمد بن إسماعيل، رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار، ت: ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي (بيروت)، دط.

• ضياء الدين الجماس، التصوير والرمزية في الأمثال القرآنية، دار الهجرة (بيروت)، ط ١.

• الطبراني: سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، ت: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم (الموصل)، ط ٢، ١٤٠٤هـ.

• الطبري: محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط ١، ١٤٢٠هـ.

• الطوفي: سليمان بن عبد القوي الحنبلي: عَمَّ الجدل في عِلْمِ الجدل، ت: فولفهارت هاينريشس، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية (بيروت)، ١٤٠٨هـ.

• الطيب الشنقيطي، الأساليب النبوية لتنمية القيم الإيمانية، رسالة ماجستير من قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية-جامعة أم القرى، إشراف: د.محمد فهمي، ١٤٢٨هـ.

• ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١، ١٤١٩هـ.

• ابن عاشور: محمد الطاهر، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي (بيروت)، ط ١، ١٤٢٠هـ.

• ابن عاصم: أحمد بن عمرو، الأوائل، ت: محمد بن ناصر العجمي، دار الخلفاء للكتاب (الكويت)، دط.

• عبد الجبار دولة، التربية الإعلامية في المجتمع العربي المعاصر، مركز الناقد (دمشق)، ٢٠٠٩م.

• عبد الجواد سعيد ربيع، فن الخبر الصحفي، دار الفجر للنشر (القاهرة)، ط ١، ٢٠٠٥م.

• عبد الحلیم حفني

-إنصاف الخصم في القرآن وأثره الإعلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة)، دط، ١٩٩٢م.

-التصوير الساخر في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة)، ١٩٩٢م.

• عبد الحميد الزنتاني، أساس التربية الإسلامية في السنة النبوية، الدار العربية للكتاب، دط.

• عبد الحميد بن باديس، العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ت: محمد الصالح رمضان، دار الفتح (الشارقة)، ط ١، ١٩٩٥م.

• عبد الحميد حكيم، العقيدة في السور المكية وتوجيهاتها التربوية، رسالة ماجستير من قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية-جامعة أم القرى، إشراف: د.محروس مرسى، ١٤١٠هـ.

• عبد الخالق إسماعيل، الدعوة إلى سبيل الله أصولها ومبادئها، مؤسسة النجوم الهاشمية (الزقازيق)، دط، ١٤١٧هـ.

• عبد الرحمن النحلاوي

-أصول التربية الإسلامية وأساليبها، دار الفكر (دمشق)، ط ١، ١٤٢٦هـ.

- التربية بالحوار، دار الفكر (دمشق)، ط ١، ١٤٢١هـ.
- التربية بالقصة، دار الفكر (دمشق)، ط ١، ٢٠٠٨م.
- التربية بضرب الأمثال، دار الفكر (دمشق)، ط ٣، ١٤٣١هـ.
- عبد الرحمن حبنكة
- ٥ -ضوابط المعرفة، دار القلم (دمشق)، ط ٤، ١٤١٤هـ.
- فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دار القلم (دمشق)، ط ١، ١٤١٧هـ.
- عبد الرحيم بن علي الشهير بشيخ زاده، نظم الفرائد وجمع الفوائد، ت: بسام الجابي، المطبعة الأدبية (القاهرة)، ط ١.
- ١٠ • عبد الستار إبراهيم الهيتي، الحوار الذات والآخر، ضمن سلسلة كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (قطر)، ط ١، ١٤٢٥هـ، السنة الرابعة والعشرون، العدد: ٩٩.
- عبد العزيز حاجي، تفسير آيات العقيدة، دار الصابوني (القاهرة)، ط ١، ١٤٢٤هـ.
- عبد العزيز خواجه، أنماط العلاقات الاجتماعية في النص القرآني، دار صفحات للنشر (دمشق)، ط ١، ٢٠٠٧م.
- ١٥ • عبد العزيز شرف، فن التحرير الإعلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة)، دط، ١٩٨٧م.
- عبد الغني بركة، أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهجاً، مكتبة وهبة (القاهرة)، دط.
- عبد الغني عبود وحسن عبد العال، التربية الإسلامية وتحديات العصر، دار الفكر العربي (القاهرة)، ط ١، ١٩٩٠م.
- ٢٠ • عبد الفتاح عبد النبي، سوسيولوجيا الخبر الصحفي، العربي للنشر والتوزيع (القاهرة)، دط، ١٩٨٩م.
- عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منظوقه ومفهومه، دار المعرفة (بيروت)، ط ٢، ١٣٩٥هـ.
- عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، مكتبة المنار الإسلامية، ١٤٠١هـ.
- ٢٥ • عبد الله الجيوسي، أسلوب الحوار في القرآن الكريم خصائصه الإعجازية وأسراره النفسية، بحث منشور في المجلة الأردنية للدراسات الإسلامية، ١٤٢٧هـ، العدد: ٢.
- عبد الله موسى، أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي، رسالة ماجستير، المعهد العالي للدعوة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (السعودية)، ١٤٠٣هـ.

- عبد الله بدران، الخبر الصحفي في منهج الإعلام الإسلامي، دار المكتبي (دمشق)، ط ١، ١٤٢٣هـ.
- عبد الله علي العليان، حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين رؤية إسلامية للحوار، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت)، ط ١، ٢٠٠٤م.
- عبد الله محمود شحاتة، أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة)، ١٩٧٦م
- عبد المجيد البيانوني، ضرب الأمثال في القرآن أهدافه التربوية وآثاره، دار القلم (دمشق)، ط ١، ١٤١١هـ.
- عبد الوهاب كحيل، الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامي، عالم الكتب، مكتبة المقدسي (بيروت)، ١٩٨٥م.
- أبو عذبة: الحسن بن عبد المحسن، الروضة البهية في ما بين الأشاعرة والماتريدية، دائرة المعارف النظامية (الهند)، ط ١.
- ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، دت، المكتب الإسلامي (بيروت)، ط ٤، ١٣٩١هـ.
- علي محفوظ، هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، دار المعرفة (بيروت)، دط.
- عمار بوشي، صفة الكلام عند الحنابلة، بحث مقدم في المرحلة التمهيديّة في الماجستير، قسم العقائد والأديان، كلية الشريعة-جامعة دمشق، إشراف: د.حسان القاري، ١٤٣٠هـ.
- عمارة نجيب، الإعلام في ضوء الإسلام، د.د (الرياض)، ط ١، ١٤٠٠هـ.
- عمر الأشقر، عالم الملائكة الأبرار، دار النفائس (الأردن)، ط ١٣، ١٤٢٣هـ.
- عوض إبراهيم عوض، أصول الفكر الاتصالي الإنساني، دار الفكر (دمشق)، ط ١، ١٤٣٠هـ.
- الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة (بيروت)، دط.
- ابن فارس، مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر (بيروت)، ١٣٩٩هـ.
- فاروق أبو زيد، فن الخبر الصحفي، عالم الكتب (القاهرة)، ط ٢.
- فتحي الأبياري، الرأي العام والمخطط الصهيوني، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، ١٩٦٩م.
- فتحي الموصللي، فقه الحوار مع المخالف، الدار الأثرية (عمان)، ط ١، ١٤٢٨هـ.
- فتحية الحلواني، دراسة ناقدة لأساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام، دار تهامة (جدة)، ط ١، ١٤٠٣هـ.
- فهد الرومي، خصائص القرآن الكريم، مكتبة الحرمين (الرياض)، ط ٢، ١٤٠٩هـ.

• فوز بن مبيرك الصعيدي، الأساليب التربوية النبوية المتبعة في التوجيه وتعديل السلوك، رسالة ماجستير من قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية-جامعة أم القرى، إشراف: د. حامد الحربي، ١٤٣٠هـ.

• فوزية الملفوح، أصول الإيمان في قصة إبراهيم عليه السلام، رسالة ماجستير، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين-الجامعة الإسلامية (غزة)، إشراف: د. جابر السميّري، ١٤٣٠هـ.

• الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الفكر (بيروت)، ١٣٩٨هـ.

• القاضي: عبد الجبار

-الأصول الخمسة (منسوب للقاضي)، ت: فيصل بدير عون، مطبوعات جامعة الكويت (الكويت)، ط ١، ١٩٩٨م.

-شرح الأصول الخمسة (منسوب للقاضي)، ت: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة (القاهرة)، ط ٣، ١٤١٦هـ.

-فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ومبايئتهم لسائر المخالفين، ت: فؤاد سيد، الدار التونسية للنشر (تونس)، ١٣٩٣هـ، الكتاب ضمن مجموعة: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة.

١٥ - متشابه القرآن، ت: عدنان زرزور، دار التراث (القاهرة)، دط.

-المحيط بالتكليف، جمع: ابن متويه، ت: عمر السيد عزمي، الدار المصرية للتأليف (القاهرة)، دط.

-المختصر في أصول الدين (منسوب للقاضي)، ت: محمد عمارة، دار الهلال (القاهرة)، ضمن رسائل العدل والتوحيد.

-المغني في أبواب التوحيد والعدل، دار الكتب (مصر)، ط ١، ١٣٨٠هـ.

٢٠ • ابن قتيبة، غريب القرآن، ت: أحمد صقر، دار الكتب العلمية (بيروت)، ١٣٩٨هـ.

• القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ت: محمد الحفناوي ومحمود عثمان، دار الحديث (القاهرة)، ط ٢، ١٤١٦هـ.

• ابن القيم: محمد بن أبي بكر

- إرشاد القرآن والسنة إلى طريق المناظرة وتصحيحها وبيان العلل المؤثرة، ت: أيمن الشوا، دار الفكر المعاصر (بيروت)، ط ١، ١٤١٧هـ.

٢٥ -إعلام الموقعين عن رب العالمين، ت: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية (القاهرة)، ١٣٨٨هـ.

-الأمثال في القرآن الكريم، ت: إبراهيم بن محمد، مكتبة الصحابة (طنطا)، ط ١، ١٤٠٦هـ.

-حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، دار الكتب العلمية (بيروت)، دط.

-الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية (بيروت)، ١٤٠٢هـ.
-مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ت: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي (بيروت)، ط ٢، ١٣٩٣هـ.

- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ت: محمود حسن، دار الفكر (بيروت)، ١٤١٤هـ.
- كرم شلبي، معجم المصطلحات الإعلامية، دار الشروق (القاهرة)، ط ١، ١٩٨٨م.
- الكرمي الحنبلي، قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن، ت: سامي عطا حسن، دار القرآن الكريم (الكويت)، ١٤٠٠هـ.
- الكمال ابن الهمام، المسائرة، مطبعة السعادة (مصر)، ط ٢، ١٣٤٧هـ.
- ابن كمونة، الجديد في الحكمة، ت: حميد الكبيسي، مطبعة جامعة بغداد (بغداد)، ١٤٠٣هـ.
- اللقاني، إتحاف المريد بجوهره التوحيد، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة الفلاح (حلب)، ط ١، ١٤١١هـ.
- لمهابة محفوظ ميارة، مفهوم الحجاج في القرآن الكريم، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد: ٨١، ضمن بحوث المجلة.
- الماتريدي: أبو منصور محمد بن محمد، التوحيد، ت: فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية (الاسكندرية)، دط.
- ابن ماجه القزويني، سنن ابن ماجه، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر (بيروت)، دط.
- مازن الحوش، الاتصال وتأثيره على تنظيم المؤسسة الإعلامية، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر (الجزائر)، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، ٢٠٠٦م.
- مالك بن أنس، الموطأ، ت: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد، ط ١، ١٤٢٥هـ.
- الماوردي: علي بن محمد بن حبيب الماوردي، النكت والعيون، ت: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية (بيروت)، دط.
- مجاهد ناصر، منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة، رسالة ماجستير في أصول الدين، كلية الدراسات العليا-جامعة النجاح الوطنية (نابلس-فلسطين)، إشراف: د.محسن الخالدي، ١٤٢٤هـ.
- محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط ٣، ١٤١٥هـ.
- محمد أبو زهرة، تاريخ الجدل، دار الفكر العربي، ١٩٣٤م.
- محمد أحمد حسن القضاة، الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي، بحث مقدم لمؤتمر الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي، جامعة الشارقة-كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٤٢٨هـ.

- محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة)، ١٩٦٥م.
- محمد البخيت، أدب الحوار، بحث مقدم إلى مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، الجامعة الإسلامية بغزة-كلية أصول الدين، ١٤٢٦هـ، ضمن بحوث المؤتمر.
- محمد البشر، إيديولوجيا الإعلام، دار غيناء للنشر (الرياض)، ط ١، ١٤٢٩هـ.
- محمد الدخيل، مدخل إلى أصول التربية الإسلامية، دار الخريجي (الرياض)، ١٤٢٤هـ.
- محمد الراوي، الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، مكتبة الرشيد (الرياض)، ط ٣، ١٤١١هـ.
- محمد السنوسي، شرح أم البراهين مع حاشية الدسوقي عليها، دار الفكر (بيروت)، دط.
- محمد جابر الفياض، الأمثال في القرآن الكريم، دار الشؤون الثقافية العامة، ط ١.
- محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن الكريم، دار الملاك (بيروت)، ط ٦، ١٤٢١هـ.
- محمد حمد خضر، مطالعات في الإعلام، مكتبة الطالب الجامعي (مكة المكرمة)، ١٤٠٧هـ.
- محمد دبور، أسس بناء القصة من القرآن، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه، قسم الأدب والنقد-كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، إشراف: د.فتحي أبو عيسى، ١٤١٧هـ.
- محمد راشد ديماس، فنون الحوار والإقناع، دار ابن حزم ()، ط ١، ١٤٢٠هـ.
- محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، المكتب الإسلامي (بيروت)، ط ٩، ١٣٩٩هـ.
- محمد سعيد رمضان البوطي
- كبرى اليقينيات الكونية، دار الفكر (دمشق)، ط ٨، ١٤١٣هـ.
- من روائع القرآن، مكتبة الفارابي (دمشق)، ط ٢، ١٣٩٠هـ.
- محمد سعيد محمد، المسؤولية الإعلامية في الإسلام، مكتبة الخانجي (القاهرة)، دار الرفاعي (الرياض)، ط ١، ١٤٠٣هـ.
- محمد سيد ساداتي الشنقيطي، وظيفة الإخبار في سورة الأنعام، مركز الدراسات والإعلام، دار إشبيلية (الرياض)، ط ٤، ١٤١٨هـ.
- محمد سيد محمد، حق التعليم والإعلام في الإسلام، المعهد العالمي للفكر الإسلامي (القاهرة)، ١٩٨٧م.
- محمد صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي (بيروت)، ط ٩، ١٣٩٢هـ.
- محمد صالح الزركان، الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية، دار الفكر، دط.
- محمد عبد القادر، دور الإعلام في التنمية، وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٢م.

- محمد عدنان القضاة، مفهوم الحوار في القرآن الكريم وانعكاساته التربوية، قسم الإدارة وأصول التربية، كلية التربية-جامعة اليرموك، إشراف: د.حسن الحياوي، ١٤٢٣هـ.
- محمد فريد عزت، دراسات في فن التحرير الصحفي، دار الشروق (جدة)، ط ١، ١٤٠٤هـ.
- محمد قطب، دراسات في النفس الإنسانية، دار الشروق (القاهرة)، دط.
- محمد كامل الظواهري، بدائع الإضممار القصصي في القرآن الكريم، دار الصابوني، ط ١، ١٩٩١م.
- محمد محمود الطلابي، الأسلوب الإعلامي في القرآن الكريم، أصله رسالة ماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود، إدارة المطبوعات (مكة المكرمة)، ١٤١٢هـ.
- محمد منير حجاب، مبادئ الإعلام الإسلامي، المطبعة العصرية (الإسكندرية)، ١٩٨٢م.
- محمد موسى البر، الإعلام الإسلامي، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، العدد العاشر، ١٤٢٦هـ.
- محمد موفق الغلاييني، وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة، دار المنارة (جدة)، ١٩٨٥م.
- محمد وهدان، الإعجاز الإعلامي في القصص القرآني، دار أطلس (الجيزة)، ط ١، ٢٠٠٦م.
- محمد يوسف نجم، فن القصة، دار صادر (بيروت)، ١٩٩٦م.
- محمود أدهم، فن الخبر، د.د (القاهرة)، ط ٢، ١٩٨٧م.
- محمود الشوبكي وسامي قاسم، أهمية الحوار وأثره على الدعوة والتعليم، بحث مقدم إلى مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، الجامعة الإسلامية بغزة-كلية أصول الدين، ١٤٢٦هـ، ضمن بحوث المؤتمر.
- محمود يوسف عبده، بحوث الإعلام في خدمة الدعوة الإسلامية، مجلة جامعة أم القرى، العدد: ١٢، السنة التاسعة، ١٤١٦هـ.
- محيي الدين عبد الحليم، الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، مكتبة الخانجي (مصر)، دط، ١٤٠٠هـ.
- مريم سعود، البعد التصويري في القرآن الكريم سورة يوسف نموذجاً، رسالة ماجستير من قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات-جامعة الجزائر، إشراف: د.يوسف عروج، ٢٠٠٦م.
- مسلم: ابن الحجاج، الجامع الصحيح، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، دط.
- مصطفى فهمي، الدوافع النفسية، دار مصر للطباعة (القاهرة)، دط.
- معتصم بابكر مصطفى، أساليب الإقناع في القرآن الكريم، كتاب الأمة، العدد (٩٥)، السنة (٢٣)، جمادى الأولى، ١٤٢٤هـ.

- معروف زريق، علم النفس الإسلامي، دار المعرفة (دمشق)، ط ١، ١٤٠٨ هـ.
- معن محمود ضمرة، الحوار في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا-جامعة النجاح الوطنية (نابلس-فلسطين)، إشراف: د.محمد حافظ الشريدة، ٢٠٠٥ م.
- ملفين دفلر وساندرا بول، نظريات الإعلام، تر: كمال عبد الرؤوف، الدار الدولية للنشر (القاهرة)، ط ٢.
- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط ٤.
- المودودي: أبو الأعلى، مبادئ أساسية لفهم القرآن، تر: خليل أحمد الحامدي، الدار السعودية للنشر (جدة)، ١٤٠٤ هـ.
- ابن منظور: محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر (بيروت)، ط ١.
- النسفي: أبو المعين
- بحر الكلام، مطبعة كردستان العلمية (مصر)، ١٣٢٩ هـ.
- تبصرة الأدلة في أصول الدين، ت: حسين أتابي، رئاسة الشؤون الدينية التركية (أنقرة)، ط ١، ١٩٩٣ م.
- التمهيد لقواعد التوحيد، ت: جيب الله حسن أحمد، دار الطباعة المحمدية (القاهرة)، ط ١، ١٤٠٦ هـ.
- النسفي: أبو البركات عبد الله بن أحمد، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار إحياء الكتب العربية (مصر)، دط.
- النشار: علي سامي، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، دار النهضة (بيروت)، ط ٣، ١٩٨٠ م.
- نعيم رزق الدردساوي، أساليب القرآن الكريم في الرد على الحملات الإعلامية، دار الفرقان (إربد)، ٢٠٠٠ م.
- النووي: يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ط ٢، ١٣٩٢ هـ.
- النيسابوري: أحمد بن محمد بن إبراهيم، الكشف والبيان، ت: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ط ١، ١٤٢٢ هـ.
- هدى القرشي، أساليب تنمية التفكير العلمي لطفل المرحلة الابتدائية وتطبيقاتها المعاصرة في ضوء التربية الإسلامية، رسالة ماجستير، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية-جامعة أم القرى، إشراف: د.نجم الدين الأنديجاني.
- ابن هشام: عبد الله بن يوسف، مغني اللبيب، ت: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر (بيروت)، ط ٦.
- الهيثمي: علي بن أبي بكر بن سليمان القاهري، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر (بيروت)، ١٤١٢ هـ.

- ابن الوزير: محمد بن إبراهيم بن علي، إيثار الحق على الخلق، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ٢.
- وسيم فتح الله، أساليب التربية والدعوة والتوجيه من خلال سورة إبراهيم، بحث في موسوعة المكتبة الشاملة.
- وسيم معلم، الأساليب التربوية لتعظيم البلد الحرام لطلاب المرحلة الثانوية بالعاصمة المقدسة من خلال الأنشطة غير الصفية، رسالة ماجستير، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية-جامعة أم القرى، إشراف: د.عبد الناصر عطايا، ١٤٢٩هـ.
- يحيى زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، دار التربية والتراث (مكة المكرمة)، ط ١، ١٤١٤هـ.
- يزيد الحمزاوي، المدلولات التربوية للأمثال القرآنية، رسالة ماجستير من قسم علم النفس وعلوم التربية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية-جامعة الجزائر، إشراف: د.عبد القادر خياطي، ٢٠٠٦م.
- يوسف عمر لعساكر، الجدل في القرآن خصائصه ودلالاته، رسالة ماجستير في تخصص الدراسات اللغوية، من قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات-جامعة الجزائر، إشراف: د.محمد العيد أرتيمة، ٢٠٠٥م.
- يوسف فرحات، الحوار أصوله وضوابطه وأثره في الدعوة الإسلامية، بحث مقدم إلى مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، الجامعة الإسلامية بغزة-كلية أصول الدين، ١٤٢٦هـ، ضمن بحوث المؤتمر.
- اليوسي: الحسن، زهر الأكمل في الأمثال والحكم، دار الهلال (بيروت)، دط.

رابعاً: فهرس الموضوعات

الموضوع	صفحة الورود
شكر واجب	أ
المقدمة	ب- ر
تمهيد عام حول مفهوم الإعلام الإسلامي والدعوة	١
أولاً: مفهوم الإعلام والإعلام الإسلامي	٢
ثانياً: مفهوم الدعوة وصلته بالإعلام	١١
الباب الأول: أساليب صياغة الرسالة الإعلامية العقيدية في القرآن الكريم	١٧- ٢١٣
تمهيد: معنى الأسلوب والفرق بينه وبين الوسيلة	١٨
أولاً: تعريف الأسلوب	١٨
ثانياً: الفرق بين الأسلوب والوسيلة	١٨
الفصل الأول: الأساليب الوجدانية	٢١
المبحث الأول: أسلوب الترغيب والترهيب	٢٢
المطلب الأول: تعريف الترغيب والترهيب	٢٣
أولاً: الترغيب والترهيب لغة	٢٣
ثانياً: الترغيب والترهيب اصطلاحاً	٢٤
المطلب الثاني: أهمية الترغيب والترهيب القرآني ودوره في الدعوة والإعلام	٢٧
المطلب الثالث: دلالة أسلوب الترغيب والترهيب على مسائل العقيدة (نماذج)	٣٢
النموذج الأول	٣٣
النموذج الثاني	٣٧
المبحث الثاني: أسلوب التكرار	٣٩
المطلب الأول: تعريف التكرار وبيان أقسامه	٤٠
أولاً: التكرار في اللغة	٤٠
ثانياً: التكرار في الاصطلاح	٤٠
ثالثاً: أقسام التكرار القرآني	٤٠
المطلب الثاني: التكرار القرآني أهميته وخصائصه الإعلامية	٤٣
النقطة الأولى: الأهمية الإعلامية للتكرار القرآني ودوره في الإقناع	٤٣
النقطة الثانية: حكم التكرار القرآني وغاياته	٤٥
النقطة الثالثة: شبهة أثرت حول التكرار القرآني ومناقشتها	٤٩
المطلب الثالث: دلالة أسلوب التكرار على مسائل العقيدة (نماذج)	٥٥
النموذج الأول	٥٥

٥٧	النموذج الثاني
٥٨	النموذج الثالث
٦١	الفصل الثاني : الأساليب العقلية
٦٣	المبحث الأول: أسلوب الحوار
٦٣	المطلب الأول: مفهوم الحوار والحوار القرآني وبيان أنواعه
٦٣	أولاً: الحوار لغةً
٦٤	ثانياً: الحوار اصطلاحاً
٦٤	ثالثاً: الحوار القرآني وأنواعه
٦٥	الحوار البرهاني (الجدلي)
٦٧	الحوار الوصفي
٦٩	الحوار القصصي
٧١	الحوار التشريعي
٧٣	المطلب الثاني: أهمية الحوار وضوابط نجاحه وعوامل فشله
٧٣	أولاً: أهمية الحوار
٧٦	ثانياً: ضوابط نجاح الحوار
٧٦	الضابط الأول: تحديد موضوع الحوار
٧٧	الضابط الثاني: تحرير محل النزاع وتحديد المفاهيم والمصطلحات
٧٨	الضابط الثالث: تحديد المعايير والأصول التي يُحتكم إليها
٧٨	الضابط الرابع: تحديد الهدف من الحوار
٧٩	الضابط الخامس: البدء من نقطة الالتقاء
٧٩	الضابط السادس: التزام الطرق العلمية الصحيحة
٨٠	الضابط السابع: ترك التعصب للأفكار المسبقة
٨١	الضابط الثامن: التكافؤ والمساواة
٨١	الضابط التاسع: التسليم بالنتائج السليمة
٨٢	الضابط العاشر: سلامة اللغة وحسن الأسلوب
٨٢	الضابط الحادي عشر: الالتزام بآداب الحوار
٨٦	ثالثاً: عوامل فشل الحوار
٨٦	الأول: التعصب الحزبي
٨٦	الثاني: الكراهية للآخرين
٨٦	الثالث: تضخم الذات
٨٦	الخامس: التعسف في الحوار
٨٧	المطلب الثالث: دلالة أسلوب الحوار على مسائل العقيدة (نماذج)

٨٧	النموذج الأول
٩١	النموذج الثاني
٩٣	النموذج الثالث
٦٩	المبحث الثاني: أسلوب الجدل
٩٦	المطلب الأول: مفهوم الجدل والجدل القرآني
٩٦	أولاً: الجدل لغةً
٩٦	ثانياً: الجدل اصطلاحاً
٩٨	ثالثاً: مفهوم الجدل القرآني
١٠٠	المطلب الثاني: مسالك الجدل القرآني
١٠٠	المسلك الأول: السير والتقسيم
١٠٢	المسلك الثاني: التسليم الجدلي
١٠٣	المسلك الثالث: القول بالموجب
١٠٤	المسلك الرابع: المناقضة
١٠٤	المسلك الخامس: ردُّ القضايا إلى أمور بدهية
١٠٥	المسلك السادس: الانتقال
١٠٥	المسلك السابع: الترقى والتدلي
١٠٦	المسلك الثامن: التحدي
١٠٧	المسلك التاسع: مطالبة الخصم بالدليل
١٠٨	المسلك العاشر: التجزئة
١٠٩	المسلك الحادي عشر: بيان تناقض الخصم
١١٠	المسلك الثاني عشر: إظهار أن دعوى الخصم قائمة على التشهي والتحكم
١١١	المسلك الثالث عشر: بيان ما وقع فيه الخصم من اللبس والاشتباه
١١١	المسلك الرابع عشر: الهدم
١١٢	المسلك الخامس عشر: الاستدراج
١١٣	المسلك السادس عشر: الاختراع
١١٣	المسلك السابع عشر: التقرير
١١٤	المسلك الثامن عشر: توجيه النظر في الملكوت
١١٦	المسلك التاسع عشر: القياس
١١٦	أولاً: أشكال نابعة من المعنى الفقهي للقياس
١٢٠	ثانياً: أشكال نابعة من المعنى المنطقي للقياس
١٢٣	المطلب الثالث: دلالة أسلوب الجدل على مسائل العقيدة (نماذج)
١٢٣	النموذج الأول

١٢٣	النموذج الثاني
١٢٤	النموذج الثالث
١٢٦	الفصل الثالث : الأساليب الفنية
١٢٧	المبحث الأول: أسلوب التمثيل
١٢٧	المطلب الأول: تعريف المثل وبيان أنواعه
١٢٧	أولاً: المثل لغةً
١٢٨	ثانياً: المثل اصطلاحاً
١٢٩	ثالثاً: أنواع المثل القرآني
١٣١	المطلب الثاني: الأهمية الإعلامية للتمثيل القرآني ودوره في الإقناع
١٣٨	المطلب الثالث: دلالة أسلوب التمثيل على مسائل العقيدة (نماذج)
١٣٩	النموذج الأول
١٤٠	النموذج الثاني
١٤١	النموذج الثالث
١٤٢	النموذج الرابع
١٤٤	المبحث الثاني: الأسلوب الإخباري
١٤٤	المطلب الأول: تعريف الخبر
١٤٤	أولاً: الخبر لغةً
١٤٤	ثانياً: الخبر اصطلاحاً
١٤٧	المطلب الثاني: أهمية الخبر وبنائه الفني والمنهج الإسلامي في التعامل معه
١٤٧	أولاً: أهمية الخبر ودوره في التأثير والإقناع
١٤٨	ثانياً: البناء الفني للخبر الإعلامي
١٤٩	القسم الأول: مقدمة الخبر (The lead)
١٥٣	القسم الثاني: جسم الخبر (The body)
١٥٣	الأول: قالب الهرم المقلوب
١٥٤	الثاني: قالب الهرم المقلوب المتدرج
١٥٥	الثالث: قالب الهرم المعتدل
١٥٦	ثالثاً: المنهج الإسلامي في التعامل مع الخبر
١٥٧	الضابط الأول: التثبت من صحة الخبر وصدق قائله
١٥٧	الضابط الثاني: رعاية المصالح ودرء المفاسد
١٥٩	المطلب الثالث: دلالة الأسلوب الإخباري على مسائل العقيدة (نماذج)
١٥٩	النموذج الأول
١٦٠	النموذج الثاني

١٦٨	المبحث الثالث: الأسلوب القصصي
١٦٨	المطلب الأول: تعريف القصة وبيان عناصرها وأشكالها القرآنية
١٦٨	أولاً: تعريف القصة
١٧١	ثانياً: عناصر القصة
١٧١	العنصر الأول: الأحداث
١٧٢	العنصر الثاني: الأشخاص
١٧٣	العنصر الثالث: الحوار والسرد
١٧٦	ثالثاً: أشكال القصة القرآنية
١٧٩	المطلب الثاني: الأهمية الإعلامية للأسلوب القصصي ودوره في الإقناع
١٧٩	العنصر الأول: التأثير الوجداني
١٨٣	العنصر الثاني: الإقناع العقلي
١٨٦	المطلب الثالث: دلالة الأسلوب القصصي على مسائل العقيدة (نماذج)
١٨٧	النموذج الأول: قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه
١٩٣	النموذج الثاني: قصة إبراهيم عليه السلام مع الملائكة
٢٠١	النموذج الثالث: قصة موسى عليه السلام مع ربه عز وجل
٢٠٨	خاتمة الباب الأول: من عوامل تأثير الأساليب القرآنية
٢١٤-٣٠٠	الباب الثاني: القضايا العقدية في سورة إبراهيم (أسلوب إعلامي ومنهج دعوي)
٢١٥	تمهيد: مدخل إلى سورة إبراهيم
٢١٥	أولاً: تسميتها ونزولها وفضلها
٢١٧	ثانياً: موضوعاتها ومقاصدها العامة
٢٢١	الفصل الأول: الأساليب الإعلامية ومضمونها العقدي في سورة إبراهيم
٢٢٢	المبحث الأول: الأساليب الوجدانية ومضمونها العقدي في سورة إبراهيم
٢٢٢	المطلب الأول: أسلوب الترغيب والترهيب والمضمون العقدي الذي عرضه
٢٢٣	المقطع الأول
٢٢٣	١- خلق القرآن
٢٢٤	٢- خلق أفعال العباد
٢٢٨	٣- تعليل أفعال الله تعالى
٢٢٩	٤- وجوب توحيد الله تعالى
٢٢٩	٥- صفات الكفار
٢٣٢	المقطع الثاني
٢٣٢	١- دليل الحدوث على وجود الله تعالى

٢٣٤	المقطع الثالث
٢٣٤	١-أصناف عذاب الكفار
٢٣٥	٢-شمول العذاب للروح والجسد
٢٣٦	٣-خلود الكفار في النار
٢٣٩	المقطع الرابع
٢٣٩	١-التنفير من الشرك
٢٣٩	المقطع الخامس
٢٤٠	١-عصمة الأنبياء
٢٤٠	٢-وجود يوم القيامة وحال منكبيه فيه
٢٤٢	٣-عدم إخلاف الوعد
٢٤٢	٤-تبدل السموات والأرض
٢٤٤	٥-شمول العذاب للروح والجسد
٢٤٤	٦-وجوب توحيد الله تعالى
٢٤٥	المطلب الثاني: أسلوب التكرار والمضمون العقدي الذي عرضه
٢٤٥	١-توجيه النظر إلى مظاهر قدرة الله تعالى في الكون
٢٤٦	المبحث الثاني: الأساليب العقلية ومضمونها العقدي في سورة إبراهيم
٢٤٦	المطلب الأول: أسلوب الحوار والمضمون العقدي الذي عرضه
٢٤٦	المقطع الأول
٢٤٧	١-شبه حول النبوة وردها
٢٤٨	٢-عصمة الأنبياء عن الكفر
٢٤٩	المقطع الثاني
٢٥١	١-معنى البروز لله تعالى
٢٥٢	٢-مصير أولاد الكفار
٢٥٢	٣-رفض التبعية في العقيدة
٢٥٣	المطلب الثاني: أسلوب الجدال والمضمون العقدي الذي عرضه
٢٥٣	الإشارة الأولى: التقرير
٢٥٤	الإشارة الثانية: التسليم الجدلي
٢٥٦	الإشارة الثالثة: قياس الأولى
٢٥٦	الإشارة الرابعة: التوجيه للنظر في الملكوت
٢٥٧	المبحث الثالث: الأساليب الفنية ومضمونها العقدي في سورة إبراهيم
٢٥٧	المطلب الأول: أسلوب التمثيل والمضمون العقدي الذي عرضه
٢٥٧	١-مصير أعمال الكفار

٢٥٨	٢-الدعوة إلى التوحيد
٢٦٢	المطلب الثاني: أسلوب الإخبار والمضمون العقدي الذي عرضه
٢٦٢	المقطع الأول
٢٦٢	١-عموم بعثة النبي صلى الله عليه وسلم
٢٦٣	٢-الهداية والضلال
٢٦٥	المقطع الثاني
٢٦٥	١-دوام نعيم أهل الجنة
٢٦٦	٢-أثر الأعمال في دخول الجنة
٢٦٦	٣-الثواب
٢٦٧	المقطع الثالث
٢٦٧	١-سؤال الملكين
٢٦٧	المقطع الرابع
٢٦٧	١-الرزق
٢٦٩	المطلب الثالث: الأسلوب القصصي والمضمون العقدي الذي عرضه
٢٦٩	المقطع الأول
٢٧٠	١-المعجزة ودلالاتها
٢٧١	٢-مهمة الرسول
٢٧١	المقطع الثاني
٢٧٢	١-وجوب توحيد الله تعالى
٢٧٣	٢-ثبوت الشفاعة لأصحاب الكبائر
٢٧٥	٣-ثبوت صفة العلم لله تعالى
٢٧٥	٤-الدعاء للكفار والاستغفار لهم
٢٧٧	الفصل الثاني: منهج الدعوة من خلال سورة إبراهيم
٢٧٨	المبحث الأول: مضمون رسالة الداعية
٢٧٩	المطلب الأول: رسالة العقيدة في سورة إبراهيم
٢٨٣	المطلب الثاني: رسالة العبادة في سورة إبراهيم
٢٨٤	المطلب الثالث: رسالة الأخلاق في سورة إبراهيم
٢٨٤	أولاً: الحكمة
٢٨٧	ثانياً: الصبر
٢٨٨	ثالثاً: التوكل على الله تعالى
٢٩٠	المبحث الثاني: عقبات الدعوة وموقف الداعية منها
٢٩١	المطلب الأول: عقبات الدعوة

٢٩١	أولاً: استحباب الدنيا وتفضيلها على الآخرة
٢٩١	ثانياً: صدُّ الناس عن الدعوة
٢٩٢	ثالثاً: الاستهزاء بأصحاب الدعوة
٢٩٢	رابعاً: إثارة الشكوك والشبهات
٢٩٣	خامساً: الإيذاء الحسي والإخراج من الأرض
٢٩٤	المطلب الثاني: موقف الداعية تجاه العقبات
٢٩٦	خاتمة الباب الثاني
٣٠١	الخاتمة
٣٠٩	الفهارس
٣١٠	أولاً: فهرس الآيات القرآنية
٣٤٣	ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية
٣٤٥	ثالثاً: فهرس المصادر والمراجع
٣٦١	رابعاً: فهرس الموضوعات